

١٧١

جلد
الحجوة

في تفسير القرآن الكريم

المستعمل على عجائب بيوع المكنون وغرائب الآيات الباهرة

تأليف

الأستاذ الحكيم الشيخ ططاوي جوهري
المدرس بالجامعة المصرية ومدرسة دار العلوم سابقا
متع الله المسلمين بجلاله آمين

الجزء العاشر

طبع مطبعة

مطبعة البشائر الخيرية واولاده بمصر

وحقوق الطبع محفوظة

محرم سنة ١٣٤٧ هـ

بأشر طبعه

محمد امين عمران

إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية
(وهي قسمان)

(القسم الأول) في قصص زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وموسى وإسماعيل وأدريس عليهم الصلاة والسلام وما يتبع ذلك من فضائلهم وجهالات بعض تابعيهم من أول السورة الى قوله - ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا -

(القسم الثاني) نتيجة إجابة دعواتهم من الجنة والنار من قوله تعالى - تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا - الى آخر السورة

(الْقِسْمُ الْأَوَّلُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَهَيْمِصٍ * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا * إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا * يَرِئُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا * يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا * قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا *

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا * قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي
 آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا * فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى
 إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا * يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَ صَبِيًّا *
 وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا * وَسَلَامٌ عَلَيْهِ
 يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا * وَأُذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ
 أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا
 سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ
 لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَلِكَ
 قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَلِنَجْعِلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ
 فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا
 وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا * فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَزِي
 إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ
 مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا * فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا
 تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا
 كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي
 عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ
 وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ
 وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ *
 مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ
 رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ * فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ * أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ
 الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

* إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ * وَأُذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَنْ لَمْ تَنْتَهُ لَا رَجْمَكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَرِلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا أَهْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا * وَأُذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا * وَأُذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا * وَأُذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا * نَخْلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا * جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا * لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا *

(التفسير اللفظي)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كهيص) تقدم الكلام على مثل هذا بإيضاح في أول (آل عمران) فارجع إليه إن شئت . هذا الذي أتاه عليك (ذكر رحمة ربك عبده زكريا) بدل من عبده الذي هو مفعول رحمة (إذ نادى ربه نداء خفيا) دعاء دعاء سرا فإن الله يعلم السر والنجوى وحينئذ يقال ماذا قال فأجاب الله (قال رب إني وهن العظم مني) أي رق وضعف من الكبر وسقطت الأسنان وقد بلغ خسا وسبعين أو ثمانين سنة (واشتغل

الرأس شيبا) كأن الشيب نارا اشتعل بها الشعر الذي كأنه الحطب واشتدتها وقوتها جعلت كأنها أحرقت نفس الرأس وقوله - رأسا - تمييز محول عن الفاعل (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أى دعائى إياك . يقول زكريا ياربى إنك عودنى اجابة الدعاء فيما مضى والكريم اذا عود عادة لم يقطع رجاء من اعتادها كما (يحيى) أن أعرابيا قال لعظيم من عظماء السرب أنا فى ذمامك ولى عهد فى رقبته يحمائى قال له لا أذكر ذلك فقال له انى يوما طلبت الماء فأدليت دلوى فى البئر فكان الحبل الذى فيه الدلو قصيرا فأطلته وأمكنته من عنده قال ذلك الرئيس نعم حقك واجب على (وانى خفت الموالى من ورائى) أى خفت فعل بنى عمى وكانوا أشرار بنى اسرائيل من بعدموتى أن لا يحسنوا خلافتى على أمتى ويحصل الخلاف والشقاق والجهالة والكفر فى بنى اسرائيل (وكانت امرأتى عاقرا) لاتلد (فهب لى من لدنك) من عندك (وليا) بلى أمر قومى بعدى فان هذا الولي لا يطلب إلا من عندك فان العادة تمنعه من شيخ مثلى امرأته عاقر فكيف يرجى إلا منك . ثم وصف الولي بصفتين فقال (يرثى ويرث من آل يعقوب) فتجتمع يا الله له بين كونه حبرا مثلى وبين ملك آل يعقوب (واجعله ربّ رضىا) برا تقيا . فأجابه الله قائلا (يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى) أجاب دعاءه وتولى تسمية الولد بنفسه (لم نجعل له من قبل سميا) أى لم يسم أحد بهذا الاسم قبله أولم يشبهه أحد * قيل ذلك لأنه لم يعص الله ولم يهيم بمهصية قط وكان حصورا لا يأتى النساء وقد ولد بين شيخ وعجوز فهذه الصفات لم تكن لأحد قبله . فلما أجاب الله دعاءه وعلم ذلك من الملائكة (قال ربّ أنى) كيف (يكون لى غلام) يريد بذلك استكشاف الطريق التى بها يلدان . أيحويان شاين . أم كيف الحال (وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا) حقولا فى المفاصل وييسا فى العظام كالعود اليابس من أجل الكبر وأصل عتّى عتوّ فنقل فقلبت الضمة كسرة والواو المشددة ياء (قال) الملك المبشر له الأمر (كذلك قال ربك هو على هين) يسير (وقد خلقتك من قبل) من قبل يحيى (ولم تك شيأ) ولما كان هذا القول من باب الايمان والنفس الانسانية لا تطمئن ولا يكون عندها يقين إلا يبراهين تقنع العقل وتقوى الايمان كما كان من ابراهيم عليه السلام إذ قال - بلى ولكن ليطمئن قلبى - (قال رب اجعل لى آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا) آية وقوع ذلك أنك لا تطيق التكلم ثلاثة أيام بلياليهن وأنت سوى الخلق مابك من خرس ولا بكم وانما قلنا ثلاثة أيام للتصريح بها فى سورة آل عمران فى هذه الأيام الثلاثة ولياليها الخير والذكر والشكر ولم يستطع أن يكلم الناس فكان ذلك (لأمرين * الأول) أن يكون علامة له (والثانى) أن تتجه نفسه لله بالعبادة (نخرج على قومه من المحراب) أى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء المحراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون إذ خرج اليهم زكريا متغير اللون وأنكروا ذلك عليه وقالوا له مالك (فأوحى) فأومأ (اليهم) أو كتب لهم على الأرض (أن سبحوا) صاوا (بكرة وعشيا) طرفى النهار أى بأن سبحوا أى بالتسبيح الخ . فلما ولد يحيى وصراهن ثلاث سنين أعطاه الله فطنة وعقلا به يقدر على فهم التوراة فقال الله له (يا يحيى خذ الكتاب) التوراة (بقوة) بجد واجتهاد (وآتيناه الحكم صبيا) أى آتيناه النبوة وهو ابن ثلاث سنين (وحنانا من لدنا) أى رجة وتعظفا فى قلبه على أبويه وغيرهما (وزكاة) وطهارة من الذنوب (وكان تقيا) يفعل الطاعات ويتجنب المعاصى (وبرا بوالديه) وبارا بهما (ولم يكن جبارا عصيا) متكبرا عاصيا (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) أى له الأمان من الله يوم ولد فلا يناله الشيطان كما ينال سائر بنى آدم وأمان له يوم يموت من عذاب القبر ويوم يبعث حيا من عذاب جهنم والخزى وأشدّ المواطن على الناس هذه الثلاثة . يخرج الطفل فىرى حالا لم يعهدها ويموت فىرى عالما غريبا فيبعث فىرى مشهدا غريبا . فهذه هى الوحشة العظيمة فالله آمن يحيى عليه السلام فى هذه المواطن الثلاثة . وههنا لطائف (١) فى قوله - إذ نادى ربه نداء خفيا - الى - ولم أكن بدعائك رب شقيا * وانى خفت الموالى من ورائى -

الى آخره (٢) وفي قوله - قال آيتك ألا تكلم الناس - الخ (٣) وفي قوله - وسلام على يوم ولدت - الخ (٤) وفي الملائكة

﴿ اللطيفة الأولى - إذ نادى ربه نداء خفيا - الخ ﴾

هذا الدعاء فيه ذكر انه قد كان مجاب الدعوة وعادة الله ألا يخيب من عوده الكرم وفيه انه دعاء للامور العامة أى انه يدعو الله أن يرزقه بولد يكون نافعا لبنى اسرائيل ففيه ﴿ أمران ﴾ نشر العلم وحب الانسانية ولقد أذن الله أن يجيب دعاء من حبب اليه خدمة الانسانية والله حقيق أن يجيبه . وخفى هذه الآية أن العبد اذا كانت وجهته النفع العام كان الله له . فهكذا يكون من ألهمهم الله الخير من علماء هذه الأمة وتضرعوا الى الله أن يكون هدى الأمة على يديهم وأن يجمعوا شملهم وهو يلهمهم الخير ويساعدهم وذلك مجرب وقد قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين - فأكد انه مع المحسنين فحقيق بمن قرأ هذا التفسير أن يجرب ما جربت أنا بنفسى أن من وجد في قلبه شوقا الى خدمة هذه الأمة ورقبها ولم يشعرها وكان عنده استعداد فإن الله يساعده وقد خلق خلقا لذلك وهو يساعدهم فان وجدت في نفسك ميلا فالمساعدة محققة وانما قلت وفيه استعداد لذلك أخذا من قوله - ولم أكن بدعائك رب شقيا - فالرجل الموفق الذى استعدت لاسعاف الناس يحسن من نفسه بمعاونة الله في كل ضيق وذلك هو الذى كثيرا ما يستجاب دعاؤه

﴿ جوهرة ﴾

جاء في علم الأرواح كما هو فى كتاب ﴿ الأرواح ﴾ الذى ألفته مالمخصه ﴿ ان روحا سئلت . أى الناس أحظى عندكم بعد الموت . فقالت إن الله وملائكته يعاونون الرجل المتصف ﴿ بصفتين * الأولى ﴾ حب العلم بحيث يرى فى نفسه شوقا اليه ويجتد فى طلبه ﴿ الثانى ﴾ أن يكون محبا للانسانية مغرما بمساعدة الناس جميعا فتى وجد امرؤ بهذه الصفة توجه الله اليه بالعبادة وكلاءه بالحماية وجعله من خواصه وترادفت عليه العلوم فدخل أوديتها وشاهد محاسنها وليس لها آخر ولا تنفذ انتهى

﴿ اللطيفة الثانية - قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا - ﴾

اعلم أن أصعب عضو يمكن المرء حفظه هو اللسان . ولقد اطلعت على كتاب قد ترجم من اللغة الافرنجية الى العربية فى علم النفس يبين كيف يكون الكلام سببا فى قلة الرزق وضعف الحال وان امسك الأفكار فى القلب تكون أشبه بامساك الماء فى البحر والطعام فى الخزن وأن القوة الكهربية فىنا تحفظ بالسكوت وتذهب بالكلام . ومما جاء فى هذا الكتاب أيضا ما يأتى

﴿ انظر فى حياتك الماضية تجد انك و (٩٩) من الناس ينتهزون الفرص لاختبار اخر انهم بما فعلوا لتظهر نباهتهم وهذا تيار من المغناطيسية النفسية تضيق بلا فائدة وبتكرارها تضعف كهربية نفوسنا فلا نجذب من حولنا لأن نفوسنا فارغة فالسكوت يحفظ تلك القوى فلا تحقق رغبة الاطراء وسترى نتيجة ظاهرة فى زمن قريب ﴿ أمرين اثنين * الأمر الأول ﴾ أنك بالسكوت عن الكلام إلا للضرورة ودوامك على ذلك تشعر فى نفسك باحترام لنفسك وثقة بها وتعلوهيتك ووقارك ﴿ الثانى ﴾ أنك ترى اخوانك قد تغيروا تغيرا كليا فازدادوا رغبة فىك لأن قوتك الباطنة جذبتهم لك وهم لا يشعرون ﴿

ثم أخذ يكرر القول انه اذا طرأ على قلبك طارئ أعجزك للكلام فكأن أنت خيرا منه فاحبسه فى نفسك وهكذا من النصائح الى أن قال ﴿ وثمرة هذا السكوت والصبر عن الكلام تظهر فى ٥ أيام أو ٦ ولكن فوائدها الكبرى تظهر بالتدرج فتجد القلوب أحبتك وحوادثك تنضى ﴿

وبالجملة هذه الخصلة ألف عليها وحدها هذا الكتاب كله . فعجب كيف ظهر العلم فى العالم على هذه الآية

وحدها مع انهم في بلادهم (أسريكا) لا يعرفون الآية كما ان المسلمين لا يعلمون هذا العلم . انتهت اللطيفة الثانية
﴿ اللطيفة الثالثة - والسلام على يوم ولدت ويوم أموت - الخ ﴾

إن المسلم يقول ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾
فاذا كان يحى قال السلام على يوم أموت . السلام على يوم أبعث حيا . فالمسلم يسلم على نفسه وعلى نبيه
وعلى جميع الصالحين . المسلم يقول في الصلاة إني سعيد ولاسعادة لى إلا بسعادة المجموع فنبي في أمان
والمؤمنون في أمان وأنا في أمان . المسلم يذكر ذلك كله في كل صلاة وهذا يورث اطمئنان النفس بالتكرار
فاذا كان الناس كلهم في أمان وهو في أمان وقد ثبت في نفسه هذا واطمأنت وثبتت على ذلك فان الله يوم
القيامة يسلم عليه وهذا قوله تعالى في سورة أخرى - سلام قولا من رب رحيم -

المسلم يقول ﴿ التحيات لله والمباركات الخ ﴾ ثم يسلم على نفسه وعلى نبيه وعلى الأمم كلها اذا كانوا
صالحين . فسلام يحى وسلام المؤمن سيان . وليس يتم هذا المعنى حق التمام إلا بمعرفة - الحمد لله رب
العالمين - ولا معرفة لله إلا بمعرفة تربية العالمين تربية روحية وجسمية وهذا يستدعى جميع العلوم وهى درس
نظام هذه الدنيا أدرك حقيقة رحمة الله وأيقن أنه به رحيم لما يشاهد من رجاءات فى أقل الحشرات وما فوقها
الى الانسان . انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

لعلك تقول أيها الذكى ان العاوم اليوم ملأت الكرة الأرضية والكتب السماوية تذكر لنا ملائكة فاذا
قال العلم الحديث فى ذلك . ان الناس فى الأرض طييعيون والطبيعة لاملأكة فيها . فأين هؤلاء الملائكة
ونحن لم نرهم وكيف جاؤا لذكرى وكيف بشروه . أقول إقرأ كلام الامام الغزالى يخبرك أن الأرواح العالية
وغير العالية تحيط بنا من كل جانب كما يحيط بنا الهواء ولكن أجسامنا هذه تحجبهم عنا فاذا متنا أصبحنا معهم
ورأيانهم وحشرنا فى درجاتنا التى تناسبنا فإما مع الشياطين وإما مع الملائكة . وان أبيت إلا سماع علماء الطبيعة
فهاك ما كتبه فى كتاب ﴿ الأرواح ﴾ وهو خطبة للسرى (أوليفرلودج) أكبر علماء الطبيعة ذكرت فى مجلة
المجلات الانجليزية وبمطالعتك لها تعرف انها معجزة للقرآن إذ قال الله تعالى - سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى
أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - وعالم الملائكة أصبح اليوم هو وعالم الأرواح معروفا كما عرفت الطبيعة وهذه
الخطبة سبقت فى سورة (آل عمران) وملخصها أن الانسان ليس أرفع الكائنات وله أعوان يساعدونه حوله
وهو لا يراهم وهناك أراض غير أرضنا وهناك عوالم لانواها والأجرام الفلكية لا يعرف أكثرها وهذا العالم
وراءه عالم وهكذا عالم وراء عالم لاندري منتهىها وعمر الأرض قليل فيما مضى بالنسبة للكون والجوهر الفرد له
نظام كالنظام الشمسى ونسبتنا الى العوالم التى هى أعلى منا كنسبة النمل الينا ونحن لسنا أجساما فقط ورجال
الدين والقديسون صادقون فى أنهم ناجوا أرواحا عالية وأنا كذلك ناجيتها . ومن الجهل أن نقول اننا نضمحل
اذا اضمحل الجسد . أنا لا أشك فى أن الموتى يناجوننا وان أردت استيعابها فاقراها فى سورة (آل عمران)
وهى هناك قد كتبت مجزأة جزأين فى محلين مختلفين . انتهت اللطيفة الرابعة وبها انتهى القول فى قصص
زكريا عليه السلام

﴿ قصص مريم وعيسى عليهما السلام ﴾

قال تعالى (واذكر فى الكتاب) فى القرآن (مريم) قصتها (إذ انتبذت) اعتزلت وهو بدل اشتمال
من مريم (من أهلها) من قومها لتغتسل من الحيض (مكانا شرقيا) مكانا فى الشام يلى الشرق . ولهذا
المعنى اتخذ النصارى المشرق قبلة (فاتخذت) فضربت (من دونهم حجابا) ستر و بينما هى تغتسل وقد تجردت
إذ عرض لها جبريل فى صورة شاب أمرد وضىء الوجه سوى الخلقة وهذا قوله تعالى (فأرسلنا إليها روحنا فتمثل

لها بشرا سويا) فلما رآته (قالت إني أعوذ بالرحمن منك) وذلك لشدة عفافها (إن كنت تقيا) تتقي الله وتحفل بالاستعاذة فانك تتعظ بتعويذى فلا تتعرض لى (قال إنما أنا رسول ربك) الذى استعذت به (لأهب لك غلاما) أى لا كون سببا فى هبته بالنفخ فى قيصك (زكيا) طاهرا من الذنوب كما انك أنت طاهرة أوناميا فى الطهارة كلما زادت سنة (قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسنى بشر) ولم يقربنى زوج (ولم أك بغيا) قاجرة فالولد إما أن يكون من سفاح أونكاح وأنا بعيدة عنهما (قال) جبريل هكذا قال ربك (كذلك قال ربك هو على هين) أى خلق ولدك بلا أب (و) نفعل ذلك (لنجعل آية للناس) أى علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحة منا) ونعمة لمن تبعه على دينه حتى ينسخ (وكان أمرا مقضيا) محكوما مفروغا منه لا يرد ولا يبدل (حملته) فلما حملته (انتبذت به مكانا قصيا) بعيدا عن أهلها أى أقصى الوادى وهو بيت لحم لتفر من أهلها وقومها (فأجاءها المخاض) فأجأها المخاض وهو وجع الولادة (الى جذع النخلة) لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة * والجذع ما بين العرق والفصن وكانت نخلة لأرأس لها يابسة (قالت ياليتنى مت قبل هذا) فتمنت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة (وكنتم نسيا منسيا) أى شيئا حقيرا متروكا لم يذكر أو تمت انهم لم تخلق (فنادها من تحتها) عيسى (أن لا تحزنى) أى لا تحزننى (قد جعل ربك تحتك سريا) سيديا وهو ابنك عيسى أوجدولا يجرى فيه الماء (وهزى اليك بجذع النخلة) أى وأميله اليك (تساقط عليك رطبا جنيا) وهو ما بلغ الغاية وجاء أوان اجتناؤه (فكلى) من الرطب (واشربى) من النهر (وقرى عينا) بولدك عيسى * يقال أقر الله عينك أى صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك عن النظر الى غيره أى فتسكن (فما ترين من البشر أحدا) أى فان نرى آدميا يسألك عن ولدك (فقولى إني نذرت للرحمن صوما) صمتا كما صمت يحيى فى الأيام الثلاثة (فلن أكل اليوم انسيا) بعد أن أخبرتكم بنذرى ولست أكلم إلا الملائكة ولا أناجى إلا ربى (فأتت به قومها تحمله) أى أقبلت بعيسى بعد ما طهرت من النفاس حاملة إياه فلما رآوه معها (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) بديعا عجيبا مأخوذ من الفرى وهو القطع لأنه قطع العادة أو عظميا منكرا (يا أخت هرون) ياشبيهة هرون وكان رجلا صالحا فى بنى اسرائيل شبهت به فى صلاحها وعفافها كما جاء فى مسلم عن المغيرة بن شعبه قال لما قدمت من خراسان سألو فى فقالوا لى إنكم تقرأون - يا أخت هرون - وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله ﷺ سأله عن ذلك فقال انهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين فيهم . انتهى الحديث

ويقال ان هرون المذكور الذى شبهوها به فى زمانها لما مات شيع جنازته أربعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون سوى سائر الناس . وهذا وان كان مبالغة دال على شبه الحقيقة (ما كان أبوك أمرا سوء وما كانت أمك بغيا) أى ما كان أبوك زانيا ولا أمك زانية . فمن أين لك هذه الخصلة الفاحشة ومن أين لك هذه الفاحشة وهى ليست فى أبويك حتى أتيت بهذا الولد (فأشارت اليه) أى الى عيسى أن كلوه ليحببكم (قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا) ولم نعهد صبيا فى المهد يكلمه الناس فلما سمع عيسى كلامهم أقبل عليهم وترك الرضاع واتسكا على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه (قال إني عبد الله) والابتداء بهذه الجملة لقطع السنة الذين قالوا برؤيته (آتاني الكتاب وجعلنى نبيا * وجعلنى مباركا أينما كنت) أى سيؤتىنى الانجيل ويجعلنى نبيا ويجعلنى معلما للخير نفاعا للناس حيثما كنت . ولما كان هذا محققا عبر عنه بالماضى الذى هو أمرتم وانقضى وانتفاع الناس به فى كل مكان حل فيه أشبهه بالشمس أينما أشرقت عم نورها وهذا شأن العلم والعلماء يضيئون على الناس بقدر ما أعطاهم الله من العلم (وأوصانى بالصلاة والزكاة) زكاة المال ان ملكته أو تطهير النفس من الرذائل (مادمت حيا * وبرأ بوالدتي) وبارا بها وهذا عطف على مباركا (ولم يجعلنى جبارا شقيا) عاصيا لربى متكبيرا على الخلق فأنا خاضع متواضع * ويقال الشقى هو

الذي يذنب ولا يتوب (والسلام على يوم ولدت) أى السلامة على عند ولادتي من طعن الشيطان (و يوم أموت) أى عند الموت من عذاب القبر (ويوم أبعث حيا) من أهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك عاموا برأه صريم ثم سكت عيسى ولم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الأطفال (ذلك عيسى ابن مريم) أى الذي تقدم وصفه هو عيسى ابن مريم لا ماتصفه النصارى الذين وصفوه بأوصاف لا تتفق مع الحق هو (قول الحق) الذي لا شك فيه (الذي فيه يمترون) أى يشكون فيه ويختلفون . فمن قائل هو ابن الله ومن قائل هو الله ومن قائل هو ثالث ثلاثة ثم نزه الله نفسه عن الولد الذي أفادته هذه القصة فقال (ما كان لله أن يتخذ من ولد) أى ما كان من صفاته ولا مما ينبغى له اتخاذ الولد (سبحانه اذا قضى أمرا) أى اذا أراد أن يحدث أمرا (فانما يقول له كن فيكون) هذا تبكيت لهم ﴿لأمرين * الأول﴾ انه لو أراد الولد فعلا خلقه يقول - كن - فلاحل ولا ولادة ﴿وثانيا﴾ ان الولد ليكون حافظا لأبيه يعوله وهو حي وليكون ذكرا له بعد موته . ومعلوم أن الله لا يحتاج لشيء من ذلك فان العالم خاضع له لا يحتاج الى ولد ينفعه وهو حي لا يموت أبدا (وان الله ربي وربكم فاعبدوه) هذا من كلام عيسى . ولقد مر الكلام عليها في سورة ﴿آل عمران﴾ فارجع اليه هناك . ولقد تبين فيها أن هذه نفسها معجزة علمية لأنها جمعت ما جاء به المرسلون وبيننا هناك ديانات مختلفة عجيبة تسر الناظرين مصداقا لهذه الجلة فتقرأ شذرات من دين ﴿البوذيين﴾ ودين قدماء المصريين وغيرهم . فهذه الجلة رمز لجميع الديانات (هذا صراط مستقيم) الذي أخبركم به أن الله أمرني به هو الصراط المستقيم الذي يوصل الى النعيم المقيم ولقاء الله تعالى (فاختلف الأحزاب من بينهم) أى اختلفت أحزاب النصارى فيه حين رفع الى السماء الى ﴿ثلاثة فرق﴾ يعقوبية يتبعون عالما نصرانيا يسمى يعقوب قال لهم هو الله هبط الى الأرض ثم صعد الى السماء . ونسطورية اتبعوا رجلا يسمى نسطورا عالما منهم قال لهم كان ابن الله أظهره ماشاء أن يظهره ثم رفعه اليه . والحزب الثالث قال انه كان عبد الله مخلوقا وهؤلاء هم الملائكية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) أى من شهود يوم عظيم لشدة هوله وحسابه وعقابه وهو يوم القيامة فان الأيدي والأرجل والألسنة تشهد على أصحابها (أسمع بهم وأبصر) تعجب أى ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم سماع ولا بصر (يوم يأتوننا) يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) أى لكن هؤلاء الظالمون في هذه الدنيا في خطأ بين استدراك على أنهم يسمعون ويبصرون يوم القيامة ويقفون على الحقيقة وهي لا تنفعهم فرما يتوهم انهم عارفون في الدنيا فاستدرك (وأنذرهم) أى خوف يا محمد الناس ومنهم أهل مكة (يوم يحسرون الناس فالسوى على إساءته والمحسن على أنه لماذا لم يزد في احسانه وهو يوم القيامة (إذ قضى الأمر) إذ فرغ من الحساب وقوله - إذ - هو بدل من اليوم وقوله (وهم في غفلة وهم لا يؤمنون) جلتان حالتان من فاعل أنذرهم أى أنذرهم حال كونهم غافلين غير مؤمنين (إننا نحن رب الأرض ومن عليها) أى نمت سكان الأرض في الشرق والغرب جميعا ولا يبقى إلّا نحن (والينا يرجعون) فنجزهم بأعمالهم

﴿ أسئلة وردت على المؤلف وأجوبتها فيها أمور جيلة وأسرار تسر المفكرين

وأزهار وثمار تشرح صدور الناظرين ﴾

لما وصلت الى هذا المقام حضر أحد المتعلمين تعليما عاليا وأتم علومه في أوروبا فلما قرأ هذا قال . الأمم اليوم كلها قد ارتقت وكيف يبقى المساهون في هذه الأحاديث التي تنافي الطبيعة ولا تستقر معها بحال وفي ظني أن مثلك حين يكتب هذا يحصل له شك فيه وكيف تعاد وتكرر تلك الأحوال القديمة على مدى الزمان وما فائدتها والناس اليوم اخترعوا المدافع والطائرات وأظهروا أعاجيب ونحن نرجع الى الوراء فان كان عندك علم فقله والا فالأمر مبهم ملتبس والمتعلمون جميعا في حيرة من أمرهم لا مرشد لهم ولا أمين . فقلت له ماذا

الذى انهم عليك . لعلك شككت في ظهور جبريل لمريم وانه كلها وشككت في أن عيسى ولد من غير أب ولم تذكر هذه فائدة تذكر في الديانات ورأيت ذكر هذه الامور الخارقة للعادة وانه لا فائدة منها للناس بل انها ضارة لما تعود الناس أن يصدقوا كل ماخالف العقل وعليه تصبح العقول ملوثة بما لا حقيقة له وتصدق كل ما يخالف المعقول . قال حقا كل ذلك في نفسى . فقلت أما ظهور الملائكة فأمر أصبح سهلا لأنه اذا ثبت ظهور الأرواح الشريرة والفاضلة لقوم ليسوا أنبياء فظهور الملائكة من باب أولى فلا نقل لك بعض ما كتبت في كتاب (الأرواح) وهاهوذا

(المجلس السابع في مناجاة الأرواح وانتقامها بالوسوسة وعطفها على الباكين عليها

وماشابه ذلك من الحكم والمجائب)

قال شير محمد . حدثني من هذا . قلت قال في الكتاب المذكور صفحة ٨٣ ما يأتي قد يحسن بنا أن نذكر ههنا شرح الأرواح للوساطة البصرية تعريفا عن كتاب (الوسطاء) للعلم (الآن كاردك)

- (س) أمن الممكن أن تترأى الأرواح لأحد
- (ج) نعم وخاصة وقت النوم والبعض يرونها وقت اليقظة وهذا نادر
- (س) هل الأرواح التي تترأى تختص بطبقة واحدة
- (ج) كلا . بل يمكن للروح من أية طبقة كان أن يتراءى للعيان بشرط أن يشاء ذلك ويؤذن له فيه
- (س) ما غاية الروح من ظهوره
- (ج) تكون هذه الغاية جيدة أو رديئة وفقا لطبيعة الروح المتجلى
- (س) ماذا يقصد الروح الشرير بظهوره لأحد
- (ج) يقصد ازعاجه أو الانتقام منه
- (س) وماذا يقصد الروح الصالح بتجليه
- (ج) يقصد تعزية من يبكى على فقده وإثبات وجوده وبذل النصيحة لمن يحبه أو طلب الاسعاف لنفسه
- (س) لم لا تكون رؤية الأرواح عامة مستمرة . ألا تكون هذه أقوى وسيلة لاقتناع المنكرين
- (ج) اذا كانت الأرواح تحيط بالانسان من كل جهة فرؤيتها تكون باعنا لتشويش أفكاره وعرقلة في أعماله وعائقا لحريته . وأما المنكرون فلديهم دلائل أخرى واضحة تقنعهم اذا أرادوا وزعوا عنهم الكبرياء لستم تجهلون أن كثيرا من هؤلاء رأوا بأعينهم ولم يصدقوا بل نسبوا كل ذلك الى الوهم فلا تقلقوا لهم سوف يدعون للحقيقة آجلا أو عاجلا

- (س) هل رؤية الأرواح في العالم العلوى أكثر وقوعا منها هنا
- (ج) كلما ارتقى الانسان في الحياة الروحية ازداد سهولة في مناجاة الأرواح . وأما في عالم السفلى فكثافة الجسد هي العائق الأكبر الذي يحول دون معاينة سكان عالم الغيب
- (س) هل من الصواب أن يرتاع الانسان من ظهور الروح له
- (ج) على العاقل أن يلاحظ أن الروح أيا كان أقل خطرا من الحي . وانه اذا قصد أذية أحد لا يحتاج الى الظهور له بل يكتفى بما يلقي الى فكره من الالهامات الرديئة لجعله يحيد عن الخير ويتبع الشر
- (س) هل يمكن لمن تراءى له روح أن يطارحه الحديث
- (ج) نعم بل هذا يجب عمله أى انه يسأله من هو . وماذا يريد . وكيف تمكن مساعدته . فان كان الروح تعباً متألماً يرتاح ببوادي هذه المحبة وان كان صالحاً يأتي بنصائح مفيدة

(س) كيف يمكن للروح أن يجيب

(ج) يجيب سائله إما بالطريقة اللفظية كالحيّ وأما بطريقة الانتقال الفكرى

(س) هل للأرواح التي تتراءى بالأجنحة أجنحة حقيقية أم هذه صورة رمزية

(ج) ليس للأرواح أجنحة تفتقر إليها لأنها تستطيع الانتقال أينما أرادت . فقط تظهر بالزى الذي يؤثر بالأكثر في الشخص المتجلى هي له فيظهر بعضها بزىها الاعتيادى وغيرها بالحلل البيضاء والأخرى بالأجنحة كرمز عن الطبقة الروحية المنتمين هم إليها

(س) هل الأرواح التي تتراءى لنا في الحلم هي أرواح الأشخاص أنفسهم المتجلىة هي بهيئتهم

(ج) كثيرا ما يكونون هم أنفسهم

(س) ان الفكر نوع من الاستحضار به تجذب الأرواح إلينا فكيف أن من تفكر فيهم بالأكثر وتلطف إلى لقياءهم لا يترأون لنا في الحلم في حين أن أناسا لا تفكر فيهم يترأون لنا كثيرا

(ج) ليس للأرواح امكان مطلق للظهور لمن تشاء حتى ولا في الحلم فان موانع عديدة غير منوطة بإرادتها تحول دون ذلك . وأما الأرواح التي تتراءى في الحلم وأتم غير مفكرين فيها فلا يبعد أن يكون لها بعض التعلق بكم فضلا عن أنه ليس لكم أقل إلمام بعلاقات عالم الغيب ولا بكل الأحياء والمعارف الذين لا فكر لكم فيهم وقت اليقظة

(س) لماذا تحدث الرؤى غالبا وقت المرض

(ج) لأن العقد المادية الرابطة النفس بالجسد تتراخي وقت المرض فتزداد حرية الروح بضعف الجسد ويسهل عليها إذ ذاك مناجاة الأرواح

(س) لماذا تحدث الرؤى غالبا وقت الليل

(ج) للسبب ذاته الذي من أجله ترون وقت الليل من النجوم مالا ترونه وقت النهار أى ان قوة النور تمحو الظهور الخفيف ولكن لا تتوهموا أن الليل تأثيرا في الرؤى . اسألوا الوسطاء الناظرين يخبروكم عما رأوا وقت النهار

(س) أرى الوسيط الروح وهو في حالته الطبيعية أم في حال الانخفاف

(ج) كثيرا ما يراه وهو على حالته الطبيعية إلا انه يراه غالبا وهو في حالة قريبة من الانخفاف تدعى بالنظر الروحي

(س) كيف يجعل الروح نفسه منظورا

(ج) بما يأتيه من التغيرات في جسمه الروحاني فيظهر على أثرها بالهيئة البشرية في الحلم أوفى اليقظة في النور أوفى الظلمة

(س) هل يصح القول بأن الروح يجعل نفسه منظورا بتكشيفه جسمه الروحاني

(ج) ليس للتكشيف دخل ههنا بل يقال ذلك بوجه التشبيه فان الروح بقوة السائل الحيوى الذي يتشربه من الوسيط يجعل جسمه الروحاني على حالة تمكن الناظر من رؤيته

(س) هل لسكل الناس قدرة على رؤية الأرواح

(ج) في الحلم نعم ولكن ليس في اليقظة

(س) بماذا تقوم خاصية الوساطة البصرية

(ج) تقوم بما للوسيط من السهولة لمزج سوائله بسوائل الروح فلا يكفي للروح أن يرغب في الظهور حتى يظهر بل يفتقر إلى أن يجد في الشخص المتجلى هوله القابلة لذلك . أما الوساطة البصرية المستمرة فهي

حالة استثنائية لا يملكها إلا من ندر

(س) هل يمكن للروح أن تتجلى بهيئة مخالفة للهيئة البشرية

(ج) الهيئة البشرية هي الهيئة الأصلية فيستطيع أن يغير ظواهرها ولكن القالب لا يتغير

(س) ألا تظهر الأرواح أحيانا بهيئة شهب

(ج) انها تنشئ شهباً وأنواراً لا ثبات وجودها ولكن ليست الأنوار والشهب هي الأرواح بل لعلع أو صدور

من الجسم الروحاني الذي لا يظهر بكما له إلا في الرؤى البصرية

(س) ما قولك في النيران الغازية المتصاعدة من المقابر والأماكن المنتنة . هل هي دليل على حضور

أنفس الأموات

(ج) اعزأوها الى أنفس الأموات ضرب من الجهل والغباوة وعلمتها الطبيعية أصبحت اليوم أشهر من

نار على علم

(س) هل يمكن للأرواح أن تتراءى بهيئة حيوانية

(ج) قد يمكن حدوث ذلك ولا يأتي هذا العمل إلا الأرواح السفلية فيكون ظهورها بهذه الهيئة مؤقتا

لأنه ليس من المعقول أن الروح تريد أن تجس في جسم حيواني

ولما أتممت هذا المقال . قال شير محمد . ما أوفق هذا المانص عليه أ كابر علماء أمتنا فانهم يقولون إنها لا ترى

إلا اذا تشككت فأما هي على حالها فلا تظهر . والحق أن هذا العلم الحديث شرح للدين الاسلامي . ثم قلت

﴿ الحديث السابع من كتاب المذهب الروحاني ﴾

روت الجمعية العامة الانكليزية الملقبة (بشركة المباحث الروحية) في كتابها ﴿ أشباح الأحياء ﴾ الحادثة

الآتية وهما هي ذه

ان كاهنا حدث السن له من العمر تسع عشرة سنة إذ كان مقبلا (بأنفر كاسد) من جزائر زيلنده

الجديدة اتفق يوما مع أصحاب له على الذهاب الى جزيرة (روابوك) والمكث بها يوما أو يومين قصدا للصيد

والقنص . وأجمعوا رأيهم على أن ينهضوا الساعة الرابعة صباحا ليغتنموا فرصة مد البحر ويقطعوا الصخرة

ووعدوا الكاهن أن يأتوا لا يقاظه في الساعة المعينة فذهب هذا الى الرقاد وهو مصمم النية على مرافقتهم .

وبينما هو يصعد في سلم غرفته سمع صوتا يقول له ﴿ لا تذهبن غدا مع هؤلاء ﴾ فبهت الكاهن من هذا التنبيه

إذ لم يكن حوله أحد . وسأل المتكلم السري . لماذا . أجابه الصوت وكان كأنه صادر من داخل غرفته

﴿ لا ينبغي أن تذهب معهم ﴾ واذ كرر عليه السؤال مرة ثانية أتاها الجواب ذاته . فقال الكاهن كيف أتخلص

من لجأجتهم وقتما يأتون لا يقاظي . أجابه الصوت السري بصراحة ﴿ أقفل بابك بالمفتاح قفلا محكما ﴾ فتردد

الكاهن برهة ثم أخذت تحذنه النفس بحاول خطر مبین فتزعزع عزمه ورضخ لصوت التنبيه السري فأقفل

الباب محكما ورقد في سريره وحضر رفقائه الساعة الثالثة من الصباح وقرعوا باب غرفته بعنف واذ لم يجر

الكاهن جوابا انصرفوا عنه وهم يقرعون بلواذع اللسان . وفي الساعة التاسعة إذ قام الكاهن ليتناول

الطعام صباحا أخبره صاحب الفندق أن المركب القاصد جزيرة (روابوك) التطم بالصخر فانكسر وغرق

كل من فيه . وأن بعضا من جثث الغرقى قد دفنها البحر على الشاطئ . قال صاحب الرواية لو أني خالفت صوت

التنبيه ورافقت أصحابي الى جزيرة الصيد والقنص لما كنت اليوم من عداد الأحياء

وروى العلامة (مايرس) الحادث الآتي تعريبه

﴿ دخلت السيدة (كايدلى) غرفة الاستحمام وبعد أن خلعت ثيابها سمعت صوتا يقول لها جهارا

﴿ انزعى زلاج الباب ﴾ فبهتت وفشتت في كل ناحية فلم تجد مصدرا للصوت فظنت أن ماسمعه وهم وعادت

الى المغطس فما كادت تستقر فيه حتى عاودها الصوت يصيح ثلاثا وبلهجة الحدة ﴿ انزعى زلاج الباب ﴾ فارتاعت السيدة ونهضت من مغطسها ولبت أمر الصوت . ولما عادت الى المغتسل أغشى عليها وسقطت تحت الماء . وانما لحسن حفظها كانت قد قبضت على حبل جرس قبل الاغماء فسمعت الخادمة وهرعت الى انقاذها من تحت الماء . فلو كان الباب مزججاً لماتت قبل أن تتمكن الخادمة من نجاتها ﴿ انتهى ما نقلته من كتاب ﴿ الأرواح ﴾

فلما سمع صاحبي ذلك . قال أما الآن فاني لا أنكر ظهور الملائكة ولكني اقول مافائدة قصص عيسى وكيف يشاع بين الناس ماخالف العاوم المعهودة وفيه مافيه من الضرر . فقلت اعلم أن هذه القصة العيسوية منتشرة بين أمم النصرى والمسلمين وهؤلاء يبلغون ٧٠٠ مليون فهم أكثر من نصف الكرة الأرضية وهم بها جميعاً مؤمنون . واني أيها الذكي أسألك . هل تبيع للمسيحيين ما لا يبيحه لنا . وهل ترى أننا مخرّفون وأنت كنت بين قوم في أوروبا لا يقولون انه تخريف . قال ان الطبقة الراقية تقول ذلك ولكن لا يعلنون آراءهم وبعضهم أعلنها . قلت ليكن ذلك ولكن هل ترى أن الله يدع أمراً ضاراً بالناس عائشاً آلاف السنين بينهم ولا يزيله فسكت . قلت انك لم تكثف بهذا القول . قال لا . قلت إذن أشرح الموضوع شرحاً بقدر الامكان فأقول

اعلم أن النوع الانساني يخلق مغرماً في أول حياته بالامور التي توسع الخيال فاضطر البشر جميعاً في الشرق والغرب أن يؤلفوا كتباً خيالية مقصدها الخيال وتوسعته حتى انهم جعلوا للعفاريت صوراً ومثالوها للناس وذكروا لهم الامور المستحيلة وواجهوهم بها . وكلما وجدوا أمراً غريباً أظهروه للناس فالامور المستحيلة والامور الواقعة الغريبة هي التي تفتح خيال الناس وتجعلهم يسمعون ما يلقي اليهم فينتج لهما ﴿ أمران ﴾ خرافات وحوادث غريبة

﴿ الكهرباء والقصص ﴾

ومما مثل الناس وعقولهم في أول حياتهم إلا كمثل الأجسام الطبيعية فانها ﴿ قسمان ﴾ قسم تهيج الكهربائية بسرعة ويقال لها أجسام موصلة جيدة للكهربائية كالمعادن من الحديد والنحاس والرصاص وأجسام لا تهيج بسرعة ولا توصل الكهرباء كالخشب ويقال لها أجسام موصلة رديئة للكهربائية . فهكذا عقولنا . ففيها سرعة القبول للعلم والحب له . ومنها بطيئة القبول لا تحب إلا الامور المادية فهي كالخشب والأولى كالذهب فما مثل هذه القصص إلا كمثل الكهرباء يؤلفها العلماء بصورة تبهر النش وتفتح الخيال وتجعل الطفل والجاهل متأثرين بما فيها لغرابتها وعجبتها كحوادث الزلزلة وحوادث الحروب الكبرى وأحاديث العظماء النابغين الذين يندر وجودهم وهكذا أحاديث الخرافات وهذا أمر لم تتركه أمة من الأمم . فالتوحيشون والمتمدنيون جميعاً على هذا المنوال . وترى دور التمثيل جميعها فيها الحكايات التي تجمع الفكاهات والأخبار العجيبة التي فيها المفاجآت الغريبة

﴿ القصص وصدقها وكذبها والأحلام ﴾

ومما مثل الحكايات الغريبة في هذا العالم شرقاً وغرباً إلا كمثل الأحلام يكذب الآلاف منها ويصدق عشرات وآحاد . هكذا التأليف التي ألفها الناس في الخرافات معالوم للخاص والعام انها خرافات ولكن فائدتها توسعة الخيال للأطفال وقد دخلها أوهام وأكاذيب ستصقلها العاوم الطبيعية والبراهين المنطقية . وأما القليل الذي هو صدق فهو ماجاء في قصص مريم وعيسى وزكريا . فهذه وأمثالها كما في قصة أهل الكهف والخضر وأضرابها فهذه من القليل الذي هو صادق والصدق والكذب في هذا المقام في غير الكتب السماوية لا قيمة له لأن كل رواية أو قصة خيالية هي في الحقيقة صادقة من حيث نتائجها اذا وضعت لتقرير خلق أو اظهار معنى

شريف وقد وضع أيما وضوح في كتاب (أميل القرن التاسع عشر) كما تقدم في مواضع أخرى من هذا التفسير وجهله الشرقيون مع انه مترجم باللغة العربية فالشباب منكم يذهب الى أوروبا ويرجع لا يحكم في قلبه إلا الضغينة على قومه وعلى دينه وهو جاهل بأطوار أوروبا وبعالمها ولوانك قرأت هذا الكتاب وأمثاله لعرفت الحقيقة ولعرفت أن كتب الخرافات نفسها جعلت لفتح الأذهان فبالك بالحكايات الغريبة التي وقعت فعلا كمسألة (نابليون) وكالزلازل والحرب الكبرى وكالغازات الخائفة وأمثالها . فهذه غرائب لم تكن معروفة من قبل فتجعل الطالب مشتاقا لسماعها كما يشاق للخرافات

﴿ مفاتيح العلم ﴾

ان النفوس الانسانية كما قلنا منقسمة الى ﴿ قسمين ﴾ قسم ذكي وقسم بليد والقسمان معا يحبون الحكايات الخرافية والحكايات الصادقة اذا كانت غريبة وقلنا ان قصص مريم وعيسى وأمثالها من القسم الثاني ولذلك عم نصف المسكونة . فأمثال هذا في القرآن وفي غيره يتجلب منه الأطفال والعجب أول حب العلم وهذا العجب هو الامتحان . فكل طالب تحرّك العجب فيه أكثر عند سماع الغرائب فهو الى العلم أقبل وكل طالب ظهرت عليه علامات الكسل أو عدم المبالاة عند سماع المستغربات فهو عن العلم بمعزل ومثل الأولين كالمعادن فانها موصلة جيدة للحرارة والكهرباء ومثال الآخرين كالخشب الذي هو موصل رديء كما تقدم وكأنما هذه الحكايات عند الأمم مفاتيح العلوم تقرأ لتفتح أذهان الجهال والصبيان حتى اذا بلغوا أشدهم قرؤا علوم الطبيعة فصقلت عقولهم وأيقظتهم وعرفت فهم الحقائق . فبالأول يقوى الخيال . وبالثاني يقوى العقل . فأما تقوية العقل والخيال نائم فانه يكون أشبه بالغازي بلا فرس . فقال صاحبي لقد أجدت في التعبير ولكني لا أوافقك على ما تقول . هذه قصة مريم وعيسى وزكريا والخضر مع موسى وأهل الكهف فهؤلاء كلهم قد ذكروا متتابعين ولم نر علوما طبيعية وأما أنت فيظهر انك تريد أن تلصق علم الطبيعة بكل شيء حتى قصص الأنبياء . ويأيت شعري أي مناسبة بين مسألة عيسى وانه ولد من بكر بعالم الطبيعة أي ان الطالب يقرؤها بعدها ولو كان الله أراد ذلك لقال اذا قرأتم هذا القصص فاقروا علوم الطبيعيات . نحن سلمنا لك أن القصص الغريبة التي وقعت فعلا والقصص الخرافية المستغربة تفتح العقول وسلمنا أن قصص القرآن والكتب السماوية في مثل هذا من الغرائب الواقعة فعلا ولكن لانسلم أن القرآن يقول اقرؤا الطبيعة اذا كبرتم أو اذا عقلتم أو اذا تعلمتم . فمن أين نأخذ هذا المقال . فقلت يارعاك الله اصغ لما أقول . تأمل في السور السابقة من الحجر الى مريم . ألم تر الى سورة الحجر كيف ذكر فيها ما خلقه على الأرض مبتدئا من أدنى الى أعلى كما فعله علماء مذهب النش والارتقاء شرقا وغربا وهي سلسلة المواليد ثم ذكرت في سورة النحل بعكس ما ذكرت في الحجر ثم ذكرها مرة ثالثة في النحل أيضا بحيث جعل الانسان مذكورا في وسط السلسلة . وفي المرتين الأوليين مرة في أولها ومرة في آخرها . قال بلى قد عرفت هذا كله في هذا الكتاب . قلت سر بعد ذلك معي واقرا سورة الاسراء ففيها تجلت الروح تارة بالاسراء والارتقاء كانه يقول ها أنا ذا شرحت لكم ارتقاء المواليد فادرسوها . فهكذا العالم الروحي يرتقي درجة بعد درجة وأضرب لكم مثلا بارتقاء عبدني محمد ﷺ الى السموات طبقة بعد طبقة حتى وصل الى مستوى سمع فيه صريف الأقلام أي انه وقف على الحقائق فالأرواح ترتقي في العلوم والدرجات كما ارتقت الأجسام في المواليد الثلاثة طبقا عن طبق . أليس كذلك . فقال بلى . ولما قررت ذلك جاء في نفس السورة وذكر الروح وقال انكم لاتقرون على معرفة حقيقتها . قال نعم كان ذلك . قلت ألم تر أنه لما جاء الى سورة الكهف أخذ يقص علينا قصصهم وقصص الخضر وقصص ذي القرنين ثم في مريم قصصها وقصص زكريا ويحيى وعيسى وكلها من الغرائب . ولما أخذ يقصها أعطانا قبلها درسا يفهمنا المقصود منها فقال - أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا - فهو يقول

ان ما على الأرض من زينتها وهو ما شرحنه لك من السلسلة الحيوانية طاردا وعكسا فيه عجائب وغرائب أكثر من قصص أهل الكهف التي ذكرت في القرآن اجابة للسائلين عنها كما ذكرت قصة يوسف اجابة للسائلين عنها وقال في قصة يوسف ما قاله في قصة أصحاب الكهف إذ أبان هناك انهم معرضون عما لا يتناهى من الآيات في السموات والأرض لاعن قصة يوسف وحدها التي هي قليلة بالنسبة لآيات الله وهكذا قصة أهل الكهف ليست شيئا بالنسبة لعجائب الله . قال أما هذا فأنا فهمته عما كتبت في هذا التفسير في نفس تلك السور . قلت ولكنني أعدته مجملا لتكون صورته حاضرة في ذهنك . قال حسن . قلت فهل بعد هذا بيان . يقول الله ان هذا القصص في جانب غرائب السموات والأرض قليلة ثم يقول في آخر سورة الكهف - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر - الخ ويقول الخضر في حديث البخاري ومسلم ان علمي وعلمك يا موسى بالنسبة لعلم الله كما أخذه العصفور من هذا البحر . فهل كان ﷺ يقول هذا الكلام ناظرا عن الخضر بلا فائدة ولم ذكرها في مقام الخضر . ولماذا ذكر الله أن البحر لو كان مدادا لمعلومات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي . وكيف يقول في سورة طه بعد هذه - وقل رب زدني علما - . يذكر في سورة الكهف في الحديث الصحيح وفي الآية أن العلم لاحد له ثم يأمرنا الله في طه أن نطلب من الله أن يزيدنا علما أليس الأمر أصبح جليا واضحا . ان الأمر عظيم وأن العاوم يجب أن تدرس وأن قصص صريم وعيسى مثلا انما هي المبادئ التي تدرس في أول التعليم للتشويق ثم من عنده استعداد سيرقى معلومات الله التي قال فيها انها لانهاية لها . ثم لماذا يصرح القرآن بهذا القول وحديث الشيخين بين قصة الخضر وقصة زكريا ويحيى وصريم وعيسى . إن ذلك لم يكن مجرد مصادفات فان الكتب السماوية لها أسرار في الترتيب وهذا أعجب ما يفهم من القرآن وغرائب التربية ونظامها . ألا وان هذا من أعجب ما يستخرج من ترتيب السور والآيات . ظهر الحق واستبان السبيل وانبلج اشراق الصبح لدى عينين . فبالعلم فلنفرح - هو خير مما يجمعون - * قال الشاعر

ففر بعلم تعش حيا به أبدا * الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقيمة المرء ما قد كان يحسنه * والجاهلون لأهل العلم أعداء

فهل أقنعك ما أسمعتك . قال لقد شرحت صدرى وأريتني في القرآن عجبا ما كنت أتوهم أن أسمع أو أصدق أنه في القرآن . ثم ان هذا البيان يبعث الناس على قراءة جميع العلوم . قالت هو مقصود القرآن ولهذا أنزل . فقال ولكن لماذا لم نسمع هذا من العلماء السابقين . قلت أما وجود هذه المعاني بهذا الترتيب فلم أرها ولكن المتقدمون رحيم الله أيقظوا الأمة لمثل هذا ولكن القوم كانوا غافلين وهذا أو ان الاستيقاظ وزمان الرفعة والمقام الأعلى لأمة الاسلام . سيقوم فيهم عظماء مرشدون وعلماء نابهن مهتدون وسيكونون في عصر جديد لم يحلم به أهل الأرض وكل آت قريب والله قد أذن بظهور هذه الأمم الاسلامية في وقت قريب . قال ولكنني لا أزال أطلب فوائد أوسع في ذكر عيسى وولادته بلأب . قلت قدمت لك قولاً عاما لجميع القصص فأما قصة عيسى عليه السلام فان غرابتها لها منزلة شريفة وعجيبة بديعة وهي درة يتيمة وفتح صمداني للعقول الكاملة . قال وما هو . قلت ان الناس في أول أمرهم يتعجبون من صنعة ربهم إذ يخرق لهم القانون المسنون في أندر من النادر إذ جعل عيسى من غير أب فيحصل الايمان بالله بهذه الحادثة الغريبة . فاذا عجب الشاب وأخذت منه الغرابة كل مأخذ يقال له هل سرتك هذه فيقول نعم فيأخذ بيده المربون ويقولون تعال وانظر وتعجب مما هو أكثر غرابة وعجبا في الطبيعة . فهناك غرابة للعموم وهنا غرابة للخصوص . فيقولون له انظر الزهر كيف يلقي بصفات شتى وأحوال متباينة والأصل لم يتغير . فهذا من المقام الذي نحن فيه أي مقام الولادة العجيبة والتناسل المدهش

(١) فيقولون انظر السنط والقار والصفصاف وأصنافا أخرى . انظر كيف ألقحتها الرياح الهبات فملت اللقاح من الأزهار المذكورة الى الأزهار الموثنة فملت وأخرجت ثمرا . فهنا لم يقصد الذكر الأثني وليس لأحدهما شهوة ولا حياة معروفة ولا زواج ولا عشق ولا غرام . بل هناك رياح هبت فأخذت من هذا وأعطت ذلك والرياح لا عقل لها ولا علم

(٢) انظر النحل والحشرات المغنيات الطائفات التي شرحناها في هذا الكتاب مرارا كيف زين لها الزهر وكيف طابت رائحته وكيف جلت طلع الذكور ووضعته على الاناث من غير علم الأب ولا علم الأم فهذا أغرب ألف مرة من أمر عيسى لأن عيسى له أم تعقل وحملت وهي تفهم وولدت وأرضعت وظهر لها عند الحمل شاب هيج الشهوة فيها . فأما هنا فلم يكن شهوة ولا عرف الذكر الأثني بل لاحياة ظاهرة واضحة لهما ومع ذلك نرى الحمل والولادة

(٣) أذكرك بما مضى في سورة الحجر كيف تدخل الذبابة تلك الزهرة التي ضاق بابها لتستدفي من برد الجو ثم تريد أن تخرج فتمنعها الشعرات الواقفات على ذلك الباب الضيق حتى اذا وقع الطلع خرجت الذبابة فلم تقف في طريقها تلك الشعرات فتطلع في الجو فيلسعها البرد فتستدفي في زهرة أخرى من نفس النوع فيحصل مثل ذلك ويقع الطلع الذي عليها هناك وهكذا . أليس هذا أعجب ألف مرة من مسألة عيسى فكيف جاءت الذبابة . وكيف آلمها البرد . وكيف أقفلت عليها الشعرات عند الحاجة . وكيف فتحت لها عند تمام العمل وكيف يؤلمها البرد ويحركها الى الدخول في زهرة أخرى . وكيف لا تجدها ماوى إلا هذا النوع من الزهر بعينه بحيث لا تخطئ ولا يضيع ذلك اللقاح . وكيف تدخل فيه ويحصل العمل مرة أخرى . فيا ليت شعري أفلا تكون هذه كلها من أغرب الغرائب وأبدع المجائب وأعظم النعم فارجع اليه في سورة الحجر أفليس ذلك أعجب وأعجب من أمر عيسى وأمه وهو من قوله تعالى - وكأين من آية في السموات والأرض - الخ وقوله - أم حسبت أن أمهات الكهف والرقيم - الخ وقوله - قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي - وقوله - وقل رب زدني علما - وقول الخضر ﷺ ما علمي وعلمك في جانب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر من هذا البحر

(٤) ارجع الى سورة (الحجر) فانظر ماذا كنناه هناك من نور الزهر واستيقاظه صباحا تارة ومساء أخرى وكيف كان النحل والحشرات الخاصة بذلك الزهر تأتي اليه في تلك المواعيد المقررة المحددة . انظر هناك وتفكر في قصة أهل الكهف الذين ناموا زمانا طويلا ثم استيقظوا وقل لي أأست ترى الغرابة في نوم النبات واستيقاظه أشد والمجائب فيه أكثر . قل لي . أأست ترى معي أن النبات ما كان أحد في الناس يعلم أن له حالا كهذه فظهر أن له احساسا وشعورا فهو يشعر بالنور فيمتد اليه اذا كان في ظلمة ويحس بالبرد والرطوبة فيمتد عروقه اليها ويتجافى عن المواضع الجافة اليابسة فلا يمتد عروقه اليها ويرى الخبيل الممدود بين حائطين فلا يجيد عنه . وهكذا يرى فيه نوع من الحياة . فتري بعضه ينقبض اذا لمسته كالسنط الحساس . وقد وجدوا من أنواع النبات الذي له احساس ظاهر أكثر من مائة نوع وهو مفترس كما تقدم في سورة (الرعد) فهناك ترى صور ذلك النبات وشرحه . فانظر الى تفنن واسع مع الحكمة

فاذا رأيت قدرة الله واضحة في ولادة عيسى من غير أب تراها هنا قد أبدت أشكالا من الانتاج تدل على حكمة باهرة فهي أشكال مختلفة تدل على القدرة والاحكام فيها جميعها دلالة على الحكمة . فأن رأى الناس في خرق النواميس الطبيعية قدرة الله ظاهرة فهاهم أولاء شاهدوا في تناسل النبات ضرورا من الاشكال والابداع أجل وأعلى من خرق النواميس المجرد فهنا تنوعت النواميس تنوعا مقرونا بالاحكام . فاذا قال أهل مكة أزل يا محمد جبال مكة فليس فيه إلا القدرة على الهدم ولكن أين الابداع . أما هنا فقد نوعت النواميس

تنويعاً دلالة على الإطلاق ومع هذا الإطلاق تجد الأحكام والنظام

﴿ كيف تقرأ سورة مريم والكهف في الزهر . وكيف ذكر الله النخلة رمزاً لذلك ﴾

فانظر في الزهرات تجد عجائب الانتاج وغرائب العلم الذي ليس بمحدود . فهنا تبدى عجائب أصحاب الكهف وغرائب عيسى ومريم والعلوم الغزيرة التي أشار لها الخضر أن علوم ربك لانهاية لها وابداعه لاحد له . قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً .

ويشير الى ما بينته هنا قوله تعالى . وهزى اليك بجذع النخلة . الخ ان النخلة امتاز ذكرها عن أنثاها فجاء اللقاح بواسطة الهواء من الذكران للاناث وهذه الخاصية امتاز بها النخل . فأما بقية النباتات فانك تجد منها ما ذكره وأنثاه في زهرة واحدة كالقطن وماهما في زهرتين في نبات واحد كالقرع والذكر إما أن يكون في أعلى والأُنثى أسفل كالنرة المعروفة في بلادنا المصرية وقد شرحناه في سورة الفاتحة واما أن يكون الأمر بالعكس فالذكر أسفل من الأنثى ولكن الحكمة الالهية حكمت على الأنثى أنها في زمن اللقاح يتدلى غصنها تحت الآخر فيحصل اللقاح وذلك في الخروع . فانظر كيف امتاز النخل عن بقية النبات ببقاء الذكر عن أنثاه وجاء اللقاح بالرياح كما امتازت مريم بالولادة من غير زوج وهذه حكمة رمزية . وهنا ﴿ ثلاث جواهر ﴾

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى . ذلك عيسى ابن مريم . الخ ﴾

عيسى ابن مريم ليس له أب وهذه قضية العالم أجمع . يؤمن بها المسلم والنصراني وقد كانت قبل ذلك لأُم قد خلت كلها كانت مؤمنة بعظيم ولد من عذراء كما علمت فيما تقدم في آخر سورة المائدة . فبالت شعري لم عمت هذه الفكرة . ولم أمر الناس أن يصدقوا بما لانظيره في هذه الدنيا . قد أصبح من البديهي أن لا ولد إلا بأبوين . تساوى في ذلك الطير في جوّه والسمك في بحره والضب في جحره والأسد في عرينه . كلها تساوت في هذه القضية . فلم يفاجأ هذا الانسان المسكين ويمتحن عقله ويقال له اعتقد شيئاً لا يقبله طبعك وينبوعه سمعك ولا يألفه فهمك وما فائدة هذا التكليف وفي الناس من لا يكاد يخطر لهم ما لا تقبله العادات ولا تجيزه المؤلفات . لقد حار هذا الانسان في العلم وفي الدين . فما العمل إذن في هذه العقيدة

أقول . اعلم أن الله عز وجل قبل أن يخلق هذا العالم علم أن هذا الانسان تسيطر عليه عاداته ويختم على سمعه وقلبه وتجعل المؤلفات على بصره غشاوة . هذا الانسان يحيط به الليل والنهار والشمس والقمر والكواكب والنبات والحيوان والبحار فهو بهذا كله مأخوذ لا يدري ما الحياة إلا ما اعتاده ولا الله إلا ما ألفه يرى كل طير وكل دابة وكل شجر لا بد فيه من ذكر وأنثى . ويرى أن لا حياة إلا الحياة الدنيا وحياة الأجسام وهذا معناه الحبس والنوم العميق فقال له الله . كلا . إن هناك حياة في عالم لا تراه . وإذا ظننت أن المؤلفات لك واجبة محتمة فهالك هدم هذه القواعد . أنت ترى أن الحيوان لا بد فيه من ذكر وأنثى منفصلين وأنت لو تأملت لوجدت من النبات من يكون الذكر والأنثى في زهرة واحدة بل في الحيوان ما هو كذلك بل نفس الانسان . هذا عيسى ابن مريم ولد من أنثى وقد أنزلت عليها نوعاً من الذكورة وهو الذي تمثل لها بشراً سوياً . فهذه أنثى تمثل لها ذكر فحملت فولدت . فهنا أنثى وهنا ذكر لا يرى . إذن القاعدة مطردة قال تعالى . ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون . فما نحن تذكرونا فوجدنا القاعدة مطردة حتى ان مريم صاحبها ذكر من عالم المثال ولولا هذا لم تلد ولم تحمل وهذه المسألة فتح باب لعلم عظيم وحكمة كبرى ذلك أن هناك نوعاً من الحيوان أكثر الملكة الحيوانية عدداً تقوم الأنثى فيه بالعملين معا عمل الذكور وعمل الاناث ولا يدري إلا الله كيف حلت بلا ذكر . هل تمثلت ذكراً كريماً . أم فيها قوة الاناث وقوة الذكور وعلى كل فهذه المسألة من أعجب العلم وأبدع الحكمة والافكيف نرى أنثى تلد أمثالها بلا ذكر . أليس ذكر مسألة مريم وعيسى فتحت باب العلم على مصراعيه بل باب الرحمة وباب الحكمة وباب الرق العلمي . حيوان

بحرى أرسله الله لأهل الأرض فأكل منه سكان شواطئ البحار كأهل الاسكندرية وسكان شواطئ البحار في العالم كله كلهم يأكلون هذا الحيوان ولا يعلمون أن مسألة مريم وابنها نزلت لتذكر الناس بالحكمة والعلم وكأن الله يقول . أيها الناس . ليس كل ما نألفونه هو العلم . كلا . فالعلم والرحمة لاحد لهما . فأنا كما أخلق من أبوين أخلق من والد واحد يقوم مقام الوالدين . ولما وجدتكم غافلين أنزلت عليكم في الكتاب أن عيسى من مريم وليس له أب . ذلك كله لتدرسوا نظامي

ولما وصلت الى هذا المقام حضر صديقي العالم وأخذ يحاورني فقال . ما هذا الحيوان الذي أخذت تطنب في وصفه وتقول ان عيسى ابن مريم وأمه يذكر اننا به . فقلت هذا الحيوان مخلوق في كل بحر وكل نهر ولقد كنت وأنا في قريتنا بمديرية الشرقية أعثر على هذا الحيوان وأنا أستحم في نهر أبى الأخضر ولا أعقل له معنى . ومن عجب أن جثمان هذا الحيوان وغطاءه كان الناس يتخذونه سراجا لمنازلهم بحيث يضعون الزيت في أحد غطاءى ذلك الحيوان ويضعون في ذلك الزيت فتيلًا ويوقدونه سراجا . فاذا رأيت ثم رأيت مسارج ذات زيت موقدات وذلك بفضل هذا الحيوان . ومنه أيضا يكون ﴿الودع﴾ الذي يتخذ الرقاصون من السودانيين على أوساطهم ليكون له صوت يعجب بعض الناس . وهكذا من ذلك الحيوان يكون الدر الذي هو أعلى الجواهر وأعلاها قيمة وأنفسها وأبدعها جمالا وأبهجها حلية - فتبارك الله أحسن الخالقين - فقال صاحبي إذن هذا الحيوان هو

﴿ المحار ﴾

فقلت نعم . فقال صفه لى . فقلت هذا (المحار) مما يشبهه نوع يسميه أهل الاسكندرية (أم الخلول) فهم يصنعونه بالتوابل والأفاويه والبهارات ويأكلونه وأيضا يأكلون شيئا يقال له (بلع البحر) يطبخونه مع الارز والناس يصطادونه بشباك خاصة وبعض أهل أوروبا يربونه في أماكن مخصوصة من البحر كما يربي المصريون (الفراريج) المستخرجة من الدجاج

﴿ وصف هذا الحيوان ملخصا من كتاب أستاذنا العلامة المرحوم على مبارك باشا في كتابه علم الدين ﴾
وصفه بأنه حيوان لحم بارد رطب مخاطي ليس له عظام من الداخل وقد جعل الله له وقاية من الخارج وهي (المحارة) أو (الصدفة) وتكون نارة على هيئة شكل مخروط كهية البرج وتارة تكون شكلا مستديرا كالدرقة وتارة كدرع الحرب وتارة تكون قطعة واحدة كالحلزون وتارة تكون قطعتين فأكثر وتسمى (الميديا) وقد انقسمت الى ﴿ثلاث رتب أصلية﴾ ذات الصدفة وذات الصدفتين وكثيرة الصدف والميديا المذكورة تسكن في قاع البحار فتكون في مواضع على صورة الجزائر والتلال وترى الواحدة منها فلتقتن احداهما كبيرة وهي التي يلتصق بها الباطن وهي محدبة ذات سمك وهي السفلى والثانية هي العليا وهي أصغر وأرق سمكا وأقل تحديبا والحيوان في داخلها وهذا الحيوان فيه نفرة بيضاء فيها عصب أبيض اللون متصل بالحيوان وبه يكون تحريكه وفي دائر كل فلة من الفلتين زوائد فيها شعور يمدّها الحيوان ويقبضها باختياره يقتنص بها المواد الجيرية فتكون قوته وللحيوان فم ظاهر من جهة انفتاح المحارة له أربع زوائد بها يتناول الطعام وله معدة أشبه بشكل الكمثرى وأمعاء وكبد وقلب له أذنين وبطين مثل سائر الحيوان ومن البطين يخرج عرق يتفرّع ﴿ثلاثة فروع﴾ فرع يوصل الدم الى أعلى وفرع يوصله الى الكبد وفرع يوجه السائل الى سائر الجسد ودم هذا الحيوان ليس أحمر بل هو شفاف عديم اللون . إذن هذا الحيوان له دورة دموية وله خياشيم كالسمك يستخرج بها الهواء الذائب في الماء

ومن غريب خواص هذا الحيوان أنه يجتمع في الواحد منه أعضاء التناسل الذكورية والانثوية فيكون الواحد لنسله أبا وأما معا ونسله في أول أطواره بيض مصفر اللون كثير العدد الى الغاية حتى ان أهل الفن

توصلوا بكثرة البحث ودقة التحقيق الى أن قدّروا للحيوان الواحد منه نحو ألفي ألف بيضة ومدة تربية هذا الحيوان في البيضة كترية الدجاج في البيض الى أن يتم تخلق الحيوان ويستقل بنفسه ثلاثة أشهر من بؤنة الى آخر مسرى وفي هذه المدة يكون البيض في طيات الغشاء المتقدم ذكره مغمورا بمادة لزجة تفرزها الأم فيتغذى منها ويكون في طيات هذا الغشاء بمنزلة البيض تحت الدجاجة ترقد عليه وتحضنه وحينئذ يكون كل من البيض وهذه المادة في قوام القشطة ولا ترى أفرادها إذ ذاك بالعين لفرط صغره ودقته وكثرة تراكمه على بعضه ويكون في أول أطواره مصفرا كما مرّ ثم يتغير بعد ذلك فيسمر ثم يكون آخر الأمر بنفسجي اللون وعند ذلك يتخلق فيه الحيوان ويخرج منه وهو في طيات الغشاء المذكور كما ذكر وعند ذلك تقذفه الأم في الماء متتابعة متعاقبا على صورة خيط أبيض يشاهد بالبصر فيخرج من كل محارة خيط ويتكوّن من المجموع طبقة عظيمة الاتساع بالنسبة لاتساع الصخور الموجود عليها المحار تميز لونها عن لون الماء وحينئذ يكون لها منظر عجيب ولكن لا يلتفت اليها إلا المشتغلون بأمورها المعانون لثريتها . ومن الغريب أن هذا الحيوان الذي تنقضي مدّة حياته في حالة السكون وعدم الحركة يكون عند ولادته وانفصاله عن أصله محاطا بمادة تتكوّن منها محارته التي جعلها الله سبحانه وقاية له ويكون إذ ذاك في غاية الصغر والدقة بحيث لا يميز أفرادها إلا بالنظارة المعظمة ويكون له حينئذ شعور بها يسبح في الماء ويسرح حول أصله ويفزع اليه متى دهمته أي حادثة تهوله فاذا كبر الحيوان زالت عنه هذه الشعور التي هي له كالأرجل فيتعلق ببعض الصخور والأحجار فيستقر بمكانه ويثبت فيه ولا يتحوّل عنه وحجمه إذ ذاك لا يكون إلا قدر خمس ملليمتر واحد أي بقدر جزء واحد من خمسة آلاف جزء من المتر وبعد ثمانية أشهر يصل طوله الى نحو ثمانية ملليمترات أو عشرة ملليمترات وبعد سنة يكون قدر خمسة سنتيمترات ولا يتم صلاحه ويكمل الانتفاع به ويباع في الأسواق إلا اذا بلغ ثلاث سنين وهذا هو المعتبر بين أرباب المعامل فانهم لا يخرجونه منها إلا اذا بلغ هذا العمر

وعالم (المحار) عالم كبير وعدده كثير حتى قيل انه أكثر المملكة الحيوانية عددا . ومن هذا المحار نوع يسمى (الودع) ثم ان اللؤلؤ يتكوّن في داخل بعض المحار ولقد تقدّم الكلام عليه في سورة الفاتحة فاعجب للعلم والحكمة وقأمل كيف كانت مسألة انفصال الذكور من الاناث ليست واجبة في التناسل وكيف كان ذكر عيسى ابن مريم وانه لا أب له أصبحت تملأ البحار كلها وأن التناسل الذي ليس له أب معروف أكثر وأغزر وأوفى عددا من التناسل المتوقف على أبوين . واذا كنا نرى (المحارة) تلد ألفي ألف في مدة حياتها وأكثر الودعات تعدّ ذريتها بالآحاد أو العشرات . فاذن مسألة عيسى ابن مريم توجب البحث في عالم الحيوان وتفتح للناس باب العلم والمعرفة ويقولون ان الله لا حدّ له ولا حصر لقدرته ولا نهاية لابداعه . ذلك ما يفهم من أمر عيسى ابن مريم والحمد لله رب العالمين

﴿ الجوهرة الثانية في عجائب العلم الحديث ﴾

عجيبة ان صحت دلت على ما نحن فيه من هذه السورة وكشفت اللثام عما تقدّم في أول سورة النساء من أن آدم وحواء وسائر الحيوان خلقت أول أمرها في خط الاستواء إذ كانت الأحوال هناك مناسبة لها ثم تناسلت تلك الحيوانات وانتشرت . فهذه العجيبة التي سأذكرها لك ان صحت لم تردعن ذلك التأييد وتبين لنا عجائب الخلق . ذلك أنه في يوم السبت ٣ اكتوبر ذكرت انتشار خبر في جرائد الشرق والغرب وهذا ملخصه

﴿ توليد الحياة بطريقة كيميائية ﴾

ذكرت الصحف أن شابا يدعى المستر (مازور) وفق بعد جهاد خمس سنوات الى توليد الحياة بطريقة صناعية في معمله الكيميائي . ولا حاجة الى القول بأن عملا كهذا اذا صح سيحدث أكبر انقلاب في تاريخ البشر قضى المستر (مازور) سنوات عدّة في معمله يجتهد ويشغل ويقوم باجراء التجارب العلمية حتى وفق أخيرا

الى جعل (القوقعة) بطريقة كيميائية غريبة وكان قد وفق في سنة ١٩٢١ حصول الى أول خلية من خلايا الحياة الصناعية وذلك بانتهاجه طرقا غير الطرق العلمية التي تقدمه فيها العلماء ولعل تنسبه عن الطرق العلمية هو الذي أفضى به الى تلك النتيجة الباهرة . وخلاصة ما فعله أنه أخذ مجموعة من بيض (القوقعة) الطبيعية ومنزجها ببورات الكالسيوم حتى تكون منها مزيج ثخين سائل . وبعد ثلاثة أسابيع وجد في المزيج عدّة قوِّعات طبيعية حية . وقد حاول تفريخ البورات عدّة أسابيع فلما اكملت عملية التفريخ مزج الكل بالزال ثم حقن تربة أصيص من أصص الأزهار بذلك المزيج وبعد ثلاثة أشهر امتلأ الأصيص بالقوِّعات وأعاد هذه التجربة مرارا فأسفرت كل مرة عن النجاح التام . وجاء مرة ثمانية اصص في جميعها تربة متماثلة وأزهار متماثلة فحقن أربعة من تلك الاصص من المزيج المذكور وأهمل الأربعة الباقية ثم عرض الثمانية الاصص لنور الشمس وعاملها كلها معاملة واحدة . وبعد ثلاثة أشهر ظهرت قوِّعات كثيرة في الاصص المحقونة بالمزيج أما الاصص الأخرى فلم يظهر فيها شيء على الإطلاق

ويعتقد المستر (مازور) أن هذه التجارب قد أثبتت بوجه قاطع صحة نظرية التولد الذاتي وهي النظرية التي تذهب الى أن الحياة يمكن أن تنشأ من الأرض نشواً ذاتياً أي من تلقاء نفسها وذلك باتحاد الخلايا وانضمامها معا في أحوال معينة من دون أن يكون ثمة ضرورة لاجتماع الأبوين . وهذه النظرية في عرف المستر (مازور) تؤيد ما جاء في الكتب المنزلة بشأن عملية الخلق وتناقض نظرية النشوء والارتقاء التي جاء بها (دارون) وفي اعتقاده أيضاً أن رواية السكتب المنزلة عن الخلق أكثر انطباقاً على المبادئ العلمية وأكثر تأييداً لها من نظرية النشوء والارتقاء بشرط تفسير تلك الرواية بأنها تعني التولد الذاتي لأن البراهين قوية جداً على أن الحياة في جميع مظاهرها الحيوانية والنباتية نشأت بطريقة ذلك التولد . ولو أمكننا أن نوجد البيئة أو الأحوال التي ظهرت فيها الأنواع منذ القدم لأمكننا اليوم أن نوجد تلك الأنواع عيناها بطريقة صناعية هذا ما يدعيه المستر (مازور) على أنه يقول $\text{لأنه وإن يكن قد تمكن من إيجاد نوع من الأنواع فهو ليس بمبدع أو خالق وإنما هو آلة لاتعام الخلق أي ان عملية الخلق من وظائف الطبيعة وهو لم يفعل شيئاً سوى مزج العناصر اللازمة لتولد الحياة . على أنه وإن يكن الانسان قد تمكن من حصول الحياة فإنه عاجز كل العجز عن خلق الروح أو العقل وهما يختلفان عن الحياة كل الاختلاف وليس ذلك فقط بل ان الانسان يجهل كنهه الروح أو النفس ولا يعلم العلاقة بين الروح والمادة}$

ومما يجدر بالذكر أن المستر (مازور) لا يهتم في الخفاء بل هو يشرح تجاربه به لسكل من يقصده ويقول انه قد وفق الى وجود خلايا صناعية تشبه الخيرة بالطريقة الآتية

ذلك انه أذاب جراماً واحداً من الغراء الاعتيادي في أربعة (أونسات) من الماء المقطر وعلى المزيج ثم أضاف اليه قليلاً من حمض التنيك وعلى الجميع مدة عشر دقائق ثم رفعه عن النار لكي يبرد فنشأت منه خلايا صناعية غير متحركة فلا لكي يجعلها تتحرك أخذ نقطة من المزيج الذي فيه الخلايا ووضعها على قطعة من الزجاج وأضاف اليها نقطة من المادة المعروفة (بمارة الثور) أو (صفراء الثور) وهي مادة تستعمل في تحضير مستودات بكتيرية ومنزجها بالسائل الذي على الزجاج فلم تمض على ذلك ثلاث دقائق حتى تغير لون الخلايا من أسمر قاتم الى أسمر فاتح وأصبحت شفافة وكونت نواة . ولا شك أن العلماء سيهتمون بمباحث المستر (مازور) المدهشة وبما وصل اليه من طرق ابتكار الحياة . فإذا صحت التفاصيل التي أوردتها الصحف فسيخلد اسم هذا الشاب الكيميائي الذي وفق الى أعظم عمل يخلد الذكر ألا وهو خلق الحياة . ولكن لا بد هنا من إعادة التنبيه بأن بين خلق الحياة وخلق الروح أو النفس بونا شاسعاً في نظر العلم وإن التمكن من خلق الأول لا يعني التمكن من خلق الثاني . وعلى كل فان عمل المستر (مازور) اذا صح ما قيل عنه هو أعظم عمل

علمي قام به الانسان منذ بدء العالم وسيحدث أكبر انقلاب عرفه التاريخ . ولا يستطيع أحد أن ينبي بما قد يفضي اليه من النتائج المدهشة اه

هذا ملخص ماجاء في الجرائد والمجلات في العالم ونقلته جريدة (السياسة) الأسبوعية . وأقول لك إن هذا إن صح وثبت فرضاً فلم يصنع شيئاً إلا ماقلته لك وهو ماجاء في أول سورة (النساء) من أن بعض علماء أوروبا يقولون ان الحيوان اشتق أعلاه من أسفله كالبري من البحري وبعضهم كذب هذا وهم في حيرة فأما علماءنا السابقون فقد قالوا ان كل حيوان قد خلق أولاً في خط الاستواء إذ كانت الأحوال موافقة فانظره هناك . فهذا الانجليزى ان صح قوله لم يأت بشئ إلا تأييد نظرية قدمائنا في أن الحيوانات خلقت في أحوال ملائمة وهذه الأحوال قد فات وقتها . فهذا الكيمائي قد ركب تركيباً يناسب حالا من تلك الأحوال وليس له من الأمر شئ كما انه ليس للفلاح في نمو قمحه شئ فها هو إلا أن وضع البذور وسوى الأرض والله تولى الانبات علم الله أن أمة الاسلام سيمر عليها زمان ترى فيه نتائج هذه القصة ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ترى الولد بلا أب كمسألة عيسى فأنزلها في القرآن وهذا أعظم توبيخ للمسلمين أن يظهر سرّ ظهور المسيح على يد المسيحيين مع اننا - خير أمة أخرجت للناس - فكان علينا العلم وكشفه . فإذا حصل . ذلك أن الله قيض الاستاذ (لوب) أكبر عالم في علم الحياة وقد ولد في (الانزاس) سنة ١٨٥٩ وتعلم في جامعة (ستراسبرج) ونال الدبلوم في الطب سنة ١٨٤٨ وصار مدرسا لعلم (البيولوجيا) في كلية (برين مور) بأمرىكا ثم جعل بجامعة (شيكاجو) أستاذا للفسيولوجيا والبيولوجيا ثم في جامعة (كافورنيا) سنة ١٩٠٣

هذا الاستاذ هو الذي بحث هذا المبحث الجليل . فبحث حيوانا بحريا نسميه في مصر (ترسا) نراه في شواطئ البحر الأبيض المتوسط وقد ربه (مصلحة الأسماك) بالاسكندرية في البحر وهو كروى له شوك صلب على جميع محيطه . ولهذا الحيوان بيض ومتى وقع هذا البيض واتفق أن أصابه لقاح ممزوج بماء البحر فانه يفقس وذلك على مقتضى الناموس المعروف ولكنه هو أقام بضع سنين يبعث حتى تمكن من جعل بيض حيوان يسمى (التوتيا) ينمو بغير تلقيح ولا زال يرتقى حتى جعل ذلك أيضا في نفس الضفادع وهذه التجارب كانت في خيمته في ساحل (كليفورنيا) فعرف مقدار الملح في الماء وكما بيضة تنمو من عدد من البيض وما هي العوامل الطبيعية والكيمائية . فهذا الاستاذ أثبت أن الحيوان أمكن أن يكون له أم ولا أب له بفضل أملاح وبعض أعمال طبيعية وكيمائية . هذا هو الكشف في القرن العشرين فتبين أن قول الله تعالى - إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب - الخ قد ظهر سرّه الآن . فآدم ظهر سرّه في الفصل السابق وعيسى ظهر سرّه في هذا الفصل . إن هذا من عجائب القرآن

﴿ سرّ الوجود . الكهر باء والأرواح ﴾

إن السرّ في هذا الوجود يستين لنا شيئا فشيئا . أتدري ماذا أقول لك الآن . أقول ان الكهر باء لا يخلو منها مكان فهي في الأرض والهواء والحيوان والنبات ولكنها لن تظهر لأحد إلا بالتفاعل المذكور في سورة (الأنعام) وغيرها فتى وضعنا النحاس مع التوتيا مثلا وسائل ملحى ظهرت الكهر باء قليلة أو كثيرة على حسب التفاعل . وهذه الكهر باء تكون نورا في منازلنا ونارا طابخة اطعامنا وحركة مديرة لآلاتنا في الصناعات المختلفة فتتويع الكهر باء بتنوع الآلات المعدة لمنافع مختلفة . فهي مضيئة في حجراتنا محركة في آلاتنا طابخة اطعامنا بالحرارة . فهي كهر باء وهي ضوء وهي نار وهي حركات . تعددت الأفعال وأسمائها والعنصر واحد . أليس هذا عجيبا . هذه هي الكهر باء

أما عالم الروح فبالقياس عليها نقول هي المعبر عنه في الفلسفة القديمة بالنفس الكلية فهي تحيط بالعالم أشد من احاطة الكهر باء ولا تظهر إلا في أجسام تقبلها بالتفاعل مثل ما حصل في الكهر باء سواء بسواء . الروح الكلية

محيط بنا وبكرتنا ولكن لا يظهر أثره إلا إذا حصل التفاعل في أجسام تستعد لقبوله كما في الكهر باء والاستعداد بالقبول إما قليل كما في النبات وأما كثير كما في الحيوان . الكهر باء أنتجت سالبا وموجبا النبات والحيوان أنتجا ذكرا وأنثى كالوجوب والسالب ففي كل منهما زوجان . ومتى استعد النبات والحيوان لقبول الفيض من تلك النفس الكلية أخذت أعضاء الحيوان كلها ما يناسبها منه . فكما قلنا في الكهر باء نور وحرارة وحركة باستعداد القوابل لها . هكذا نقول هنا في فيض النفس الكلية على كل حي . إن ذلك الفيض إن ألقى إلى نبات أعطاه النماء والتكاثر أو إلى حيوان أعطاه فوق ذلك الحس والحركة والادراك فهو في كل حال يعطى ما يناسبه وهكذا نقول الفيض في النبات به امتد العرق في الأرض وتعرض الورق للنور وأزهر الشجر وأثمر الخ وكل ذلك بحسب القوابل وهو في الحيوان يعطى القلب نبضا والكبد طبخا للدم والمعدة هضما والدماغ فكرا والعين نظرا والأذن سمعا واللسان ذوقا وذلك بحسب القوابل كما قلنا في الكهر باء نورا في حجراتنا ونارا الطهي طعامنا وحركة لآلاتنا . فكما اختصت الحركات بالآلات والنور بالحجرات باستعداد خاص هكذا اختصت الأذن بالسمع والعين بالبصر والمعدة بالهضم وهكذا . فنتج من ذلك أن الكهر باء تظهر عند التفاعل المناسب لها وقوة الحياة تظهر عند التفاعل المناسب لها . وكما تختلف الكهر باء قوة وضعفا على حسب منبعها . هكذا تختلف الحياة قوة وضعفا الخ فتي حصل القابل للمشي فليس الله بمانع عنه ما يناسبه وبهذا وصلنا إلى المقصود تفاعلت النطقتان في الرحم فالقيت إليهما الروح ومتى حصل التفاعل بأي وسيلة كانت فلا بد من حصول الروح لأن الروح سارية في العوالم سريان الكهر باء فتي ظهرت القوابل لم تمنع عما يناسبها فاذا وضع بيض الضفدعة في وسط يناسب الإلقاح بحيث يقوم التركيب فيه مقام إلقاح الذكر فلا بد من حصول الحياة لأن الله ليس عليه حاكم يحكمه وما إلقاح الذكور للذات إلا طريقة من الطرق التي لسنا نعرفها ومتى قام مقامها سبب آخر فلا بد من الحياة كما أننا كنا نركب الدواب وقد علمنا اليوم البخار والكهر باء فاستعملناها وحملنا بدل الدواب . هكذا طريق التناسل ليس قاصرا على ما نعلم فقد خرق الله العادة في عيسى ليقول . أيها الناس إن نوايس أرضكم جزء من كل والا فعملى أوسع مما تعلمون فادرسوا هذا الوجود حتى تخرقوا الحجب العقلية . ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون - انتهت الجوهرة الثانية

﴿ الجوهرة الثالثة في قوله تعالى - قال إني عبد الله آتاني الكتاب - إلى قوله

- فاختلف الأحزاب من بينهم - الخ ﴾

اللهم إني أجدك على التوفيق وعلى نعمة العلم . اللهم ان هذا النوع الانساني كله إلا النادر منهم نوع مقلد يتبع آخرهم أولهم . اللهم انك أنت قد أنزلت ديانات في أرضك لتهدى الأمم الانسانية كما أنزلت في أصناف الحشرات وذوات الأربع والطيور قوى وغرائزها انتظمت بمالكها وعاشت أزواجها وحفظت أنواعها وربت ذريتها . فهذه الغرائز الحيوانية قد قامت بأمرك ووحيك فتم بها النظام . أما هذه الديانات التي أنزلتها في أرضك وفرقتها في شعوبها وقبائلها في أزمانها المختلفة فانها قد اعترها ما يعتري المواد الأرضية والمركبات العنصرية من التغير والتبدل والمسخ والنسخ والبلى . حكمت على دياناتنا حكمك على أجسامنا ولم تحكم على غرائز الحيوان ما حكمته على دياناتنا . أبقى غرائزها حفظت كياناتها على مقدار طاقتها . ولم تسكل هذه الغرائز إلى تدميرها . أما نحن بني آدم فانك وإن أنزلت لنا مختلف الديانات لم تطبعها في عقولنا طبعها كما لم نحسن نحن فيها صنعا . ما نزل دين من السماء إلا أدخلنا عليه بدعا وألبسناه من لدنا خلعا وغشيناه بما لدينا من خرافات ومفاسد فلا نزال نزيده تليسا ولا يزال هو يبتعد عن أصله حتى لا يصلح لنظامنا فترسل رسولا آخر وهكذا . أنت خلقت أمم الاشوريين والبابليين (سيأتي الكلام عليهم في سورة الأنبياء عند قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه - الخ) وخلقت أمم الفرس وجعلت هناك ديانات كديانة

الاشوريين وديانة البابليين وديانة المجوس وديانة (زردشت) ولادين من هذه الأديان لإدخله البدع والضلالات هكذا دين (خريستا) بالهند وقبله دين (البراهمة) وقبله كتاب (الفيدا) وبعد (خريستا) دين (بوذا) وكل هذه الأربعة يتبع بعضها بعضا فيكون كل منها أولا توحيد ثم يكون التثليث

هذه صورة مصغرة من صور الديانات في أرضنا . فالدين يأتي بالتوحيد وتابعوه على طول الزمان يثثون ويكثرون الأصنام والآلهة الى ألف أو آلاف بل الى الملا حصر له كما في أمة اليابان الآن . لذلك أرسلت محمدا ﷺ وقلت له - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - فنشر العقيدة الخالصة بالتوحيد التي جعلها قدماء المصريين وأهل الهند وغيرهم عقيدة سرية فما وسع الاسلام إلا اظهارها وختم الله الديانات بها لعلمه أن كل دين بعد أزمان يرجع الى الوثنية . ولما انتشر الاسلام أثر في أهم العالم قاطبة وبه وحده كما تقدم عن (سديوالفرنسي) نقلته في سورة (التوبة) وسورة (ابراهيم) فقد أثبت بصريح العبارة هو وغيره من أهل أوروبا الحاليين أن ظلم رجال الدين في أوروبا وتحكمهم في الشعب الذي امتد نحو أحد عشر قرنا لم يمنعه إلاتعاليم الدين الاسلامي وذمه الأحرار والرهبان وقام بهذه الدعوة أمثال (روسو) و (فولتير) فحرروا أوروبا وارتقت وارتقى الناس معهم وبهذا الارتقاء بحثوا في الآثار القديمة في مصر والهند وبابل واشور . فإذا وجدوا . وجدوا أن التثليث ليس دين المسيح فقد وجدوه منقولاً عن أهل الهند في الخرافات التي كتبوها في (خريستا) قبل الميلاد بنحو ٤٨٠٠ سنة وفي (بوذا) قبل الميلاد بنحو ستمائة سنة . وقد تقدم هذا موضعا في آخر سورة المائدة فارجع اليه . ولكن الذي سقت له هذا الكلام الآن هو أمر عجب . ذلك أن صديقنا اللورد (هيدلي) العالم الانجليزى الذي أسلم بعقله وأسس طائفة مسالمة في انكلترا ودعا الى الاسلام . ذكر في كتابه المعنون (إيقاظ الغرب للاسلام) تأليف سيف الرحمن رجة الله فاروق (اللورد هيدلي) رئيس الجمعية البريطانية الاسلامية منقولاً الى العربية . فهذه الترجمة جاء فيها في صفحة ٤٨ وما بعدها ما يأتي

﴿ اذا كان إيمانى الاجوف في الولادة العذرية و صلب المسيح وقيامته ثانيا تجلب الى الخلاص المطلوب فلماذا لا ينبغي لى إذن أن أومن بسرّ (بابيلونيا) وأؤمل خلاصى . إن رواية آلام (بابيلونيا) كانت في الوجود من مدة طويلة جدًا قبل ميلاد المسيح بل كانت شرعية ومقررة في تلك الأيام كما سأسألك مألوفة ﴾
هناك لوحان بابليان تابعان الى مجموعة السجلات المكتوبة بالخط الاشورى التي كشفت بواسطة الحفارين الألمانين في سنة ١٩٠٣ و ١٩٠٤ م في (كاله سرجات)

﴿ قاعدة الآشوريين الأقدمين وهما يتبعان مكتبة هؤلاء الآشوريين التي أنشئت في القرن التاسع قبل الميلاد أو قبل ذلك وهما مع ذلك صورتان طبق الأصل من ألواح بابلية أقدم من ذلك ﴾
من هذين اللوحين يمكننا أن نعرف أن حكاية آلام المسيح ليست أول حكاية عرفها الانسان من هذا الصنف منذ الخليفة وتسهيلا للقارى ننقل الآتى من عدد يناير سنة ١٩٢٨ من مجلة (الكوست) التي هي مجلة مسيحية بحثة

(١) رواية الآلام البابلية	(١) حكاية الآلام المسيحية
(٢) يساق بيل أسيرا	(٢) يساق عيسى أسيرا
(٣) يحاكم بيل في المنزل على الرابية (غرفة المحاكاة)	(٣) يحاكم عيسى في منزل رئيس الكهنة
(٤) يضرب بيل	(٤) يجلد عيسى
(٥) يساق بيل الى الرابية	(٥) يساق عيسى الى الصلب في جاجلته

(٦) يساق مع عيسى شريان يهدمان وآخر يدعى (باراباس) يطلق سراحه

(٧) عند موت عيسى يمزق حجاب الهيكل وتنزل الأرض وتتشقق الصخور وتفتح القبور ويخرج الأموات الى المدينة المقدسة

(٨) تقسم العساكر ملابس عيسى

(٩) يطعن عيسى بحربة في جنبه ويخرج دم وماء وتأتي مريم المجدلية وامرأتان أخريات لغسل وتحنيط الجثة

(١٠) يدخل عيسى القبر داخل الصخرة ويذهب تحت الى قسم الأموات ويزور جهنم (١١) يوضع الحراس على قبر عيسى

(١٢) مريم المجدلية ومريم الأخرى تجلسان أمام القبر

(١٣) تأتي النساء خصوصا مريم المجدلية الى القبر ليجدن عن عيسى خلف باب القبر فتقف مريم باكية أمام القبر الخالي لأنهم أخذوا سيدها بعيدا (١٤) رجوع عيسى الى الحياة وخروجه من القبر في صباح (الأحد)

(١٥) عيد الذي يكون في الاعتدال الربيعي تقريبا يحيا ويعظم أيضا كانتصار له على قوات الظلام

(٦) يساق مع بيل شريان أحدهما يقتل والآخر يطلق سراحه

(٧) عند ما يصعد (بيل) على الرابية تنزل المدينة وتحدث فيها مواقع

(٨) تؤخذ ملابس (بيل)

(٩) تمسح امرأة الدم النابع من قلب بيل أثر خروج السلاح (حربه)

(١٠) ينزل (بيل) تحت الرابية بعيدا عن الشمس والنور وتذهب عنه الحياة

(١١) يلاحظ الحراس (بيل) وهو سجين في معقل الرابية

(١٢) تجلس آلهة مع (بيل) قد أدت لتعتنى به

(١٣) يبحثون عن (بيل) في أى مكان هو مقيم خصوصا امرأة باكية تبحث عنه في المقبرة وعند ما يؤخذ تصيح مولولة (آه يا أخى . آه يا أخى)

(١٤) رجع (بيل) نائيا الى الحياة (كشمس الربيع) ثم يخرج من الرابية

(١٥) والعيد الأكبر عند البابليين وهو رأس السنة يكون في مارس في زمن الاعتدال الربيعي ويحتفل به لأن فيه كان انتصاره على قوات الظلام

الى هنا انتهى ما نقله اللورد (هيدلى) الانجليزى الذى أسلم عن اللوحين المكتوبين بالخط الاشورى ثم أتبع ذلك بالتعليق عليه مثل قوله ﴿ من أين إذن أتت عظمة المسيحية التى يعلن عنها دائما من أعلى المنابر بأنها هى الديانة الوحيدة لخلاصنا ﴾ ومثل قوله ﴿ يتضح من ذلك أنه منذ ألف سنة أو أكثر قبل ظهور المسيح كانت هناك حكاية فى العالم تشابه حكاية هذا النبى وكان لها اعتقاد عظيم فى أفئدة هؤلاء الناس ﴾ ومثل قوله ﴿ إن الاعتقاد الأجوف فى هذه الحكاية وتلك الرواية لا تجلب اليكم (البسبورت) الجواز للزوم لدخول الحياة الأبدية . كل هذا ماهو إلا حكاية من حكايات ملاجئ الأطفال ﴾ الى أن قال ﴿ وقد نصت الشريعة الاسلامية على أن السموم الروحية متناسب مع ارتقاء العمل الانسانى فى هذه الحياة ولهذا السبب لا يمكن الانسان أن يحصل على خلاصه إلا الى الدرجة التى أظهرها بعمله الشخصى فى الدنيا . ثم خاطب أوروباكها قائلا ﴿ لذا أطلب منكم جميعا أن تعملوا الأعمال الروحية الطيبة فهى خير لكم من التفكير الكهنوتى الذى يقال إنه يسهل الوصول اليه بشبك عقيدتكم الخاوية فقط (بديوس) مع حكاية آلام بشر (عيسى نبى الناصرة) انتهى كلامه

وأقول أنا قد اجتمعت بمؤلف هذا الكتاب فى مصر وخطب خطبة فى الجامع الأزهر وترجمها بعض

الاخوان للحاضرين . وملتخصها انه عرف سخافة النصرانية من صغره وأيقن بالاسلام بعد البحث ولكن خاف من اظهار اسلامه على شعور أبيه وأمه والكبار من أسرته . ولما ماتوا أظهر الاسلام ثم قال ﴿ ان ثلاثة أرباع الانجليز موقنون بمثل إيقاني ولكنهم يخافون من كدر أقرار بهم وأهلهم وقد كاشفوني بذلك ﴾ ثم بعد ذلك تغذيت معه على مائدة كنا دعينا اليها نخطبني هو وصديقه (خواجه كمال الدين) والشيخ عبد المحي قائلين ان الاسلام يمكن انتشاره في أوروبا بسرعة اذا جاء من المصريين وفد ديني وعضدنا في هذه الدعوة . انتهى

أقول . أفلا تعجب أيها الصديق الذكي لنعمة الله الواسعة وفضله العميم الذي أنعم به في هذا التفسير . ألت ترى أن هذا زمان ظهور الحقائق وأي حقائق بعد هذا البيان . اللهم إنا نحمدك على نعمة العلم وظهور الحقائق . لقد ظهر الحق واستبان أن هذا الانسان كله قديما اتبع المتأخر المتقدم في تعدد الآلهة . ثلث البابليون والآشوريون والمصريون وأهل الهند وأظهر الله عز وجل آثارهم على أحجارهم في زماننا وحده ولم يعرف هذا على هذا النمط إلا في زماننا وقد نشر هذا في هذا الكتاب . فأى يقين بعد هذا . أوليس هذا بعينه هو معنى قوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق - وقوله - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - وقوله - ثم إن علينا بيانه - وهكذا من الآيات أصبح أمرا مشاهدا يرى بالبصر مع البصيرة فالحمد لله على نعمة العرفان . انتهى

ثم أقول بعد ذلك . أى ثقة بقيت بهذا الانسان و بأقاصيصه . هاهي ذه العلوم الالهية (مابعد الطبيعة) ليس لأحد من أوروبا التي قلبت الكرة الأرضية فيها فضل . ألا ترى الى ما ذكرته لك في سورة النحل عند قوله تعالى - فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر - فقد نقات لك هناك ماخطه يراع معاصرنا الذي لم نره وهو الاستاذ (سنتلانه الطلياني) إذ أبان هناك بالخط العريض أن فلاسفة أورو بالخاليين والسابقين لم يصلوا لعشر معشار ماوصل اليه أمثال (سقراط) و (أفلاطون) فيما هو المقصود الحقيقي من الفلسفة وهي معرفة النفس والاله وما أشبه ذلك ولم ينبغوا إلا في العلوم الجزئية المشهورة . أما الامور العامة العالية فقد قال إن نسبتهم الى فلاسفة اليونان فيها كنسبة (البقة) الى (الفيل) . ونقل عن (اسبينسر) ما يفيد بعض ذلك . فاذن أقول أنا يا أمة الاسلام . هذه هي مقدرة النوع الانساني . دياناتهم خرافات وهم أنفسهم أعلمونا بها وعلومهم التي رقتهم علينا في الماديات لم تنلهم حظا وافرا في العقائد وعليه يجب علينا نحن أن ندرس علومهم جميعها لمنفعتنا وشرفها ونستأنف المباحث الالهية بأنفسنا لأن الشرق أقدر على ذلك من أوروبا فاننا أصحاب الديانات وأوروبا لم يكن فيها دين ألبتة . بل أهل الشرق هم الذين جأوا هذه الخرافات التي تصيدها أهل الأرض المقدسة من خرافات الهند ومن خرافات البابليين وضحكوا على عقول أوروبا واعتنقوا دين نبي شرقي لم يصب ولم يضرب ولم يجلد . ألا فليقم المسامون بما يجب عليهم وليكونوا للعلم حاملين والحقائق مجدين ولأهل الشرق والغرب معلمين والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهرة في قوله تعالى - ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له

كن فيكون * وان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم - ﴾

اعلم أن هذه الآية بيت القصيد في هذه السور المتلاحقة . وأذكرك بما مر في سورة (آل عمران) عند ذكر عيسى ابن مريم وأن هذه الجملة تضمنت العلم والعمل . والعلم والعمل هما ملخص الديانات كلها وأن هذه هناك عدت آية من الله لعيسى الخ فهذا المقام مشروح هناك مفصل بجميع حذافيره مع نموذج من الديانات المشهورة في الأمم حولنا الآن . وسترى في هذا المقام بيانا أجمل وعاملا أكمل وحكمة أشمل وبهجة وبهاء ونورا وسناء . ستى عجائب الحكمة وبدائع العلم وغرائب القرآن تجلت للناظرين وازينت

للفكرين وأشرقت للعالمين وأشرقت الأرض بنور ربها واستبانت حقائق لم تكن لتخطر لولا هداية الله ولا لتظهر لولا أنه أراد رقي الأمم في هذه الكرة بقدر معلوم

اعلم أن الله قد مهد لهذه الآية بآخر سورة الاسراء وأول سورة الكهف وآخرها وبما مضى من سورة مريم . فهذه السور الثلاث المكيات المتلاحقات تعاونت أوائلها وأواخرها على أن تكون مقدمات لايتناثرت نحن بصددها . ألم تر أنه في آخر سورة الاسراء يقول - وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك - الخ ثم أعقبها في أول سورة الكهف بقوله - لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين - الخ فهو يبشر المؤمنين الصالح وينذر من قالوا إن لله ولدا فهذه راجعة لاتخاذ الولد في آخر السورة قبلها . فالآيتان متصلتان ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ اتصل أول الكهف بآخر الاسراء حتى كأنهما سورة واحدة . فهناك جد على عدم اتخاذ الولد محتوما بذكر أن الله كبير وهنا أي في أول سورة الكهف جد الله على انزال الكتاب ثم ذكر البشارة للمؤمن الصالح والانذار لمن قال ان الله اتخذ ولدا ثم ختم سورة الكهف بطلب العمل الصالح وعدم الشرك في العبادة ومن الشرك في العبادة اتخاذ الولد . فالعمل الصالح المسبوق بالايمان هو الذي في أول السورة والشرك في آخرها راجع لاتخاذ الولد في أولها . كل ذلك مقدمة لأول هذه السورة إذ ذكر فيها مريم وابنها وختم ذلك بما هنا وهو أن الله اذا أراد شيئا ما لا عيسى وحده قال له كن فيكون . ولا جرم أن القول هنا هو المذكور في سورة النساء - وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه - فالقول هنا ليس خاصا بعيسى ابن مريم . يقول الله أنا قلت فيما تقدم ان عيسى كلمتي ولكني أقول هنا ليس عيسى وحده كلمتي بل كل ماني هذه الدنيا كلماتي . ألم أقدم لكم أيها الناس في آخر سورة الكهف أن كلماتي لا يحصرها العدد وليس لها حد فلو كان البحر مدادا لكلماتي لنفد البحر والبحران والأبحر السبعة وأكثر من ذلك كل هذا كلماتي . أيها الناس . اني أنزلت هذا القرآن للأمة مريدا فطنتهم . فأنا قدمت في سورة النساء أن عيسى كلمتي وختمت سورة الكهف بأن كلماتي لاحد لها وذلك بعد أن أبنت في قصة الخضر وموسى على لسان رسولي أن علمي لاحد له ورمزت قبل ذلك الى ما أريد من بيان جهلكم بقولي في سورة الاسراء - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - فيكون ملخص هذا أن الانسان جهول لاطاقة له أن يعلم علومي التي لانهاية لها ومعوماتي كلها كلماتي وعيسى كلمة منها . هذه هي المقدمة التي أنزلها الله لفهم آية - ما كان لله أن يتخذ من ولد -

﴿ عظمة الله ﴾

لقد تجلت عظمة الله المشار لها بقوله تعالى - وكبره تكبيرا - في آخر الاسراء وبقوله في آخر الكهف - قل لو كان البحر - الخ في هذا العصر . ألا ترى الى ما تقدم في آخر سورة الكهف أن شمسنا التي هي أعظم من أرضنا ألف ألف وثلاثمائة ألف مرة أقل من كوكب الجوزاء ٢٥ ألف ألف مرة . فإذا كانت شمسنا العظيمة أصبح الكشف الذي لم يظهر إلا هذه السنة يبين لنا أن نورها بالنسبة لنور الجوزاء كنور حشرة الحباب بالنسبة لنور الشمس وأن مقدارها شيء صغير بالنسبة لمقدار الجوزاء كما تقدم في الخطبة الفلكية فذلك دال على أن عظمة الله وكبريائه أخذت تظهر الآن وأن كون البحر وأمثال البحر لو كانت مدادا لكلمات ربي لنفد البحر . هذا زمان انكشاف قدر يسير منه وبهذا استبان جهل الانسان المذكور في قوله تعالى - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - . ذلك لأنه كلما بدا لنا نجم وظهر لنا سديم علمنا علمنا ليس بالظن أننا لم نعرف منه إلا بعده وقدره ونوره بطريق الحساب ولكن جهلنا به عظيم فلانعرف سكانه ولاسياراته ولاحيواناتها ولانباتها ولاشياء من مخلوقاتها

﴿ بيان ما ترتب على جهل الانسان قديما وحديثا ﴾

لقد تقدم في الخطبة الفلكية أن عمر الانسان على الأرض نحو (٣٠٠) ألف سنة على سبيل الحدس

والتقدير ويقول قوم آخرون ان مدته أقلّ وأقلّ الأقوال انها (٥٠) ألف سنة ولكن هذا الانسان في تلك المدة ظهر جهله العظيم . لماذا . لأنه أراد أن يعرف خالق الكون فبحث عنه في الشمس والقمر والكواكب والحيوان والنبات والانسان . بحث في هذه العوالم أى في هذه الكلمات وتلك الكلمات منتظمت في هيئتها أشبه بنظام الموسيقى ونظام الموسيقى مطرب مفرح . سارّ مبهج للسامعين

إن كلمات الله المذكورة في الآية التي نحن بصددّها التي لم تخص عيسى بل شملت السموات والأرض وغيرهما وعلت الى الجوزاء وماهواً كبير منها . وهكذا شملت كل حشرة صغيرة وكل حيوان كبير وماهواً أقل وأصغر . كل ذلك كلمات مطربات منعشات مفرحات سارّات مبهجات ولكن الموسيقى في كلمات الله يدركها البصر والموسيقى في كلمات الانسان يدركها السمع . ولا جرم أن من يسمع صوتاً موسيقياً من مغنٍ قد أطربه غناؤه وأسكره نغمه يودّ لو يرى ذلك المغنى ويودّ لو يتصل به اتصالاً ﴿ وبعارة أخرى ﴾ ان الرجل اذا سمع الصوت الجليل من امرأة جميلة وبالعكس يعشق كل من الصنفين الآخر المغنى ويودّ لقاءه والاجتماع به إن الله ضرب الصوت الجليل والموسيقى في الأرض مثلاً لنا لنحبه . فالعالم كلماته وكلماته حيناً نتدبرها نراها موزونة كما اتزنت الموسيقى ﴿ وبعارة أخرى ﴾ ان العوالم العلوية والسفلية جميعها كما هو واضح في هذا التفسير منتظمة أى مقدرة بمقادير هي عينها المقادير التي في الموسيقى . والاستلذاذ بنظام هذه العوالم من مقادير الحركات الفلكية في سائر الكواكب ونظامه الموسيقى المشروح شرحاً تاماً في مواضع من هذا التفسير وفي النبات والحيوان وغيرها المعروف كذلك فيما تقدم . بسبب انه موسيقى للفسكرين كما ان الصوت الجليل موسيقى للناس أجمعين . إذن كلمات الله كلها موسيقى أى مستلذة يستلذها العقل بعد التعلم كما يستلذ الجاهل بأصوات الموسيقى بلا علم ولا تعليم

﴿ وضوح جهل الانسان في العصور السابقة ﴾

أقول . ان الانسان في هذه الآلاف من السنين بحث عن ربه ليعرفه فكان أشبه بالخفاش لا ينظر إلا في الظلام . ذلك لأن هذا العالم الأرضي الذي نساكنه عالم صغير متأخر وأى شئ الأرض ومن عليها - قل فن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً - فالأرض لا وزن لها وأهل الأرض مغرورون بنفوسهم . واذا كانت أرضنا بالنسبة لشمسنا صغيرة وشمسنا بالنسبة للجوزاء كالمعدوم فاذن ظهر قوله - قل فن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه - الخ وإنما خصّ المسيح بالذكر مع أمه لأن المسيح ابن مريم اتخذته الناس ابناً لله مع انه من الكلمات الالهية فعقول هؤلاء الناس في آلاف ومئات الآلاف من السنين الماضية ليس لها قدرة على أن تدرك قائل الكلمات أى خالق العالم وإنما الناس أشبه بمن سمع مغنياً يغنى بصوت جميل فتلقف كلماته ولم يفكر في قائله لأن عقله وقف عند القول ونسى القائل

إن الأمم قبلنا كما اتضح في سورة (آل عمران) وغيرها وكما جاء فيما نقله صاحبنا (اللورد هيدلي) الانجليزى وكما جاء في آخر سورة المائدة نحو هذا المنحى أى انهم لم يتعدوا المخلوق الى الخالق فبدل أن يقولوا نعبد الله رأساً نظروا الى كلمة من كلماته الموسيقية ففتنوا بها فيرون الرجل العظيم قد ولد بينهم بهيئة عجيبة لم يسمعوها وتظهر على يديه خوارق ويسمعون منه علماً غريباً فيقولون إن هذا ابن الله . ولم هذا . لأنهم أدركوا هنا جلالاً بهرهم وسحرهم كما يسحر صوت الموسيقى سامعه فيقفون عند هذا ولا يتعدونه ويقولون لا علم إلا ما قاله ولا نور إلا نوره . فتري النصارى فتنوا بعيسى لأنه كلمة موسيقية من كلمات الله وهذه الفتنة والغرام ظاهرة فيما تقدم في سورة الاسراء من الفتنة التي فكرت في آلام المسيح فظهرت أعراضها عليها يوماً في الاسبوع وهذه الحادثة تكررت . فهذه وأمثالها قد حصروا أفكارهم في كلمة من كلمات الله التي كلها جينية

واليهود فتنوا ببعض المصطفين منهم كالعزيز فقالوا ابن الله . وأهل الهند قديمًا فتنوا (بيوذا) و (خريستا) فقالوا لكل منهما انه ابن الله . وأهل (بابل) و (اشور) فتنوا بمن قالوا انه ابن الله . وأهل (المكسيك) لما فتحها أهل أوروبًا وجدوا عندهم عقيدة ابن الله . وأهل التبت كذلك عندهم ابن الله وكل هذا تقدم في هذا التفسير . ولذلك يقول الله - وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل - الخ . ويقول أيضا - كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم - وهذا التشابه لم يكشف إلا في زماننا ولم يعرف الناس أن هناك أبناء لله غير المسيح من قبلنا فالقرآن ذكره والكشف الحديث هو الذي أظهر ذلك معجزة كبرى للقرآن وكل هذا تقدم في مواضعه ومن العجب أن تشابه قلوب الأمم عام فتجدهم جميعا يقولون بالتثليث و بالبنوة و بأنه كلمة الله وبالصلب فالصلب عام والتثليث عام والبنوة عامة . هذه جهالة هذا الانسان في ٥٠ ألف سنة أوفى . ٣٠ ألف سنة

﴿ الاسلام أخرج الانسانية من الظلمات الى النور ﴾

إن الله قد مهد للإسلام بدين ابراهيم كما تقدم في سورة الأنعام . إن الله علم أن هذا الانسان يقف عند كلمة من كلماته فيغرم بها وينسى المتكلم . فأهل (بابل) فتنوا بالكواكب فأرسل الله ابراهيم فقال لهم كلا . فالشمس والقمر والنجوم مخلوقات لله وأنا وجهت وجهي اليه . فأما الأصنام التي جعلتموها قائمة مقام الكواكب فهذه أنا أكرسها لكم . ولما جاء الاسلام أتم ما فعله ابراهيم من تكسير الأصنام وقال أيها الناس توجّهوا لربكم ولا تعبدوا شمسًا ولا قمرًا ولا صنمًا الخ . وعهد الى البنوة والسكامة فقال أيها الناس تعالوا انظروا أي فرق بين القمر والشمس والانسان . كل هؤلاء كلمات الله . فكما لا تقفون عند أنوار الكواكب فتعبدوها هكذا لا تقفون عند الأنوار العامية في عيسى وغيره فتعبدوه . فالأنوار المعنوية في عيسى مثلاً وهو كلتي كالأنوار الحسية في الشمس وهي كلتي بجميع كلماتي موسيقية

ههنا فتح الله للانسانية بالقرآن فتحة جديدة مريداً ازدياد العلم ونشر الأنوار في الأرض . ان نفي الولد وتعميم السكامة معناه أن ننظر لكل حجر وكل شجر وكل حشرة ونقرأ الجبال الذي فيها ولكننا نقول ان جبال هذه السكامة جبال خالقها ولا نقف عندها والا وقعنا فيما وقع فيه السابقون . فن الناس من يعبد البقر أو القرد أو الحية أو الثعبان أو الفيل أو الغنم وهكذا توجهت عبادة هذا الانسان كلها لسكامة الله وذلك لضعف هذا الانسان فإنه لا يقدر أن يفتح بصيرته للمتكلم بل لبعض السكامة . ان الانسانية السابقة أغلبها كانت محصورة الفكر فقال الله - إنه كان ظلوماً جهولاً - يريد الله بالقرآن أن يفتح باب العلم وقد فتح على مصراعيه وأخذ الناس يقرؤون علم الفلك فتعدوا حدود ذلك الاله عند القدماء وهي الشمس وقالوا كلا . ثم كلا . الشمس ليست بالله بل هي صغيرة جداً ولو أن الشمس ظلت معبودة كما كان الصابئون يقولون لم يجترئ نوع الانسان أن يتعدى على إلهه ويقول ان هناك ما هو أعظم منه وهكذا علم الناس أن المسيح وأمثال المسيح لم يكونوا آلهة ولذلك أخذوا يبحثون في الآثار فظهر لهم أن الديانات كلها متشابهة وأن هذه البنوة خدعة من خدع العقل كما يخدع البصر فيرى الضوء الصغير في ظلام الليل كبيراً . ههنا عرف الناس اليوم حقاً أن هذا العالم كله قول الله وكلمانه كنص القرآن ولو أن عيسى هو السكامة وحده أو (بوذا) أو غيرهما لوجب علينا أن لا نقرأ إلا علمهم وأن لا نتعدها وأن نحارب عن هذه العقائد من خالفها . لقد انطلقت عقول الناس اليوم وأخذ الفكر الانساني لا يابى على أحد . واعلم أن هذا القول لا ينطبق إلا على المفكرين في نوع الانسان اليوم أما بقية الشعوب النصرانية والاسلامية وغيرهم فهم أشبه بالأمم الذين من قبلهم بعض الشبه . فالجهال من المسيحيين لا يزالون كأبائهم وعامة المسلمين مع إيمانهم بالله ورسوله لا يزالون عاكفين وموقوفة عقولهم على بعض شيوخ الصوفية الجاهلين أو على بعض الآراء لا يبرحونها . وترى الفقيه يرى أن الفقه هو كل شئ في

الاسلام وعالم البلاغة أو عالم القراآت يرى أن هذا أهم ما في الاسلام وذلك لضعف هذا الانسان . وليس معنى هذا القول اننا مشركون . كلا . وانما معناه هون نفس ما تقدم في (آل عمران) عند قوله تعالى - وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون - فقد ذكرت لك هناك أنواع المغرورين حتى عم الغرور أكثر طوائف الاسلام والغرور شيء والاشراك شيء آخر . فترى السني والشيعة والزيدى والامامى لا يتعدى بصركل منهم ماسمعه من شيوخه فالحنفى والحنبل والمالكي والشافعي وغيرهم كل لا يتعدى الدائرة التي حدها شيوخه ولكن الله يقول ان كلماتي لاحد لها . فليرفع هؤلاء أبصارهم الى نفس القرآن وليفهموه والقرآن يرفع الأبصار الى كلمات الله العامة وهي هذا العالم الذي كله كلمات الله المنظورة الجلية بخلاف كلمات الانسان فهي ليست مجسمة فلانعرفها إلا بأسماعنا وحدها وكلمات الله جملها يؤدى الى ﴿أمرين﴾ أولاً أن نعيش بها ﴿ثانياً﴾ أن نعقلها . ومن وقف على مذهب ولم يرفع بصره الى الدوائر النبوية ثم الدوائر الالهية وهو هذا العالم فهو مغرور جاهل طمس الله على بصيرته . فما كانت قصة عيسى ابن مريم عليه السلام وكلمات الله وأمثالها لتزل في القرآن لمجرد الايمان بأن الله لا ولد له فحسب فنحن بذلك مؤمنون فلانحتاج الى مزيد بل هذا أرضعناه مع لبن الأم من الايمان الموروث ولكن الأمر أعظم . يريد الله أن يعتق العقول حتى لا يحجر عليها ولا يقف المالك والأمراء مكتوفين خائفين وجلين في الأحكام الشرعية مثلاً ولا ينظرون في الزمان والمكان والأحوال ويحكمون أحكاماً مضارة بالأمة ضرراً محققاً جهلاً بأحوال الشريعة وعكوفاً على آراء الشيوخ . فليعلم المسلم انه كما ان له أبوين يعظمهما فلم يمنعه احترامهما من أن يعلم أن له قرية وأمة يدرسها كلها ليشارك في نظامها هكذا له مذهب وهذا المذهب لا ينبغي أن يحجبه عن القرآن ودراسة أحوال النبوة العامة . وقد تقدم شرح الأحكام الشرعية في قصة الخضر وموسى عليهما السلام في سورة الكهف ولاعن نظام الله في السموات والأرض . فلتدرس أيها الذكي ذلك كله في غدوك ورواحك فكل ما تراه دروس لك . هنالك تعلم علماً ليس بالظن أن لك اخواناً في دينك وهم المسلمون كما ان لك اخواناً في وطنك وهم معك قاطنون كما أن لك اخواناً في الانسانية عامة في هذه الأرض بينك وبينهم رابطة والله ربك وربهم وكلهم كلمات الله وهكذا ترتقي طبقاً عن طبق كما قال تعالى - لتركن طبقاً عن طبق - وهذا الركوب الطبقى ركوب بالعلم فتخطى هذه الحدود وتعلم أن الحيوان والنبات وكل ذى نفس أيا كان بينك وبينه نسبة ما وكل هذه النفوس الأرضية لها نسبة الى نفوس كلية عالية رمز الله لها بالملائكة الذين يدبرون الامور فإلهام بنى آدم وإلهام الحشرات والبهائم يرجع كل ذلك الى عالم يسمى بلسان الشرع ﴿ملائكة﴾ ويرتقى ذلك العالم طبقاً عن طبق - وأن الى ربك المنتهى - فهو المبدأ الأول واليه ترجع النفوس التي استمدت نفسك منها كما قال تعالى - واليه يرجع الأمر كله - وقال - وأن الى ربك المنتهى -

ونظير هذا في المادة أن القمر منسوب للأرض والأرض منسوبة للشمس كذلك ولعلها أيضاً منسوبة الى شمس أكبر منها وهذا واضح في سورة الفاتحة فاقرأه هناك . ولا تنس أنك تدرس الكواكب في هذه الدنيا لتتمرن من الآن على الشوق الى عوالم أعلى منا تكون بيننا وبينهم رابطة كالرابعة التي بينك وبين بنى الانسان وأهل دينك فاذا وقف عقل المسلم عند مذهبه حرم من الصعود الى الجبال الأعلى هذا ما فتح الله به ليلة الخميس ٢١ يونيو سنة ١٩٢٨ والحمد لله رب العالمين

﴿تفصيل لبعض الاجال﴾

لما ذكرت ما تقدم حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في المسائل الهامة فقال . هل قوله تعالى - سبحانه اذا قضى أمراً - الخ يحتاج معناه الى الدخول في علم الموسيقى وما لكلمات الله والموسيقى . الموسيقى علم يرجع الى نظام الأصوات وهذا العالم ليس صوتاً بل هو مادة ومعنى . فقلت لو أنك أيها الفاضل تذكرت

ما مضى في مواضع من هذا التفسير أقرأت كتابي ﴿ بهجة العلوم في الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم
العصرية ﴾ لأيقنت أن الموسيقى عند الحكماء ترجع في حقيقتها إلى نظام هذا العالم وما الموسيقى التي مرجعها
الصوت الفصل من فصولها لتكون ساوى للعامة كما كانت الموسيقى العامة بهجة للحكماء . قال إذن أريد
أن تضرب هنا مثلا يعرفنا الفرق بين موسيقى الأصوات والموسيقى العامة . فقلت

﴿ الموسيقى في الأصوات ﴾

أذكرك بما مضى في سورة يوسف إذ ذكرت لك هناك أن بحر الطويل مركب من فعولن مفاعيلن أربع
مرات وجلتها ٤٨ حرفا منها ٢٨ متحركة وعشرون ساكنة وهناك ترى النسبة واضحة فتجد ٧ منسوبة إلى
٥ كنسبة ١٤ إلى ١٠ وهكذا وحاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين وهذا المقام لا تصح اعادته
هنا فقد تكررت في مواضع أخرى غير سورة يوسف فلا عدل عنه إلى علم الموسيقى في العصر الحاضر ولأرك
النسبة عند المحدثين من علماء أوروبا الذين جعلوا هذا العلم من العلوم الطبيعية وخالفوا المتقدمين الذين
جعلوها من العلوم الرياضية - ولكل وجهة هو موليها - فعلماء العصر الحاضر رجعوا إلى طبيعة الصوت وهو
أمر طبيعي والمتقدمون نظروا إلى حساب حركته فعدوه رياضيا . ولقد ذكرت أجمال تاريخ هذا العلم في
كتاب ﴿ الفلسفة العربية ﴾ المذكور فقلت ماملا خصه

﴿ هذا العلم كان قديما اختياريا يأخذونه قياسا على نطق الحيوان . ولقد كان أطفه عندهم في العصور
الدائرة ما يحاكي به الطير البرى عند الصياح في الرياض المشتبكة والحدائق البهجة ذوات المياه الجارية ولا سيما
العندليب والهزار المطوقة وكانت طائفة من الناس يستلذون النغمات التي يسمعونها من خرير المياه فيقيسون
نغماتهم على نغمات الحركات المسموعة منها في المصاب المختلفة والنواير والدوالي . ومنهم من كانوا يحاكون
الهواء عند دخوله في المنافذ يصنعونها وكان الصين على هذه الطريقة والهند كانوا يلحنون على طرق الأواني
المجوقة وقدساء الروم كانوا يجهلون ألحانهم في النحاس والخشب وبذلك لحنت الأناجيل في الكنائس ﴾
هذا بعض ما ذكرته هناك ويقول علماء الموسيقى في العصر الحاضر أن الآلات الموسيقية على ﴿ قسمين ﴾
آلات يحدث الصوت منها بالنقر على أوتارها وتسمى (ذوات الأوتار) وآلات يحدث منها الصوت بالنفخ على
صفائح رقيقة فيها وتسمى (آلات النفخ) فالأولى مثل (القانون والعود والطنبور) والثانية مثل (الأزغن
والصور) وآلة أخرى تسمى (المسحورة)

أقول ويجمع هذين (الطبل والمزمار) في بلادنا المصرية . فالطبل من النوع الأول والمزمار من النوع
الثاني . ومن ذوات الأوتار (البيانو) وهي آلة لها أصوات معينة تصوتها أوتار نحاسية خاصة وهذه الأوتار
تهتز بمطرقة تحركها عدة (أشغال) منعنية متصلة بمفاتيح البيانو . وحدث الصوت في آلات النفخ كالزمار
بسبب اهتزاز عمود الهواء الذي داخلها وتوجه فيكون الهواء هو الجسم الصائت فيها بخلاف ذوات الأوتار التي لا
يكون الهواء فيها إلا موصلا للصوت فتنفخ عليه من ثقب فيها ماجت أمواج الصوت إلى الأمام والخلف
داخل آلة النفخ وهزّت الهواء حولها كما يهزه الوتر المضروب في ذوات الأوتار فتكون منزلة عمود الهواء في
آلات النفخ منزلة الوتر في ذوات الأوتار ومنزلة النفخ عليه منزلة الضرب على الوتر

فقال صاحبي قد تركنا التفسير وغسنا في علم خارج عنه . فقلت له . كلا . لا تجمل على فستري أن هذا
نفس التفسير فما هذا إلا مقدمة لا بد منها لشرح صوت الإنسان فلقد ذكرت كثيرا نقلا عن علماء العصر
الحاضر أن الإنسان لا يدرس نفسه إلا بدراسة ماحوله فنحن لا نقدر أن نعلم صوت الإنسان ونغماته المطربة
إلا بدراسة الآلات المحيطة به، وهذا الذي ذكرته ستري جماله الآن ومتى درسنا صوت الإنسان ونظام غناؤه عرفنا
حساب الموسيقى في العلم الحديث ثم نوازنه بنفس خلق الإنسان . وهل نغمات الإنسان في حسابها كهيئة خلق

جسمه في الرحم وحسابهما واحد ثم نذكر مسألة داهر بن حصه الحكيم الهندي وما اقترحه على ملك الهند وهيئة الحساب الذي اختاره في أمر البر الذي جعله محسوبا بالمتواليه الهندسية على مقتضى بيوت الشطرنج من (١) الى (٦٤) فقال صاحبي هذه كلها أمور غريبة فأرجو ايضاحها . فقلت إذن أدركت وصدقت اننا لم نخرج عن التفسير واننا نريد أن نقف على نظام التكوين الانساني مثلا حتى ندرك كيف كان أمره في أعماله عجا فعبده الناس لما ظهر على يديه كما كان أمر خلقه عجا . فقال نعم . فقلت فلا يبدأ إذن بالكلام على

﴿ آلات الصوت في الانسان ﴾

اعلم أن كل ذوات الفقرات من الحيوان ومنها الانسان لها آلات صوت تصوت بها مودعة في قسم من جهاز التنفس وكثير منها قادر على تغيير صوته وتكييفه والانسان خاصة يغير صوته بصورتي ويحصل التكلم ببعضها . وآلات الصوت في الانسان (١) تجويف الصدر (٢) والقصبة (٣) والخنجرة (٤) والبلعوم (٥) والفم (٦) والأنف (٧) وما يتعلق بها . فأما تجويف الصدر فإنه يضيق ويتسع بالتنفس فيضغط الرئة تارة ويتركها تتمدد أخرى فيخرج الهواء منها متى ضغطت ويدخل اليها متى تتمددت فيكون هو والرئة بمنزلة المنفاخ في (الارغن) وعند خروج الهواء من الرئة يدفع الى القصبة ومنها يضرب وترى الصوت في الخنجرة فيصوتان فتكون القصبة بمنزلة طرف أنبوبة (الأرغن) وتر الخنجرة بمنزلة فيها . فأما البلعوم والفم والمنخران فانها تغير الصوت وتكييفه تارة باتساعها وأخرى بتضييقها ونحو ذلك فتكون بمنزلة رأس الأنبوبة الذي تتصل منه اهتزازات عمود الهواء بالهواء الخارجى . وهذا كلام علماء العصر الحاضر وهو عجيب فقد جمع الانسان نوعي الآلات المطربة فله آلات نفخ وآلات وتر معا . وقد يعيش الانسان ويموت وهو يغنى أو يسمع آلات الطرب وهو لا يعلم تركيب جسمه فلننظر الآن الى صوت هذا الانسان فنقول

تقدم ما أشرنا اليه من حساب المتقدمين وانه على مقتضى النسبة الهندسية . أما حساب المتأخرين فانهم يعتبرون المتواليه الهندسية في صوت الانسان فقد قالوا ﴿ أولا ﴾ ان حدوث الصوت الانساني ناجم من اهتزازات الوترين الصحيحين في الخنجرة عند ما يضرب عليهما الهواء مدفوعا من الرئة وهذان الوتران قابلان الشد والرخى كالأوتار في ذوات الأوتار فاذا كان الانسان صامتا كانا مرتخيين ومثنيين وفتحة الزمار بينهما واسعة فلا يصوتان بوقوع الهواء عليهما . واذا أراد أن يصوت شدهما بقدر ما يريد أن يرفع الصوت فتضيق فتحة الزمار بينهما . ومدى الصوت الانساني القوى (٧٠٠) قدم في الفضاء على درجة الهواء الاعتيادية

﴿ مجال السمع ﴾

قال العلامة (هلمهاتز) أخفض الأصوات الموسيقية ما اهتز ١٦ اهتزازة في الثانية وأعلىها ما اهتز ٣٨٠٠٠ اهتزازة في الثانية . فاذا نقص عددها عما ذكر سمعت طقطقة كل اهتزازة ولم يحدث منها صوت موسيقى . ويقول ان مجال السمع الانساني يمتد الى ١١ ديوان ولكن مجال الموسيقى الاعتيادى لا يزيد عن سبعة دواوين . فلما سمع صاحبي ذلك قال كلام هذا العالم غير واضح . قلت له نعم ولكن سأ نقل لك ما هو واضح وهو آخر الآراء ولأجله جاء هذا المقال

﴿ ادراك الانسان للأصوات ﴾

ينحصر في عشرة دواوين أى أبعاد كلية موسيقية أى في أصوات تتوَّجتها بين ١٦ موجة في الثانية و (١٦٣٨٤) في الثانية فهي هكذا ١٦ - ٣٢ - ٦٤ - ١٢٨ - ٢٥٦ - ٥١٢ - ١٠٢٤ - ٢٠٤٨ - ٤٠٩٦

١٦٣٨٤ - ٨١٩٢

فهذه عشرة دواوين أو أبعاد . ومعنى هذا أن القوم عندهم آلة لقياس تموجات الصوت فان بلغت ١٦ موجة في الثانية بهيئة منتظمة كان ذلك صوتا موسيقيا وبالتضعيف لهذا العدد في الثانية يكون قد تم أول ديوان

٣٢ وضعفه ٦٤ في الثانية يكون ديوانا ثانيا وهكذا الى نهاية العشرة . وبالتأمل في هذه الدواوين نجد أن القاعدة المتقدمة مطردة أي حاصل ضرب الطرفين يساوي حاصل ضرب الوسيطين ف ضرب ١٦ في ١٢٨ يساوي حاصل ضرب ٣٢ في ٦٤ وهكذا مثل ما تقدم عند القدماء وأن كان ذلك بطريق آخر . فبهذا عرفت عشرة الدواوين ولكن النغمات المستعملة عادة في الموسيقى تنحصر في سبعة دواوين أو أبعاد كلية من (٣٢) الى (٤٠٩٦) فهذا تحقيق المقام في صوت الانسان

واعلم أن الله عز وجل أحكم صوت الانسان على هذا الوضع وجهه ليكون قوله منتظما وجيلا ﴿ لأمرين * الأمر الأول ﴾ الافهام ﴿ الأمر الثاني ﴾ احداث الأثر في قلوب السامعين بحسن الالتقاء وجمال الاسلوب فلم يخلق الله لنا ذلك المنفاخ ودينك الوترين إلا للاستعملهما في حسن الالتقاء فنفهم الناس ونؤثر في أذهانهم بحلاوة منطقنا . هذه هي الحكمة الالهية التي أبرزها الله في خلقنا وأكملنا به وجلنا - ولكن أكثر الناس لا يعلمون - يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا - كالعلم الموسيقي وسماع النغمات وهم عن بواطن الخلق ومحاسنه وعن أنفسهم غافلون

هذا ما أردت ذكره في نظام موسيقى الصوت الانساني وحسابه الجليل وموازنة هذا الحساب بحساب انقسام الخلايا في خلق الجنين وحساب بيوت الشطرنج . وقبل أن أنتقل الى هذين المقامين أذكر فوائد في الموسيقى جميلة تناسب ما قدمناه . يقول علماء الموسيقى في عصرنا اذا أدخلت أصبعك في أذنك وقبضت عضلات يدك قبضا شديدا سمعت صوتا عميقا كصوت الجرس الكبير يهتز (٣٢) اهتزازة في الثانية

ويقولون ان البعوضة تصفق جناحها وهي طائرة ١٥٠٠٠ خمسة عشر ألف صفقة في الثانية وأن طول الأمواج في صوت المتكلم من ثمانية أقدام الى اثني عشرة قدما وطول الأمواج في صوت المتكلمة من قدمين الى أربع في الثانية . ويقولون اذا أسرع دقات الساعة مثلا حتى صار عددها خمسين أو ستين في الثانية صارت صوتا موسيقيا وأحدث وقوعها على الأذن شعورا متصلا في النفس . واذا جرى دولاب على (٣٥) حصة في الثانية يتصل صوت طقطقته عند قرعه على الأذن فتسمع النفس صوتا موسيقيا ثخينا للدولاب وقد شبهوا وقوع الصوت غير الموسيقي على الأذن بوقوع الضوء المرتجف على العين لأن عصب السمع يتألم منه فتمجه النفس كما تتألم العين من تعاقب الضوء والظلمة على عصب البصر . ويقولون ان الطبيعة مستعدة لاحداث الطرب * قال العلامة (تندل) إن الاحتكاك يغني كما يغني المغني فاذا أطلقت رصاصة في الهواء غرّدت كتغريد الطير . واذا هزّت الريح الأغصان مالت ولها حنين . هذا ما أردت ذكره ملحقا بصوت الانسان في الموسيقى

﴿ خلق الجنين في بطن أمه جار على ناموس أبعاد الموسيقى المتقدمة ﴾

هذا المقام سيتضح بالمشاهدة للصورة الشمسية لنظام خلق الجنين قريبا في سورة (طه) فانك سيتضح لك هناك أن البيضة تقسم نصفين وكل نصف ينقسم نصفين وهكذا (١ - ٢ - ٤ - ٨ - ١٦ - ٣٢ - ٦٤ - ١٢٨) وهكذا الى (١٦٣٨٤) وهكذا بالغاما بالغ وفي أثناء تلك المضاعفة يحصل نظام جيل وهيئات محكمة من خلق الأعضاء والاحشاء والعضلات والأوتار والأعصاب والخواص الظاهرة والخواص الباطنة وهكذا فاعجب لنظام محكم موسيقي أرانا الله صورته في نظام أصواتنا فسحرنا جلاله عند سماعه من ذوى الأصوات الجيلة وأرانا أن أصواتنا ليست كلها موسيقية ولكن جميع أعماله موسيقية منظمة . ولقد برع بعض بني آدم في العلم والحكمة وتشبهوا بالله في حكمتهم فظنّ الناس انهم أبناء الله أو وقفوا عقولهم عندهم ورأوا العلم خاصا بهم فرجعوا بخفي حنين ولكن الله يقول - سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون - فجميع مخلوقاتي كلماتي فلا يعبد الناس أحدا من خالقهم وكلماتي وكلماتي لا تحصى عندها

أما مسألة الشطرنج وحساب بيوته فستأتى أيضا مع حساب نظام الجنين في سورة (طه) إذ يحسب البر بحيث يكون للبيت الأول حبة وللبيت الثانى (٢) وللثالث (٤) وللرابع (٨) وللخامس (١٦) وهكذا الى (٦٤) بيتا وهي عدد بيوت الشطرنج . فظاهر الأمر أنه يكفي فيها قمع معلوم مثل (كيله) أو (أردب) وسترى أن ذلك الحساب لا يكفيه القمع الذى فوق الكرة الأرضية كلها قرونا كثيرة وسيتضح هنالك فاقراءه ههنا يتبين أن نظام الغناء أنتج السرور . ونظام الجنين أنتج عجائب الانسان . ونظام الحساب فى بيوت الشطرنج أنتج مقادير عجيبة لا تخطر بالبال والحساب واحد فى الأحرار الثلاث فهى متوالية هندسية حاصل ضرب كل طرفين فيها يساوى حاصل ضرب الوسطين . ومن نتائج هذا الجال فى الحساب ظهور أنبياء وعظماء تظهر على أيديهم العجائب والعلوم فيظن الناس انهم أبناء الله أو توقف عقولهم عند آرائهم كالمسيحيين فى الأول وكالجهال من أمم الاسلام فى الثانى والله يقول هؤلاء كلهم كلمائى فلا يحجبكم كلامى عنى ولا تصدّنكم كلمة عن الأخرى فاقروا كل علم وكل فنّ وخذوا الحكمة أينما وجدتموها وهذا من أنوار قوله تعالى - سبحانه اذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون -

﴿ ذكر الكلمة فى الديانات القديمة ﴾

لقد ذكرت فى هذا التفسير أنى نقلت من كتاب ﴿ العقائد الوثنية فى الديانة النصرانية ﴾ فى آخر سورة (المائدة) موازنة بين الآيات المذكورة فى دين (خريستا) فى الهند (وبوذا) أيضا وبين ما جاء فى الأناجيل ونقلت أيضا من ذلك الكتاب جلا فى أوائل سورة (البقرة) شارحا مسألة التثليث . وأريد هنا أن أنقل من الكتاب ما يناسب (الكلمة) حتى تعلم لماذا ذكر الله الكلمة والكلمات فى القرآن . وقد قلنا فيما تقدم فى (المائدة) أيضا أن هذا الكتاب منقول من نيف وأربعين كتابا للغات الافرنجية

(١) مثل (ويليام) الحكمة الهندية

(٢) ومثل (ويليام الهندية)

(٣) ومثل (فشنوبورانا) ترجمه للغة الانكليزية عن السنسكريتية (ويلسون)

(٤) ومثل (موريس) الآثار الهندية القديمة

(٥) و (موريس) تاريخ الهند

(٦) و (مولر) تاريخ آداب اللغة السنسكريتية القديمة

(٧) و (مورى) الخرافات

(٨) الديانات الشرقية

(٩) (برسكوت) تاريخ فتح المكسيك

(١٠) (برتشير) حل الآثار المصرية التاريخية

(١١) (سكوير) رمز الأفعى

وهكذا بقية الكتب التى لا مقتضى لذكرها جميعها هنا فلندكر شذرات فى مسألة الكلمة مما نقله المؤلف منها فنقول . جاء فى هذا الكتاب صفحة (١٨) نقلا عن (برتشرد) من كتابه ﴿ خرافات المصريين الوثنيين ﴾ صفحة (٢٨٥) مانصه

لاتخلو كافة الأبحاث الدينية المأخوذة من مصادر شرقية من ذكر أحد أنواع التثليث أو التولد الثلاثى (الأب والابن والروح القدس)

ونقل عن (موريس) فى كتابه ﴿ الآثار الهندية القديمة ﴾ فى المجلد السادس صفحة ٣٥ مانصه ﴿ كان عندا كثر الأمم البائدة الوثنية تعاليم دينية جاء فيها القول باللاهوت الثلاثى أى ان الاله ذو ثلاثة

أقانيم ﴿ ورسم تحته صورة الثالوث المقدس عند الهنود وهذا التمثال موجود في معرض الهند . أقول أنا إن صورته أُمَامِي وأنا أكتب هذا الموضوع رأس واحدة لها وجوه ثلاثة ونقل عن كتاب ﴿ سكان أوروبا الاول ﴾ صفحة ١٩٧ مانصه ﴿ كان الوثنيون القدماء يعتقدون بأن الاله واحد ولكنه ذو ثلاثة أقانيم ﴾

ونقل عن (الإن) في كتابه ﴿ الهند ﴾ صفحة ٣٨٣ أن البرهمنيين يقولون في كتبهم الدينية أن أحد الأتقياء واسمه (انيس) رأى أنه من الواجب أن تكون العبادة لاله واحد فتوسل ببرهمة وفشنا وسيفو أن يعرفوه أيهم الاله الحق فظهروا له وقالوا لا فرق بيننا . وأما ما تراه من ثلاثة فما هو إلا بالشبه أو الشكل والكائن الواحد الظاهر بالأقانيم الثلاثة هو واحد بالذات . وهنا صورة أخرى للثالوث المقدس عند الهنود أراها أُمَامِي الآن . ونقل هنا عن العلامة موريس في كتابه ﴿ آثار الهند القديمة ﴾ المجلد الرابع صفحة ٣٧٣ مانصه ﴿ لقد وجدنا بأنقاض هيكل قديم دكته مرور القرون صنما له ثلاثة رؤس على جسد واحد ﴾ والمقصود التعبير عن الثالوث . ومن العجيب إنك ترى في هذا الكتاب في صفحة (٢٥) صورة تمثل (بوذا) وهو بحالة الذكورة والانوثة معا وعلى الفرج هيئة الصليب وهي منقولة عن العلامة (توما أنجن) في كتابه المسمى ﴿ الوثنيون القدماء ﴾ وهذه الصورة فوق مرتفع . وهنا نقل عنه أن كافة الرموز والاشارات المستعملة عند النصارى كانت للدلالة على عبادة ماهو من هذا القبيل . هذه العبارة لم يصرح فيها بلفظ (الكلمة) التي عقدنا هذا الفصل لها . فانظر ما يقوله العلامة (دوان) في كتابه صفحة ٤٧٣ ﴿ إن القسيسين في هيكل ممفيس بمصر كانوا يقولون للتلاميذ ان الأول خلق الثاني والثاني مع الأول خلقا الثالث وبذلك تمّ الثالوث المقدس . وهنا ذكر قول الكاهن المصري للملك . الأعظم أولا هو الله ثم الكلمة ومعها روح القدس وهؤلاء لهم طبيعة واحدة وهم واحد بالذات وعنهم صدرت القوة الأبدية . إذن كون الاقنوم الثاني هو الكلمة أصل وثني مصري دخل في غيره من الديانات كالديانة المسيحية . ثم قال (وابولو) المدفون بدلهي من بلاد الهند يدعى (الكلمة) وفي علم اللاهوت الاسكندري الذي كان يعلنه (بلاطو) قبل المسيح بسنين عديدة (الكلمة) هي الاله الثاني ويدعى أيضا ابن الله البكر ﴾ انتهى وهذا منقول من كتاب ﴿ الآثار الهندية ﴾

وقال العلامة (هيجس) في كتابه (الانكلوسكن) المجلد الثاني صفحة ١٦٢ ﴿ كان الفرس يدعون متروسا (الكلمة) و (الوسيط) و (مخلص الفرس) . انظر كتاب المسيو (دونلاب) في كتاب (ابن الانسان) صفحة ٢٠ وكتاب العلامة (بنصون) في كتابه (المسيح الملك) صفحة ٥٧ ﴿ وقال العلامة (بوفريك) في كتابه ﴿ اعتقاد المصريين ﴾ مانصه ﴿

﴿ وأغرب عقيدة عمّ انتشارها في ديانة المصريين القدماء هي قولهم بلاهوت الكلمة وأن كل شئ صار بواسطتها وانها أي الكلمة منبعثة من الله وانها الله ﴾ وكان (بلاطو) عارفا بهذه العقيدة الوثنية وكذلك (ارستو) وغيرهما وكان ذلك قبل التاريخ المسيحي . قال ﴿ ولم نكن نعلم أن السكندانيين والمصريين يقولون هذا القول ويعتقدون هذا الاعتقاد إلا في هذه الأيام ﴾ ثم نقل عنه من صفحة ٤٠٤ مانصه ﴿

﴿ وكما ان للكلمة مقاما ساميا عند المصريين القدماء هكذا يوجد في كتبهم الدينية هذه الجملة (اني أعلم بسر لاهوت الكلمة وهي كلمة رب كل شئ وهو الصانع لها فالكلمة هي الاقنوم الأول بعد الاله وهي غير مخلوقة) وهي الحاكم المطلق على كافة المخلوقات ﴾

وقال (دوان) في كتابه ﴿ كان الاشوريون يدعون (مردوخ) الكلمة ويدعونه أيضا ابن الله البكر ﴾ وقال أيضا في الكتاب نفسه صفحة ٣٧٤ مانصه ﴿

﴿ كان السكندانيون يقولون للكلمة (ممرار) كما يقول اليونانيون بأنه الصانع للعالم والحاكم عليه وأن

لا شئ أعظم منه إلا الله ﴿

وقال العلامة (فروثنغام) في كتابه مهد المسيح مانصه ﴿ كان (فولر) يدعى الكلمة وكانوا يعظمونه جدًا ويصفونه بأنه الكائن قبل كل شئ . ابن الله البكر . الخبز السماوى الأبدى . ينبوع الحكمة الدال على الله . النائب عن الله . صورة الله السكاهن خالق العوالم . الاله الثانى المترجم عن الله الخ ﴾ قال ﴿ ولما عين (برتولوميو) مطرانا سنة ١٤٤٥ أرسل القس (فرنسيس هرمنديز) الى المكسيك ليبشر سكانه بالديانة المسيحية وكان هذا القس عارفا بلغة الهندوس أرسل بعد مضي عام على ذهابه كتابا الى المطران المذكور يقول فيه ان هؤلاء يؤمنون باله كائن فى السماء وأن هذا مثلث الأقانيم وهو الاله الأب والاله الابن والاله روح القدس وهؤلاء الثلاثة إله واحد واسم الأب (بردنا) واسم الابن (باكاب) مولود من عذراء واسم روح القدس (إيكيميا) ويعبدون صنما اسمه (تنكاتسكا) يقولون عنه انه واحد ذو ثلاثة أقانيم وانه ثلاثة أقانيم إله واحد ويقولون إنه ذو ثلاثة أشخاص بقلب واحد وإرادة واحدة ﴾ انتهى ما أردت نقله من ذلك الكتاب ليجب المسلمون كيف ذكرت الكلمة فى الديانات القديمة فى أهم مختلفة لا يعرف بعضها بعضا كما قال تعالى - تشابهت قلوبهم - فقال الله فى القرآن أيها الناس . كل شئ كلمات الله لا المختارون من عبادى الصالحين وحدهم فكل العالم كلمتى - إنما أمره الخ -

هذا ما فتح الله به يوم الخميس ٢١ يونيه سنة ١٩٢٨ وبه انتهى الكلام على قصة مريم وعيسى

(قصة سيدنا ابراهيم عليه السلام)

قال تعالى (واذكر فى الكتاب ابراهيم إنه كان صديقا نبيا) كثير الصدق والتصدق فهو ملازم للصدق وكثير العلم بالله الذى هو صدق وهو به مصدق ثم أبدل من ابراهيم قوله (إذ قال) وما بينهما اعتراض (لأبيه آزر) وهو يعبد الأصنام (يا أبت) التاء عوض عن الياء (لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيا) وصف الأصنام بعدم سماع الأصوات ونظر الأشياء والعجز عن جلب منفعة أو دفع مضرة . يقول الله على لسان ابراهيم كيف تعبد ما فقد الحواس التى هى من خواص الحيوان بله الانسان . وإذا كان الانسان العاقل السميع البصير يأنف أن يعبد نظيره بل انما يعبد ما فوقه اذا عقل فكيف تنزل أن تعبد ما خرج من الالهية بقره وضعفه وحاجته الى من يصنعه وعن الانسانية بفقد العقل وعن الحيوانية بفقد الحواس فقد تنزل عن الالهية ﴿ ثلاث درجات ﴾ انسانية . حيوانية . جادية . أما كان لك عبرة فى حاجته وفقد السمع والبصر (يا أبت إني قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا) مستقيما . فانظر كيف ذكر أباه بلطف فقال جاءنى علم لم يأتك مع ان معنى هذا انه جاهل ولكن التعبير بغاية اللطف والأدب ثم أخذ يستهجن ذلك فقال (يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرجن عصيا) ومن أطاع العاصى كان مثله فنال جزاء عصيانه ولذلك أعقبه بقوله (يا أبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرجن فتكون للشيطان وليا) قرينا تقرن معه فى العذاب والآراء والأخلاق والعادات . فانظر كيف تجنب مفاجأته بذكر العذاب فلم يقل ان الله يعذبك بل ذكر انه يخاف وقلل العذاب بالتكثير وجعل نتيجة العذاب أن يكون من أولياء الشيطان كما ان رضوان الله أعظم من العقاب وجعل العذاب صادرا من الرحمة كلها من جهة المعبر عنه بالرجن . وإذا كان مصدر الرججات يعذبك فان الجرم يكون عظيما وذلك هو البعد عنه والاقتران بالشيطان (قال) آزر تو بيخا (أراغب أنت عن آلهتى يا ابراهيم) أى أترغب عن عبادتها فناداه بيا ابراهيم ولم يقل يا بنى فى مقابل يا أبت (لئن لم تنته) ترجع وتسكت عن عيب آلهتنا وذمها (لأرجنك) بلسانى شما أو بالأشجار حتى تبعد عني أو تموت فاحذرنى (واهجرنى مليا) زمانا طويلا (قال سلام عليك) وهذا جواب الخليم للسفيه وتوديع ومتاركة ومقابلة للسيئة

بالحسنة فكأنه يقول أنا لا أؤذيك ولكن (سأستغفر لك ربى) سائله لك أن يوفقك للتوبة (إيه كان بى حنيا) مكرما والحفاوة الرأفة والرحمة والاكرام (وأدعوا ربى) وأعبده وحده (عسى ألا أكون بدعاء ربى شقيا) أى أرجو أن لا أشقى بضائع دعاء ربى وعبادته كما تشقون أنتم بدعاء الأصنام وعبادتها من غير طائل ففي الآية تعريض بذلك (فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله) فلما اعتزل الكفار ومعبودهم وهاجر (وهبنا له اسحق) ولدا (ويعقوب) نافلة فآنس وحشته بهما وهذان أكرم على الله من أبيه (وكلا جعلنا نبيا) أى أنعمنا عليهما بالنبوة (وهبنا لهم من رحمتنا) مالا ولدا وسعة في الرزق مع نعمة النبوة (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) أى ثناء حسنا فان الناس يفتخرون بهم ويثنون عليهم اجابة لسعوى ابراهيم عليه السلام - واجعل لى لسان صدق فى الآخرين - والمراد باللسان ما يوجد به يقال لسان العرب أى لغتهم وترى أن الصلاة على ابراهيم وآل ابراهيم فى الصلوات الخمس من اللسان العلى المذكور . وهنا ﴿لطيفتان﴾

﴿اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - ياأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا -﴾ إن فى هذه الآية وحدها من العلم ما لا يحتمله هذا الكتاب . ولكن نذكر بعضه ذكرى وعبرة لذوى العقول السليمة ونضع الباقي لذوى الفطن ومن ألهمهم الله العلم والحكمة ليشرحوه للسامعين بعدنا اذا استعدتوا للالقاء . اعلم أن جعل العذاب من الرحمن يبين لنا ما يأتى

(١) ان الجوع الذى نحس به فى أجسامنا لم يرسله الله لتعذيبنا بل أرسله ليكون آلاما تدفعنا الى الغذاء وذلك لأن هذا العالم الذى نحن فيه ناقص فكمله الله بهذه الآلام ولولا ألم الجوع ما أكل عاقل ولا عالم ولا نبيّ ولولم يأكلوا ماتوا فالألم لم يقصد به سوى المنفعة لنا وليس فى هذا العالم سبيل لأكلنا سوى هذا الباعث المؤلم (٢) وان ألم الشبق والشهوة فى الأصلاب وفى النساء لم تكن إلا لبقائنا ولولاها ولولا آلامها ما تزوجنا ولا ولدنا ولا عمرت الدنيا

(٣) وان الأمراض الخالة بنا لولاها لم تفتح مدارس الطب والتشريح وقراءة العقاقير وتفصيل هذه العوالم التى تحيط بنا

(٤) وان الأمم كلما ازدادت مدنيته ازدادت أمراضها وشهواتها وتمزيق الأمراض لأجسامها وفتكها لمرضاها ولأولادها الصغار فيكون ذلك أدعى لارتقاء الطب والعلم عندهم فأصبح المرض نعمة وبيانه أن الله لم يخلق الناس فى الأرض إلا لارتقاء نفوسهم . فلما كان أهل البادية جهالا لم يعطهم من الأمراض إلا على مقدار ما يداوون بحسب مبلغ علمهم . فلما نظر الى المدن أكثر الأمراض فيها وألهمها العلوم وفتح لها مدارسها على مقدار حاجتها . فاذا أهملت ضعفت الأجسام فكان عقابا على التقصير فأصبح انتشار المرض مهمازا تساق به الأمم الى أعلى الدرجات ونهاية الأمر ارتقاء العلوم والصناعات ونهاية النهاية كمال الروح لتخرج من الأرض بأجنحة أقوى وهمة أعلى

(٥) وان الله جعل الصدق فى البادية بحيث انهم عند أداء الشهادات لا يكذبون وعند المحادثة لا يغشون وفى أوقات سمرهم يصدقون . أما المدن فانها ملئت مكررا وخبثا كما ملئت جبنا ولؤثما ومرضا مزمننا . ذلك لأن أهل البادية اذا تولاهم داء الكذب أفناهم وشتت شملهم وأوقعهم فى هاوية الخسار والهلاك لأنهم لا قدرة لقضاتهم على احقاق الحق إلا اذا كان القول صريحا واضحا . أما المدن فان القضاة فيها كلما رأوا الفساد منتشرا والكذب منتثرا والشهود كاذبين والمتدعين مزورين والمتدعى عليهم منكرين زادوا فى العلم بحثا وفى الطبيعة فهما وفى الامور وزنا وللأعمال تدقيقا وللأقوال تحقيقا فازدادت العقول ارتقاء والنفوس بهاء واشراقا وفتحوا لعويص المشكلات وصدعوا بالحق وحكما بالصدق بالقوانين الصادقة والأقوال الشارحة والعلوم الواضحة

(٦) وان ذوى العقول التى هى مستعدة لقبول العلم يألمون أكثر من غيرهم اذا أحسوا بجبهلهم ويتطلعون بشوق عظيم الى معرفة ما غاب عن غيرهم من عويص المشكلات فيألمون وينصبون أجسامهم ويتعبون أرواحهم ويهيمنون فى أودية الأرض لطلب العلم كما يألم الجائع والشبع للطعام والواقع فتكون حياتهم كلها جهادا ليس لجهادهم نهاية ولا لنصبتهم غاية وهؤلاء هم الذين عبرنا عنهم فيما تقدم فى هذه السورة بأنهم أصحاب النفوس العصبية الذين يشبهون الأجسام الموصلة للكهرباء . فهؤلاء سريعو التأثر عصبونيون فيقبلون العلم أسرع من غيرهم وهم درجات بعضها فوق بعض كدرجات الأجسام الموصلة للكهرباء فى التوصيل وكدرجات الأجسام الموصلة للحرارة فى إيصالها الى ما بعدها . وهم أشبه أيضا بالنبات السريع الانبات السريع الأثمار كأنواع البطيخ والقثاء ينبت سريعا وينمو سريعا ويثمر سريعا . فهكذا هؤلاء يتأثرون بالعلم سريعا ويعلمونه لغيرهم متى امتلأت نفوسهم ويكون تأثيرهم فى غيرهم على مقتضى الآثار الواصلة اليهم . فعلى مقدار ما يقبلون ويتأثرون يكون قبول تلاميذهم ومن قرأ كتبهم . وهناك صلة بين الأساتذة والتلاميذ وبين الأنبياء والأئم والمؤلفين وقارئى كتبهم . فكما كان الاستاذ والنبي والمؤلف أكثر عشقا لعلمه كان قراء العلم والدين والتأليف هم تابعين له لأن القلوب النقية تؤثر فيمن يقرأ تأليفها أو يسمع كلامها . تلك قاعدة مطردة لا عوج فيها ولا أمتا

فهنا عذاب من الرحمن وصل الى الأنبياء بالآلام التى يتحملونها من أمتهم وفى العمل بالوحى الذى يوحى اليهم به وفى شوقهم الحثيث الى الرقى والعلوم . كل تلك آلام ولكنها هى عين الرحمة لهم ولغيرهم فافهم هذا وافهم ما قبله وتأمل كيف كانت القصص القرآنية قد جعلت مفتاحا لعقول هذه الطائفة فى مبدأ أمرها حتى اذا فتحت تلك المغاليق وأزيلت تلك السدود وألهمت تلك النفوس أخذت تطلع على ما يحججه الناس حولهم . فالعلماء فى جميع الأمم يرون فى النحلة وفى النملة وفى الزهرة وفى الشجرة وفى النهر وفى البحر وفى الرياح وفى الأمواج وفى هبوب النسيمات وفى حفيف الأشجار وفى طنين الحشرات وأصوات الطير فى الغابات وفى كل حركة وسكون ما يطربون لها طربا ولا يريدون عنها حولا ويرون العالم حولهم موسيقى وهم السامعون والناس من حولهم نائمون نائمون لا يفقهون . وهؤلاء هم الذين عرفوا وفهموا قوله تعالى - تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وان من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا يفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا - فهؤلاء هم الذين يفقهون التسبيح وغيرهم لا يفقهون ولا هم يذكرون . فهذه الطائفة كان ألمها رجة وأذاها نعمة وذلة عزا وأمرها عجا

أفلاتعجب معى كيف كان قوله تعالى - عذابا من الرحمن - شاملا لهذه المعانى ولغيرها مما وكلته الى فطنتك لتقرأه فى لوح الطبيعة المنشور الذى كتبته الله بيده الى بريته وتركه لنا وقال خذوه وافهموه وسلط علينا ماسلطا ليوقظنا ويرشدنا . أوليس عذاب المسامين الآن بالمفاسد والمخازى والجهل الفاشى فيهم واحاطة الأئم بهم من كل جانب - عذابا من الرحمن - لأنه برحمته عذبنا لأن هذه الرحمة التى ظهرت لنا بصفة عذاب فتحت لنا الباب على مصراعيه فأرتنا أهل (سويسرا) مثلا قد علمهم أساتذتهم فى المدارس تعليما دينيا وأديبا واجتماعيا حتى وصلوا الى درجة أنهم لا يفقهون معنى السرقة ولا يعقلون كيف يكذبون

﴿ حكاية ﴾

سافر أحد عظماء المصريين من أبناء بلادنا الى (سويسرا) فنزل فى قطار السكة الحديد فلم ير القوم يأخذون تذكرة فى أيديهم بل كل واحد منهم يحاسب نفسه بنفسه فيضع النقود بيده فى الصندوق وليس عليه رقيب بخلاف عادتنا نحن المصريين . ولما دخل المدينة سأل عن القاضى أين هو ليحادثه لأنه هو أيضا من رجال القانون فقالوا له ان القاضى فى الدكان يصنع الأحذية فتوجه اليه وعجب كيف يكون القاضى صانع

أخذية فقال له القاضي ان بلادنا تقلّ القضايا فيها والأمة تعرف واجبها وأنا لا أعمل إلا ثلاثة أيام أول الشهر فيأتى المتقاضون يسألوننى فيما أشكل عليهم من الامور فأفتيهم فيقتنعون وليس لى الحق أن آخذ مرتبا فى أيام لأعمل لى فيها . فهأناذا آخذ مرتب ثلاثة أيام وفى بقية الشهر أصنع وأكل من كسب يدى ثم توجه الى فتاة قروية قد نامت فى وسط الأعشاب فى البرية وحولها عشرات من البقر يتبعنها أينما سارت ويقمن حولها اذا نامت ويسرن وراءها اذا رجعت الى منزلها قال فسألتهأ ألا تخافين من اللصوص قال فقالت لا أفهم معنى لصوص فقال سارقون فقالت هذه أول مرة سمعت أن الانسان يأخذ ملاحق له وليس لنا علم بهذا فتعجب مما سمعه ومما رآه . والذى قال هذا هو المرحوم محمد بك فريد رئيس الحزب الوطنى المصرى

هذه الحكاية وأمثالها كثير تدعشنا نحن المسلمين وتدعو لأسفنا الشديد . اننا خير أمة أخرجت للناس نأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ثم تكون عاقبتنا أننا قوم لانعرف إلا القضاء والمحاماة . فأما تربية الوجدان وتهذيب النفوس فنحن عنها بعزل ساكتون صامتون نائمون كما نام أهل السكف - سنين عددا - ولم نجد ما يوقظنا . أليس ما أذكره الآن آلاما . أوليس الله هو الذى خلق هذه الآلام . أوليس الله هو الذى أودع هذا فى القلوب لتشعر ومتى شعرت تحركت للعلم ومتى علمت عملت . أوليست هذه أمراضا اجتماعية بل هى أمراض اجتماعية ودواؤها أن يقام المسلمون عن طرق التعليم الحالية والا فعذاب الازلال الواقع من الأمم الغربية - لا صرد له وما لهم من دونه من واق - وهذا الازلال من دول أوروبا للمسلمين عذاب لا يزول إلا بزوال سببه وهو الجهل بالعلم وبطرق دراسته

﴿ طرق التعليم لرقى الاسلام فى مستقبل الزمان حتى نستحق أن نكون - خير أمة أخرجت للناس - ﴾
هى أن يتدى المسلمون بتعليم الصغار فى المدارس والمساجد والزوايا والتسكيا ﴿ أمرين * الأمر الأول ﴾ أمثال هذه القصص القرآنية مع شرح عجائبها وذكر موسى عليه السلام وأنه كان مخلصا وأن الله ناداه من جانب الطور الأيمن وقربه نجيا ووهب له أخاه هرون نبيا لعلم الله أنه يستحق لاختلاصه وقبوله وهكذا كل مخلص فان الله يحفظه ويعينه . وذكر اسماعيل وكيف كان صادق الوعد وصدقه للوعد ذكر قبل ذكر النبوة لأنه لا يستعد للرقى إلا الكاملون ويشرح صدق الوعد شرحا وافيا بحكايات وضرب أمثال شارحة للمصدر بحيث يقتنع التلميذ ولا يكتفى بأنه يعذب فى النار بل يفهم عقله أيضا . ويذكر له ادر يس عليه السلام وأنه كان صديقا أى كثير الصدق فى قوله والتصديق فهو عالم بكل علم مؤمن لذلك رفعه الله وحينئذ يشرح للتلميذ فوائد الصدق ويحبب فى وطنه وفى المحافظة على أموال الحكومة ونظامها وسمعتها وأنه يجب أن يصدق الانسان فى خدمتها ويكون صدقه بالافتناع انه مفيد له ولغيره . ويفهم التلميذ أيضا عجائب الحيوان من النحل والنمل والعنكبوت والأنعام وعجائب النجوم وهذا هو العلم المسمى بعلم الأنبياء بحيث يكون جيلا بهيجا حسنا مطبوعا فى كتب مشوقة سارة للناظرين فتكون العجائب الطبيعية مشوقة كما تشوق الحكايات المنقولة عن الأنبياء وهذا الفن للبتدئين مقدمة لعلم الطبيعة والكيمياء والحيوان والنبات للكبار فى المدارس العالية فاذا وصاها التلميذ فيها والا فقد نال من كل فن كلمات تقنعه وأصبح رجلا نافعا لأتمته

﴿ علم التوحيد ﴾

واعلم أن علم التوحيد هو نفس ما ذكرت فعلم الأشياء ونظام الموجودات وبهجة القمر والنجوم والكواكب لصغار الأطفال مع ذكر قصص الأنبياء ومع ذكر الآيات المهدبة للأخلاق وشرحها شرحا لا ينغصه الاعراب ولا الصرف ولا كثرة الكلام فى علم المعانى ولا البيان ولا البديع لأن هذه العلوم كثيرا ما عاقت الأطفال عن معرفة الله تعالى بل هذه لها قوم مختصون بها يحافظون عليها كبقية الصناعات والعلوم . أما نحن الآن فأنما

نتكلم في العلم الذي هو فرض عين على كل مكلف ثم ليكن المدرّس لهم مقتنعا بما يقول متأثرا به فيأقوا اليهم عجائب الطبيعة ويصف لهم بدائعها ثم يعرج على خالقها فيصفه بأوصاف الجلال أي الصفات السلبية وأوصاف الجلال وهي أوصاف المعاني فيقول انه عالم وقادر ومتكامل وسريع وبصير مثل ما جاء في القرآن ويترك تلك الفلسفة الباردة التي حدثت في الأمة الاسلامية فشوّشت الأذهان وأبعدت الناس عن الأخلاق وعن معرفة ربهم فتأخرت الأمم الاسلامية عن سائر الأمم بهذه الطريقة العقيمة . أقول وان هذا الذي أكتبه الآن سيقروّه علماء وفضلاء وأمرء في أمة الاسلام وسيعمدون به وسترتقي أمة اسلامية على أيديهم تكون أرقى من الأمم الاسلامية المتأخرة بعد عصر النبوة الثلاثة التي كانت أنوار النبوة مشرقة عليهم وسيكون للمسلمين نهضة لم يعرفها الشرق من قبل . سيقرا الناس هذا الكتاب وسينظمون التعليم كما ذكرت وسيقوم فيهم المصلحون يزيدون بعقولهم وآرائهم على ما بينت ويعطون الدواء على مقدار الداء وسيكون قوم أرقى شأنًا ممن حولهم من الأمم ولا ينبغي أن يبتدىء المسلمون بحفظ القرآن . كلا . بل يبتدئون بهذه العبارات الجلية ويأتون بالآيات تطبيقا عليها ثم يحفظها التاميد حفظا مشوبا بالمعنى وهو مسرور بحفظه قانع بمطابقته للعوالم الخارجية والأخلاق النفسية . فأما الحفظ العام لقرآن فذلك له قوم يختصون به فهو أيضا فرض كفاية لا فرض عام على سائر الأمم فأما العموم فالأحسن عندي أن يكون حفظهم للآيات على مقدار ما يحتاجون اليه في الأخلاق أولا وجمال الطبيعة ثانيا مع معرفة الله تعالى وما يجب عليهم من العبادات ثالثا كآيات الصلاة والزكاة وما أشبه ذلك . وهذه الطريقة الجلية أقرب الى عصر الصحابة إذ كان الأمر سهلا والعلم محفوظا بطريق مألوف

(اللطيفة الثانية في قوله تعالى - سأستغفر لك ربى -)

فيه طلب المغفرة له وقد مرّ تقرير هذا المقام في قوله تعالى - وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه - الخ والى هنا انتهى الكلام على قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام

(قصة سيدنا موسى عليه السلام)

قال تعالى (واذكر في الكتاب موسى انه كان مخلصا) بكسر اللام موحدا أخلص عبادته من الشرك والرياء وافتتح اللام أي مختارا اختاره الله تعالى واستخلصه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) أرسله الله الى الخلق فأنبأهم عنه والرسول هو الذي معه كتاب والنبى هو الذي ينبي عن الله وليس معه كتاب . فمثال الأوّل موسى ومثال الثانى يوشع فيوشع نبى ولا يسمى رسولا وانما هو ينبيّ قومه وموسى ينبيّ قومه بكتاب معه أرسل به من الله . فأحدهما معه رسالة أوصلها الى الناس والثانى ليس معه رسالة يقدمها لهم وهو الكتاب ولكنه ينبئهم كما في قوله تعالى - ولا ينبئك مثل خبير - وكقوله - واذا وقع القول عليهم أخرجناهم دابة من الأرض تكلمهم - الخ فهذا القول فيه الانباء والرسالة هناك وهذا المعنى الذى شرحته لك الآن يخالف المعنى المشهور للنبي والرسول من جهة ويوافقه من جهة ولكن هذا المعنى هو المناسب في هذه الآية قال تعالى (ونادينا من جانب الطور الأيمن) من ناحية اليمين وهي التي تلى يمين موسى اشارة الى أنه ميمون الغدوات والروحات ولاشؤم يلحقه والله معه فلذلك تمثل له الكلام من تلك الجهة فعرفه (وقرّبناه نجيا) تريب تشرىف وعلم واخلاص فذلك أشبه بمن قرّبه ملك لمناجاة أي وقرّبناه حال كونه مناجيا أو مرتفعا . والنجوى اللغة الارتفاع ولاجرم أن الارتفاع في المقام يلزمه المناجاة والقرب فهما متلازمان وأحدهما يفيد الآخر باللازم ولقد روى انه رفع فوق السموات حتى سمع صرير الأقلام . ومعنى هذا تجاوز العالم المادى وانغمس في المعنوى والروحى فقرب من الله وعرف الامور العالية عن أذواق البشر فليس المقام مقام أمكنة وانما هي نفوس ترقى حتى تبلغ أقصى منهاها وتستعد للاطلاع على عالم أرقى ثم قال تعالى (ووهبنا له من رحمتنا) أي من بعض رحمتنا (أخاه هارون نبيا)

أى معاضدة أخيه وموازرتة إجابة لدعوته وذلك أن موسى عليه السلام دعا ربه فقال - واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى - فأجاب الله دعاءه وهذا هو سبب جعله هبة وقوله - هارون - عطف بيان لأخاه ونبياً حال منه

(قصة سيدنا اسماعيل عليه السلام)

قال تعالى (واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد) فكان لا يعد ربه وعدا يفعله إلا وفى به فصار الصدق صفة لازمة له حتى وعد بالصبر على الذبح فوفى وصبر وامتثل حتى جاءه الفداء ولم يكن لينتظره وهذه الصفة لم تسمع من غيره بهذه الحال (وكان رسولا نبياً) أى كان رسولا الى جرحهم الذين حاولوا بمكة معه ومع أمه ومعنى رسول هنا غير ما تقدم فإن الرسالة هنا بمعنى النبوة إذ لا كتاب معه إلا كتاب ابراهيم وشريعته فيكون معنى النبوة إذن الانذار والاخبار أى كان مرسل من الله بتبليغ شريعة ابراهيم فنبأ بها قومه وأنذرهم وخوفهم (وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً) أى انه بعد أن كمل فى نفسه بصدق الوعد أخذ يكمل عشيرته الأقربىين وكذا بقية الأمة لأنهم كلهم أهله فيأمرهم بالصلاة والزكاة ليقمهم النار . ولما كان السكالم فى النفس وتكميل الغير تخلقاً بأخلاق الله تعالى والله يرضى عمن تخلق بأخلاقه قال - وكان عند ربه مرضياً -

(لطيفة)

إن صدق الوعد هو الصفة التى فقدت من تجار المسلمين اليوم ومن أكثر المتعلمين فيهم وهذا لقلّة اكتراث الناس بهذه الصفة . فعلى قادة المسلمين وعلى العلماء أن تكون مواعدهم حقّة وكلامهم صريحاً فيقلدهم الشعب . إن الاسلام اليوم لم يكمل تابعوه لأنه بعيد عن تماثيلهم وعجبت لأمة هذا شأنها كيف عاشت الى الآن . حرام أن يترك هذا العلم . يجب أن يجعل له الأهمية التى للصلاة والزكاة . لماذا أيها المسلمون وهل ذكر اسماعيل فى القرآن إلا لهذا الغرض ويقول هذا نبى صادق الوعد . هذا هو الذى اتخذ الصدق له شعاراً حتى جعل نفسه ذبيحة لأبيه وختم الكلام عليه بأنه رضى عنه . أما الأمم التى لا صدق عندها فلا يرضى عنها الله بل يصبح رجالها يحقر بعضهم بعضاً كعص أُم الشرق الآن إذ ترى بعض التجار المصريين والسوريين والعراقيين وغيرهم يتخذون الحلف ذريعة والمساومة مغنماً والكذب متجراً وتكون نتيجة ذلك عدم رضا الله تعالى وثمرة ذلك كراهة الناس ونفورهم منهم وترك تجارتهم فينحاز الناس الى تجار الافرنج لأن لهم صدقاً بحسب الظاهر . هذا من أسباب عدم الرضا الذى أشارت له الآية بطريق المفهوم لا المنطوق

(قصة سيدنا ادريس عليه السلام)

قال تعالى (واذكر فى الكتاب ادريس) وهو المسمى أخنوخ وهو أيضاً أزريرس أو اسوريس وكان ادريس تعريباً له وهذا الاسم فى الآثار المصرية وهو الذى ألف له المصريون القدماء رواية خلدت فى بطون تواريخهم وقد حصل بينه وبين أخيه ما يحصل بين المتحاسدين فقطعه أخود قطما كثيرة جعلتها امرأته بعد ذلك لإقطعة وحنطتها وحفظتها وصار إلها بعد أن كان مصلحاً عظيماً وهذه الحكاية الخرافية جعلت المصريين يعتنون بتحنيط الميت وهذا العمل قد أفاد الصناعة ورقاها وصارت مثلاً وعبرة للآخرين . ولقد كان الملك والدين فى عهد هذه الدولة أمراً واحداً والملايك يجمع بين أمر الدين والدنيا فن عصى أمر الملك فقد عصى الله وأسوريس هذا صعد الى السماء وصار فى الحياة العالية وله عرش عظيم فى السماء يتمتع بأجل الخيرات وكل من حنط جسمه ووزنت أعماله بعد الموت وحكم القضاة وهم ٤٣ بأن حسناته غلبت سيئاته فانه يلحق بأوزوريس فى تلك السماء العالية

إن هذا النبي الذي جعلوه إلهًا بعد ذلك هو الذي علم المصريين العلوم والمعارف ويقول علماءنا أنه أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس الخيط وأول من اتخذ السلاح وأول من نظر في علم الحساب . هذا كلام علمائنا في التفسير وهذا كلام يتصل بأقوال قدماء المصريين فالأمة المصرية تنسب علومها إليه وبالجملة فالأمة المصرية التي برعت في جميع الفنون تنسب إليه مبدأ تلك البراعة وجميع الأمم دهشت من علوم قدمائنا المصريين ومن اطلع على مؤلفات المرحوم العلامة الأثرى الكبير أحمد بك كمال أمين متحف القاهرة كما حضراته بالجامعة المصرية رأى عجبا عجبا . رأى أنهم صوروا السماء من قديم الزمان وبينوا البروج والليل والنهار وساعاتهما والسكواكب . وفي الأعصر المتأخرة رسموها بهيئة امرأة رافعة يديها ويسترها ثوب طويل وفي رجليها نعلان وعلى رأسها عصابة . وهناك إشارة بلغتهم تشير إلى الشمس ذات الأشعة وعلى جانبي المرأة البروج ستة منها جهة اليمين وستة منها جهة الشمال . وهما مرسومة أمي وأنا أكتب الآن بشكل رائع بديع بالهيئة التي وجدت على صندوق ^(حتر) بطيبة . وهناك إشارات ورسوم تدل على أكثر ما يراد من علم الهيئة قد أوضحها العلامة المذكور حول الشكل وهذا من أعجب ما يراه الانسان . وترى في الصفحة الثالثة عشرة في المحاضرات المذكورة صورة المنطقة التي وجدت في هيكل دندره وهي عجيبة فيها أربع صور من صور النساء واقفات للدلالة على الجهات الأربع والسماء فوقهن محمولة ويساعدهن في ذلك ثمان صور من صور (جوريس) جاثيات رؤسها كرأس الباشق وجسمها كجسم الانسان وهذه المنطقة المحمولة على المعبودات الاثني عشر تنقسم الى (٣٦) قسما وكل قسم عشرة أقسام فهي (٣٦٠) وكل قسم يوم . وهناك علوم أخرى في الصورتين لايسعها المقام تقتضت في سورة يونس فارجع إليها إن شئت . وأن ما ذكرته لك الآن كاف لتعلم مقدار علوم القوم وانهم تفننوا في كل شيء . وأذكرك بما مضى في سور متفرقة في هذا التفسير عن علوم القوم وبما مرّ في قبر ^(توت عنخ أمون) الذي ذكرناه في سورة البقرة وكشف حديثا وأدهش العالم كله وأعجبه اعجابا شديدا . لعالمك عرفت من هذا ماجاء في القرآن هنا فان وصف ادريس بقوله تعالى (إنه كان صدّيقا نبيا) فجعل وصفه بالصدق هو أهم أوصافه والصدق كثير الصدق والتصديق وذلك هو العلوم كلها لأن التصديق يرجع الى القضايا الكلية العامة فهو صادق أولا وعالم بها ثانيا ثم قال (ورفعناه مكانا عليا) قد تقدمت الإشارة الى تاريخه والى الخرافة الخاصة به . ولما كان القرآن لا يذكر من الكلام إلا ما يجزم مغنا ويدع ما ليس له فائدة من تلك الخرافات التي لا تفيد معنى ولا لها موجب ذكرانه رفع مكانا عليا في السماء كما قاله قدماء المصريين فسكان القرآن قد جعل هذا حقا . وفائدتنا من قصة ادريس ما يأتي

ان أمتهم المصرية ارتقت ونفعت الأمم وهذا بت الأجيال وقامت بما عليها للنوع البشرى . ولا شك أن رفعة الأنبياء تابعة لآثارهم في الأرض فلا يرفع الله نبيا ولا يخفض جاهلا إلا على مقدار الأعمال ورفع ادريس الى السماء يرجع الى ارتقاء أمتهم بتعاليمه فالنبي بأتمته والعالم بالانتفاع بعلمه . واذا أردت المفاضلة بين عالم وملك من الملوك فلتنظر لآثارهما في الأمة فمن كان أهدي سبيلا وأقدر على الإصلاح باعتبار آثاره حكمنا له بأنه أقوم قيلا وأهدى سبيلا وأرفع شأنًا وهكذا الأنبياء بعضهم مع بعض . لذلك رفع الله ادريس مكانا عليا ولذلك تجد آثار أمتهم بادية للعيان بعد أن كانت خافية عن الأذهان . انظر الى شرائعهم التي قصوها وأقوالهم التي قالوها مع تخليطهم في الألوهية من تنسيق الى تثليث ثم الى توحيد آخر فانهم لم يخلطوا في الشرائع كما خلطوا في الألوهية أجيالا واهتدوا أجيالا وكانوا اذا مات الملك عدّدوا مناقبه ومثالبه فان كان ضارا بالأمة حرموا دفنه في قبره وهذا عجيب جدا . كانوا يأمرّون الملك بأن يعمل في كل ساعة عملا خاصا . كانوا يأمرّون باجتنب الظلم ويأمرّون الصبيان والرجال الصيغة التي يقولونها بعد الموت أمام القضاة ^(يارب لم أظلم أجيرا ولم أحرم العجول من لبن أمتهم معا فيه ولم أقتل ولم أسرق ولم أزن ولم أكذب الخ) وكانوا يمنعون أخذ أموال

الناس بالباطل . هذا هو الذي يعرفنا معنى كونه صديقا ومعنى كونه رفع مكانا عليا . ولذلك بقيت هذه الأمة آلافا وآلافا ولما تحجرت العقول وضلت الأفكار نسي الأبناء المقصود من الدين فهلكوا وضلوا وخرفوا فذهبت ريحهم . أما أمة الاسلام فلم يضر لها غير زمن قليل فأمامها أجيال وأجيال وآلاف من السنين فيها تظهر مواهبها فهي الى الآن لم تقم بكل ما عليها للانسانية والله أنزلها ليظهر دينها على الدين كله فتعمل أكثر من كل دين سماوى . وإذا كان ادريس عليه السلام رفع الى السماء الرابعة ومدحه الله بذلك ونبينا محمد ﷺ رفع الى ما فوق السموات كلها وارتقى فوق ذلك الى سدة المنتهى والى مستوى سمع فيه صرير الأقلام . فهذا يراد به أن أمة ترقى الى أعلى الدرجات وتنفع الناس أكثر من كل دين . وأنت علمت أن ديانة قدماء المصريين ارتقت جدا ولكنها لم تدم . أما دين الاسلام فانه قد انتشر انتشارا عجيبا ولم يبق إلا تقويته في العلوم والمعارف على الطريقة التى فى هذا التفسير واذ ذاك تكون الأمة الاسلامية قد عملت ما عليها انتشارا واتحادا أى انها تجمع أمتا كثيرة وتؤلف بينهم وتجعلهم اخوانا وشعارهم الاخوة العامة لأن الاسلام معناه الاخوة العامة والاخلاص التام فى قوم اتصفوا بهذا الوصف . ولما ذكر الله المرسلين أخذ ينعتهم فقال (أولئك الذين أنعم الله عليهم) أى أولئك الأنبياء فى هذه السورة من زكريا الى ادريس الذين أنعم الله عليهم بنعم دنيوية وأخروية (من النبيين) بيان للذين (من ذرية آدم) أى ادريس ونوحا - من - للتبويض لأنهم بعض ذريته (ومن حملنا مع نوح) أى ومن ذرية من حملنا مع نوح خصوصا وهم الأنبياء ما عدا ادريس فانه كان قبله وابراهيم من ذرية سام بن نوح (ومن ذرية ابراهيم) وهم اسماعيل واسحق ويعقوب (واسرائيل) أى ومن ذرية اسرائيل وهو يعقوب كموسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى (ومن هدينا) ومن جلة من هديناه الى سبيل الحق (واجتبينا) للنبوّة والكرامة (اذا تتلى عليهم آيات الرحمن خرّوا سجدا وبكيا) جلة مستأنفة لبيان خشيتهم من الله بعد أن أبان علوهم فى الدين وفى النسب والقرب من الله والبكى جمع بك كالسجود جمع ساجد

﴿ ذكر الضالين المضلين بعد الصالحين المصلحين ﴾

قال تعالى (خلف من بعدهم خلف) أى من بعد النبيين المذكورين (خلف) قوم سوء وهم اليهود وكل من كان على شاكلتهم فى الضلالة من هذه الأمة (أضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة المفروضة عليهم وأخروها عن وقتها (واتبعوا الشهوات) فآثروا شهواتهم على طاعة الله تعالى وشربوا الخمر ومنهم قوم يظهرون فى آخر الزمان تكثر الفاحشة العلنية بينهم حتى فى الأسواق (فسوف يلقون غيا) أى شرا أو جزاء غي * ويقال إنه واد فى جهنم تستعين منه أوديتها يلقى فيه العاق وشارب الخمر الخ وقوله (إلا من تاب) من التقصير فى الصلوات مثلا (وآمن) بترك الكفر اذا كان كافرا (وعمل صالحا) بطاعة الله (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) ولا ينقصون شيئا من جزاء أعمالهم وقوله (جنات عدن) منصوب على المدح (التى وعد الرحمن عباده بالغيب) أى التى وعدوا إياهم وهى غائبة عنهم أو هم غائبون عنها (إنه كان وعده) الذى هو الجنة (مأثيا) يأتيا أهلها الموعود لهم (لا يسمعون فيها لغوا) فضول كلام (إلا سلاما) إلتسليم الملائكة عليهم وأن يسلم بعضهم على بعض فهو استثناء منقطع . واعلم أن مبدأ السعادة والسلام والأمان والطمأنينة وهذه الدنيا لا طمأنينة فيها فلا سعادة لأن الناس جميعا لا يأمنون عاقبة قط فهم دائما لاسعادة عندهم فيكون مبدأ النعيم فى الآخرة أن تكون الاشارات والعبارات والالهامات هى الطمأنينة فى القلوب وهى المشار إليها بقوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه - وهى التى نقولها نحن المسلمين فى صلواتنا صباحا ومساء ﴿ السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ فتكرار هذه الجلة على اللسان يحدث أثرا فى النفس يتراكم على مدى الزمان فيشعر الانسان اذا أدرك المعنى فيما بعد أن الله لم يخلق العالم إلا لغاية

وغاية الأرواح الطمأنينة وستكون تلك الطمأنينة حين نأمن بالفقر والمرض والموت والشيخوخة وهذه الحالة هي التي يقولها الناس وهم لا يشعرون فيقولون السلام عليكم أي إن الأمان سيكون لكم في الدنيا بأن يكون بعضنا آمنا من بعض وفي الآخرة بالخروج من جميع المآزق وهي التي يقولها الرجل لآخر في الإسلام عند التهزية ﴿ لا إله إلا الله ﴾ مع أن الذي لا يرى سوا أنما هو الذي مات أما الحي فإن السوء يحيط به كل حين ولكن هذا الدعاء أمنية من أمان النفوس وهذه الأمنية ستحصل يوم لا يكون عذاب ولا عقاب وينتهي الحساب فيرتفع السوء كالمرض والموت والفقر والذل وما أشبه ذلك • ولما كان السلام مبدءاً للنعمة فهو كالتخلية والنعمة بعده كالتحلية أردفه بقوله (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) لا بكرة في الجنة ولا عشي إذ لا ليل ولا نهار وإنما يؤتون بأرزاقهم في مقدار طرفي النهار كما كانوا في الدنيا ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يؤتون برزقهم رغداً لا مقطوعاً ولا ممنوعاً • انتهى تفسير القسم الأول من سورة مريم

(الْقِسْمُ الثَّانِي)

تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا * وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا * رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا * وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِيتُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا * أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا * فَوَرَبَّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا * ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا * ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا صِلِيًّا * وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا * ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا * وَإِذَا تَنَزَّلْنَا بَيْنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئِيًّا * قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا * وَيزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا * أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا * أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا * وَنَرْتُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا * وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا * أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسَّوهُمْ أَزًّا * فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَذًّا * يَوْمَ نَحْشُرُ

الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا * وَنَسُوقُ الْجُرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرَدًا * لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا
 مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا * وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا * تَكَادُ
 السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا * أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا *
 وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا * إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ
 عَبْدًا * لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا * إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا * فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ
 وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِيسُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ
 لَهُمْ رِكْرًا

﴿ التفسير اللفظي ﴾

قال تعالى (تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا) أي نجعلها ملكا لهم كملك الميراث الذي هو
 أقوى تملك . ويقال كما ورد في غير الصحيحين ونقله المفسرون أن النبي ﷺ لما احتبس حين سأله اليهود
 كما تقدم عن أسرار الروح وأصحاب الكهف وذو القرنين وقال أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله ودام ذلك الاحتباس
 ١٥ يوما ونزل جبريل قال له ﷺ أبطأت عليّ حتى ساء ظني واشتقت إليك فقال له جبريل واني كنت
 أشوق إليك ولكنني عبد مأمور اذا بعثت نزلت واذا حبست احتبست فأمر الله تعالى (وما ننزل إلا بأمر
 ربك) وهذا حكاية قول جبريل والتزل النزول على مهل لأنه مطاوع نزل أي وما ننزل وقتا بعد وقت إلا
 بأمر ربنا - والضحي والليل اذا سجي - الخ ورواية البخاري أن النبي ﷺ قال يا جبريل ما منعك أن
 تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت ثم أكد اختصاص الله بالأمر بقوله (له ما بين أيدينا) من الأماكن (وما خلفنا
 وما بين ذلك) فالأمكنة بأقسامها الثلاثة الحاضرة ملكه فكيف ننقل من مكان إلى مكان إلا بأذن ماله
 وكذلك الزمان فلا نتقدم ولا نتأخر فيه لأنه له إلا بآذنه (وما كان ربك نسيا) أي مانسيك ربك وما تركاك
 كقوله - ما ودّعك ربك وما قلى - ويصح أن يجعل الكلام متصلا بأهل الجنة وهو الأقرب للنظم . يقول
 أهل الجنة - وما ننزل إلا بأمر ربك - أي وما ننزل الجنة إلا بأمره إلى قوله - وما كان ربك نسيا -
 أي ناسيا أعمالنا فانها تذكر ويعطى الثواب عليها ثم أشار سبحانه إلى أهم ما يوصل إلى الجنة فذكر العلم
 بربوبيته للسموات والأرض وما بينهما وأعقبه بالعبادة . فهنا صرح القرآن بالحقيقة فالعلم بهذا العالم والعبادة
 المصفية للقلب بهما تتجلى طلعة الانوار المشرقات والبهجات الساطعة المضيئة في هذه العوالم ويمتلي المؤمن شراقا
 واذ ذاك يجتهد لينال العلم بهذا الوجود على ما هو عليه فالعلم المذكور هو باب الجنة بل هو الجنة عند العارفين
 بل هو أعلى الجنة والعبادة صقال يصقل القلوب فسكان الترتيب شجبا فهو جنة ثم سببها وهو العلم فسبب السبب
 وهي العبادة ولكن العبادة ليس لها نصيب إلا في العقل والقلب ولسكن العلم بالتعليم (فاعبدوا واصطبروا لعبادته)
 وإياك أن يصدك عنها ما يشوش عليك من إبطاء الوحي أو من شدائد الأيام ومكر الناس (هل تعلم له سميا)
 شبيها ومثلا أو هل تعلم أحدا يسمى الله غير الله (ويقول الانسان) أي بعضه (أئذا ماتت لسوف أخرج حيا)
 من الأرض وهذا القول على سبيل الاستهزاء والتكذيب بالبعث قال تعالى (أولايذكر الانسان) أي أولاي تذكر

منكر البعث (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيأ) فان من قدر على خلقه من عناصر متفرقة بنظام تام وحكمة بالغة أقدر على الاعادة لاسيما انه قد تبين أنه قادر على نظم في الخلق لاعداد لها (فوربك لنحشرنهم) أقسم بالرب مضافا لارسول ﷺ تشرىفاله ليجمع من المنكرين في المعاد (والشياطين) معهم بحيث يكون كل كافر مع شيطانه في سلسلة كما هو ظاهر في العالم المشاهد ان ذرات الهواء لا تستقر إلا في الجوّ وذرات الماء لا تستقر في الهواء وعناصر الارض لن تساو غالبا في الماء ولا في الهواء وقطعان الثمن والوحش والبهائم تميل الى الاجتماع والائتناس والمجرمين والسراق يميل بعضهم الى بعض . فما الآخرة إلا جزء من النظام العام فيحشر الظالمون بعضهم مع بعض ويكون ذلك زيادة أذى لهم كما نرى المرء في الدنيا لا يقدر أن يفارق أهله أو أقاربه أو أبنائه وهو عالم انهم مصيبة عظيمة عليه . فالعالم واحد في نظامه لأن ربه واحد ولذلك سرت الوحدة في الوجود فالشيطان مع الكافر والأنبياء مع الشهداء والصالحين ومن أحبهم معهم وهذا عين ما قالته الأرواح . إن المدار على الجاذبية * وفي الحديث ﴿ كل أم يتبعها ولدها ﴾ فما أجل العلم وما أبدع الحكمة وما أقرب الناس الى فهم القرآن الآن عن كل آن . هذا ومتى حشر الشياطين أحضروا حول جهنم جثيا أى جاثين على ركبهم لأنهم لما دهمهم من شدة الاسور لا يطيقون القيام على أرجلهم فيجشون على ركبهم جثوا وهذا قوله تعالى (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا * ثم لنزعن من كل شيعة) من كل طائفة شاعت أى تبعت غاويا من الغواة (أيهم أشد على الرحمن عتيا) أى الذين يقال فيهم أيهم هو أشد على الرحمن عتيا أى تمرّدا وجرأة وفجورا أى يقتدم الى التار من هو أعتى فأعتى ممن هو أكبر جرما وأشد كفرا فنطرحهم فيها (ثم لنحن أئلم بالذين هم أولى بها صليا) جمع بينهم في استحقاق دخول النار بعد ما أثبت انتزاع الأعتى فالأعتى وذلك انه لا يقال أولى إلا مع الاشتراك وأولى صليا أى أحق بالنار دخولا وبها متعلق بأولى (وان منكم إلا واردها) أى وما منكم أحد إلا داخل النار والمؤمن يدخلها وهي خامدة اذا لم يكن عليه ذنب (ثم نجى الذين اتقوا) الشرك الأفضل فالأفضل (ونذر الظالمين فيها جثيا) جاثين على الركب وهذا آخر الكلام على جهنم

﴿ لطيفة ﴾

اعلم أن بنى آدم كلهم معذبون في هذه الحياة الدنيا بالمال والولد والغنى والفقر . فكل الحياة آلام ولذات وقد جاء الدين والعلم ليعرفهم قيمة الدنيا وأحوالها حتى اذا ماتوا ارتقوا عن درجات الطبقة المنحطة فن الناس من تصقل نفسه في الدنيا فيعرف الحقائق فيخفف وقع العذاب الديوى عليه حتى كأنه لم يعذب ومنهم من يعذب في قبره الى أجل محدود من أصحاب العقائد الحققة . ومنهم من تبقى نفوسهم مغولة معذبة لتصلب الآراء الجاهلية فيهم وثقل أعمالهم عليهم فهو لاء لا يخرجون من العذاب . ولقد اضطربت أقوال المفسرين في تفسير هذه الآية والخروج من النار ونحو ذلك . ولقد شرحنا هذا المقام في سورة هود وفي سور أخرى ولكننا في هذا المقام نرى أحوالا يجب البحث فيها فنقول

- (١) فاذا سمعت قول مجاهد ﴿ ورود المؤمن النار هو من الحى جسده في الدنيا ﴾ مستدلا بقوله عليه الصلاة والسلام ﴿ الحى حظ كل مؤمن من النار ﴾
- (٢) واذا سمعت قول بعض الصحابة لآخر ﴿ أيقنت بالورود قال نعم قال وأيقنت بالصدر قال لا قال ففيم الضحك وفيم التناقل ﴾
- (٣) واذا سمعت قول خالد بن معدان ﴿ يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال بلى ولكنكم صرتم بها وهي خامدة ﴾

- (٤) واذا سمعت ماورد في حديث ﴿ تقول النار للمؤمن جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لى ﴾
- (٥) واذا سمعت قوله ﷺ كما في البخارى ومسلم ﴿ الحى من فيح جهنم الحى ﴾ وممنى فيجها

وهيها وشدّة حرّها

فاعلم أن النار في هذا المقام والعذاب قد شمل عذاب الدنيا والآخرة والقرآن مصرّح بهذا في مواضع كثيرة ويرجع الأمر إلى الحقائق النفسية فمن مات ولا ذنب عليه البتة وهو لاء قليل فلان النار الحق أن تقول له ﴿ جز يأمؤمن فقد أطفأ نورك لهي ﴾ وربما أصاب هذا بعض الأمراض والمصائب في الدنيا كالجنى وفقد الولد والأهل والفقر وما أشبه ذلك خففت جشع النفس وخرجت من الدنيا لطيفة نيرة غير متعلقة بالدنيا . فبالصلاح والتقوى انجذبت إلى عالم أعلى وبالمصائب تخلصت من حب الدنيا . فهذه هي ذرة قد مرّت على العذاب وجهنم خادمة لأن النفس بالصبر والتسليم وبالخسب والدقة في تجنب الأخطار والتباعد عن الزلات وما أشبه ذلك مع حفظ المروءة وقيام المرء بالأسباب حق القيام كأنها أخذت نارها فقلّ التأذى بالصبر والثبات ورجاء الثواب والفرح بقرب لقاء الأحباب والخلاص من هذه الدار . فهذا يجمع الأحوال المتقدمة إلا البند الخامس

ومن مات وهو مسلم مؤمن عنده تقصير ولم تقم به تهيئته مصائب الحياة ولا الدين . فهذا هو الذي قيل فيه ﴿ أيقنت بالورود ولم توقن بالخروج ﴾ وهي الحال الثانية المروية

نصيحة

إياك أيها المسلم أن يصدك بعض الأحاديث الواردة عن الحقيقة في ذاتها فإن الأحاديث ترد سواء أكانت ضعيفة أم صحيحة أو حسنة مرفوعة أو مقطوعة ولكل واحد منها محل مخصوص . فإياك أيها المسلم أن تتشكل على بعض الروايات فتضيع دينك ويكون ذلك أشبه بكفر بالكتاب والأحاديث واحد مهما كانت درجته كاف في هدم القرآن كله فالقرآن مملوء انذارا وتهديمه بحديث إن صح فهو محمول على حال خاصة . وليس من المعقول في دين من أديان أهل الأرض أن أمة تصبح وقد رفع عنها العذاب كلها صالحها وطالحها والا لم يكن لقراءة القرآن معنى ولا لدراسة الدين . وأمة هذا شأنها تصبح أقل الأمم أدبا واخلاصا وأخلاقا وأكثرهم نفاقا فوالله لم يرسل الله الأنبياء ليغروا الناس على الشرور بل ليزيدوهم علما وأخلاقا وآدابا

طرق التهذيب

وطرق التهذيب ﴿ اثنتان ﴾ طريق الارهاب كما رأيت وطريق الترغيب وذلك بحب الله تعالى ومن أحب أحدا أحب لقاءه ومن أحب لقاء الله تحاشى كل ما يضرّ باللقاء من الذنوب

بعض إيضاح لهذا المقام

ولقد فصلنا هذا المقام في هذا التفسير في غير ما موضع وحديث البخاري ومسلم شارح له إذ جاء فيه اننا نرى ربنا يوم القيامة كما نرى البدر والشمس ليس دونهما سحاب ثم يتبع الناس ما يعبدون كمن يعبد الشمس ومن يعبد القمر وهكذا وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقول أنار بكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها فيقول أنار بكم فيقولون أنت ربنا فيدعوهم فيتبعونه فيضرب الصراط بين ظهري جهنم فأول من يجوز نبينا بأمره ﷺ وكلام الرسل يومئذ ﴿ اللهم سلم سلم ﴾ وفي جهنم كالليب مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم مقدار عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يجندل ثم ينجو ثم ذكر ان الله يأمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم وقد امتحشوا أي أحرقوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جيل السيل ويكون آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيتمنى انصراف وجهه عنها فقط ويعطى عهدا وموآثق أن لا يسأل غير هذا فإذا أقبل بوجهه على الجنة يطلب أن يقدم إلى باب الجنة ويعتذر عن نقض العهد ويعطى موآثيق كالأولى أن لا يسأل فيقرب منها ثم بعد أمد يطلب دخول الجنة ويفعل مثل ما فعل في المرتين السابقتين ثم يدخل الجنة بعد أن يضحك الله منه فيدخلها فيقول تمنّ فيتمنى

حتى تنقطع الأمانى فيئذ الله يعطيه ذلك ومثله أو عشرة أمثاله على اختلاف الرواة . فهذا الحديث هو الموافق للدين والعلم وهو رواية الشيخين فالناس على حسب أعمالهم ويؤخر في جهنم منهم من كان أكثر ذنوباً **﴿ آثار هذا الحديث في الدنيا وسر من أسرارها ﴾**

اعلم أن هذا الحديث الشريف ضرب مثلاً لخال الناس يوم القيامة توضيحاً وبياناً . وهالك آثاره في الدنيا اذ كل ما يحصل في الآخرة لا يخرج عن كونه نتيجة لما يحصل في هذه الحياة فيستحيل أن يكون هناك غير ما هو نتائج ما هنا والناس في الدنيا قطعاً يعيشون على صراط الأخلاق الممتد على نيران الشهوات تتخطفهم كلاليتها فيقع من يقع منهم في نارها ويصبح في النار ولا يعلم أنه في نار الذل تتخطفه الكلالية من كل ناحية من أهل وولد وحكام وأعداء وأزواج وعشاق وهموم وأحزان وفراق أخوان وهجر وصدة وغير ذلك فان عرف الحكمة وكان عابداً واستغرق في جلال الله كانت هذه النيران برداً وسلاماً ولم تمسه فلم يحزن لما فاته ولم يفرح بما آتاه ولم ينهمك في طلب المال فصارت النار برداً وسلاماً عليه كما كانت على إبراهيم وانغمس فيها انغماساً ولم يستطع خلاصاً مات غير مأسوف عليه لادنيا أصابها ولا آخرة نالها وهو هناك أعمى كما كان في الدنيا أعمى

إن الصراط المستقيم في الدنيا هو ذلك الجسر في الآخرة والصراط المستقيم هو التوسط في الأخلاق بين الاسراف والتقتير وبين الجبن والتهور وبين الجهل والطغيان بالعلم فيكون المرء كريماً شجاعاً حكيماً عدلاً . فتمت هذه الأخلاق فهو على صراط مستقيم والا وقع في عذاب الافراط والتفريط هنا ووقع في جهنم هناك ومتى وقع في هذا احترق بلدغ الآلام في الدنيا كما يألم هناك بجهنم التي هي أثر من آثار ما هنا

﴿ بعض أسرار ما جاء في الحديث أن المسلم يقول (لست ربنا) وغيره يتبع وثناً أو قراً أو شمساً ﴾ سبب ذلك أن جميع من على الأرض ينظرون في هذه الدنيا فن اطلع على شئ أعجبه عظمه ومتى عظمه وتوالت القرون صار معبوداً . فلذلك ترى (الفيل) و (البقر) معبودين في الهند وبعض الحيات في أفريقيا والنار عند المجوس والشمس والقمر عند بعض الهنود والقرود عند قوم وهكذا مامن شئ ذى شأن إلا وكان له شبيه حظ من الاعظام والاجلال . ومن ذلك التماثيل والآلهة التسعة عند قدماء المصريين ثم صاروا ثلاثة ثم جعلوهم واحداً . فهؤلاء جميعاً عبدوا ماتوهموا أن النور الالهى قد انحصر فيه . أما المسلم فانه غير ذلك يتوقف في ذلك كله ويقول اعبد الأحد الصمد فيتعالى على جميع ما في العالم ويعبد إلهها غير منظور

﴿ العباد والصوفية ﴾

وهناك طوائف عبادت الله وصفت النفوس فتشرق نفوسهم وهؤلاء أيضاً يحصل لهم في أنفسهم ما يحصل لأهل المادة . فكلما سئحت لبعضهم سائحة من جانب القدس ربما انخدع وظن أنه قد وصل وذلك خطأ نكطاً عباد الصنم بل مامن كمال إلا وراءه كمال فاذا وقف العابد عند درجة من درجات الكمال وظن انه قد انتهى فذلك هو الوبال حتى يصل الى الحقيقة العالية . هذا هو المأخوذ من قوله **﴿ حتى يأتيهم الله بالصفة التي هو عليها ﴾** فالمسامون سواء أكانوا من أرباب المحسوسات أو من أرباب الخيال لا يقفون لا عند مادة ولا عند خيال بل هم يرمون الى العلى الأعلى

﴿ حياة الخارجين من النار ﴾

وأما انهم ينبتون في بحر الحياة كما تنبت الحبة في حيل السيل فذلك انه كما ان البزور الدقيقة يحملها الزبد الذي يكون على السيل تنبت بعد ان لم تكن . كذلك هؤلاء المذنبون في الدنيا اذا وقعوا في الذنوب فانتابهم الذل ثم تابوا واستغفروا وأشرق قلوبهم ظهر الصلاح على وجوههم وخرجوا من ذنوبهم بالتوبة وصارت لهم حياة عالمية . وهذا في الدنيا فان لم يفعلوا ذلك فعل بهم في الآخرة ما ذكره الحديث في نار جهنم في حال

أخرى عبر عنها بهذا التعبير

﴿ تفسير حال آخر أهل النار دخولا الجنة ﴾

إن هذه الحال المذكورة في الحديث هي أخلاق الانسان وأحواله في الآخرة ونعم الله عليه فيها وهي تشير الى حاله في الدنيا . اعلم أن أحوال الانسان في الحالين لها نظام متصل . ذلك أن الفقير والمريض والجاهل كل هؤلاء قد يطلبون الصحة والمال والعلم الى حدٍّ محمود ظنا أن ما حدّده يروى ظمأهم ومتى نالوه زادوا طمعا في العلم والمال والقوة وفي كل صرة يقول الانسان ﴿ لا أطلب غير هذا ﴾ ثم قد ينتهي الأمر بأن ينال العالم علوما لم تكن له في الحسبان وهكذا الغنى ينال مالا لم يكن ليخطر بباليه . ومثلهما في ذلك من صحّ بعد المرض . فهكذا من خرج من النار وقد أقبل عليها يتنى أن يرى الجنة ولا يزال حتى يدخلها ثم تغدق عليه النعم وهذه الحال لا تفارق الانسان في الدنيا ولا في الآخرة . وفي الآية - لتركبن طبقا عن طبق - أى في الآخرة كما ترونه في الدنيا

﴿ فصل في أحوال أهل النار وأهل الجنة وأخلاقهما ﴾

قال تعالى (واذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات الاعجاز (قال الذين كفروا للذين آمنوا) أى لأجلهم أو معهم (أى الفريقين) منا ومنكم (خير مقام) منزلا ومسكنا وهو موضع الإقامة (وأحسن نديا) مجلسا ومجتمعا فرّوا من اتباع الدين بعد ما ظهر من المعجزات الى الفخر بالمجالس والزينة ونحوهما وهذا قول كفار قريش لفقراء أصحاب النبي ﷺ وكان في عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثالة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤسهم ويلبسون أنفريثابهم فأجابهم الله بالتهديد فقال (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا) متاعا وأموالا وثيابا ولباسا (ورثيا) منظرا من الرؤية أو رثيا بقلب الهمزة وادغامها (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) الأصغر هنا بمعنى الخبر أى يمدّه ويمهله بطول العمر والتمتع به (حتى اذا رأوا ما يوعدون) هذا القول متصل بقوله - خير مقاما وأحسن نديا - أى لا يزالون يقولون هذا القول الى أن يشاهدوا الموعد رأى عين (إما العذاب) في الدنيا كما حصل يوم بدر (واما الساعة) أى يوم القيامة وأما قوله - قل من كان في الضلالة - الخ فهي جملة معترضة وقوله (فسيبئلمون من هو شرّ مكانا) منزلا فهو جواب اذا (وأضعف جندا) أى فئة وأنصارا وهو مقابل لقوله - أحسن نديا - (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) إيماننا وإيقاننا على ما عندهم من اليقين وهو عطف لقوله - فليمدد له الرحمن - لأنه بمعنى الخبر (والباقيات الصالحات) الطاعات التي تبقى عائدتها أبد الآباد مثل ﴿ سبحان الله والحمد لله الخ ﴾ ومثل الصلوات (خير عند ربك ثوابا) عاقبة ومرجعا * روى البخارى ومسلم أن خباب بن الارت قال كنت رجلا قينا في الجاهلية أى حدادا وكان لى على العاص بن وائل السهمي دين فأتيته أتقاضاه * وفي رواية فعملت للعاص ابن وائل السهمي سيفاً فجئته أتقاضاه فقال لا أعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال واني لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأقضيتك فنزلت (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا) فردّ الله عليه بقوله (أطلع الغيب) أى النظر في اللوح المحفوظ أو علم الله حتى يعلم أنه في الآخرة يؤتى مالا وولدا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) مثل أن يقول لا إله إلا الله الخ ويعمل عملا صالحا (كلا) لا يكون له ما يقول (سنكتب ما يقول) سنظهر له اننا كتبنا قوله (ونمدّ له من العذاب مدا) مده يمدّه زاده (ونرثه ما يقول) من المال والولد بموته (ويأتينا) يوم القيامة (فردا) لا مال معه ولا ولد (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا) يعزّزوا بهم لأنهم شفعاءهم عند الله (كلا) ردع وانكار لتعزّزهم بها (سيكفرون بعبادتهم) سيجحد الآلهة عبادتهم (ويكونون) أى المعبودون (عليهم) على المشركين (ضدا) خصما والضم للواحد والجمع وهؤلاء المعبودون ينكرون عبادتهم ويطالبون عذابهم

حين ينطقهم الله (ألم تر أننا أرسلنا الشياطين على الكافرين) أى سلطانهم عليهم (تؤزهم أزا) أى تزعمهم
ازعاجا فيفرون من الطاعة الى المعصية فهى تحبهم وتحرضهم (فلا تجل عليهم) لا تجل بطلب عقوبتهم (إنما
نعد لهم عدا) نعد أنفاسهم وأيامهم وجميع أزمانهم . اذكركم (يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا) أى ركبانا
على نوق رحاها من الذهب ونجائب سروجها يواقيت ان هموا بها سارت وان هموا بها طارت وهذا كلام
سيدنا على كرم الله وجهه تمثيل لحاظم في عزة وعظمة واکرام (ونسوق المجرمين) الكافرين (الى جهنم
وردا) أى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش فهم كاللواب التى ترد الماء (لا يملكون الشفاعة)
أى لا يملك العباد الشفاعة (إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) بأن تحلى بما يستعد ويستأهل لها فى الدنيا
بأن يكون هاديا للناس مصلحا لهم ولا جرم ينال الشفاعة فى الآخرة على مقدار هدايته كما تقدم تقريره فى
سورة البقرة . فالشفاعة هناك للأنبيا والعلماء والشهداء على مقدار أتباعهم - ولا يظلم بك أحدا - (وقالوا
اتخذ الرحمن ولدا) أى قال اليهود والنصارى وبعض العرب اتخذ الرحمن ولدا واتخاذ الولد يقدر فى الربوبية
بل من اتخذ الولد تكون عنده رقة القلب والجبن والضعف والجهل لأن الولد مجبنة مبخلة كجملته كجملته الحديث
الشريف . ومتى اتصف بهذه الصفات لا يكون إله لنقصه . ومتى انتفت الالهوية تنفطر السموات وتنشق
الأرض وتهتز الجبال ويشير لهذا قوله (لقد جئتم شيئا إذا) منكرا (تكاد السموات يتفطرن منه) يتشققن
مرة بعد أخرى (وتنشق الأرض) أى تخسف بهم (وتحتر الجبال هدا) أى تسقط وتنطبق عليهم (أن دعوا
للرحمن ولدا) أى من أجل - أن دعوا - الخ ثم نزه نفسه فقال (وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا) وما يليق
به اتخاذ الولد لأن ذلك شأن المخاوق . واعلم أن هذا القول فى هذا المقام يناسبه ما ذكر من العذاب لأنه راجع
لأصل الربوبية وفى ذلك فساد العالم فليسقط عليهم غضبا كما قالوا قولاً لوصح لأورث خللا فى النظام وزللا
وعدا بخلاف ما فى سورة النحل كما تقدم إذ قال هناك - ما ترك على ظهرها من دابة - فقد بينا هناك أن
المقام كان فى الذكورة والانوثة . فأما هنا فالقوم فى وصف الله بالولادة بقطع النظر عن الذكورة والانوثة
وهذا الوصف فيه خراب العالم وذلك الوصف ضياع لكل حيوان لو أن العالم كان نظامه حسب أهوائهم وكيف
يتخذ الله ولدا فذلك لا يليق له (إن كل من فى السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا) أى إلا آتية يوم
القيامة عبدا ذليلا خاضعا (لقد أحصاهم وعدتهم عدا) عدا أنفاسهم وآثارهم وأعمالهم (وكلهم آتية يوم
القيامة فردا) وحيدا لا شئ معه مما فى الدنيا (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أى
محبة فيحبهم الله ويجعل الناس يحبونهم * روى البخارى ومسلم عن النبي ﷺ أنه قال ﴿ إذا أحب الله
سبحانه عبدا دعا جبريل عليه السلام ان الله تعالى يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادى جبريل فى أهل
السماء ان الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض ﴾ وفى حديث مسلم تكملتته
فى البغض على هذا النمط ﴿ فيبغض الله انسانا فيبغضه جبريل ثم أهل السماء ثم أهل الأرض ﴾ (فانما يسرناه
بلسانك) أى سهلنا القرآن بلسانك (لتبشر به المتقين) أى المؤمنين (وتنذر به قوما لدا) أى أعداء أشداء
الخصومة . ثم ختم السورة بالانذار بالهلاك لهم قياسا على ما يذكركم من هلاك المكذبين من الأمم السابقة فقال
(وكم أهلكنا قبلهم من قرن) تخويف للكفرة وتجسير للرسول على انذارهم (هل تحس منهم من أحد)
أى هل تجد من القرون من أحد (أو تسمع لهم ركزا) صوتا خفيا * قال الحسن رضى الله عنه بادوا جميعا
فلم يبق منهم عين ولا أثر . انتهى التفسير اللفظى

﴿ لطيفة فى قوله تعالى - إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا - ﴾

اعلم أن هذا القول اذا سمعه من قرؤا بعض العاوم ولكنهم يجهاون بقيتها أسرعوا بالتكذيب بل الكفر
ولكن ألم يأتهم نبأ علم الأرواح وقد تجلى فيه هذا المقام كما أوضحناه فى هذا التفسير . ولما كان نقل مثل

هذا القول وأمثاله عن جمعيات أوروبا يحدث في قلوب الطبقة الراقية سرورا ويدهشون إذ يرون ما أنكره المتعلمون في الشرق أثبتته الحكماء والعلماء في جميع بلاد الغرب أي العلماء الذين جدوا في علم الأرواح فسترى في هذا الحديث الذي سأنتقله لك من كتاب الأرواح الذي نقلت عنه في هذا التفسير كثيرا . أقول ستري فيه عجبا عجبا . وترى أن النبوة المحمدية قد ظهر سرها عيانا في أوروبا فقد جاء في هذا الكتاب صفحة ١٢٤ ما يأتي وهما هو ذا

﴿ الحديث الثالث عشر من كتاب المذهب الروحاني ﴾

اليك أيها الذي خلاصة تعليم الأرواح في هذا الموضوع نقلا عن كتاب (الوسطاء) للعلم (الآن كردك)

(س) كيف تميز الروح الصالح من الشرير

(ج) من حديثه فإن الأرواح العالوية تحب الخير ولا تأمر إلا به . أما الناقصة فلا يزال الجهل متسلطا

عليها وحديثها يشف عن نقصها في العلم والفضيلة

(س) هل العلم في الروح دليل ارتفاعه

(ج) كلا . قد يمكن مع علمه أن يكون بعد تحت سلطة الرذيلة والأوهام . إن في عالمكم الأرضي من

هم في منتهى الكبرياء والحسد والتعصب فهل يتجردون من هذه النقائص حال مبارحتهم الحياة . كلا .

إن الرذائل على اختلاف أنواعها تحيط بالروح بعد موته ملتصقة به كالهواء وهؤلاء أشد خطرا من الأرواح

الشريرة إذ فيهم اجتمعت الكبرياء مع النباهة والمكر مع الذكاء فيطفغون بعلمهم الأنام السذج ويشربونهم

مبادئهم السخيفة السكاذبة وهذا ما يعرقل قليلا وثبة الروحانية . فعلى الروحانيين الخبيرين أن لا يألوا جهدا

في كشف خداعهم وتمييز الحق من الباطل

(س) عند ما نحضر روحا علويا عرف على الأرض هل يحضر بنفسه أو يرسل من ينوب عنه

(ج) يحضر بنفسه إن أمكن والا فيرسل من ينوب عنه

(س) هل يكون للنائب كفاءة ليست مسد الروح العالوي

(ج) إن الروح عارف بمن يسلم إليه أمر نيابته . ثم اعلم أن الأرواح العالوية كلما ازدادت ارتقاء انضمت

إلى بعضها في وحدة الفكر حتى لا يعود لمسألة الشخصية حيز عندهم ولا من يلتفت إليها وهذا ما يجب أن

تسعوا في البلوغ إليه في عالمكم الأرضي ثم هل تظنون أنه ليس من الأرواح العالوية القادرة على تعليمكم إلا

من عرفتم منها على الأرض . ما بالكم تهسدون دائما أنفسكم مثال الخليقة وأن لاشئ في الدنيا خارج عن

عالمكم الحقير . انكم في هذا تشابهون المتوحشين الذين لم يخرجوا قط من جزرهم فظنوا المسكونة لا تمتد

خارجا عنها

(س) هذا صحيح ولكن كيف تسمح الأرواح العالوية لبعض الأرواح الكاذبة بأن تفتحل أسماءها

لنشر الضلال والفساد

(ج) ليس بارادة الأرواح العالوية تفعل ذلك وسوف ينوبها العقاب على عملها ثم لو تكونوا أنتم ناقصين

لما وافاكم إلا أرواح صالحة فاذا مكر أحد بكم فلا تلوموا إلا ذواتكم . إن الله يسمح بذلك حتى تتروضوا على

الصبر والثبات وتعلموا أن تميزوا الحق من الباطل فإن لم تفعلوا ذلك يكون هذا دليلا على نقصكم واحتياجكم

بعد إلى أمثولات الخبرة

(س) هل الأرواح التي تنشر الضلال تفعل ذلك دائما عن عمد

(ج) كلا . قد يمكن لبعض الأرواح الصالحة أن تكون بعد جاهلة ناقصة العلم . فهذه تقرّ بعجزها

وتتكلم على مقتضى درجة علمها

(س) هل تستطيع الأرواح الشريرة بواسطة الرسائل الروحانية أن تلقى الشقاق وتزرع الفتن بين الأصحاب
(ج) نعم فلهذا يقتضى التحرز التام من مقالات موبقة كهذه يكون أكثرها إفكا وخداعا . فإياكم
والانقياد لرسائل كهذه لا يسطرها إلا روح كل كاذب شرير

(س) اذا كان للأرواح الشريرة سهولة كهذه للتدخل فى المخبرات الروحانية فاستطلاع الحقيقة أصبح
من أعسر الامور

(ج) كلا . ليس هذا يعسر مادام فيكم قوّة التمييز . اذا قرأتم كتابا تستدلون على صفات كاذبة ان كان
عالما أوجاهلا أديبا أوجلفا . فعلى هذه الصورة استوضحوا صدق الروح من رسائله

(س) هل تستطيع الأرواح العلوية أن تنهى شريرة عن الخداع
(ج) لا ريب فى ذلك . ومن الوسطاء من تميل اليهم الأرواح العلوية بنوع خاص فتقيهم شر الخداع
ولاندع الأرواح السفلية تسطو عليهم
(س) ما الداعى لهذا الاختصاص

(ج) لا يدعى هذا اختصاصا بل عدلا لأن الأرواح العلوية لا تميل إلا الى من ينقاد لنصيحها ويبذل
جهده فى اصلاح نفسه وترقية الروح . فوسيط صالح كهذا يكون محببا اليها فتتخذة تحت كلائتها وتسعفه فى
كل ظرف وحاجة

(س) لم يسمح الله بنفاق الأرواح الشريرة عند انتحائها أسماء مبهجة
(ج) سؤالكم أشبه بقول من يسأل . لم يسمح الله بأن يكذب الانسان فلا أرواح كما للبشر الاختيار
المعتوق فى عمل الخير أو الشر ولكن لا يفوت أحدا منهم عدل الله بل كل امرئ يلقى جزاء أعماله
(س) ألا تستطيع الأرواح الماكرة أن تقلد الفكر

(ج) تقلد الفكر كما أن زخارف المرسح تقلد الطبيعة
(س) من الناس من هم قاصرو الفهم تغوهم زخارف الحديث ولا يفقهون قوّة المعانى فكيف يمكن
هؤلاء من الحكم بمقالات الأرواح

(ج) ان كانوا متواضعين يقرّوا بهجزهم ويركنوا الى من هم أوفر ذكاء وفطنة منهم . وان أعجمتهم
الكبرياء وظنوا بأنفسهم أنهم أشد كفاءة مما هم فليستحموا تبعه كبريائهم
(س) كثير من الوسطاء يميزون الأرواح الصالحة من الشريرة بالتأثير اللطيف أو المزعج الذى يصيبهم
من مخالطتها . فهل هذا صحيح

(ج) ان الوسيط يشعر بتأثيرات الروح المتجلى له على أية حالة كان فالروح السعيد يكون هادئا رزينا
والتعس يكون مضطربا متقلقا وتأثيرات هذه الحالة تصيب جهاز الوسيط العصبي

(س) هل يمكن للانسان أن يحضر الأرواح من دون أن يكون وسيطا

(ج) نعم وهذا يدعى الاحضار الفسكرى ففيه ينجى الروح باطنا محضره ولئن لم يكن هذا وسيطا ماديا

(س) هل يلبي الروح دائما دعوة محضره

(ج) هذا منوط بالظروف التى يكون الروح عليها

(س) أية موانع تصد الروح عن تلبية دعوتها

(ج) أولها ارادته الحرّة ثم أحوال أخرى بعد الموت أو الأعمال التى يكون موكل بها أو أخيرا عدم ايدانه

فى تلبية محضره إذ كان من الأرواح من لا يستطيع مناجاتكم بتاتا وهى التى فى عوالم أقل من عالمكم الأرضى
لأن الروح لا يستطيع أن يخبر سكان عالم مالم يكن درجة تقدّمه موازيا للعالم المدعو اليه والا فيكون غريبا

عن أفكاره ومبادئه وإن كان هو روحا متقدما أرسل الى العالم السفلى تكفيرا عن ذنوبه أول رسالة يقدم بها فلا يجوز حينئذ من الحضور لمناجاتكم إن أذن له في ذلك

(س) لماذا ينكر عليه أحيانا الأذن

(ج) قصاصا له أولمن يحضره

(س) كيف يمكن للأرواح المتشعبة في الفلا والعوالم القاصية أن تسمع صراخ مستدعيها وتلبي دعوته

(ج) شرح ذلك عسر طالما أنكم تحبسون كيفية تجاذب الأفكار بين الأرواح ولكن أقول إن الروح

المحضر على أي بعد كان تصيبه صدمة الفكر كحركة كهربائية تجذب انتباهه الى نقطة مصدرها بنوع أنه يسمع

الفكر على نوع القول كما تسمعون الصوت على وجه الأرض

(س) هل السيل العام يحمل الفكر كما أن الهواء ينقل الصوت

(ج) نعم إنما الفرق أن الصوت لا يسمع إلا بدائرة محدودة في حين أن الفكر ينتقل الى بعد غير محدود

(س) أيلبي الروح الدعوة باختياره أم قسرا عنه

(ج) له الحرية المطلقة في تلبية الدعوة أو إياها إلا أن الروح العاوي يستطيع في بعض الظروف أن يجبر

روحا سفليا على الحضور إن كان حضوره مفيدا

(س) هل من ضرر في احضار الأرواح السفلية وهل يخشى على الوسيط شرها

(ج) لا تجسر الأرواح الشريرة على إلحاق الأذى بمن يكون تحت حماية عاوية لا بل تهاب الوسيط

الفاضل لما له عليها من السلطة الأدبية إنما خير للوسيط أن يتجنب استحضارها في العزلة

(س) ماهي أخص الشروط لاحضار الأرواح الصالحة

(ج) التهييب واختلاء الباطن وصفاء النية والصلاة الحارة

(س) هل اجتماع الأشخاص في وحدة الفكر والنية تزيد الاحضار قوة

(ج) نعم ولا شيء يضر بالاستحضار مثل تباين الأفكار وتضاد النوايا

(س) هل تحسن إقامة الجلسات الروحانية في أيام وساعات معينة

(ج) نعم لأن للأرواح أشغالا لا يمكنها من الحضور اليكم متى وكيفما شئتم

(س) هل للأيقونات والطلاسم تأثير في جذب الأرواح أو طردها

(ج) ألا تعلمون أن المادة لا تأثير لها على الروح وأن الطلاسم لا وجود لقوة بها إلا في مخيلة الأنام السذج

(س) أتسر الأرواح بالاستحضار أم لا

(ج) هذا منوط بطباعها وبدواعي استحضارها فإن كانت الغاية حميدة والحضور من أحبائها تتقاطر اليهم

بسرور والا أت الحضور أو تحضر كرها عنها وتدل أجوبتها على كدرها وغيظها

(س) هل يمكن استحضار أرواح جنة معا

(ج) نعم بشرط أن يكون لديكم جملة وسطاء والا فروح واحد يجيب عن الجميع على يد الوسيط الحاضر

(س) هل يستطيع الروح أن يحضر عدة مجالس يستدعي اليها في آن واحد

(ج) نعم بشرط أن يكون روحا عاويا

(س) كيف يتم ذلك . هل يتجزأ الروح

(ج) إن الشمس واحدة وتير مع هذا أما كن عديدة معا . فكما تعالى الروح وتنقي ازدادات أشعة

فكره قوة وامتدادا . أما الروح السفلى فلا يستطيع لتغلب المادة عليه أن يحضر إلا مكانا واحدا ولا أن يكتب

إلا وسيطا واحدا

(س) هل يمكن استحضار الأرواح النقية أى التى بلغت الغاية القصوى
(ج) قد يمكن ذلك وهذا نادر جداً فان أرواحا كهذه لاتنابحى إلا قلوبا نقية مخلصة لا تشوبها الكبرياء
وحب الذات

(س) مامقدار الزمن الذى يكفى لاستحضار الروح بعد موته
(ج) قد يمكن استحضاره حتى وقت الموت ولكن أجوابته تكون ناقصة لاستيلاء الاضطراب بعد عليه
(س) هل استحضار الروح المتجسد ممنوع على الاطلاق
(ج) كلا . فقد يمكن استحضاره بشرط أن حاله الجسدية تسمح له بذلك . وكلما كان العالم أرقى قلت
المادة من الجسد وازداد الروح سهولة فى مزايته

(س) هل يمكن استحضار روح الحى
(ج) نعم بشرط أن يكون نائما أو تكون روحه وقتئذ منطلقة قليلا من قيود جسدها ومربطة به برابط
سيال به يميز الوسيط الناظر روح الحى من روح الميت

(س) هل روح الحى المستحضر وقت الرقاد يجيب سائله بسهولة كروح الميت
(ج) كلا . لأن المادة المقيد بها تفعل دائما فيه وتعيق حريته
(س) هل يتذكر الانسان عند اليقظة استحضاره وقت الرقاد
(ج) كلا فان حالته أشبه بالنائم المغناطيسى الذى ينسى عند اليقظة كل ما قاله وعمله وقت التنويم
(س) هل يمكن تغيير أفكار الحى عند اليقظة باستحضار روحه واقناعه عند الرقاد
(ج) قلما يصح ذلك لأن الانسان ينسى وقت اليقظة التأثيرات الأدبية التى أصابت روحه والمقاصد
الصالحة التى اتخذها وقت الرقاد

(س) هل لروح الحى حرية فى قول واخفاء ما يشاء
(ج) لا ريب فى ذلك . لا بل يكون أشد تحفظا منه وقت اليقظة واذا ألحوا عليه فى السؤال ينصرف
(س) ألا يمكن لروح آخر أن يضطر روح الحى الى الحضور والتكلم بما لا يريد
(ج) ليس من سلطة بين الأرواح أحياء كانوا أم أمواتا إلا السلطة الأدبية فن له سلطة كهذه فليس
ينبغى أن يستخدمها فى سبيل أغراض ساقطة تنزه عنها

(س) هل يمكن استحضار روح الجنين وهو بعد فى أحشاء أمه
(ج) كلا لأنه يكون وقتئذ فى حالة اضطراب تام
(س) هل يتأتى ضرر من استحضار روح الحى
(ج) لا يخلو ذلك من بعض الضرر خصوصا اذا كان الحى مريضا فان احضاره يزيد فى أوجاعه . وعليه
لا ينبغى احضار روح الولد الصغير ولا الشيخ الضعيف ولا الانسان العليل فان الاستحضار مضر بهم
(س) ان كان استحضار روح الحى لا يخلو من بعض الضرر فن أين نعلم أن الروح الذى نطلبه ميتا
ونستحضره لا يكون قد صار بعد الموت فى حال حياة يضره فيها الاستحضار

(ج) ان روحا كهذا لا يلجى الاستحضار فلهذا قلت لكم انه لا يستحضر الوسيط روحا مالم يسأل قبلا
الروح مرشده أكان استحضاره ممكنا أم لا

(س) أليس محتملا فى الوساطة الخطية أو الاستيلائية أن تكون المقالات صادرة من روح الوسيط ذاته
(ج) قد يمكن لروح الوسيط ان كانت منطلقة بعض الانطلاق أن تستخدم كالروح الأجنبى جسدها ذاته
للكتابه وليس هذا بحجب طالما روح الحى يستطيع رغما من تجسده أن يستخدم جسده وسيط للكتابة أو التكلم

(س) ألا ثبت مبدأ كهذا رأى القائلين بأن المقالات الروحانية انها من شخصية الوسيط التي لم تتنبه وليس للأرواح دخل فيها

(ج) قد يصح هذا الرأي في بعض الظروف ولكنه لا يشمل المقالات الروحانية كلها . اذا كان في استطاعة الوسيط أن يستخدم جسده للكتابة أو التكلم لا يدل هذا على امتناع استخدام الروح الأجنبي له في سبيل ذلك

(س) فن أين نعلم أن المتكلم أو الكاتب روح الوسيط أم روحاً آخر أجنبياً
(ج) تستطيعون تمييز ذلك من خوى المقالة ولهجة الحديث وظروف أخرى لا تخفى على الناقد البصير فان من الأجوبة ما يتعذر اعزاؤها الى روح الوسيط فعلى الخبير أن يتبصر ويدرس

ولما أتممت هذا المقال من كتاب ﴿ المذهب الروحاني ﴾ قلت يا شير محمد اعلم أن في هذا الحديث من المعاني الحبيبة الدينية ما فيه عبرة لمن اعتبر وذكرى لمن اذكر . ألم تر الى قول الروح ﴿ إن الرذائل على اختلاف أنواعها تحيط بالروح بعد موته فتلتصق به ﴾ ثم قالت ﴿ هؤلاء العلماء الفاسقون أشد خطراً من الأرواح الشريرة لأن الكبرياء والنباهة اجتمعت فيهم ﴾ أما احاطة الأخلاق بالأرواح أو التصاقها بها فقد تقدم الكلام عليها . وأما اجتماع الكبرياء والنباهة في العلماء الفسقة وانهم شر من الأرواح الشريرة فذلك ورد في قوله تعالى - واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فنتله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث - . ذاك أن عالماً من بني اسرائيل كان محجاً الدعوة يسمى (بلعام بن باعوراء) تقدم اليه قومه واستعانوا بزوجه الجيلة وأهدوا لها حلياً ومالاً وسألوه أن يدعو الله على سيدنا موسى فاندلع لسانه وانقلب الدعاء على قومه وطرد من رحمة الله فأخذ يحتال بحيل دنيوية ويوقع الفتن في جيش النبي موسى صلى الله عليه وعلى نبينا وسلم

فلماذا قال تعالى واتل يا محمد على قومك نبأ هذا الرجل الذي آتيناه آياتنا الخ ثم قال فاقصص القصص يا محمد على قومك لعلهم يتفكرون فما صار اليه ذلك الرجل الذي أضله الله على علم . وقومك ضلوا بعد إذ أرسلتك اليهم . فكذا ههنا في عالم الأرواح يكون العالم منها داعياً لسبيله مضلاً لمن أطاعه موسوساً بما عنده من العلم فصار من الشياطين بما أوتي من العلم الذي صرفه في سبيل الشر . ولذلك قال الله تعالى - أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون - * وفي مقال العلماء

وعالم بعلمه لن يعمل * معذب من قبل عباد الوثن

أما قول الروح ﴿ ثم هل تظنون أنه ليس من الأرواح العالوية القادرة على تعليمكم إلا من عرفتم منها على الأرض الخ ﴾ فهذا هو المنطبق تمام الانطباق على ديننا القويم فان كل ما ورد في القرآن من الملائكة والشياطين يشير الى عالم ليس في الأرض فان جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل والروح الأمين وروح القدس والملائكة الكروبيين وملك اليمين وملك الشمال والكرام الكاتبين وأمثالها مما جاءت به السنة ونطق به القرآن لم يقل أحد انهم كانوا أرواحاً أرضية بل قالوا انهم خلق من خلق الله تعالى خلقهم بلا أجسام . فهكذا يقول الروح هنا ﴿ انكم اذا لم تؤمنوا بعوالم روحية غير الأرواح التي خرجت من الأرض فأنتم كالميتوحشين الذين لم يخرجوا قط من جزرهم فظنوا المسكونة لا تمتد خارجاً عنها ﴾ قال تعالى - وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكري للبشر - وقال تعالى - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً -

وأما قول الروح إن الأرواح السفلية تكذب وتغش وتشر الضلال وتستعاقب على ذلك جزاء كذبها على

الأرواح العالوية وتكلمها بلسانها وقد جعلها الله محنة لكم لتميزوا الخبيث من الطيب . فهذا القول جميل
وبديع مصداقا لقوله تعالى - لتبْلُونَ في أموالكم وأنفسكم ولتسمعنَ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم
ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور - وقوله تعالى - ونبلوكم بالشهر
والخير فتنة والينا ترجعون - وقال تعالى - تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير * الذي خلق
الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور -

قد تبين لي بالاختبار أن الحياة على هذه الأرض وغيرها هي إلا فتنة ونظروا اختبار وكأنها مسألة حسابية
وعالوم رياضية . نعيش وننظر في العلوم ونعاشر الناس ونرى أي الأمور أليق مثلا المال والصحة والعلم والحكم
بين الناس . فكل من جعل المال للذاته وشهواته سجد الناس فضله وذم الله سعيه . ومن حرم نفسه وقتر
عليها ثم تجاوز عن ماله وفرقه على الناس لامه العلماء وذمه الفضلاء إذا أصبح فقيرا معدما يسأل الناس فعليه
أن ينظر بعقله فيما يجب له وللناس . وهكذا أمر الصحة والعلم والعقل وسائر المواهب إن عطّلها عاقبه الله
وغضب عليه الناس . وإن أسرف حتى أضرب بها كان كذلك . وإن حفظها ونفع بها الناس كان مشكورا
من الله والناس . وهكذا ما يتلى به الإنسان من البليات وما يصاب به من المحن والرزايا وما يحيط به من الأهوال
ونوائب الحداث فحكمها حكم ما ذكر من النعم فإن عرف ما يراد به وعقل نتائج تلك المصائب ازداد بصيرة
وعلمها والا كان جهولا . ألا وإن المصائب لأهل الأرض تبصرة وذكري بل كل ما احتجنا إليه وكلفنا أعمالا
فانه لا محالة مرق لعقولنا . ألا ترى إلى الصنائع وبناء السفن وتربية الرجال المدرّبين على الحرب والضرب
ثم هم يرمون جميعا في البحر أيام الحروب . وترى مثلا قدماء المصريين قد أفرغوا وطابهم ونثروا آخر سهم
من كسائهم فبنوا مصانع ظاهرة وهكذا سائر الناس جدّوا في التزويق والتزيين والبناء منها ما قدّمنا مما يصنع
ويرمى في البحر فيغرق . ومنها ما يدفن تحت الأرض ولا بد لهذا كله من مقصد ونتيجة . وما النتيجة
والفائدة إلا ارتقاء عزائم هذا النوع الانساني ورقيه وإكمال القوى والعزائم والبصائر لتلك الأنفس الراحلة لترجع
إلى العالم الذي ترسل إليه قوية ذات بصيرة . وقس على ذلك سائر مصائبها ونوائبها فانها جاءت تبصرة وذكري
حتى تقوى قلوبها وتشتد عزائمها وتزداد تجاربها . انتهى

﴿ جوهره في قوله تعالى - فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم - ﴾

(قد أخرج لطول الكلام عليها)

اعلم أن مسألة أحزاب النصارى ومسألة التثليث وما أشبه ذلك قد تقدّمت بإيضاح في كل مقام بحسبه في
سورة (البقرة) عند قوله تعالى - فلا تبعوا لله أندادا - وفي سورة (آل عمران) في أوائلها وفي سورة
(النساء) في أواخرها وفي سورة (المائدة) في آخرها أيضا وفي سورة (التوبة) عند قوله تعالى - اتخذوا
أحبارهم ورهبانهم - الخ وفي هذه السورة . فاذا قرأت ذلك كله وجدته محيطا بالموضوع ولكن لا بد لنا هنا
من ذكر نبذة صالحة ربما تقدّم بعضها مفرقا فنقول

جاء في كتاب ﴿ المذهب الروحاني ﴾ أن المستشرقين كشفوا قسما كبيرا من تاريخ مصر القديمة بواسطة
الرسوم (الهيروغليفية) المنقوشة على الأحجار وأوراق البردى التي وجدت في داخل اللحد واطلعوا على التعليم
الذي فيه أن هناك ﴿ ثلاثة ﴾ وهم (آمون) أي الأب و (كوتس) أي الابن أو الكلمة ثم (موت) أي
الأم . قال وذلك رمز إلى الروح والقوة والمادة . وهذا التثليث منقول عن أهل الهند أي البراهمة وكانوا
يمثلون المادة بهيئة شيخ هرم والقوة أو الحياة بشاب ماسك صليبا والروح بهيئة (عنخ) أي صقر . ثم قال ومن
ذا بعد هذا يقول إن اخواننا النصارى لم يأخذوا ثلوثهم وصورة ثلوثهم عن الأقدمين . ثم أتى أحيلك هنا
على ما تقدّم في سورة (إبراهيم) تحت عنوان ﴿ جوهره في أديان القدماء ﴾ وعنوان ﴿ التثنية الثالث . كيف

يدخل الضلال على أرباب الديانات . فلانعيده هنا فانك تجد تثلثا جهرًا وتوحيدًا سرا وايضا تاما لذلك وذلك عند المصريين وأهم الهند القدماء . فلنوضح في هذا المقام شرح اختلاف الأحزاب من بينهم لقد كانت كنائس النصارى في القرن الرابع مقسمة الى (خريين * أحدهما) يقول المسيح إله والآخر ينكر ذلك وفي سنة ٣١٢ م قال (اريوس) ان للأب وللابن جوهرين متميزين والثاني خليفة الأول ومعنى هذا أنه ليس باله . ويقول علماء عصره انه أى (اريوس) ذو علم واسع وفضيلة وكال خلق وفصاحة جذابة فاتبعه كثير من علماء النصارى . هنالك اتقدت نار الحق في قلب اسكندر أسقف الاسكندرية فجمع حوله بعض العلماء وألف منهم مجمعا كفروا فيه (اريوس) بسبب تعاليمه فقام عالم اسمه (أوسابيوس) أسقف (نيقوميديا) وألف مجمعا انتصر فيه الى (اريوس) وكفروا غيره . هنالك انصرم حبل الامن واختل نظام الأمة وأصبحت في قلق واضطراب شديد وذلك على مسألة ليست من دينهم وانما هي مقتبسة من المصريين ومن الهنود فلم يسمع الملك قسطنطين إلا أن يكتب الى اسكندر والى (اريوس) بما يأتي

(انما تتخاصمون في أمور لا تدركونها ولا يمكن أن تدركوها وتجعلون الحرب بين الاخوة الكلمات ملغاة لا عمل لها فان كنتم لا تتفق آراءكم في المسألة الباطلة الجنونية المسببة للخصام بينكم فعلى الأقل احفظوا هذه الامور الضئيلة لكم ولا تقلقوا بها الشعب) وأرسالها لهما على يد (أوزيوس) وهو أسقف وقد أضاف ما يأتي (ما كادت النصرانية تتمتع بالسلام حتى أخذتم تقلقونها بنزاع دائم . ليس منكم من يستطيع أن يتحقق أكان المسيح مخلوقا أم مولودا . فلو كان هذه المسألة أهمية ما أغفل المسيح التكلم عنها) انتهى فلم يفد ذلك كله وبقى القوم في صراعهم وجدالهم . واتهم قوم الملك بأنه ينصر الاريسيين فأمر الملك بجمع فيه أساقفة العالم وذلك في (نيقية) سنة ٣٢٥ م

وقال الأسقف (ساينوس) الذي كتب أعمال المجمع النيقاوى (إن أكثر آباء هذا المجمع كانوا على غاية من السذاجة والخشونة والجهل)

وقال المؤرخان (سقراط) و (موزومينوس) (إن كثيرا من الآباء تناسوا غاية انتدابهم للمجمع وأخذوا يتشاجرون ويتشائمون لمسائل شخصية بحدّة ووقاحة وكل يذكر للآخر مساوئ أخيه فقال (الاريسيون) ان يسوع أبدع من العدم ومضى له زمان لم يوجد فيه والآخرون يقولون كلا انه هو الابن الوحيد في طبيعته وهو عقل الأب وقدرته وحكمته وضياء مجده) فسلم الاريسيون بهذا التحديد فلما سمعوا ذلك قالوا للأريسيين (إنه مساو للأب) بالجواهر فلم يرضوا به فنفاهم (قسطنطين) واسكن بعد ذلك بقليل عاد (اريوس) وأساقفته من المنفى ودخلوا الاسكندرية فحينئذ انتصر الفريق المنكر لمساواة المسيح لأبيه بل تعدى الأمر هؤلاء الى الذين يقولون بالوهية المسيح ومساواته للأب في المجمع النيقاوى والذين وافقوا في ألوهية المسيح في المجمع النيقاوى كرها رجعوا ونادوا ببطلان المساواة في الجوهر فأقام لهم قسطنطين مجمعا في (انطاكية) وهذا المجمع نصر مذهب (اريوس) وأبطل رأى خصومه الذين يسمون (مستقيمي الرأي . أرثودكس) . فهؤلاء الاورثودكس لعنوا المجمع الانطاكي كما لعن الاريسيون المجمع النيقاوى واشتعلت نار العداوات والبغضاء بين الفريقين ومات (اريوس) فجأة ففرح الارثودكس لزعمهم أن ذلك بسبب دعاء (مكار يوس) وهو منهم ثم توفي قسطنطين سنة ٣٣٧ م بعد أن قسم الملك بين بنيه وكان (ماراتناسيوس) عدو الاريسيين المؤمن بالوهية المسيح مقبلا في المنفى فطلب من الملكين (قسطنس) و (قسطنط) أن يؤلفا مجمعا آخر يحكم بين الجمعيتين النيقاوى والانطاكي فالأساقفة الشرقيون حذفوا لفظ (مساو للجوهر) والغريغوريون أثبتوا قانون المجمع النيقاوى وحرّموا الاريسيين . ولما لم يتم شئ رأى البابا (ليباريوس) باذن الملك أن يجمع مجمعا رابعا في مدينة (ميلان) فأظهر العناد الأساقفة الغربيون ومن جملتهم البابا فنفاهم الملك ثم عقد مجمع خامس وحصل جدال حاد

أربعة أشهر فأمر الملك (قسطنس) العسكر أن لا يدعوا أسقفا يبارح المدينة حتى يعلن إلغاء المساواة بالجواهر هناك صارت النصرانية كلها على مذهب (أريوس) طوعا أو كرها لا على مذهب الأرثوذكس ولما مات هذا الملك نشطت الوهية المسيح ثانيا ومساواته لله بالجواهر فأمر الملك (تيودوسيوس) حسبا للنزاع أن يتبع النصارى عموما مذهب البابا (داماسيوس) وهو يقول بالوهية المسيح لأنه يريد محاربة البرابرة ومقتضى هذا حرمان الأريوسيين ولكن لكثرتهم تركهم أحرارا في مناصبهم فاحتال القديس (امفياوك) إذ دخل يوما على الملك وعنده ولى العهد (أركاديوس) ابن (تيودوسيوس) الملك فلم يؤدّ واجب الاحترام لولى العهد كالمالك فنبهه لذلك فلاطفه ولكن لم يحترمه كالمالك وقال للملك كفى هذه الملاطفة وأما الاحترام السكى فهو للملك فغضب عليه وطرده فقال وهو منطلق ﴿مولاي أنت لا تطيق إهانة لاحقة بابنك وتغضب على من لا يؤدّي له الاحترام فكيف لا يمتك إله السموات والأرض من يكذب على ابنه الوحيد ولا يؤدّي له السجود ذاته الواجب للعزة الالهية﴾ فاتعظ الملك وشتت شمل (الأريوسيين) ونزع الحقوق المدنية من كل من لم يسلم بالقانون النيقاوى . فهذه حيلة (امفياوك) أثبتت ما عجزت عنه تلك المجمع فبفضله تأسست عقيدة الوهية المسيح وأيدتها السلطات كرها

هذه هي عقيدة التثليث عند النصارى التى أخذوها عن قدماء المصريين وعن الهنود . فتثليث الهنود (براهما . وفيشنو . وسيفا) وتثليث الفرس (ارمزد . واهريمان . وميطرا) وتثليث المصريين (أوزيريس . وإيزيس . وهوروس) ومثل هؤلاء الكلدانيون والصينيون والفيشاغوريون . فهؤلاء كلهم عندهم تثليث ولكن تثليثهم يرمى لغرض علمي . أما تثليث النصارى فهو تقليد أعمى بلا علم ولا هدى ولا كتاب منير يقول النصارى ان الابن موجود من الأب والروح القدس منبثق من كليهما والأب عندهم بصورة شيخ هرم حاف لفعه الشيب عابس الوجه غضوب والابن كشاب وديع يقدم نفسه ضحية لأبيه والروح القدس حمامة بيضاء مستقرة على كل منهما والروم الأرثوذكس يخالفون في قضية الانبثاق ويقولون لابد من التسليم الأعمى فهو ابن لكنه غير منبثق بل هو كالأب تماما . فهنا عزلوا العقل . وقد يشبهون الثالوث بالشمس ونورها وحرارتها . ومن العجب أن النار والحرارة طبعهما غير طبع الشمس . ويشبهونه أيضا بالمثلث وأضلاعه مع ان الأضلاع كل منها مستقل بنفسه . وقد يقولون هذه كالنفس البشرية وقوة فكرها وقوة حبها فالنفس تلد الفكر وتحبه . هكذا يلد الأب الابن ويحبه فالنفس صورة الأب والفكر صورة الابن والحب المتبادل بينهما صورة روح القدس وينقض هذا أن الحب أو الفكر ليس اقنوما متميزا في النفس بل يقال النفس وقواها متعددة وهى كثيرة (فكر وحب وخيال وتصوّر وإرادة واحساس) أى أوصاف كثيرة . هذا كله من كتاب ﴿المذهب الروحاني﴾ الذى ختم المقام بقوله ﴿لا جرم انه لو تصوّر المسيحي قليلا بخلاف الغرض في سرّ التثليث لنجس من تسليمه بضلال مبين كهذا﴾

﴿كيف ضلّ هذا الانسان وغوى وهل للتثليث أصل﴾

هل لك أيها الذكى أن تقف على سرّ التثليث الآن لئلا تخرج من هذا المقام بلا علم . فهل كان هذا الانسان كله غيبا جاهلا وهل كانت هذه الأمم التى قامت بالعلم والحكمة أغبياء . اللهم لا ثم لا . ان الله هو الذى خلقهم وأن الله هو الذى علم الطيور والأنعام والحشرات . فهل يفعل هذا كله ثم يحكم على الانسان وحده بالضلال التام . فلتعلم أن الحقائق حاصلة عند كل أمة غاية الأمر انها تخطأ بأوهام كما ان الأغذية التى يأكلها الحيوان مشوبة بأشياء غير مغذية فليس كل الحشيش غذاء . فليس الحشيش والكلأ فيهما من المادّة الغذائية مافى الفول والقمح . كلا . فكما اختلطت موادّ بالأغذية اختلطت أوهام بالحقائق لأن ذلك طبيعة أرضنا . أصل هذه المسألة أن الأمم القديمة نظروا في هذا الوجود كله نظرة فقالوا هناك كائن أسمى يدير هذا العالم فهو

كأرواحنا وهذا المدبر الأسمى هو الذى اتصف بالقدرة والعلم خلق ما هو أقرب اليه وهى القوة التى تسمى بلسان الشرع ملائكة فالقوة فى الانسان تشمل الحس والحركة . هكذا القوة فى العالم هى العقول والنفوس وبهما يكون نظام هذا العالم وتديره باحكام ولما وجدت هذه القوة بقسميها القوة العاقلة والقوة العاملة نتج منها أمر ثالث وهى المادة . فهنا إله وقوة ومادة . وههنا يصح الخلق . لجميع المخلوقات لا تتم إلا باله وقوة ومادة والقوة المدبرة لهذا العالم قوة الله والعالم حاصل منه تعالى

فانظر فى مثال المصريين . جعل الأب صقرا وهو (عنخ) ولا جرم أن الروح كالطائر فهى حرة وجعل الابن شابا قويا . ولا جرم أن حركة هذا العالم لا تكون إلا بقوة وجعل المادة شيئا هراما وهذا حق . ولا جرم أن الانسان أيضا من روح وجسم مادى وقوة فى الجسم فتارة نقول هذا انسان أى لهذه الثلاثة وتارة ننظر للحقيقة فنقول الانسان هو الروح والبقية تبعها . فالأمر السابقة جميعا يقولون بانثاق الثانى من الأول وانثاق الثالث منهما . إذن الإله الأول لا غير وكون كل من الثلاثة إلهها هذا أمر مجازى جرى على ألسنتهم باعتبار أن الخلق لا يتم فى هذا العالم المحسوس إلا باجتماع الثلاثة التى ترجع لواحد فى الحقيقة

هذا هو كلام هذه الأمم كلها . ولقد رأيت فى الفتوحات المكية لابن عربى فى مواضع كثيرة ما يفيد أن الإله له (إطلاقان) إطلاق يشمل ما هو أعم وإطلاق للواحد الأحد . فهذا مجمل كلامه . ولله رجه الله أراد أن الإطلاق العام إطلاق الأمم القديمة وبهذا اتضح المقام . فهذا التثليث هو المراد عند تلك الأمم فهو تثليث يراد به معرفة أصل العالم وأصل الخلق مع الإقرار لله بالوحدانية ولكن الأمم غيروا ونقلوه من المعنى الفلسفى الى ما يعرفه العامة فيعبدون (بودا) و (عيسى) وأمثالهما فأين الثريا وأين الثرى

فانظر لمسألة علمية اعترافا التبدل والتغير وانتقلت من الفلسفة الى آراء العامة الذين لا يعرفون إلا من يعظمون من الناس فجاء الاسلام وقضى على هذه العقيدة ونظر الى نفس موجد الخلق فأزال هذه الخرافات ثم إن القوة المذكورة فى اصطلاح علماء زماننا تسمى الأثير فالأثير عالم لا نعرفه إلا بأثاره أو يقال هى قائمة بالأثير . فتري الأثير فيه النور والكهرباء والحرارة والمغناطيس والمادة . كل هذه منبعها عالم الأثير والمادة ماهى إلا حركات فى الأثير ظهرت لحواسنا بهيئة خاصة فسميناها مادة . وقد قال علماء الفلسفة القديمة قولا يشبه هذا فقالوا ان وجودها ضعيف أى دليله ضعيف . انتهى تحقيق المقام ليلة الثلاثاء الثالث من شهر يوليو سنة ١٩٢٨ م وبه تم تفسير سورة مريم

﴿ سورة طه مكية وهي مائة وأربع وثلاثون آية ﴾

وسياتى في الفصل الثالث من المقصد الثاني مناسبتها لما قبلها من السور وهي ﴿ ثلاثة مقاصد ﴾
 ﴿ المقصد الأول والثاني ﴾ في مقدمة السورة وقصة موسى عليه السلام الى قوله تعالى - إنما إلهكم الله
 الذى لا إله إلا هو وسع كل شئ علما
 ﴿ المقصد الثالث ﴾ من قوله - كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق - الى آخر السورة . وفيه
 الحض على الدين الاسلامي وذكر خراب العالم وغير ذلك
 ﴿ المقصد الأول ﴾ من أول السورة الى قوله - الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى -
 ﴿ المقصد الثاني ﴾ من قوله تعالى - وهل أتاك حديث موسى - وهو فصول ﴿ الفصل الأول ﴾ في كلام
 الله لموسى لما رأى النار وما تبع ذلك من ظهور المعجزات الى قوله تعالى - اذهب الى فرعون إنه طغى -
 ﴿ الفصل الثاني ﴾ في تعداد الله لنعمه على موسى عليه السلام وفيه ملخص ما كان من تاريخه قبل ذلك
 وأمره هو وهرون أن يدعوا فرعون الى قوله - والسلام على من اتبع الهدى - ﴿ الفصل الثالث ﴾ في دعوة
 فرعون الى قوله - وذلك جزاء من تركى - وفي هذا الفصل محاورة موسى لفرعون بالقول أولاً ثم العمل ثانيا
 باحضار السحرة له وسحرهم كما سياتى ﴿ الفصل الرابع ﴾ في ارتحال بنى اسرائيل من مصر وغرق فرعون
 واضلال السامري لقوم موسى بالجبل الذهبي الى آخر هذا القسم

(المقصد الأول)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشتكى * إلا تذكرة لمن يخشى * تنزيلاً ممن خلق
 الأرض والسموات العلى * الرحمن على العرش استوى * له ما فى السموات وما فى الأرض
 وما بينهما وما تحت الثرى * وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى * الله لا إله إلا
 هو له الأسماء الحسنى *

﴿ التفسير اللفظى ﴾

روى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال أعطيت السورة التى فيها البقرة من الذكر الأول وأعطيت
 طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيت
 المفصل نافلة ومعنى النافلة الزيادة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(طه) تقدم الكلام على هذه الحروف فى سورة ﴿ آل عمران ﴾ مطوّلاً جامعاً للجانب وأسرار من العلوم
 * ويقال ان - طه - معناه يا انسان بلغه عك وهى قبيلة من قبائل العرب * يقال ان النبي ﷺ لما نزل
 عليه الوحي بمكة كان يجتهد فى العبادة ويتعبد طول الليل فأنزل الله هذه الآية ليخفف عن نفسه فقال
 (ما أنزلنا عليك القرآن لتشتكى) بتأسفك على عدم ايمان قريش وكثرة اجتهادك فى قيام الليل . كلا . فلم
 ننزله لذلك بل قم ونم وصم وأفطر وليس عليك هداهم وإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب . فلماذا هذا

التأسف والشقاء بمعنى التعب * وفي المثل العربي ﴿ أشقى من رائض المهر ﴾ ويقال ﴿ سيد القوم أشقاهم ﴾ أى أتعيبهم وأنصبهم ثم قال (إلا تذكرة لمن يخشى) أى لىكن أنزلناه عظة لمن فى قلبه رقة فينفذه الانذار . نزل (تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى) جمع عليا تأنيث الأعلى (الرحمن على العرش استوى) تقدم الكلام على العرش فى سورة يونس وفى سورة هود مفصلا فان الله يدبر الأمر فى السماوات والأرض وهذا التدبير مبنى على الحقائق الثابتة التى لا مناص منها لحفظ هذا الوجود (له ما فى السماوات وما فى الأرض وما بينهما وما تحت الثرى) أى الطبقة الترابية وهذا دال على عظيم قدرته . ثم أتبعه بالحاطة العلم الذى لا تنفصل الارادة عنه والارادة تتبعها القدرة المذكورة فيما تقدم فقال (وان تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى) أى وان تجهر بدعاء الله وذكره فاعلم انه غنى عن جهرك لأنه يعلم ما أسرته فى نفسك وأخفى منه وهو ما تستسره فيها . ان الدعاء والذكر باللسان انما شرعناهما ليتصور الداعى والذاكر المعنى فى نفسه لا لسمعناصوته ولا لفضل للنطق أو الجهر به إلا لمنع الشواغل الشاغلة لكم فى دعائكم عن حضور المعانى فى عقولكم - فأسروا قولكم أو أجهروا به إنه عليم - المعانى - ذات - أى صاحبة - الصدور - (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) الحسنى تأنيث الأحسن * حسنت أسماء الله لدلالاتها على معان هى أشرف المعانى وأفضلها . انتهى التفسير اللفظى لمقدمة السورة أو أسما وأصلها وهو القسم الأول من الأقسام الثلاثة فيها

انظر أيها الذكى فى هذا القول وتأمل وتجب فى الترتيب الجليل البديع

(١) ابتداء الله السورة بحرفين من الحروف التى تذكر فى أول السور وعددها (١٤) من ثمانية وعشرين حرفا . ولقد أبنا لك فى سورة (آل عمران) أن هذه الحروف من أسرار القرآن العجيبة وبدائع الغريبة وأن عدد (٢٨) المقسم الى قسمين هو عدد منازل القمر وفقرات الظهر للانسان وبعض الحيوان ومفاصل الكفين الى غير ذلك . وهل أخبرك الآن بما جاء فى الاخبار الواردة من جمعية الأئمة وان هناك اقتراحا يقضى أن تجعل الشهور ١٣ بعد ١٢ لاجل صحة الحساب ومصلحة الحساب . فأجاب المهندس المخترع لذلك أن صحة الحساب أن يجعل كل شهر ٢٨ يوما . لماذا . ليسهل الأمر على الناس فيكون أول الشهر يوم السبت وينتهى بالجمعة ويتكرر ذلك ٤ مرات تصير ٢٨ وهذه صورته

سبت	أحد	اثنين	ثلاثاء	اربعاء	خميس	جمعة
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١
٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨

ويكون هذا الجدول ثابتا كل شهر الى الأبد لا تتغير أيامه ولا أعداده . فأوله سبت وآخره جمعة لا تغيير الى الأبد . وبضربنا ١٣ فى ٢٨ يكون العدد ٣٦٤ وذلك ينقص يوما عن السنة فيجعل فى كل سنة يوم واحد لا يسمى باسم من هذه الأسماء المعروفة . وفى رأس كل أربع سنين يترك يوم آخر لأجل السنة الكبيسة لأن السنة (٣٦٥) يوما وربع يوم . هذا هو الحل الذى قدّمه المهندس لعصبة الأمم . وقد أطنبت الأهم فى استحسانه لسهولة حسابه ولم يصل لمصر هذا الاقتراح إلا عند كتابة تفسير هذه السورة . يا عجا كيف اتفق أن منازل القمر وفقرات الانسان ومفاصل الاصابع فى اليدين وأمورا أخرى توافق فى أعدادها الحروف العربية والحروف العربية تجعل قسمين فى أول السور (١٤) ظاهرة و (١٤) خافية . ثم كيف يقترح مقترح (سواء أعمل به أم لم يعمل) قائلا على رؤس الأشهاد فى أهم الشرق والغرب ﴿ أيها الناس . ان عدد (٢٨)

هو الذي يسهل في حساب السنين ﴿

ثم انظر كيف كان الاسبوع أربع مرات هو عين عدد الحروف العربية . وإذا كان مرتين فهو حروف أول السور وعدد الاسبوع عدد أولى لا يقبل القسمة وعدد (٢٨) يقال له العدد التام وقد أوضحنا هذا تمام الايضاح في سورة (آل عمران) والعدد التام نادر جداً في الأعداد وليس في أعداد العشرات عدد تام إلا هو ومما مثل العدد التام في علم الأعداد إلا كمثل الأنبياء والحكماء في الناس . فانظر كيف ترى عدد ٢٨ نال التمام في نفسه وحسن النظام في نتائجه . ثم انظر كيف كان هذا الاقتراح قد جعل السنة ١٣ شهراً وهذا العدد عينه هو الذي حدده القمر لأن القمر في السنة كلها يدور (١٣) دورة لأنه في كل شهر يقطع الفلك دورة وجزءاً من دورة وفي تمام الأشهر يكون تم ١٣ دورة . ثم انظر كيف كان هذا الاقتراح قد جعل في كل أربع سنين يوماً لأجل السنة الكبيسة وعدد ٤ المذكور هو عينه الذي يضرب في ٧ كما تقسم وهو واضح في أوائل السور إذ هي من ٢٨ حرفاً مجزأة ١٤ و ١٤ من قسمة ٢٨ على اثنين . فهذه القسمة تذكرنا بعدد ٤ المضروب في ٧ وعدد ٤ في السنة الكبيسة

وانما ذكرت لك هذا في هذا المقام لترجع الى ما ذكر في أول (آل عمران) وتدرسه . ومن عجب أن تكون أدوار القمر موافقا عددها لعدد الاشهر المذكورة - إن ربى على صراط مستقيم - نقول . ابتداء الله السورة بهذين الحرفين تذكرة بتلك العوالم الجميلة الجليلة الفلكية والطبيعية والانسانية يقول الله - طه - أى أذكركم بهذين الحرفين جميع حروف أول السور التي جعلناها رمزا لعوالم هذه العوالم كلها من تشريح وفلك وحساب الشهور والسنين وغير ذلك . أذكركم بذلك لتكونوا - خير أمة أخرجت للناس - وليس يمكن أن تكونوا - خير أمة أخرجت للناس - إلا أن تكونوا أعلم منهم لأنكم - تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله - أى انكم تجمعون الى قوة الأدب والاخلاق الفاضلة قوة العلم والعلم هو ما أبرزته في هذه العوالم العالوية والسفلية وقد رمزت لها بهذه الحروف . وإن أردتم إلا التصريح فاسمعوا ما أتوا به عليكم بعد ذلك

(٢) ذكر خلق السموات والارض وهما عبارة عن أصول العوالم التي نحن فيها ومبادئها
(٣) وأتبعه بذكرانه استوى على عرش ملكه بالتدبير والنظام الحسن في أربعة أشياء التي هي (أ) مافى السموات (ب) ومافى الارض كالذواب والنبات والحشرات والانهار (ج) وما بينهما كالهواء والطير والسحاب (د) وما تحت الثرى وهى الطبقات الأرضية المذكورة في سورة (الأنعام) وفي غيرها
(٤) ثم قال إياكم أن تظنوا أن هذه جاءت مصادفة . كلا . فاني لا أعمل إلا اذا أردت ولا أريد إلا على مقتضى العلم فالعلم تتبعه الارادة والارادة يتبعها العمل بالقدرة . إن علمى محيط بالعوالم العالوية والسفلية كما هو محيط بسرهم وجهركم . فأنا أعلم السموات والارض وأعلم الامور الاربعية التي فيهما وأعلم جهركم وسركم وما هو أخفى من سرهم . واذا كان الامر كذلك فأنا لا أدع صغيرة ولا كبيرة إلا حسبته ودققت فيها فلم أدر من صغيرة ولا كبيرة . وهاكم ما ذكرته في أول سورة (طه) فانها تدعو لتفكرهم في الحروف وسرها وهذه تدعوكم للنظر في علم الحساب والفلك وفي التشريح وغيرها . فها أنا ذا لم أدر شيأ إلا نظمته . واذا كانت الحروف التي تجرى على ألسنتكم قد اتصل حسابها بحساب الأفلاك والطبيعة والتشريح ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن العالم كله كنفس واحدة ونظام واحد فاني أدل بالأعلى على الأسفل وبالأسفل على الأعلى أيها الذكي . انظر كيف يذكر الجهر بالقول والاسرار به في مقام تعداد مافى السموات ومافى الارض . يذكره مشيراً الى أن القول فيه مناسبة للعوالم كلها . فنظام حروفه كنظام العوالم ومعانى الكلام تنطبق على العوالم . إن هذا الانسان أمره عجيب . مخلوق صغير ولكن عقله كبير . يختصر العوالم كلها فيضعها في عقله

كأنه عالم كبير والحروف التي ينطق بها تكاد تظهر سرّ السنين والحساب - إن ربّي لطيف لما يشاء -
 لقد علمت أيها الفطن أن العوالم التي بين السموات والأرض المذكورة أهمها هذه السلسلة الانسانية
 والحيوانية والنباتية والمعدنية وهي مذكورة في سور كثيرة في القرآن وقد ذكرت في سورة الحجر وكذا في
 سورة النحل صريحتين كما أوضحناه هناك . وهما في هذه تذكّر الآن بطريقة مختصرة فذكرها هنا اجمالاً بقوله
 - وما بينهما - وسيأتي قريباً في هذه السورة في قول فرعون - فبال القرون الأولى - قال موسى - علمها
 عند ربّي في كتاب لا يضلّ ربّي ولا ينسى - ثم أخذ يشرح الأرض وانها مهدت وأن فيها سبلاً وذكر انزال
 الماء من السماء وخروج النبات من الأرض وذكر الأنعام ثم أتبعها بذكر أولي العقول وانهم يحيون ويموتون
 ثم يخرجون وهذه القصة هي قصة العالم والتاريخ الطبيعي الذي يدرسه أهل الشرق والغرب الآن في المدارس
 كلها . اللهم إلا في كثير من بلاد الشرق فان الفرنجة يخافون من رقي المسلمين بهذه العلوم فحذفوها من نظام
 المدارس إلا قليلاً في بلادنا المصرية بحيث ترى أن هذه العلوم قد حذفت ولم يبق منها إلا النزر اليسير بعد
 دخول الانجليز بلادنا . وسيكون ان شاء الله للأمة الاسلامية مستقبل زاهر بهذه العلوم وسنزيد هذا المقام
 بياناً قريباً فانتظره فيشرح صدرك بما تقرأ من نظم به تقرأ نظام هذه الدنيا مختصراً

﴿ جوهرة في قوله تعالى - طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقي - الى قوله - وما تحت الثرى - ﴾
 وفيها ﴿ بهجتان * البهجة الأولى ﴾ في رضى هذين الحرفين (طاء هاء)
 ﴿ البهجة الثانية ﴾ في قوله تعالى - تنزيلاً ممن خلق الأرض - الخ

﴿ البهجة الأولى في - طه - ﴾

تقدّم الكلام على هذه الحروف اجمالاً في أول سورة (آل عمران) فأما الكلام على الطاء والهاء هنا
 فهناك ما فتح الله به على يوم الخميس ٨ ديسمبر سنة ١٩٢٧ ضحى وأنا أقرأ في سورة (طه) . ذلك أن هذه
 السورة جاء أكثرها في قصص موسى عليه السلام وصدرت بمقدمة محصلها يرجع الى أن هذا القرآن نزل تذكرة
 لمن يخشى وأن الذي أنزله هو الذي خلق الأرض والسموات العلى وله جميع السموات وما بينهما وبين الأرض
 والأرض وما تحت الأرض وانه يعلم السرّ وأخفى من السرّ . هذه هي المقدمة . فالمقدمة ترمي الى قراءة دروس
 هذه العوالم وأن القرآن إنما أنزل لذلك فهو منزل لدراسة العوالم التي نراها والتي نعرفها بعقولنا حتى نعرف
 بعض السرّ المذكور . اذا علمت هذا فهمت بيت القصيد من قصة موسى المذكورة بعد ذلك . ان القصص
 إنما يذكر لايضاح المقدمات قبله وللاستشهاد عليها . فانظر الآن الى تلك القصة فانك تجدها قد حوت مسألة
 السحرة وانهم آمنوا بموسى لما عرفوا انه أتى بما لم يأت به السحرة فعرفوا انه من عالم فوق عالم السحرة
 لذلك آمنوا . أما بنو اسرائيل فهم قوم جهلاء فكيف يعقلون أمثال هذا فكان إيمانهم ظاهرياً وقتياً كما
 سيأتي ايضاحه . ثم ان الحديث مع فرعون يرجع الى معرفة الله بما يشبه ما ذكر في المقدمة المذكورة من كونه
 جمل الأرض مهدياً وأنزل الماء من السماء وأخرج به النبات يأكل منه الانسان والحيوان . وهذه هي العلوم
 العامة في السموات والأرض أي العلوم الرياضية ومنها علم الفلك والعلوم الطبيعية وهذه العلوم ونحوها عرف
 السحرة مقام موسى عليه السلام إذن المقصود هو هذه العلوم فيها عرف السحرة فآمنوا وأيقنوا وهي التي
 لأجلها أنزل القرآن . ويقول الله لنبيه محمد ﷺ بعد ذلك كله - وقل رب زدني علماً -

انظر بعد ما قدمته لك فانك تجد هذا كله يرجع الى ﴿ أمرين اثنين ﴾ لثالثهما ﴿ الأول ﴾ ان الله
 خص لكل مخلوق أوصافاً خاصة وأحوالاً ومنافع ﴿ والثاني ﴾ انه هدى الحيوان منه الى ما خلق له وما فيه
 نفعه وهذا قوله تعالى - الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وكقوله تعالى - الذي خلق فسوّى * والذي
 قدر فهدى - وهذه فيها الطاء أولاً والهاء ثانياً في أعطى وهدى فكأنه يقال ان القرآن يراد منه دراسة

سائر العلوم وسائر العلوم هي التي جاءت في محاوره فرعون وموسى كما جاءت في مقدمة السورة ويجمعها كلها اعطى وهدي وهذان يجمعها - طه - . فاذن الطاء والهاء يرمز بهما الى دراسة العلوم الرياضية والطبيعية والفلكية وهكذا كل علم في الدنيا لأنها كلها ترجع الى هذه الجملة

﴿ لماذا نزل هذان الحرفان أي - طه - في أول هذه السورة ﴾

اعلم أن الله علم أن المسلمين سينامون نوما مخزيا عميقا فيكتفون من الدين بقشوره ويظنون أن الصلاة والزكاة وما بعدهما كافيات فتأخذهم الأمم وتذهبهم وتسومهم سوء العذاب فأُنزل هذين الحرفين ليجد المسلمون في البحث عن السر فيجدون انهما رمز لأن يقرأ جميع العلوم . وإذا كان النبي ﷺ يقال له إن القرآن لم يقتصر على انك تكثر الصلاة وتشقى بالتعب والنصب في العبادة بل هو جاء أيضا ليخرج أمما من جهلها ويعلمها فتصلي تبعاً لك وتقرأ العلوم . كل هذه المعاني تؤخذ من - طه - وهناك أيضا (ها) في قوله تعالى - منها خلقناكم - الخ مكررة ثلاث مرات وفي قوله - كلها - كل ذلك جاء بعد قوله - أعطى -

ومن عجب أن يجيء في أسباب النزول انه ﷺ كان يتعب ويشقى بكثرة الرياضة والنهجد والقيام على ساقه فقليل له ما ذكر كأنه يقال ليست العبادة وحدها هي المقصودة بل هناك التذكرة وقد فهمتها فيما قدمناه أن المسلمين اليوم اكتفوا بالعبادة اللفظية فعليهم أن يتذكروا بدراسة العلوم كلها انتهى

﴿ تذكرة ﴾

(نور على نور في نظام القرآن)

سيقول قائل كيف تجعل بيت القصيد هنا قوله تعالى - الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - . أقول ان الذي ظهر لي من القرآن انه يفعل في العقول فعلا خفيا أشبه بما يقصده ﴿ كتاب الأدب ﴾ من جعل النصائح مندججة في قصصهم اندماجا حتى يسحر السامع سحرا لأن المعنى دخل في غضون القصص والحكايات كأنه غير مقصود ليثبت في العقول ثبوتا لا تزعه السنون . وأضرب لك مثلا سورة - اذا الشمس كورت - فيها ١٤ فاصلة جاء في وسطها هذان الفاصلتان - وإذا الموءودة سئلت * بأي ذنب قتلت - فلما نزل القرآن وسمعه العرب سبغوا جملا متناسقة يذكر فيها تسكوير الشمس وانطفاء نور النجوم وتفتت الجبال وهكذا ولاكنه فاجأهم فيها بحكمة وهي مسألة الموءودة فارتاع العرب لذلك وحرم (وأد البنات) الى الآن . فانظر لهذا السحرا الحلال لأجل جملة أدخلت بحكمة في وصف انقضاء العالم . حفظ نصف الانسان من الوأد وذلك لا يكفي فيه دول وأمم وجنود . فبمثل هذا تناس الأمم . وبمثل هذا يكون التأثير . أسأل الله أن يرزقنا السير على هذا المنوال في الارشاد

يا أمة الاسلام . هذا ما حصل من اصلاح الأخلاق ونظام المجتمع بحسن الالتقاء وسحره ونظام الترتيب ونحن الآن لانشد البنات ولكننا أحبين البنات ووأدنا عقولهن وعقول الرجال ففعل الله لنا ما فعله لآبائنا سواء بسواء . إذ جاء بسورة (طه) وذكر قصة موسى ومحاورته لفرعون وفي أثناء ذلك كله بينا المسلم سائر مع القصة اذا به يفاجأ بجملة تحت على العلوم كلها وجعلها من موسى لفرعون لامن محمد ﷺ لأتمته فلم يقل الله لنا تعلموا العلوم التي تدل على هذه المعاني . كلا بل ألقاها بهيئة بهيدة عن الأمر وعن قصد مخاطبة الأمم الحاضرة . فهل أيها المسلمون تفعل في عقولنا أمثال هذه ما فعلته آية الموءودة . أنا أظن ذلك وأنا به من المؤمنين . انتهت البهجة الأولى

﴿ البهجة الثانية في قوله تعالى - تنزيلا من خلق الأرض - الخ ﴾

ههنا ذكر الأرض ﴿ مرتين ﴾ مرة أولا قبل السماء ومرة آخرها بعد السماء . واعلم أن الكتب السماوية لا تقدم كلمة ولا تؤخر كلمة إلا لحكمة والمدار على الفهم والفهم في كل زمان بحسبه وهذا زمان انكشاف بعض

الحقائق . فقوله - تنزيلا - يفيد أن هذه العلوم والمعارف قد كانت في منزلة شريفة وأراد الله أن ينزلها لمنفعة أناس في منزلة أسفل فلذلك ذكر الأرض . فالتنزيل يناسبه المحل الأسفل وهذه الأرض أول سلم لنا . نخرج منها الى عالم السموات ولذلك قال - والسموات العلى - جمع عليا والعليا مؤنث الأعلى كما يقال دنيا ودنا وقربى وقرب . فالعلى جمع لمؤنث أفعل التفضيل . ففي العلى معنى التفصيل أى الأعلى من غيرها . فالله نزل العلم من عالم الجبال والكمال على نبيه لهذه الأرض التى وصف الله لأهلها السموات بأنها ذات علو عظيم ليشوقهم الى الصعود اليها فأنزل اليها العلوم لإلا يرفههم من محل سقوطهم الى أعلى العلا يوما ما فقوله - العلى - كالمقابل لوصف ملحوظ في الأرض يضادّه وهو الانحطاط ولم يبق بعد هذا إلا أن يعبر عن تلك العظمة فأبان أنه ذو رجة واسعة فهو وإن جمع بين الضدين علو وسفل وسما وأرض فليس معنى هذا أنه حرم أهل الأرض من الرقى . كلا . فلذلك قال إنه رحن أى كثير الرجة وإذا استوى كثير الرجة على عرش الملك كانت أعماله كلها موجهة لسعادة أهل مملكته . وكيف يدوم الملك إلا لمن رحته واسعة . وكل ملك في الأرض ليس قائما على الرجة سريع الزوال ولذلك وصف الله المؤمنين بقوله - رجاء بينهم - أى ليدوم ملكهم فالرجة موجهة من بعضهم لبعض ورجة الله موجهة للملك كله . ولذلك لما طغى المسامون وعكفوا على الشهوات والمال وجعلوا فتح البلدان لشهوات أنفسهم أخذ الله منهم ملكهم وشردهم أكثر مما لكهم ولم يبق منها إلا الممالك التى اتصف أهلها بعطف بعضهم على بعض . والدليل على ذلك ما حصل في أيام حرب المسلمين بالأندلس في فرنسا فان القوم لما شغلوا باقتسام الغنائم في إحدى الوقائع تألب عليهم القوم فأجلوهم عن البلاد ولهذا نظائر كثيرة تقدمت في هذا التفسير وسيأتى ايضاح كثير من ذلك في مواضع إن شاء الله تعالى . فالتعبير بلفظ الرجة في أمر الاستواء على العرش يفيد معنى بقاء الملك ولذلك نجد ممالك الحيوان والنبات والانسان لاتزال باقية بسبب الرجة التى بثها الله في الذكور والاناث فيتحاب الصنفان كما قال تعالى - ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم وبينهم مودة ورحمة - فالمودة والرحمة هنا جزئية متنزلة من الرجة العامة المذكورة في قوله تعالى هنا - الرحن على العرش استوى - فانه لولا الرجة المنبثة في قلوب الذكور والاناث من الحيوان تلك الرجة التى تبعث الفريقين على الاقتراب ثم الجمل وهكذا الرجة التى تجعل في قلوب الأمهات لدرتيتها من بيض يحضنه الطير وفرخ يقدم له ما يناسبه وفلو أو عجل أو جرو أو طفل يرضع كل من أمه بما بينهما من المودة والرحمة كما في الحديث ﴿ ان ٩٩ من الرجة باقية للآخرة وفي الأرض رجة واحدة عمت الناس والبهائم بحيث ترفع الفرس حافرها عن ولدها خيفة أن تصيبه ﴾ والحديث تقدم بلفظه في موضع آخر أقول لولا هذه الرجة لم يبق على الأرض حيوان فبقاء هذه الممالك ببقاء الرجة ومن مقتضيات الرجة بين الزوجين دوام المعاشرة وعلى مقدار قصر المودة بينهما يكون النقص في أمر النظام المنزلى كما ينقص ملك الدولة أو يذهب من الوجود بذهاب المودة العامة في الشعب . هذا ما يشير له قوله تعالى هنا - الرحن على العرش استوى - ومن هذه القاعدة أنه ﷺ - بالمؤمنين رؤف رحيم - ولذلك دام ملك المسلمين حين داموا على شريعته فلما انحرفوا ضاع مجدهم لزوال الرجة من قلوب الأصراء وحاول الشهوات محلها كما قال تعالى - خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا -

ولما ذكر العرش والاستواء عليه أخذ يشرح العوالم التى استولى عليها فبدأ بأهمها وهى السموات بخلاف انزال القرآن فانه من عالم أعلى الى عالم أدنى كما تقدم ثم ثنى بالأرض لأنها أدنى منزلة فقام تعداد الممالك غير بيان المكان الذى أنزل القرآن لأهله وقوله - وما بينهما - دخل في ذلك عوالم السحاب والكهرباء وجميع العلم المسمى ﴿ الآثار العلوية ﴾ وهو من علوم الطبيعة قديما وحديثا وقوله - وما تحت الثرى - يشير لعالمين لم يعرفا إلا في زماننا وهما علم طبقات الأرض المتقدم مرارا في هذا التفسير وعلم الآثار المتقدم بعضه في سورة

(يونس) والآتي بعضه في سورة (سبأ) وأن قوله هناك - يعلم مايلج في الأرض ومايخرج منها - يشير الى مظهر في بلاد اليمن التي تشتمل على (سبأ) فلقد ظهرت هناك نقوش ومدائن لم تكن معروفة من قبل .
 وظهر (سد العرم) وسيأتي رسمه . كل ذلك والمسلمون لا علم لهم بذلك مع انه في بلادهم وعلى مقربة منهم .
 فائدة هنا يقول - وما تحت الثرى - ليحرض المسلمين على دراسة علوم المصريين التي تظهر الآن تحت الثرى المذكورين في هذه السورة وأن سحرتهم شهدوا بصدق النبوة الموسومة لأنهم وجدوا علما فوق علمهم وهو علم النبوة . فخير بعلم هؤلاء أن تدرس وتعلم . لهذا كله قال - وما تحت الثرى -
 واعلم أن الأمم الاوروبية اليوم يقرؤون علما يسمى ﴿ علم الآثار المصرية ﴾ فهو فن خاص وقد انتشرت الآثار هناك في زماننا ويسمى (العلم الاجيتولوجي)

﴿ لمحة نورية علوية في ليلة الجمعة ٢٩ يونيو سنة ١٩٢٨ ﴾

استيقظت قبل الفجر فنظرت النجوم في الظلام تتلأأ وحصر في خيالي مامر بك في هذا التفسير من الجبال الرائع والمجد الشاسع والعلم الواسع والشموس التي لاحد لوصفها ولا غاية لعدّها وليس نظرا لانسان يحيط إلا بثلاثة آلاف منها . ومن هذه النجوم شمسا وهي بالنسبة للجوزاء كجزء من ٢٥ ألف جزء كما تقدم في آخر سورة (الكهف) ثم وازنت بين المجد العالي وبين هذه الأرض التي تعد بالنسبة لتلك العوالم كالعدم المحض فهالني الأمر وخطر لي أن نقصان بني آدم وعداوتهم وأنواع المصائب والشقاء المحيطة بهم تبلغ في كثرتها مبلغ عظمة النجوم وسعتها ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن الكوكب كلما كان أصغر كان عن الكمال أبعد وكلما كان أكبر كان أهله الى الكمال أقرب وعلى ذلك يقاس نقصنا نحن بعظمة هذه العوالم . نحن الآن لسنا أهلا لاستيعاب ادراكها فيكون نقصنا على مقدار كمالها ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ يكون الشقاء في الأرض والحرب والضرب بينهم على مقدار قصور قرائنهم المناسب لحقارة كوكبهم عن فهم هذه العوالم . ثم فكرت في هذه المعاني فوجدتها خيالا في خيال لامستند لها ولادليل عليها ثم تذكرت أن ذلك قد تقدم في سورة (آل عمران) في كلام روح الفيلسوف (غاليلي) حين استحضروها فانها أفادت أن العوالم العلوية فيها سكان عندهم نظام وحياة لا يعقلها أهل الأرض وأن النفوس الانسانية ستفسى هذه الأرض حين تخترق السموات العلى وتركب طبقا عن طبق وأبان أن تلك العوالم فيها من النظام ما يبهز العقول . وأشار الى حقارة الأرض وانها ليست شيئا مذكورا . كل ذلك في سورة (آل عمران) وهي طويلة فارجع اليها ان شئت . فن هنا تبين لنا أن ذلك الخيال صادق من حيث سعادة أهل تلك الكواكب ولكن هذا البيان لم يكن إلا من علم الأرواح وهو وان احتاج الى ما يقويه كاف في مثل هذا المقام ويشير لهذه السعادة لسكان السماء قوله هنا - السموات العلى - وسيأتي في هذه السورة - ومن يأت ربه مؤمنا قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى - فذكر العلى في السموات والدرجات العلى في الجنات اشارة الى ما ذكرناه من أن الجنة في السماء وانها محل السعادة وقد تقدم تحقيق هذا المقام في سورة (آل عمران) وبيان انه هل هذه هي الجنة الحسية أو ما يشبه الجنة الحسية وأن الجنة الروحية أرقى من هذه . ومما يناسب هذا المقام ما تقدم عن الموردي (أوليفر لودج) في خطبته المذكورة في سورة (آل عمران) إذ يقول فيها انه موقن أن حولنا عوالم من الأرواح نسبتهم اليها كنسبتنا الى الخلق وهم يهتمون بأمرنا . فهذه الأقوال كلها تفيد معنى - وما أوتيتم من العلم إلا قليلا - وأن شقاء أهل الأرض محقق بسبب جهلهم وغرورهم . لذلك كله ترى الله أبان الطريق لنا هنا ﴿ بأمرين ﴾ أولا أن ندرس العوالم الأرضية من نبات وحيوان الخ ثم العوالم العلوية من فلك ونفس وعقل ثم ندرس علم معرفة الله ثم نعلم الناس ما تعلمناه فأشار للاول بقوله - تنزيلا ممن خلق الأرض - والى الثاني بذكر السموات والى الثالث بالاستواء على العرش والى الرابع بذكر الأرض وما بعدها وهذا الترتيب هو كترتيب ﴿ الاسفار ﴾ للشيرازي فانظره

تبين بهذا كله حقارة الأرض ومعظم أهلها وعظمة السموات وسكانها وسعادتهم . لذلك قال الله في آخر السورة - وقل رب زدني علما - يأمرنا أن نزيد في العلم بالسموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى واذ ذكرت سعادة أهل السموات والجنان وشقاء أهل الأرض وكان هذا القول اجالا حسن أن أفصله بعض التفصيل بأمثلة حتى يستبين ما فكرت فيه وهو أن كثرة الشقاوة لأهل الأرض على مقدار اتساع نطاق الجبال والسعادة والعظمة للسماء وسكانها فأقول

أهل الأرض ﴿ قسمان ﴾ متمدينون ومتوحشون ولكل شقاوة تخصه . أما المتمدينون فأمرهم معلوم لأن قارئ هذا التفسير مطلع عليهم فلندكر إذن بعض المتوحشين منهم لنعرف سكان الكرة التي نحن عليها هل هم مستعدون كلهم أن يكونوا أمة واحدة سعيدة أم هناك عقبات طبيعية تمنع ذلك . جاء في كتاب ﴿ علم الدين ﴾ لاستاذنا المرحوم على باشا مبارك في الجزء الثاني منه ما ملخصه

﴿ ان أهل السودان بأفريقيا يقولون ان الشياطين والملائكة يظهرون بين الناس في صورة الآدميين والبهائم وغير ذلك ولهذا تراههم على جهلهم يعظمون بعض البرق والأنهار والجبال والصخور والغابات والأشجار وبيوت النمل وبعض الأشجار المنفردة عن غيرها وما أشبه ذلك ويحترمونها احتراماً عظيماً كاحترام غيرهم من الأمم لمقامات الأولياء والصالحين . ثم ان مشايخهم يملون لهم تماثم وتعويذات على أشكال هذه الصور بقصد الحفظ من الامراض والعاهات ويأخذون منهم في مقابلتها جهلاً عظيماً . وفي تلك النواحي بلاد لا يظهر أهلها للشمس مطلقاً ولا يمشون إلا بالليل . ومنهم من يعيش طول عمره في البلدة التي ولد بها ولا يفارقها . وأهل تلك الارض لا يفرقون بين دين وآخر وكل الأديان عندهم على حد سواء وللشيوخ عندهم احترام عظيم ومحلات معتقدتهم معظمة فيما بينهم لا يدخلها غيرهم ولهم طرق لا يسلكها إلا أولياؤهم يميزونها بأوتاد يدقونها وبعض آنية يضعونها على جانبي الطريق فاذا رأوا ذلك تحاموا المرور منه وسلكوا طريقاً بعيداً عنه

﴿ ومن الغريب انهم اذا ماتت المرأة وهي حامل لا تدفن بل يرمى بها للطير والوحوش بخلاف التي تموت حين الولادة أو بعدها فانها تدفن . ومن عاداتهم انهم اذا مات الزوج دفنوا معه زوجته كما أخبر بذلك أحد السائحين قال في أثناء عبارة له إن تعدد الزوجات بهذه الجهة غير ممتنع بل المدار عندهم على اتفاقهم على المهران كانت المخطوبة حرة أو القيمة ان كانت أمة فتي اتفقوا على ذلك أخذ الزوج زوجته وذهب بها الى نساءه فتختلط بهن وتشرب الخمر معهن ويقمن جميعاً بتهيئة الوليمة وبعد الدخول بها أول ليلة تكون مع سائر نساءه في خدمة المنزل ﴿ ومن عاداتهم أن من تلد من الزوجات أولاً تكون هي المحترمة والمقدمة عليهن والمتسكمة في المنزل إلا أن هذا التقدم لا يثمر لها إلا التندم لانها هي التي تدفن مع زوجها لومات في حياتها . قال بعض السائحين الذي شاهد موت أحد هؤلاء المتوحشين ﴿ لما ارتفع الصوت بالنحيب والبكاء من جميع النساء بين فقيهمهم موضع التربة فاحتفروها واسسعة على قدر اثنين ثم أتى بعز فذبكها وسلخها وقطعها بيده ثم أعطاهاهم أمعاءها وأطرافها فطبخوها وأكل منها مع بعض من حضروا وأعطى الحظية شيئاً منها . وأما ما بقي من اللحم فقطعه قطعاً صغيرة وفرق منه بيده على جميع الحاضرين وأبقى منه بقية والصياح في كل ذلك مرتفع والبكاء لا ينقطع فلما أكلوا قام ذلك الفقيه الى تلك الحظية وقبض على يدها وسلسها الى اثنين من العبيد فأوثقوا يديها وجعلوها خلفها وطرحوها على الأرض على ظهرها ووضعوا على قلبها خشبة وقعدوا فوقها وصار كل منهم يتكى على الآخر حتى تهشمت عظامها ثم رموا بها في القبر ووضعوا زوجها فوقها ثم أتوا له بما بقي من اللحم فوضعهوه بجانبها ثم أهالوا التراب عليهما وعند ذلك انقطع البكاء والنحيب وتوجه كل منهم الى منزله على العادة كأن لم يحصل شيء

واذا مات ميت يقومون ويأخذون من عبيده بقدر ما يناسب مقامه فيطعمونهم من أحسن ما عندهم

ويوصونهم بالقيام بخدمة سيدهم ثم يدبجونهم ويدفنونهم معه في قبر واحد ويدفنون معهم ما كان لهم في الدنيا من الفرش والأواني والثياب وجميع ما كانوا يستعملونه في حياتهم ثم يضعون عليهم حصيرا ويردون التراب عليها وبعد ذلك يصنعون على القبر عشة يدفنون في إحدى زواياها قطعة من الحديد يعلقون بها بعض سلاح الميت إن كان ذكرا فإن كان أنثى وضعوا معها ثيابها وما كانت تحبه في حياتها وبعد دفن الميت يأتون بطعام وشراب فيضعونه على قبره ظنا منهم أن ذلك تنمذى به روح الميت ويكررون ذلك حيناً بعد حين إلى تمام ستة أشهر من دفنه

وجاء في هذا الكتاب أيضاً أن مملكة اشانتي الواقعة في سواحل بلاد الذهب لها أراض واسعة وهي قبيلة مقيمة في أرض واسعة بعيدة الحدود يحدها طولاً من المغرب إلى المشرق أربع درجات وهو من (عامان) إلى (ولتا) وعرضها نحو ذلك وهو من حصن رأس (كورس) إلى ولاية (غرفان) وملك (اشانتي) هو الحاكم على جميع هذه الأرض ومن فيها من غير معارض لأمره ولا منازع له في حكمه . وعندهم طوائف ملحدة بالمقدسين فلا يدخلون في أمور الدنيا ولا يختلطون بالناس بل يهزلونهم ويقيمون في محال بعيدة عن البلد والعمران ويقولون انهم يخاطبون المقدسين ويسألونهم عن كل شيء أرادوا علمه فإذا أراد أحد أن يعلم حال من مات من أقاربه ذهب إلى أحدهم فيحضر له روح قريبه فيتكلم معها ويسألها عما يريد . وطوائف أخرى أقل منهم يعيشون معهم ويسألونهم عن كل ماسنح لهم كالذين يفتحون الكتاب أو يضربون الودع أو يقدسون الأثر ولهم براعة في التقاط أخبار الناس وتتبع أحوالهم ويعرفون حيلة كثيرة يعلمون بها كيف أخذت السرقة ومن سرقها وفي أي موضع هي ويعملون لبعض النساء تمائم لحب أزواجهن وعدم اطلاعهم على أحوالهن وأفعالهن ونحو ذلك ووظائف الطائفة الأولى وراثية يدخلون فيها بطريق الإرث عن أسلافهم كما كان عليه كهنة المصريين في الأزمان القديمة

ولهم عيد يسمى ﴿ اينام ﴾ تكون فيه أمور غريبة منها أن الملك يأمر بالبحر فتملأ بها حياض متفرقة في البلد ويباح الشرب منها لكل أحد فلا يبقى في البلد أحد من كبير أو صغير ذكر أو أنثى حر أو عبد غني أو فقير إلا شرب منها حتى سكر . وقد تحصل عليها مزاحجات عظيمة ومشاجرات كثيرة ترتفع فيها الأصوات فتختلط بدوى الطبول والبنادق فيكون مجزع ذلك أمراً هائلاً وخطباً مزعجاً لا تكاد تبلغه العبارة ولا ترى في أزقة البلدة وشوارعها في هذا اليوم غير سكران على الأرض مطروح ومزقل بقاذورات يترغ فيها كالحيوان المذبوح ومن عفا عليه الذباب ومن تشممه أو تلحسه الكلاب ومن يمشى فيقع على الأرض أو على غيره من أمثاله وهو مجرب بأمره راض بحاله ويستمرّون على ذلك إلى آخر النهار

وفي هذا اليوم يذبح كل من الأمراء والاعيان بعض عبيده على أول خط من خطوط حرث زراعة النبات الموسوم باسمه هذا الموسم وهو الذي يقال له بلغتهم ﴿ اينام ﴾ كما تقدم ومن كان فقيراً يأخذ رأساً من رؤس المذبوحين ويضعها في أول خط من حرث أرضه

ولهم أربعة أعياد في السنة وعاداتهم في كل عيد من تلك الأعياد الأربعة أن يعلموا به قبله بيوم فيأخذون المزامير ويعلقون جاجم القتلى وعظامها على طبل عندهم كبير ثم يأتون بذلك إلى باب سراية الملك ويضربون بها اعلاماً بذلك اليوم فكل من سمعه سواء كان من عائلة الملك أو غيرها صاح بأعلى صوته فتقوم البلدة على ساقها وتهرع السوق من أسواقها فيضربون الدفوف والبارود ولا يزالون كذلك إلى صباح يوم العيد فيركب الملك ويذهب إلى المعبد

وقد وصف (هوتشيزون) الساح في رحلته كيفية تقريب القرابين من الآدميين في موسم ادای المذكور عند أهل الجهة المذكورة فقال كنت بتلك الجهة فحضرت عيداً هناك يسمى (ادای) وكان في شهر يناير

الافرنجى فتوجهت الى الملك فرأيت بعض الضباط الملازمين له يدخلون عليه ويخرجون من عنده وبأيديهم سكاكين وأسلحة فأرسل أحدهم الى أحد الأمراء لينخبره أن يحضر عند قبر أمه ثم ركب الملك وتوجه الى القبر بعد أن أمرنى بالخروج من باب غير الذى دخلت منه ولم أعلم سر ذلك فلما وصل الى القبر أمر بأخراج عظم أمه وإخوته من قبورهم فأخرجوها وغسلوها بالماء ثم نشفوها بمنشف من حرير وغمسوها فى (الروم) وهونوع من المسكر ثم نشفوها ثانيا كل ذلك بغاية الاحترام والتوقير ثم قلبوها فوق تراب من ذهب وأحاطوا بها سبائك منه وقلائد من الحجارة والمعادن الثمينة ووضعوها على حافة القبر . وبعد ذلك أتوا بجميع المذنبين والمتهمين بعدم الرضى عن الملك فكان كل من أتى منهم ذبحوه على تلك العظام حتى سالت الدماء الى القبر وفى هذه الليلة دارت سياقة الملك حول المدينة فكل من وقع بصرهم عليه أحضروه الى الملك فيذبح وكان السبب فى هذا القتل والقربان على زعمهم هو أن الملك وقتئذ كان مستعدا لقتال بعض القبائل المحاربة له وكان الملك على حسب عادتهم فى ذلك يرى من الواجب قبل الخروج الى القتال أن يخرج عظام أمه وبعض أقاربه من قبورهم ويفعل بها ما ذكر لا اعتقاده أنه اذا فعل ذلك بهم كانوا راضين عنه وكانت أرواح مقدسيهم مساعدة له على أعدائه لكن لشهرة هذا اليوم وهذا الأمر قد يتخلص منه أناس كثيرون ممن يرغب الملك فى قتله وكان من عادتهم فى ذلك العيد كباقي الأعياد أن يحضر فيه الى تلك المدينة خلق كثير ولكنهم لعلمهم بهذه الحادثة لم يحضر أحد فكانت المدينة يومئذ خالية ليس بها إلا الملك وعائلته وأصحاب سره . فلما مضى جزء من الليل أمر الملك بوضع عظام والدته وأهلها فى مقابرهم ورجع فى موكبهم معه رؤسائه وأمرائه وأتباعهم وعليهم ملابس الحرب وآلاته وأمام كل واحد منهم شعلة من نار فكانت البنادق وجيع آلات الزينة والرسوم الموكبية منشورة الأعلام وقد تقدمهم جماعة قد غلت أيديهم وعليهم الحرس وحولهم رجال تغنى بأنغام حساسية وفى عصر ثانى يوم أعادوا ذلك الموكب بعينه فوقف الملك فى الميدان الكبير وحوله الطبول وأرباب الموسيقى فأمر بقتل أولئك المغولين فصاروا يقتلونهم واحدا بعد واحد والآلات تضرب بأنغام عجيبة كأنها تقول ﴿ القتل القتل ﴾ وكان أمامه إناء من خشب مملوءا نبيذا وكلما قطع رأس رقص له ثم فى آخر هذا اليوم دخل الملك سرايته اهـ إن أهل هذه المملكة يعيشون وحولهم الانجليز والفرنسيون وسائر الافرنج وهم لا يتعرون لاعتقاداتهم ولا يمانعونهم فى اجراء رسومهم وعاداتهم فان ذلك يحجر عليهم من عداوة الأهلىين وغيظهم مالا يكون لهم معه راحة فلذلك ترى المقيمين فى تلك الجهات من الأمم الاوروبية لا يعينهم تغيير شئ من ذلك إذ المقصود لهم من الاقامة فى تلك الجهات إنما هو التكسب بالتجارة فيما يستخرج من أرضها من المعادن وسائر مواد التجارة وارسال ذلك الى الممالك الاوروبية واستبداله بما يرد منها الى البلاد فلا يشتغلون إلا بتوسيع دائرة هذه التجارة لا بتغيير العادات والمعتقدات إذ هذا مما لا يتيسر لهم هناك فان هذه البلاد بسبب اتساعها وبهدها وصعوبة المرور والعبور بها لما فيها من الموانع كالغابات والخليجان ثم كثرة حرها وتغير هوائها وكثرة ما يعرض للأغراب من الافرنج فيها بسبب ذلك من العلل الخطرة والأمراض المهلكة لا يتأتى للدول الاوروبية أن تبعث لهذه البلاد بكثير من الناس والأجناد لمنع ذلك بالقوة القهرية والسطوة العسكرية لما اعتراهم فيها من الأمراض الكثيرة فكان فى كل سنة يموت قدر النصف ممن يرسل اليها من العسكر وغيرهم واتخذ الانكليز بها طرقا كثيرة وتدابير متنوعة لانتشار الزراعة بها وتحسين أحوالها فلم ينبجح إلا القليل منها فى بعض الجهات دون بعض وكذلك جددوا بها مدارس ومكاتب للذكور والاناث جمعوا فيها كثيرا من أهل البلاد فلم يترتب على ذلك للبلاد كبير فائدة لأن من تربى منهم ولم يمت فى عهد قريب أثر الاقامة بين من تربى عندهم على الاقامة بين أهلها فى بلده لكرهاتهم له وتبرئهم منه ولعلمه أنه اذا أتى اليهم مقتوه واحتقروه وان تكلم بما يخالف عقيدتهم قتلوه . وكما فعلت دولة الانكليز معهم كذلك فعل الفرنسيين والفاينك وغيرهم وقد غيرت كل

من هذه الأمم مواضعها وانتقلوا من موضع رأوا فيه كثرة الأمراض الى موضع ظنوا فيه جودة الهواء فخاب أمل الجميع وتحققوا عدم النجاح . انتهى

هذا ملخصه من كتاب ﴿ علم الدين ﴾ من عادات هؤلاء السودانيين وهذه أخلاق طائفة من بني آدم الذين هم أشرف سكان أرضنا التي ذكرت مع السموات العلى وأن الله نزل القرآن لأهلها يقول الله - والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا - الح - ويقول ... اهبطوا منها جميعا بعضكم لبعض عدو - ويقول - لقد خلقنا الإنسان في كبد - ويقول - إنه كان ظلوما جهولا -

فانظر جهالة هذا الإنسان وسخافة أهل هذه الأرض كيف عظموا الأحجار والأنهار والقديسين في نظرهم ثم تقربوا الى الله بذبح الإنسان حتى ان أم الملك اذا دفنت يترقب أحد عبيده شريفا يدخل معهم فيقتله ليكون دمه مطهرا لها . وكيف يجعل الملك يوما من أيام العيسد خاصا باهلاك كل من ظهر حتى من الأمراء والوزراء . إن الله أودع هذه الغباوة في صدورهم ليفنى بعضهم بعضا بطريق ديني أو غير ديني ليساعدوا الطاعون على تقليل عددهم لأنهم قوم اذا كثروا لا يقدرّون على استثمار أرضهم لقلة الصناعات والعلوم فألهمهم الله أن يتقربوا أو يفتخروا بالهلاك كما سلط الله البرد على الحشرات كل سنة فتبيد لئلا تهلك الحُرث والنسل

ولما كانت الأمم قديما لا علم عندها كان الله يرسل لها الطاعون فيبيد جوعا كثيرة ولو بقيت لم يكفها القوت التي عندها ولكن لما تعلمت الأمم كأهل بلادنا المصرية وأمكنتهم الانتفاع بموارد الأرض أكثر لهم من الأطباء ليقبضوا من انتشار الأمراض فكثرت النسل فوجدوا قوتا حصل لهم بالعلوم والصناعات وهذا من انتشار العلم الذي نقاوه عن أوروبا التي عرفت ذلك قبلنا فكثرت نسلها مع زيادة خصبها ونشاط أطبائها

وهنا سؤال وهو هل هؤلاء القوم وأمثالهم في أرضنا يقبلون الرقي حتى يكون الناس في الأرض أمة واحدة في المستقبل كما شرحت في كتابي ﴿ أين الإنسان ﴾ . أقول لما عثرت على هذا استبعدت ذلك لأن المانع الطبيعي منع الأمم المتعامة من تعليم هؤلاء لأنهم يموتون في بلادهم كما تقدم . ويظهر انه لا سبيل الى رقي أمثال هؤلاء إلا بارتقاء جيرانهم بطريق دين الاسلام مثلا وجيرانهم يعلمونهم بالتدريج

هذه صفحة من أخلاق أهل هذه الأرض ذكرتها لما نظرت السموات وجالها ووازنت بين جاهلها وسعادتها وأنوارها الظاهرة لأعيننا وبين تعاسة أهل الأرض وشقاوتهم تبينا لوصف السموات بالعلى ووصف القرآن بأنه منزل . كل ذلك للدلالة على شقوة أهل الأرض ولا مخلص لهم إلا بالعلم . ويظهر لي أن الله أعد في كل عالم من العوالم المنحطة شقاء لأهله على مقدار نقص كوكبهم فيكون ذلك الشقاء والمذلة باعثا على أنهم يودّون أن يتخلصوا من ذلك الكوكب ويتشوّقون الى عوالم أرقى كما نشوّق نحن الآن والله هو الوليّ الحليم

(المقصد الثاني من السورة والكلام على الفصل الأول والثاني من فصوله الأربعة)

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى * إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي * إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى * فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنَ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى * وَمَا

تِلْكَ يَمِينُكَ يَا مُوسَى * قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّوْا عَلَيْهَا وَاهْبُشْ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ
 أُخْرَى * قَالَ أَتَقَهَا يَا مُوسَى * فَاتَّقَهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى * قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ
 سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى * وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً
 أُخْرَى * إِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى * أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * قَالَ رَبِّ اشْرَحْ
 لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي
 وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ
 كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى *
 وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى * إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى * أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ
 فَآقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي
 وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي * إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ
 كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي
 أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى * وَأَصْطَلَمْتُكَ لِنَفْسِي * أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ
 بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي * أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ
 يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى * قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي
 مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى * فَأَتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُمْدِّبْهُمْ
 قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنَ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى * إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ
 عَلَى مَن كَذَبَ وَتَوَلَّى * قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى * قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ
 ثُمَّ هَدَى * قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى * قَالَ عَلِمْنَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا
 يَنْسَى * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَوَسَّلَكَ لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
 فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى * كُلُوا وَارْزُقُوا أَنْعَامُكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي
 النُّهَى * مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى * وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا
 كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى * قَالَ أَجِئْنَا لِنُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلَنَأْتِيَنَّكَ

بِسِحْرِ مِثْلِهِ فَأَجْعَلْ يَدُنَا وَيَدَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوًى * قَالَ مَوْعِدُكُمْ
يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ ضُخًى * فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ جَمْعَ كَيْدِهِ ثُمَّ أَتَى * قَالَ لَهُمْ مُوسَى
وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى * فَتَنَازَعُوا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى * قَالُوا إِنْ هَذَا إِلَّا لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ
أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى * فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ
الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى * قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ
أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْفَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ
خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا
صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى * فَأَلْقَى السِّحْرَةَ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ
هَارُونَ وَمُوسَى * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ
فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَتَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا
أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى * قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ
قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَخْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ
مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى * إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا
يَحْيَى * وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى * جَنَّاتُ عَدْنٍ
تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى * وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا * لَا تَخَافْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى * فَاتَّبَعَهُمْ
فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ * وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ نَوْمَهُ وَمَا هَدَى * يَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ
الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى * كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ
يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى * وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى *
وَمَا أَعْجَلَك عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أُولَاءِ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى *

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ * فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ
 أَسِيفًا * قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ
 عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي * قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا
 حَمَلْنَا آوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا
 جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمُ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ * أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ
 قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ
 بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي * قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى
 يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى * قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ
 أَمْرِي * قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِذُنُوبِي وَلَا يَرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي
 إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي * قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ
 فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي * قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ
 فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ
 عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا * إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ
 كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا *

﴿ التفسير اللفظي ﴾

اعلم أن هذه السورة من أوائل السور التي نزلت ولذلك أنزل عليه قصة موسى ليأتم به في تحمل أعباء
 الرسالة ومشاقها فقال تعالى (وهل أتاك حديث موسى إذ) ظرف لحديث (رأى نارا) ذلك أنه استأذن شعبيا
 عليهما الصلاة والسلام في الخروج إلى أمه وخرج بأهله من مدين إلى مصر فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام
 الشتاء فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامراته حامل في شهرها لا يدرى أليلا تضع أم نهارا فسار في
 البرية غير عارف لطرقتها فأجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شاتية شديدة
 البرد فأخذت امراته في الطلق فأخذ زنده فجعل يقده فلا يورى فأبصر نارا من بعيد عن يسار الطريق من
 جانب الطور (فقال لأهله امكثوا) أقيموا (إني آنست نارا) أي أبصرت نارا (لعل آتيكم منها بقبس)
 أي شعلة من النار أو جرة (أو أجد على النار هدى) هاديا يدلني على الطريق أو يدلني على الله تعالى وتوجيه
 المعنى الثاني أن الأبرار مفلطرون على التوجه لمعرفة الله تعالى فهم ينشدونها في كل زمان ومكان لأدنى مناسبة
 وقاوبهم أقرب لذكر الله إذا رأوا نورا مشرقا فهم يذكرونه عند الغروب والشروق فكان طلب موسى لمن
 يهديه لربه حين نظر النور أمرا أوجبته فطرته فقال - أو أجد - فوق المكان القريب من النار هاديا فالمستعلى
 هو الهادي المترقب والمستعلى عليه المكان القريب من النار (فلما أتاها) أي النار وجد نارا بيضاء تنقد

كأضواء ما يكون فلاضوء النار يغير خضرة الشجرة ولاخضرة الشجرة تغير ضوء النار وكانت شجرة عليق
 * قيل ان موسى عليه الصلاة والسلام كان كلما دنا نأت عنه الشجرة واذا نأى دنت منه فوقف متحيرا وسمع
 تسبيح الملائكة وألقيت عليه السكينة فهناك (نودي يا موسى) قال من المتكلم قال (إني أنا ربك) فوسوس
 اليه الشيطان لعلاك تسمع كلام الشيطان فقال أنا عرفت انه كلام الله بأني أسمع من جميع الجهات وبجميع
 الأعضاء . وهذا معناه أن المعاني ألقيت على روحه ثم أشرب بها قلبه اشربا حتى فاضت على الحس المشترك
 والحس المشترك هو القوة المودعة في الدماغ التي هي قابلة لما يرد من الخواص من العلوم فتوصله للعقل وهنا
 عكس الأمر فجاء العلم من داخل النفس وانتعش فيه . فلهذا رمز بأنه من جميع الجهات أي انه ليس من
 جهة خاصة بل من النفس والنفس لاجهة لها بل هي أسرف فوق الجهات كلها كما ان الله ليس في مكان بل كل
 مكان تحت أمره . ثم أمره أن يخضع نعليه احتراما للبيعة المقدسة فقال (فاخلع نعليك) وعلل ذلك بقوله
 (إنك بالواد المقدس) المطهر (طوى) عطف بيان للوادي وفيه تنبيه أن قابلية العلم لا تكون إلا مع (أمرين)
 طهارة النفس من الخبائث كما خلع موسى نعليه اللذين هما من جلد حمار ميت غير مذبوغ كما روى صنفوا
 وخلع النفس من التعلق بمتاع الدنيا الذي هو العائق عن تحصيل العلم ولذلك أردفه بقوله (وأنا اخترتك)
 اصطفتك للنبوّة (فاستمع لما يوحى) للذي يوحى اليك (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) ولا تعبد غيري
 (وأقم الصلاة لذكرى) أي لتشغل قلبك ولسانك بذكرى بعد ما فرغتهما من علائق الدنيا وأنت في مكان
 طاهر كما يشير اليه خلع النعلين في الوادي المقدس (إن الساعة آتية) كائنسة لا محالة (أكاد أخفيها) أقرب
 أن أخفيها فلا أقول انها آتية وانما أخبرت بها لأقطع الأعداء * وفي قراءة أخرى بفتح الهمزة أي أظهرها
 ومآل المعنى واحد لأنه اذا قرب من اخفائها أو قرب من اظهارها كان المعنى انها لم تظهر ولم تخف أي هي
 مبهمة على الناس حتى يكونوا على حذر . يقال خفاه أظهره وأخفاه ضده . ثم قال (لتجزي كل نفس بما تسعى)
 متعلق بآية (فلا يصدك عنها) فلا يصرفك عن التصديق بمجيئها (من لا يؤمن بها واتبع هواه) ميل نفسه
 الى لذاته المحسوسة فقصر نظره عليه ولم يطلع على دخيلة النفوس والعقول والامور العجيبة (فتردى) فتهلك
 (وما تلك بيمينك يا موسى) تلك خبر ما أي شيء هذه حال كونها كائنة بيمينك يا موسى وذلك للآيناس ورفع
 الهيبة للسكينة وللتنبيه أن المحزنة تقع بعد التثبت (قال هي عصا أتوكأ عليها) أعتمد عليها اذا عيت
 أووقفت على رأس القطيع (وأهش بها على غنمي) وأخبط الورق بها على رؤس غنمي * وقرئ - وأهس -
 من الهس وهو زجر الغنم أي أنحى عليها زاجرا لها (ولي فيها ما رب أخرى) حاجات أخر فاذا سار ألقاها على
 عاتقه فعلق بها أدواته واذا قصر الرشاء وصله بها وكان يقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها . وقد
 ذكر المفسرون عن قصص بني اسرائيل أن شعبها بالليل كانتا تستعملان كشمعة وتصيران عند الاستقاء كالسوا
 واذا ركزها نبع الماء بركزها ونضب بنزعها وهي تورق وتثمر اذا اشتهى ثمرة . وكل تلك الروايات لاتفيد في
 الآية ولا العلم ولكنها تمثل سواء أصحت أم لم تصح عجائب الطبيعة لأنها هكذا خلقت فهي تكون غصنا ثم
 شحما يصير شحما ثم دلو اذا كانت جلد حيوان . فهذه العجائب حاصلة في الدنيا سواء أ جاءت على يد موسى
 أم لا . إن الناس يحبون لعصا تنقلب حية تارة وشجرة أخرى وشعما آونة وهكذا وهم في الحقيقة يشاهدون
 هذا وهم لا يفقهون وينظرون ولكن لا يعقلون . ان المادة تكون ترابا وماء ثم تصير شجرا وزهرا كما قيل في
 عصا موسى ثم تصير حيوانا ذا شحم ولحم وجلد فيصير الدلو من جلده والشمع من شحمه . هذه أمور معروفة
 ولكن الناس لا يعجبهم إلا ما ليس له قانون ولا نظام ولكن الله أبدع الطبيعة ابداعا أجمل وأبهى من ابداع
 عصا موسى لأنه يخلق الحيات من المواد القذرة والشجر من الأرض وهكذا . ولكن ليس من الحكمة أن
 يكون العالم سهلا بل بالنظام والترتيب ولو أن الحق اتبع أهواء الناس فأصبح الشجر ينقلب حيات والحيات تنقلب

عصيا والعصى تنقلب شجرا لارتاع العالم الذي نسكنه واضلّ الناس سواء السبيل ولجفل الحيوان وخاف
ولضاعت الثقة بنظام هذا العالم . فهذه هي المعجزة . ولعمري ان معجزة الله هي هذا العالم ومعجزة الأنبياء
أقل من معجزته بما لا يحصى . فلما أجاب موسى بذلك (قال) الله له (ألقها يا موسى) انبذها واطرحها (فألقاها)
فطرحها (فاذا هي حية) صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسمى) تمشى بسرعة على بطنها . وفي آية
أخرى - كأنها جان - أي حية صغيرة الجسم خفيفة الحركة . وفي آية أخرى أيضا - انها ثعبان - وهو أكبر
ما يكون من الحيات . فاذن هي في الضخامة كالثعبان وفي الحركة والخفة كالجان
فلما رآها حية كبيرة وشعبتها شدقاها ومحجبتها عنقها وعيناها تتقدان كالنار تمرّ بالصخرة العظيمة فتلتطمها
وتقصف الشجرة العظيمة كما قيل . فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا وهو شديد الخوف (قال خذها ولا تخف
سنعيدها سيرتها الأولى) أي الى هيئتها فنردّها عصا كما كانت فاطمأنت نفسه فأدخل يده فيها فوجد أنها في
شعبتها في الموضع الذي كان يضعها اذ اتوكأ وانما أظهر الله ذلك لئلا يفزع اذا ألقاها عند فرعون (واضمم
يدك الى جناحك) الى جنبك تحت العضد . يقال لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر وذلك استعارة
من جناحي الطائر (تخرج بيضاء) مشرقة نيرة (من غير سوء) من غير قبيح كبنى به عن البرص كما يكنى
بالسوءة عن العورة (آية أخرى) أي معجزة ثانية حال من فاعل - تخرج - وانما فعلنا ذلك (انريك
من آياتنا الكبرى) وكانت يد موسى أكبر آية كما قاله ابن عباس (اذهب الى فرعون إنه طغى) جاوز الحد في
العصيان والتمرد (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري) أي وسع صدري ليحمل الوحي والمشاق
ورديء الأخلاق من فرعون وجنوده ويسر الأمر برفع الموانع واحداث الأسباب (واحلل عقدة من لساني
يفقهوا قولي) وكان في لسانه رتة من جرة أدخلها فاه . وذلك أن فرعون حمله يوما فأمسك لحيته واتفها
فغضب وأمر بقتله فقالت آسية إنه صبي لا يفرق بين الجرة والياقوت فأحضرا بين يديه فأخذ الجرة ووضعها في
فيه ثم لما دعاه قال الى أي رب تدعوني قال الى الذي أبرأ يدي وقد عجزت عنه ثم قال (واجعل لي وزيرا من
أهلي هرون أخى) يعينني على ما كافتني به من المشاق وهو من الموازنة أي المعاونة أي واجعل معينا كائننا الى
وهرون عطف بيان وأخى بدل أو عطف بيان آخر ومن أهلي متعلق بوزيرا (أشدد به أزرى) أي قوّبه ظهري
* وقيل الأزر القوّة (وأشركه في أمري) اجعله شريكي في النبوة والرسالة (كي نسبحك كثيرا ونذكرك
كثيرا) لأن التعاون يهيج الرغبات (إنك كنت بنا بصيرا) عالما بأحوالنا وأن التعاون يصلحنا وهرون نعم
المعين (قال قد أوتيت سؤالك يا موسى) أي مسؤولك وهو كالأكل بمعنى مأكول * ويقال ان عقدة لسانه لم
تحل وأن موسى لم يسأل حلها لأن هذا لا يهيم انما الذي يهيم هو منع عقدة الافهام والاعلام فيكون لكلامه
صبغة الفهم . فأما تلك الرتة فهي غير هامة ولذلك قال في آية أخرى - ولا يكاد يبين - ثم قال تعالى
مذكراله بنعمه (ولقد مننا عليك مرة أخرى) أي أنعمنا عليك في وقت آخر (إذ أوحينا الى أمك) بالالهام
أو بالنام (ما يوحى) ما يلهم (أن اقذفه في التابوت فاقذفه في اليم) أي بأن اقذفه الخ واليم البحر (فليلقه
اليم بالساحل) بالجانب والمعنى على الاخبار بأن اليم سيلقيه بالساحل (يأخذه عدوّي وعدوّه) أي فرعون
والضامر كلها راجعة لموسى * يقال انها جعلت في التابوت قطنا محلوجا فوضعت فيه ثم ألقته في اليم وكان يشرع
منه الى بستان فرعون نهر فينما هو جالس على رأس بركة مع آسية اذا بالتابوت فأمر به فأخرج ففتح فاذا
بصبي أصبح الناس وجهها فأحبه فرعون حبا شديدا فلذلك قال (وألقيت عليك محبة مني) ومنى متعلق بألقيت
ومن أحبه الله أحبه القلوب فما رآه أحد إلا أحبه . فهذه المحبة ألقيتها عليك ليتعطف عليك (ولتصنع على
عيني) أي ولترني ويحسن اليك وأنا مراعيك ومراقبك كما يرعى الرجل الشئ بعينه اذا اعتنى به وانظر اليه
* وقرئ - ولتصنع - بفتح التاء أي وليكون عملاك على مرأى مني لئلا تخالف به أمري (إذ تمشى أختك)

إذ ظرف لألقيت (فتقول هل أدلكم على من يكفله) * روى أن أخته صريم جاءت متعرفة خبيرة فصادفتهم يطلبون له مرضعة يقبل ثديها وكان لا يقبل ثدي امرأة فقالت هل أدلكم على من يضمه إلى نفسه فيريه وأرادت بذلك أمه فقالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها وذلك قوله (فرجعناك) فرددناك (إلى أمك) كما وعدناها بقولنا - إن أرادوه إليك - (كي تقر عينها) بلقاءك (ولا تحزن) هي بفراقك أو أنت بفراقها وفقد اشفاقها (وقتل نفسا) نفس القبطى الذى استغاثك عليه الاسرائيلى (فنجيناك من النعم) غم قتله خوفا من عقاب الله واقتصاص فرعون بأن غفرنا لك وأمنناك بالهجرة إلى مدين (وفتناك فتونا) اختبرناك اختبارا أى ابتليناك ابتلاء والفتون مصدر كالقعود أوجع فتنة أى فتناك ضروبا من الفتن والفتنة المحنة وكل ما يتلى الله به عباده فتنة . يقول الله خلصناك مرة بعد أخرى . يذكره بأجبال ماناله في سفره من الهجرة عن الوطن ومفارقة الألف والمشى راجلا على حذر وفقد الزاد وأنه جعل نفسه أجيرا وغير ذلك مما سبق ومما يأتى من قوله (فلبثت سنين في أهل مدين) لبثت فيهم عشرين سنين قضاء لأوفى الأجلين . ومدين على ثمان مراحل من مصر وهى شرقى البحر الأحمر (ثم جئت على قدر ياموسى) قدرته لأن أكلتك فيه وأستنبثك أو مقدار للرسالة وهو أربعون سنة (واصطنعتك لنفسى) أى اخترتك لأمرى وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بينى وبين خلقى كأنى أقت الحججة عليهم وخاطبتهم (إذهب أنت وأخوك بآياتى) بدلائلى (ولاتنبا) تفتر من الونى وهو الفتور والتقصير (فى ذكرى) أى لاتنسيانى حيثما تقبلتما واتخذنا ذكرى جناحا تطيران به . ومن ذكره تعالى تبليغ الرسالة فالذكر يشمل سائر العبادات وهو أعظمها مقاما (إذهبوا إلى فرعون إنه طغى) أمر موسى أولا ثم أمره هو وأخاه هنا . وطغيان فرعون ادّعاؤه الربوبية (فقلوا له قولا لينا) ألقاها له في القول لماله من حق تربية موسى مثل أن تقولوا له هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى - (لعله يتذكر أو يخشى) راجع لقوله - فقلوا له - أى بأشرا الأمر وأتما طامعان أن عملكما سيثمر وأنكما ستهديانه لأن من ارتجى شيئا طلبه ومن أيسر انقطع عمله . والقصد من ذلك إلزامه الحججة وقطع المعضدة وإن لم يفد هدايته (قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا) أى أن يجهل علينا بالعقوبة ولا يصبر إلى أن تتم دعوتنا . يقال فرط إذا تقدم ومنه الفارط وفرس فرط يسبق الخيل (أو أن يطغى) أى يزداد طغيانا فيقول فيك ما لا ينبغي (قال لاتخافا إننى معكما) بالحفظ والنصر (أسمع وأرى) ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل فأحدث في كل حال ما يصرف شره عنكما (فأتياه فقلوا إنا رسول ربك فأرسل معنا بنى اسرائيل) أطلقهم (ولاتعذبهم) بالكاليف والأعمال الشاقة (قد جئناك بآية من ربك) بحجة على صدق ما ادّعيناه وهذه الحجلة كالبيان لجلة - إنا رسول ربك - قال فرعون وماهى فأخرج يده لها شعاع كالشمس (والسلام على من اتبع الهدى) وسلام الملائكة وخزنة الجنة على المهتدين أو الأمان فى الدارين لهم من العذاب انتهى . وههنا (ثلاث لطائف)

﴿ اللطيفة الأولى ﴾ فى قوله تعالى - وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا -

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ فى قوله تعالى - فألقاها فإذا هى حية تسمى -

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى - والسلام على من اتبع الهدى -

﴿ اللطيفة الأولى فى قوله تعالى - وهل أتاك حديث موسى إذ رأى نارا - ﴾

اعلم أن بعض العقلاء المستبصرين يقولون مالنا ولقصص موسى وأى قادة لنا فى النار المشتعلة فى العوسج أوفى العليق أوفى غيرهما . وهل هى إلا معجزة جاءت لموسى وموسى أرسل لليهود واليهود الآن أمة تفرقت فى أقطار الأرض وتوراتها معها وهم جند السلم وجند الحرب وجند المال بل هم الذين أقاموا أوروبا وبسبب فلاسفتهم قامت الحرب الكبرى التى استعرت بين الشرق والغرب بل هم أصحاب البلشفية فهم اليوم أصحاب الحول والطول فى اصطدام الأمم كلها بما لهم تارة وبفلاسفتهم أخرى . وهم الذين حركوا ألمانيا للحرب بقوة

فلسفتهم ومنهم (شو بنهور) الذي أثار نائرة القوة الحربية وقال لأحياء للضعيف والضعيف يجب أن يموت وليس يبقى في الأرض إلا الأقوياء الذين لهم الحق في البقاء ومن عداهم يجب أن يذبحوا أكراما للأقوياء والأقوياء هم الباقون والضعفاء هم الميتون . هؤلاء هم اليهود الذين أرسل لهم موسى وهذه القصة حديثه فهل تعاليمهم هي التي ذكرها القرآن هنا أم هذه تعاليمنا . وإذا كانت تعاليمنا وأنا ورثناها عن موسى عليه السلام لأن الله أمر نبينا أن يقتدى به وبالأنبيا وجب أن نعرف المقصود منها وماذا ينفعنا . أقول اعلم أن هذه القصص نزلت في القرآن لتعليمنا نحن . فأما اليهود فانهم أخذوا ما يهمهم من التوراة واستعملوا عقولهم حرة في أحوال المدنية والعمران . فها أنا ذا أقول . ماذا يراد بهذا هنا . اعلم أن النار التي رآها موسى تتقد في الشجرة وهكذا العصا التي قلبت حية ما هي إلا بذور ألقاها الله في الأرض لتثمر في العقول والناس في استعمال الحب والبذر على ﴿قسمين﴾ قسم فقير يأخذها للغذاء . وقسم آخر يأخذها لغرض الزرع . فأما الذي يأخذ الحب لأكله فهو من لا زرع له . وأما من يأخذها للزرع فانه يريد نمو ماله سنة فسنة الى ماشاء الله . فأى الرجلين أغزر ثروة . لاشك أنه هو الثاني . هكذا في هذه القصص فالعامة يتخذونها غرضا لعلومهم ومقصدًا وهي تكفيهم . ويرى العامي أن انتقاد النار في الشجر الأخضر وانقلاب العصا حية على يد موسى فيهما كل الحكمة وكل القدرة والعلم والحكم الإلهية . وأما الخاصة فانهم يقولون ان نارا تتقد في شجرة لم يرها إلا هو وأخبرنا بها نبينا محمد ﷺ لم تردنا إيماناً لأن إيماننا أصله نبينا ﷺ فإيماننا بها تبع لإيماننا بنبينا ﷺ فلانزید إيماننا بهذا المعنى وانما يزيد إيماننا بالمباحث العلمية . وكلما كانت الحجة مشاهدة ومعلومة أكثر كانت أمكن وأمتن وهذه الحجة لم نشاهدها ولم نرها . لهذا وجب أن نعرف الحكمة فيها . وجواب هؤلاء أن يقال ان المقصود من أمثال هذه أمور وراءها وهذه أشبه بضرب أمثال لأحوال النفوس البشرية . انها من باب الكناية وهي لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلي . فهنا المعنى الأصلي لا غبار عليه ولكن المهم ما يرمز اليه فلنذكر الرموز اليه فنقول

﴿ أنوار القلوب ﴾

ان موسى عليه السلام لما أشرقت النار في الشجرة كان ذلك مقياسا لما سيراه في قلبه إذ عمل بقوله تعالى - ولاتنبا في ذكرى - وبقوله - وأقم الصلاة لذكركى - فهاتان آيتان هما سر هذه النار . سر هذه النار في الصلاة وفي الذكر . الله طلب من موسى وهرون أن يذكراربهما ويصليا لتتقد نار المحبة في قلوبهما أى لتزيد المحبة . فالله أحب موسى وموسى أحب الله والحب يوجب انتقاد النار في القلوب والصلاة والذكر يوجبان ازدياد الحب والحب تصعب نار الأشواق لاكتناه صفات المحبوب . فنار الشجرة المشرقة مثال لتلك النار القلبية العشقية الغرامية الشوقية التي تتقد في قلب موسى عليه السلام

﴿ هذا موسى عليه السلام فما شأننا نحن ﴾

أقول . اذا قلت هذا أجيبك انك اذا أردت أن تقتدى بموسى فاعلم أن الباب مفتوح على مصراعيه . أقول لك ذلك عن علم وفهم وإيقان بما أقول ولكن لا أود أن أشرح لك ما أعرفه ولا ما جرت به ولكني أقول لك اجلس كل يوم ساعة واذكر ربك حاضر القلب غير مفكر إلا في المذكور ثم لتكن في صلواتك الخمس حاضر القلب فعلا بمعنى انك تخاطب ربك في الصلاة كأنه حاضر لديك وكأنه أمامك . هذان هما الشرطان اللذان أطلبهما منك وأنا أقول لك ان أنوار شجرة موسى تنتقل فعلا في قلبك وتلحظ فيها نورا فعليا يسرك استحضاره وإشراقه في قلبك وهذا النور والاشراق بديع وجيل وليس هذا إلا مبدءاً للفتوح وتلك الأنوار تتموج بألوان وصور بديعة جميلة غريبة . وأما ما وراء ذلك فالناس درجات ويفتح على كل بما يناسبه . واعلم أن الأمم الإسلامية لما أشرقت الأنوار على بعض الذاكرين والصالحين منهم لم يرفعوا رؤسهم الى أعلى إلا قليلا منهم

فأخذتهم الفرنجة . فأنا أقول لك إنه لا فتوح حقيقيا في الأمة الاسلامية إلا لمن توجهوا بهمهمهم الى رقي الأمة الاسلامية متى كان فيهم استعداد فأحب أمة الاسلام كلها وجد في ارتقاؤها أوفى ارتقاء من حولك من اخوانك فان هذه الهممة متى علمها الله منك بالاخلاص ساعدك لأنه يحب من يساعد عباده - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين - هذا هو المقصود من نور الشجرة الموسوية . وكما نادى الله موسى لما رأى نار الشجرة كذلك هنا تشرق أنوار العلم عليك بعد اشراق بصيرتك بتلك الأنوار التي هي أبهج من النار والأنوار الظاهرية . هذا هو تفسير نور الشجرة

﴿ النار والنور ﴾

اعلم أن ابن عباس قال ﴿ ان هذه النار لم تسكن نارا بل كانت نورا ﴾ ذكر بلفظ النار لأن موسى عليه السلام حسبه نارا . وقيل هي النار بعينها وهي إحدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روى عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال لأصحابه ﴿ النار لو كشفها لأهلكتم سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ﴾ أخرجه مسلم . ولما كان هذا الحديث واردا في صحيح مسلم وجب أن نبحث في أمره ونقول

﴿ هذا الحديث مجزأة في هذا الزمان أظهرها العلم الحديث ﴾

اعلم أن الكواكب أجمعها كرة نارية وأرضنا نار وأصل الشمس وسيارتها وتوابعها كلها نيران طائرة دائرة فعالمنا الذي نعيش فيه ماهو إلا نيران . وإنما الجزء الذي نعيش فيه من الأرض هو الذي برد وباقيها متقد والعالم كله نيران مشتعلة وعالم الأثير هو الذي تعوم فيه عوالم الضوء والحرارة والكهرباء وفيه تتولد المادة التي تكون في أول أمرها نارا طائرة في الجو كما هو معلوم . هذا هو عالم الخلق الذي هو إما نار أو مادة مشتقة من نار أو عالم اشتقت منه النار وهو عالم الأثير لأن النور والنار والكهرباء متكونة فيه فهو إذن أصل النار وعلى ذلك أصبح عالم الخلق كله نارا حقيقة أو حكما . ألا ترى الى أقرب شيء إلينا وهي حرارة الشمس فانه لولاها لم يكن حيوان في الأرض ولا نبات فالحرارة هي أصل كل حياة على الأرض . وإذا كان هذا شأن النار فهي حجاب يحجب الله عنا لأنه اذا ظهر المخلوق بطن الخالق عند أكثر النفوس واذا اختفى المخلوق تجلى الخالق . فهذه المخلوقات إذن حجاب الله تعالى وثبت أن النار حجاب الله وانه اذا زال هذا الحجاب تجلى الله لأنه لا يبقى إلا عالم الأرواح وهناك يتجلى لهم لا يحجبون عنه إلا بما فيهم من الكثافة المادية فتزال المادة ورجعت العقول لصفاتها فهناك يتجلى الله تجليا تاما لتلك النفوس العالية . إن هذا الحديث مجزأة لأن العلم أثبت هذا اليوم . ويقول في الحديث ﴿ لو كشف النار ﴾ أى لو كشف هذه المادة ولم يبق لها وجود ﴿ لأهلكتم سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ﴾ يقول لو أزيلت المادة وتوابعها وأصولها لم يبق إلا عالم الأرواح فأما عالم الأشباح فانه يختفى وينعدم إذا لا وجود له إلا بالمادة فاذا عدت المادة فأين عالم الخلق وإنما الذي يبقى انما هو عالم الأمر . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - فألقاها فاذا هي حية تسعى - ﴾

اعلم أن هذه الآية متممة للتقدمة فهناك يقول صفوا قلوبكم ونقوها بالاخلاص والأخلاق والصفاء والذكر والصلاة وهنا يقول سبحانه تأملوا في عصا موسى وانها قلبت حية تارة وشجرة مثمرة أخرى وشمعة مشرقة آونة وهكذا . وقد علمتم أيها الأذكىاء أن هذا ليس مطمح نظر العقلاء ولا مرمى غرض الكبراء وكيف يكون ذلك مرمى الانظار ومقصد الاختيار ولو أن هذا كان من سيرتنا فيكم لفنيتم أجمعين لأنكم لا تثقون بثبات أو حيوان أمامكم فربما انقلب النبات حيات أو الحيات حيتانا وهكذا من التقلبات التي لا تعطىكم أمانا في حياتكم غاية الامر أن هذه التقلبات السريعة يفرح بها العامة الذين يدعشهم مثل هذا . ولماذا هذا . لأنهم لا يفهمون من الله إلا القدرة والمجائب . وأما الحكمة فهم عنها غافلون . أما عقلاؤكم فانهم يعلمون أن انقلاب العصا

حية وشجرة وشمعة وغير ذلك حاصلة فعلا وهم فرحون بذلك مفتبطون مسرورون لهجون بالشاء على الله إذ أراهم تلك العجائب واسعة فائضة . ففي المادّة من أنواع القلب ما بهرهم مما لا يحصره العدد لكن مع الحكمة والنظام والترتيب ، فالتراب العفن يصير غذاء للحشرات وهي غذاء للحيات وهكذا مما لا محل لذكره هنا وإنما تقدّم في سورة (آل عمران) . فإذا ذكرت النار فيما تقدّم فهي للبحث على صفاء القلوب وطهارتها . وإذا ذكرت العصا هنا فلا بحث على مقصودها وهو الرجوع للحقائق العلمية ليعرف الناس العاوم الطبيعية والملكية وهذا ببت القصيد . ان الانقلاب الحاصل في الكرة الأرضية الآن مرجعه هذه الأعاجيب والدلائل . نوّه الله بقلب العصا حية على ما لانهاية له من العاوم ولا حد له من الحكمة فقد برع أهل الغرب في قلب المادّة واطهار ما خبأه الله فيها من آثار صنعته وبديع حكمته فقلّبوا الأفتدة والأبصار بنفائس العاوم وغرائب الحكم وأبدعوا ماشاؤا أن يبدعوا وأحدثوا من الكهرباء ومن الفحم ومن البترول ومن الحديد منافع لا يمكن عدّها الآن واستخرجوا من الموادّ أبخرة هوائية طيارة يقذفونها على الأعداء فتعميمهم وتصمهم تارة وتحرقهم تارة أخرى يرشدنا الله بهذه القصة الى عجائب المادّة ويتلهى العامة بعصا موسى وعصا موسى رمز لما ذكرناه فإذا صفت قلوب الصالحين بالذكر والعبادة فليوجهوا الأفئدة النقية الى هذه المادّة فليقرؤا جميع العاوم وليبرعوا فيها كما برع الفرنجة ان كننا حقاً نحبّ الله

﴿ نداء للأذكياء ﴾

فيأيتها الذكي الذي اطلع على هذا التفسير أنت مسؤول بين يدي الله عما أكتبه وعما وصلك من العلم . انشر هذا بين المسلمين على قدر ما تصل اليه استطاعتك وأرهم أن في الشجر وفي الحجر وفي النجم وفي البحر عجائب الله وأنواره وأرهم أن القرآن يعلمنا أن نخلع رداء الكسل ونجلب بجلايب العمل وأن نكفّ في طلب المعالي وقراءة الطبيعة وعلومها . فن أولع بالعصا وحيثها ووقف عند حدها فذلك من الجهلاء ولكن المسؤول هو المفكر . فليدرس المسلمون عاوم المعادن والنبات والحيوان والانسان وعلم الفلك . هذه هي العاوم التي تشير لها عصا موسى . كيف لا والغصن لا يزهر إلا بأشراق الشمس عليه . فتقلب المادّة وتنوعها يلزمه حرارة الكواكب . فاذن لابد من دراسة هذه المادّة . فويل للمسلمين اذا قصروا وويل ثم ويل لهم اذا هم ناموا عن العمل وصموا آذانهم عن سماع هذا القول أو قال قارئ هذا الكلام وأمثاله مالى والمسلمين إن اعلان هذا العلم واجب على كل من قرأ هذا التفسير وأمثاله وإنما خصصت هذا التفسير لأنّي أوضحت بعض هذه الحقائق فيه إيضاحاً يوجب امانة اللثام والمسلمون قد ناموا نوما عميقا وتركوا القرآن وفهمه تركا حقيقيا - وقال الرسول ياربّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا - هجروه وظنوا أن علم الفقه خلاصته والباقي لا عمل له إلا التبرك به فتركت قصصه ومواعظه وآدابه وأخلاقه ونام المسلمون نوما حقيقيا وسيستيقظون من رقبتهم ويقومون من نومتهم ويعلمون ويعملون . أقول هذا وأنا واثق من الله ولولا وثوقي ما كتبت هذا التفسير . فليعلم قارئ هذا التفسير ما عرفه لمن حوله من الناس بالقول وبالكتابة وبالتأليف وبالنشر بل لتكن أنت الداعي لهذا العمل في أمّتك أو قريتك . فرق من المسلمين من تشاء واعلم أن هذا التفسير سيتلوه قوم كثيرون وسيكون كل منهم كأنه علم يهتدى به ويقوم هو بالدعوة منفردا ويستضافر الدعاة في كل مكان . واعلم أن الله لم ينزل ولم يخلق ديننا في الأرض قد اتفق له ما اتفق لدين الاسلام وانه موافق للعلوم الحديثة وهذه الدعوة التي أدعوك اليها اذا توجهت بها الى أصحابك قبلت ونصرت ووجدت لك أنصارا يحبونك لأنّي أقول لك إن هذا الدين فيه خاصية العاوم الطبيعية وهذه العاوم سيقوم بها المسلمون باعتبار انها دينهم وانها علم التوحيد وانها معرفة الله وانها تزيد في حب الله فيترعرع هذا العمل ويثمر في أقرب زمن ويكون المسلمون - خير أمة أخرجت للناس -

إن هذه العقيدة سهلة الزرع في قلوب المسلمين ونتائجها عظيمة جدًا . نتائجها الغنى والثروة في الدنيا للمسلمين وظهور ممالك كانت خافية ميتة وابتهاج الأرض بزينة العلماء وعالمهم وانتعاش المدنية انتعاشا لم تحلم به من قبل والله ولي المتقين يحب المحسنين . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - والسلام على من اتبع الهدى - ﴾

اعلم أن هذا السلام المذكور هنا جاء ذكره في يحيى وفي عيسى . وهكذا جاء في صلاتنا نحن المسلمين ﴿ السلام عليك أيها النبي ﴾ ويسلم المصلي على نفسه أيضا وعلى الصالحين . فهنا يقول - والسلام على من اتبع الهدى - . اعلم أن هذه الحياة لاسلام ولا أمان فيها فهي متقلبة متبسة فالأمان فيها معدوم ولكن الله يقول اني أنزل الأمان والاطمئنان على المهتدين والهادية هنا ترجع الى الحكمة والعلم . فكلما زاد الانسان بحثا في العوالم زاد اطمئنانه فان الاطمئنان والأمان على ﴿ قسمين ﴾ القسم الأول ﴿ أن يكون الانسان جاهلا ولكنه قد سلم أمره لله فلا يبالى بما يحصل له وهذا يصبح أشبه بالمتوهم تنويعا مغناطيسيا يقبل ما يأتيه من الله وهذا في الحقيقة قد أمن وسلم لأن المرض والفقر والموت عنده وان كانت مكروهات مؤلمات فان ما في نفسه من الراحة والاطمئنان تسليية وتعزية وراحة من ذلك لاسيما أوقات الاستغراق وهي قليلة . أما ﴿ القسم الثاني ﴾ فان بحثه في الحقائق المودعة في هذه السورة والعمل بها يعطيه صورة هذا الوجود وليس يمكن ذلك إلا بدراسة جميع العلوم ومتى درس العلوم أدرك أن هذا الوجود مبنى على النظام والترتيب وأن ترتيبه يقضى أن يكون هناك حياة وموت وأن الأحياء لوداموا لتعطل الوجود ولما توا أشنع موتة وهلكوا عن آخرهم وأن هناك حياة روحية وانها أرقى من الحياة الجسمية والطف منها وأن حياتنا سلم لها . فهذا مبدأ الأمان والسلامة ويزيد هذا الأمان بالموت إذ تزيد الحقائق له انكشافا وكلما ازداد كشافا ازداد بالحقائق اعترافا ففرح بها وبكل ما يأتيه من ربه علما منه أنه لا يفعل إلا لمصلحته . فاذا قال المصلي ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ فن هذا الباب دخل . إذن الصلاة في دين الاسلام شرعت لأجل ازدياد العلم لأن الأمان وازدياده بالعلم والعلم بالبحث

﴿ أين الأمان في قصة موسى عليه السلام ﴾

اعلم أن السلام المذكور يجب أن يكون لموسى أولا حتى يناله غيره . واذا لم يكن للأنبياء سلام وأمان فكيف يكون للأئمة أمان . فاعلم أن قصة موسى تعطيك نموذجا لنفسك ولأمانك وهذه فائدتها لنا . انظر كيف ذكره بما كان

(١) من إلقاء الحب عليه فلا يراه أحد إلا أحبه

(٢) وانه يصنع على عينه

(٣) تلتطف أخته في أن أمه ترضعه

(٤) رجوعه لأمه

(٥) اقرار عينها

(٦) نجاته من النعم بقتل القبطى

(٧) تخليصه من الفتن

(٨) رجوعه من مدين

(٩) اختيار الله له

(١٠) قوله - إننى معكما أسمع وأرى -

إذا سمعت هذا في موسى فاعلم أن الله لم يذكرها إلا لأجلنا . يقول سبحانه أنا أعلم أنه ليس أحد في

الأرض إلا وقد غمرته بنعم عامة ونعم خاصة . أما النعم العامة فالناس عادة لا يبالون بها فإذا جعلت الهواء والماء والشمس والقمر والنجوم والأرض والأنهار كلها عامّة للناس فلم يشكر منهم على النعم العامة إلا المخلصون ولكن شكر أكثر الناس إنما يتوجه الى ما اختصاصتهم به . وإذا كان موسى من المخلصين لى فإنه يشكرنى على النعم العامة والخاصة ولكنى ذكرته بالنعم الخاصة به تذكّراً للأهم وللأهم الإسلامية خاصة قائلاً لهم يا أئمة الاسلام مامن امرئ منكم إلا وله نعم خاصة به فالقد شاهد من صنعى فى أدوار حياته ما يشرح صدره ويرى من ذلك انى لم أتركه فى كثير من أوقاته ففعلت معه مثل ما فعلت مع موسى مع مراعاة أحواله الخاصة لأن ما يصلح لموسى لا يصلح لك بل لك أمور تفرحك قد فعلتها لك . ولكل أحد من الأشرار والأبرار أسرار لا يطلع عليها سواه فيفرحون بربهم بما اختصاصهم به من النعم . فإذا كان هذا عملى معك أيها المسلم فى سابق أيامك فلتعلم انى معك فى لاحتها ومرضك وفقرك وموتك . كل هذا لمصالحك كما رأيت المحافظة عليك فى الأحوال السريّة الخاصة بك المتقدمة . فعلى كل مسلم أن يتذكر نعم ربه الخاصة التى لا يعرفها سواه ولا تناسب إلا نفسه وليذكرها وليشكر الله عليها وليقيم بخدمة اخوانه وحب الناس حتى يكون آمناً مهتدياً وهنا (جوهرة تان) ﴿ الجوهرة الاولى فى قوله تعالى - لعل آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى - ﴾

(إن فى النار وفى النور هدى)

(١) لقد مضى فى هذا التفسير فى سورة الرعد أن الحرارة والضوء والجاذبية والصوت كلها على نسق واحد تقلّ كلما تباعدت أقطارها على عكس مربع المسافة وانظر ضرب المثل هناك إذ تكون القناديل الأربعة التى بيننا وبينها ثمانية أذرع مساوية كلها فى الضوء للقنديل الذى بيننا وبينه أربعة أذرع فقط والواحد منها مساو لربع ضوء هذا القنديل القريب فالنار والنور قد عرفنا منهما أن هذا العالم له نواميس منتظمة متوافقة

(٢) رأينا فى أضواء العناصر الأرضية خطوطاً سوداً تقاطع الأشعة السبعة التى أضعفها الأحمر وأقواها البنفسجى وهذه الخطوط تكون فى كل عنصر بحسبه فهى مختلفات فى العناصر اختلاف أصناف البياض فى أشخاص الناس . فكما أن لكل أبيض بياضاً يخصه مع اتفاقه مع الجنس الأبيض هكذا لكل عنصر فى ضوئه نوعاً من الخطوط السوداء يخالف نظيره فى غيره . وبهذه الكيفية أمكن العلماء فى عصرنا أن يفسروا مافى الشمس والكواكب الثابتة من العناصر وأن يحكموا بما فى الأرض على مافى تلك العوالم من العناصر لما يرون فى أضوائها من تلك الخطوط فيعرفون العناصر عنصراً عنصراً هناك . وبهذا عرف المسلم قوله تعالى - ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور - الخ فهنا وافق العالم السفلى العالم العلوى وعرفنا الثانى بالأول وأدركنا أن البانى لهما واحد لأن العمل واحد والنظام متحد وأن الأضواء كلها مركبات من الألوان السبعة . هذه هى الهداية لنظام الطبيعة . وسيأتى ذلك موضعاً فى سورة (تبارك) بالتصوير الشمسى عند قوله تعالى - ماترى فى خلق الرحمن من تفاوت -

(٣) ويتلو هذا انك ترى النار فى الاشجار وفى الاشجار وتحجب من أن الحياة لا تتم إلا بالحرارة وأن البرودة تخمد فيها الحياة ولا توجد . إن الحرارة يكون فيها التحليل والتركيب والبرودة تبقى فيها الاجسام ثابتة . ناهيك أن الجسم المطمور فى الثلج لا يقربه البلى بل هو باق على حاله . ذلك لان طبع الحرارة التحليل يتاوه التركيب والبرودة طبعها إيقاف الاعمال واعدام الحياة

(٤) رأى موسى عليه السلام النار فى شجرة العليق ويقول الله فى سورة (يس) - الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فإذا أتم منه توقدون - استدل بها على البعث هناك . فى النار هدى لمعرفة الحكمة والقدرة الالهية . وتبين أن هذه الاجسام التى نسينا الآن ستهدم وتكون الروح أشبه بالنار والاجسام أشبه بالاشجار والنار ترتفع الى العلى - وأن الى ربك المنتهى -

(٥) وهذه هي مغزى قصة (حى بن يقظان) التى ألفها (ابن الطفيل) ذلك انه ذكر أن فتاة خافت من أهلها فألقت طفلها المسمى بهذا الاسم فأرضعته غزالة فلما ماتت الغزالة هاله الأمر وعظم عليه الكرب ونظر فى حاله وهو وحيد بين الوحوش الضارية والفلوات القاصية فأخذ يبحث عن حبيته الغزالة أين هي فان كانت هذا الجسم فها هو ذا يهترىه البلى وأصبح جيفة وان كانت فى جزء من أجزائه فها هو فى العين أم فى الأذن أم فى الكبد أم فى الطحال أم فى المعدة ثم اهتدى أخيرا الى أن الحبيب كان يسكن فى هذا القلب والقلب كانت فيه حرارة الدم والحرارة بها بخار والبخار كان يحمل الروح والروح لا تعيش إلا فى وسط مثل هذا وهو يشبه نظام الأفلاك وحرارته كحرارتها . إذن هناك فى السموات عوالم تشبه تلك الروح أى روح الغزالة واذن هناك واحد فوق الجميع ذهبت اليه تلك الأم التى كانت تحبى لأنها لطيفة وكان مجلسها فى الجسم ذلك البخار اللطيف وهى تتصرف فيه وتغسل وتروح . هنالك أخذ يفكر فى الكواكب والملائكة ومعرفة الله تعالى الى آخر الرواية وقد تقدم فى سورة (البقرة) نحو هذا

هذه قصة (حى بن يقظان) التى ألفها (ابن الطفيل) ورجع السر الذى فيها الى الحرارة التى لازمت الروح ومنها فكروا فى حرارة الشمس والكواكب وأن هناك أرواحا عالية وفوقها مدبر الأرواح . إذن قوله تعالى - أو أجد على النار هدى - يشير الى أن النار مذكرة بالروح وبالمالك وبالله كما خطر لابن الطفيل . إذن النار فى كلام موسى هي من أهم أسرار الوجود . فبالحرارة الحياة وكل ما لحرارة فيه لا حياة فيه والحياة تقل ما قلت الحرارة وتمتدع بتنا اذا لم يكن للحرارة من أثر وضوء النار يعطينا القوانين الهندسية ويفتح لنا أبواب الحياة الأخرى ويشير الى عالم الأرواح ويهديننا الى النظر فى العالم الأعلى

هذا بعض ما يشير له قول موسى عليه السلام - أو أجد على النار هدى - . إن هذا القرآن ليس يقرؤه موسى الآن ولا أحد من السابقين فهو انما يتلى لنا وأمانحن فلندرس الوجود كما يشير اليه القرآن والحمد لله رب العالمين (٦) جاء فى تفسير قوله تعالى - أو أجد على النار هدى - (هاديا يدلى على الطريق أو يهدينى أبواب الدين) والأول دنيوى والثانى أخروى والأخروى أخذه العلماء من أن أفكار الأبرار مائلة اليه والذى جاء فى كلام (ابن الطفيل) فى البند الخامس منه . إذن موسى عليه السلام يطلب الدنيا ويطلب الدين معا فلنفهم نحن فى القرآن على قدر عقولنا فلسنا نحن أنبياء والأنبياء لهم مرام فوق متناول عقولنا والقرآن الآن يقرأ لنا فهم عند ربهم ونحن هنا فى الأرض والأنبياء تذكروا بالنار الدين والدنيا والمفسرون قدموا مسألة الطريق على أبواب الدين فى هذه الآية . إذن لنسرفى طريقنا ونفسر لقومنا بحسب ما وصل اليه العلم فى أيامنا ونذكر قوله تعالى - وآتيناه أجره فى الدنيا وأنه فى الآخرة لمن الصالحين - وقوله فى سورة الزمر - قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وأكثر العذاب فى القرآن انما هو عذاب الدنيا . فتجد عادا وثمود وأصحاب الرّس ومدين وقوم لوط وقوم فرعون . كل هؤلاء عذبوا فى الدنيا . إذن القرآن متجه الى نظام هذه الدنيا مع معرفة الله . الله أكبر لقد اجتمع كل هذا فى نار موسى التى رجا أن يجد عندها هاديا يهديه الى الطريق أو يهديه الى أبواب الدين ولكنه وجد الهدى بندها ربه الذى تلقاه تلقيا روحيا ثم تمثل لبدنه فانتقل الى الحس المشترك فانتعش به من غير اختصاص بعض وجهة . وسبب هذا كله ضوء النار . إن النار والنور والكهرباء والحركة يرجع بعضها الى بعض فاذا درسناها فاننا ندرس ما يدل على الله وما يدل على أبواب الرزق فى الدنيا . إن النار والنور وما تبعهما بهما نظام الحياة وبهما معرفة الله الذى أنزل فى القرآن هذه الآية ليقف المسلم عندها ليدرسها . الله أكبر . لو لم يكن فى القرآن سواها لكفت . ولو أن أقواما نزلت عليهم هذه الآية وعرفوها وحدها لكفتهم أمور الدين والدنيا . فجلّ الله وجلّ العلم . اهـ

(١) الحرارة إما منيرة كحرارة حديدية أحييت حتى ابيضت . واما مظلمة كحديدية أحييت قليلا

(٢) البرد لفظة اضافية ترجع الى قلة الحرارة

(٣) البخار يتحوّل الى غيم بانحطاط حرارته قليلا وغاز الهواء لا يتحوّل إلا بانحطاط عظيم جدًا في الحرارة
بجلّ الله الذي جعل الهواء لا يتأثر بالبرودة وقلة الحرارة والا لأصبحنا غرقى في سائله ولم نعش يوما واحدا .
فالهواء مركب السحاب فلو صار سائلا لم تكن حياة لنا على الأرض

(٤) ماهى الحرارة . أجمع العلماء على أن هناك مادة لطيفة جدًا تتخلل كل جسم جامد وغيره وهى
(الأثير) والأجسام كلها متحركة ذراتها دائماً فيه كما تتحرك السيارات حول الشمس . إذن ذرات الأجسام
والأثير كلها متحركة . وأكثرهم يقولون إن الحرارة تحرك هذا الأثير وهذه الذرات كما يتحرك الهواء
فتتحرك الأغصان بحركته . فذرات الجسم كالأغصان وذرات الأثير كالهواء والحرارة كالرياح . وأقلهم
يقولون . كلا . بل الحرارة سائل لطيف يتخلل دقائق الأجسام كما يتخلل الماء الحصى . فاذا طرق الجسم
خرجت الحرارة منه كما يخرج الماء من الخرقة اذا عصرت . إذن أجمعوا أن هناك مادة سواء أكانت هى
الأثير المائى لهذه الدنيا أو هى شئ آخر فالقولان بينهما تقارب ما . وقد تقدّم الكلام فى سورة (الرعد)
على مصادر الحرارة الثلاثة اجالا

(٥) ثم أقول هنا . انظر الى عجب عجاب . قد وجد (جول) الانكليزى بتجارب متعدّدة أنه اذا وقع
جسم ثقله قنطار مثلاً من علوّ (٧٧٢) قدما تولدت من حركة وقوعه حرارة ترفع حرارة قنطار واحد من
الماء درجة واحدة وبالعكس أى ان الحرارة الواجبة لرفع حرارة قنطار واحد من الماء درجة واحدة ترفع
جسماً ثقله قنطار واحد علوّ (٧٧٢) قدما وهذا يسمى (ناموس عديل الحرارة الميكانيكى) ومعنى هذا أن
الحداد الذى يطرق على السندان طريقة لا تذهب قوّته سدى بل تحوّل الى حرارة والحرارة تتحوّل الى حركة
ومعنى هذا كله أن الله عدل - ولا يظلم ربك أحداً - . فما مثل أعمالنا إلا كمثل الطرق على السندان
وما مثل الحرارة الناتجة إلا كمثل الثواب والله يقول - فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من
ذكر أو أنثى - الخ ويقول - ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون - فالحرارة هى نفس الحرارة إذ حوّلت اليها
كما حوّل الماء الى البخار أو الثلج الى ماء والثلج هو نفس الماء والبخار هو نفس الماء وهذا هو الحديث الشريف
﴿ إنما هى أعمالكم تعرض عليكم الخ ﴾ إذن أعمالنا هى نفسها التى تكون لنا بعد الموت تكمن فينا
وتظهر بصور أخرى وهذا حق وصدق . واذا كان الله لم يضع حركاتنا فى الأرض بل جعلها حرارة ونحن
نجهلها ولا نراها . فكيف يضيع أعمالنا . اللهم إن هذه النفوس الانسانية تزرع فى أنفسها أعمالا وثمراتها
تظهر فى نفس الدنيا وفى الآخرة

(٦) ضع ماء على كفك فانه حالا يسخن بحرارته ويتحوّل الى بخار فيشعر الانسان ببرودة الماء لأن
حرارة كفك انتقلت اليه واختفت فى بخاره . واذا تسكّفت البخار على كف انسان شعر بسخونته . لماذا .
لأن البخار المتسكّفت كانت الحرارة قد اختفت فيه أى ان البخار لا يزيد حرارته ألبتة وانما هو يحفظها عنده
فاذا رجع ماء سلم الأمانة الى أهلها فيحسّ الانسان بالحرارة التى سلمها أوّلا الى البخار . ويقال مثل ذلك
فى تحوّل الثلج الى سائل . وعلى هذه القاعدة قالوا إن جود الماء تسخين وذوبان الثلج تبريد . الله حفظ
الحرارة فى البخار والبخار سلمها الى الكف لانقص فيها وهذا معنى قوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة -
أصبح القرآن يؤيده العلم المحسوس - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره -

(٧) وللحرارة جعل الناس ميزانا سموه (الترمومتر) وهو يكون بالزئبق

(٨) وبالحرارة كانت الآلات البخارية التى حدثت بسبب آثارها فى الماء فيتمدد فيحصل الضغط فيكون

العمل المحجب فنسقي زرعنا ونطعم حنحبنا ونسافر الى أعمالنا في أرض الله ونصنع كل شئ . كل ذلك بسبب الحرارة

(٩) وبالحرارة كان السحاب والمطر والبخار الناشئ من البحار ونحوها والرياح
(١٠) والكهربائية والضوء ونحوها لها أعمال مشهورة عجيبة من حرم منها حرم السعادة وذل في هذه الدنيا . هذا بعض تفسير قوله تعالى - أوأجد على النار هدى - أى من يهدينى لدينى أوطريقى والحمد لله رب العالمين

﴿ الجوهرة الثانية فى الآيتين الكبرىين فى سورة طه وفى سورة النجم وفى قوله تعالى

- تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى - ﴾

هاتان آيتان كبيران ﴿ أحدهما ﴾ رآها موسى ﴿ والثانية ﴾ رآها نبينا ﷺ فالتى رآها موسى هى اليد التى أدخلها فى جيبه فخرجت بيضاء وكذا العصا التى قلبت حية والآية التى رآها نبينا محمد ﷺ هى ماورد فى الأحاديث مثل قوله ﴿ ثم رفعت الى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر واذا ورقها مثل آذان الفيلة قال هذه سدرة المنتهى ﴾ وفى رواية ﴿ ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى ﴾ الى أن قال ﴿ فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها ﴾ ثم ذكر بعد ذلك أنه فرض عليه الصلوات وعلى أمته

هذه هى الآيات الكبرى فهى عند موسى أمثال عصاه المنقلبة حية وعند نبينا ﷺ مثل سدرة المنتهى العظيمة الثمر الكبيرة الأوراق ومثل انها غشيها من أمر الله ما غشيها فتغيرت فأصبحت ذات حسن لا يستطيع أحد وصفه . آية موسى فى الجباب الأرضية وآية محمد ﷺ فى الجباب السماوية . آية موسى تغير فى العصا التى انقلبت حية وفى يده إذ صارت بيضاء بعد أن لم تكن كذلك . هذه هى آيات الله الكبرى

هاتان الآيتان المحمدية والموسوية نزلتا فى ديننا لفتح باب العلوم والعلوم التى تضمنتها الآيتان الكبيرتان علوم سماوية وعلوم أرضية . كبر الآية لأحد أمرين إما لأنها عظيمة الحجم هائلة وانها فيها جبال يفوق الوصف واما لأن فيها حسنا بديعا غريبا وليس لها أسباب معروفة . فالأول فى وصف آيات نبينا محمد ﷺ والثانى فى وصف آية موسى . ومن جهة أخرى لاتعدو الآيات الكبرى أحد أمرين إما عظم الحجم والمقدار واما الابداع فى تغير الأوصاف بحال غريبة ومن الأول كون الورق كآذان الفيلة ومن الثانى انقلاب العصا حية وبيض اليد . هذه أمور وقعت للأنبياء والأنبياء قدوة لأئمتهم ولم تنقطع آيات الله بعد الأنبياء وكيف تنقطع وقد علمنا أن الله كما كان يرى الناس على يد موسى العصا ويقول إنه آية هكذا هو يرينا نحن آيات كثيرة فهو يقول - سيرىكم آياته - فأى آيات الله تشكرون ويقول - سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم - ويقول - ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر - وهكذا فى سورة (الروم) أن من آياته خلق السموات والأرض واختلاف الألسنة والألوان والنوم بالليل والنهار وطلب الرزق والبرق وانزال الماء واخراج النبات وكون العالم كله قائما بأمره . تبين من هذا أن الآيات كما أراها لنبينا محمد ﷺ ول موسى وقومه هو الآن يريها لنا لم تنقطع ولكنه وصف ما حصل للأنبياء بأنها آيات كبرى . فبالت شعري ما هذا السر . هانحن أولاء نرى الآيات فى كل شئ فالكواكب آيات - وفى الأرض آيات للموقنين - الخ الآيات عن أيماننا وعن شمالكنا وفوقنا وتحتنا بنص القرآن . الله وعدنا أنه سيرىها لنا وليست خاصة بسدرة المنتهى ولا بعصا موسى مثلا

أقول . إن الآيات كبرها وصغرها على مقدار تأثيرها فى نفس من يراها . فسدرة المنتهى لما غشيها ما غشيها امتازت بتأثيرها الشديد وفعلها القوى على مقتضى استعدادده ﷺ وهكذا عصا موسى ويده . فالآية فى الأولى والآية فى الأخرى فتحنا لنا أبواب العلم فى الآيات التى عندنا . الله أكبر قد انفتح باب الجواب

وظهر السرّ المكنون في هذه الآيات . نزل القرآن لرقينا نحن . وليس للجاهل من سماع آية سدره المنتهى
ولامن سماع عصا موسى أثر لرقيه . تتكرر هاتان الآيتان الكبريان على أسماع الناس في الأمم الاسلامية
فيمرأ أكثرهم عليها وهم عنها معرضون . وما علموا أنهما فتحت لباب العلم بما في الأرض والسماء
غشى سدره المنتهى من أمر الله ما غشيتها فكانت آية كبرى لحسن المنظر وعظم الهيئة والابداع السريع
قلنا إن كبر الآيات على مقدار تأثيرها . فتأثيرها تين الآيتين كبير فلذلك كانتا كبيرتين . إذن لا تكون
آيات السموات والأرض التي وعد الله أنه سيربها لنا فنعرفها نافعة إلا إذا تركت في نفوسنا أثرا كما أثرت تانك
الآيتان الكبريان ولن يكون الأثر في نفوس الأتباع كالأثر في نفوس المتبوعين بل الأثر هناك أعظم
وبالاختصار لا تفيدنا آيات السموات والأرض إلا بالبحث والعلم بحيث نصل الى درجة يحدث عندها في
نفوسنا آثار تلك الآيات . ومما مثل الآيات عند الغافل إلا كمثال الجبال عند العميان وحسن الصوت عند
صمّ الأذان . وليس للنائم من علم بما يجري في العالم من خزن وفرح وعزّ وذللّ فهو والميت في هذا سواء
لاعلم لنا بآيات الله إلا بدراسة العلوم التي أحاطت بالأمم الاسلامية . ولقد جاء التصريح بذلك في قوله
تعالى - وقل الحمد لله سيربكم آياته فتعرفونها - . حقا ان هذا زمانه . أرانا الله الآيات العلمية في أوروبا
وبلاد اليابان وتبعها الصين فعلمنا معرفتها . فها هو ذا أرانا الآيات فقرأناها في كتبهم . فها هو ذا ليس يكفينا بل
لا بد من أن نعرفها . فهنا ﴿أمران﴾ إرادة من الله وقد حصلت فعلا بأمثال هذا التفسير والمدافع والطيارات
فهذا التفسير إرادة من الله للمسلمين هو وأمثاله قولية والمدافع والطيارات والغازات الخائفة التي يرسلها أهل
الغرب على بعض بلاد الاسلام آيات فعلية ﴿وبعبارة أخرى﴾ آيات السيف والآيات القلم
فعل الله الآن مع المسلمين ما فعله المعزّ لدين الله الفاطمي إذ فرّق الذهب على عظماء الأمة المصرية في المجلس
وقال هذا حسبي ثم جرّد سيفه وقال هذا نسبي . وهذا هو نظام الله كله . جنة ونار وقلم وسيف وهو غفور
رحيم وهو شديد العقاب وهو عزيز جبار متكبر كما أنه ودود رحيم لطيف وهاب رزاق فتاح الخ
فهذان الوصفان اليوم قد ظهرا لأمة الاسلام . أحاطت بهم الأمم من كل جانب وهم جاهلون نائمون
فرفع السيف عليهم والطيارات والغازات الخائفة وألهم رجال العلم في الاسلام فأروهم اليوم أن العلوم لا بد منها
حتى يمكن أن نعيش مع الناس . وما العلوم إلا آيات الله وآيات الله هي كل ما حولنا ونراه أو نلمسه وهذه لا تؤثر
في نفوسنا وتسكون جميلة المحيا بهجة إلا بالدرس والدرس هو الذي يجعل هذه العوالم لنا باسمّة الشجر جميلة المحيا
حسنة الشكل بهجة تسرّ الناظرين كما كانت سدره المنتهى وكما كانت عصا موسى . فسدره المنتهى تشير
أعلم الفلك وعصا موسى ويده تشيران لعلم الطبيعة والكيمياء . نحن لا نعقل جبال السماء فتكون عندنا آية
من آيات الله إلا بعلم الفلك ولا نعقل عجائب الأرض إلا بدراسة علم الطبيعة والكيمياء . الكيمياء سحر حلال
هي ابداع الله في الأرض . هي بهجة الدنيا . بها تنقلب الأجسام من حال الى حال وتبهج العقول وتحير
الأفكار . واذن تكون هذه من آيات الله التي أراها لنا فعرفناها . فأما إذا لم نقرأ هذه العلوم فانه يكون
أراها لنا ولم نعرفها وهذا هو الخزي العظيم . الله يريد أن نرى ولا نقنّدى بأنبيائه إذ أراهم
الله فرأوا . نعم هم رأوا بالهداية الالهية والوحي ولكن نحن مأمورون بالعمل والفكر حتى نفهم الآيات فلسنا
أنبياء بل نحن مكفون بالاقتداء . ان المسلمين اذا لم يفكروا في مثل هذا فقد أساؤا الظنّ بكتاب الله
إن هذه الآيات انما نزلت لمثل هذا المقام . بل أقول نزلت لترينا في هذا الزمان ما يجب علينا من قراءة
العلوم . هذا التفسير وأمثال هذا التفسير من نوع إرادة الله للمسلمين . فعلى المسلمين بعد اليوم أن يعرفوا كل
علم على حسب ما قرّرناه في أواخر سورة (البقرة) عند قوله تعالى - لا يكلف الله نفسا إلا وسعها - وفي
مواضع أخرى

هذه العلوم هي التي ترينا الجمال في هذه الدنيا والبهجة وكنت أود أن أورد مسائل من علوم السموات والأرض ولكن قد مرّ في هذا التفسير والحمد لله عجائب وعجائب تشرح صدر اليبس وهي كثيرة في كل سورة تقدّمت مثل ان مادّة الفحم هي بعينها الألماس . فهذا العنصر نفسه هو نفس الفحم وهكذا الفحم يستخرج منه العلماء مثات الألوان للصبغة وغير ذلك . وقد تقدّم الكلام عليه بأسهاب في أوّل سورة (الأنعام) وهكذا أعظم الكواكب تراه في كل السور السابقة تقريبا مثل ما مرّ في أوّل سورة (يونس) وغيرها . كل ذلك عجب بل من أعجب العجب ولكن الذي منع التعجب انما هو العادة . فالناس لا اعتيادهم النظر الى ما حولهم غشى على عقولهم . وليس يحصل التعجب إلا اذا حصل أحد ﴿أمرين﴾ إما أن يكون الأمر خارقا للعادة كما اذا رأى الانسان نباتا غريبا أو حيوانا غريبا فانه يدهش ويعجب ويسبح ربه مع أن هذا الحيوان عند القوم الذين يعيش بين ظهرانينهم لا يلتفتون اليه . واما أن يتعلم الانسان سرّ الأشياء بالعلوم المشهورة فكل ما كان غريبا على النفس يثير فيها الاعجاب وكل ما كان معتادا لا يحرك منها ساكنا . بل ان العصا تقلب حية على طول الزمان . فالعصا قد تتفتت ويعتريها البلى وتصبح من مواد الأرض بالتركيب ثم تصير طعاما لبعض الحشرات وتلك الحشرات تأكلها الحيات فتقلب اليها . إن العالم الذي نعيش فيه في قلب مستمر فكل ينقلب الى كل على طول الزمان ولكن هذا لا اعتياد الناس عليه لا يؤثر فيهم . فعلى قادة الأمم الاسلامية أن يثيروا الاعجاب في نفوس الطلاب بما ينشرون في مؤلفاتهم للأطفال وغيرهم صور العجائب التي تبهجهم ليرز ما كمن في نفوسهم من الوجدان وحب العلم كما فعلت الفرنجة إذ يرسمون لأبنائهم في كتبهم صور العجائب البديعة

﴿الورق والخير من الخشب﴾

(١) وأذكر لك اليوم ما قرأته عن أمّ الألمان إذ جاء من أخبارهم الزراعية ان لديهم ثلاثين ألف ألف فدان من مائة ألف ألف فدان صالحة للزراعة لا تأتي لهم بغذاء الانسان والحيوان وانما هي غابات تعطيهم مواد البناء والأدوات والرياش . وهكذا فيها المواد الأولية لصناعة الورق والخير الاصطناعي لأنهم يستخرجون منها (رب الورق) و (السليوس) وهو المادّة الأولية لصنع الخير الصناعي الذي انتشرت صناعته وأخذت في الازدياد بالنسبة الى ذبوع استعماله لاسيما بعد اتقان صنعه وجعله متينا وذلك فضلا عن اتخاذه خشب هذه الأشجار ومتخلفات أشجارها للمدفئة . هذا هو الذي قرأته اليوم (١١ نوفمبر سنة ١٩٢٧) عن أمّ الألمان أثناء كتابة هذا الموضوع . فمثل أن الخير يتخذ من الخشب وكذلك الورق أمرها عجب عندنا لغرابته فكيف تكون الاشجار التي نوقد منها ونصنع أدواتنا نلبس منها أغلى الملابس وأجلها وأبهجها . فنشر أمثال هذا في بلادنا يثير الاعجاب أولا وحب العلم ﴿وثانيا﴾ يبعث في النفوس حب استخراج المنافع من الارض وما عليها ﴿وثالثا﴾ يبعث فريقا من الناس على حب صانع هذا العالم الجليل

(٢) الخير ينبت في الصخر وهو يسمى (الخير الصخري) وهل أذاك نأ (الخير الصخري) ذلك الذي يكون على بعض الصخور وقد يلبسه رجال المطافي لأن من خواصه أنه اذا وضع على النار لا يحترق . ولقد وضعته أنا بنفسى على النار لطلبة (دارالعلوم) إذ كان مدرّس هذا العلم غائبا وأنا بنى عنه فصار الطلبة يتعجبون . ولما وضعته على النار مدة وطلبوا بقاءه مدة أخرى لم يتأثر وانما النار تحرق الجرائم المتعلقة به فتتنظفه فهي بالنسبة له تقوم مقام الماء

(٣) وهل أذاك نأ (شجرة الخير) التي تنبت في بعض بلاد (آسيا) وقد ذكرت في كتاب ﴿جمال العالم﴾ أو ﴿جواهر العلوم﴾ وكيف يأكل القوم هناك منها خبزا كالخبز الذي نتعاطاه نحن في بلادنا (٤) وهكذا شجرة (القشدة) التي يتخذ منها القوم لبنا خالصا سائغا للشاربين وهي مذكورة هناك

﴿ بهجة العلم ﴾

فتصوّر أيها النكي بيتا تسكنه من الخشب وكراسيه وأدواته منه والملابس التي تلبسها أنت وأهلك إما من حرير الخشب الذي يتخذ الألمان وأما من الحرير الصخري وكلاهما حلال في ديننا لأنه ليس حرير الدودة ثم جميع الفرش والمساند من ذلك الحرير . ثم إنك اتخذت أنت وأهل بيتك مواقد وأدوات للنار كلها من الخشب وقد غلفت وغطيت بأغطية من الحرير الصخري المذكور وأخذتم تأكلون الخبز واللبن والزبدة من الشجر . فماذا بقي بعد الآن . أنبت الله لنا منازل وملابس وماكل ومشرب كلها من الأرض بلا فعل حيوان ولا إنسان . هذه من آيات الله عند الحكماء ولا عبرة بها عند الجهلاء . تذكرنا بهذا آية - لقد رأى من آيات ربه الكبرى - وآية اليد والعصا . اللهم إني أُنذرت وحذرت ونصحت على مقدار جهدي وأنت يا الله مدبر الخلق محكم التدبير مبدع المعجزات والفرائب . فكما أبدعت من الشجر لنا خبزنا ومن الصخر حريرا فاجعل اللهم بعد جهل المسلمين علما واشتق من نومهم يقظة ومن ضعفهم قوة ومن ذلهم عزة إنك على ما تشاء قدير . انتهى صباح يوم السبت ١٢ نوفمبر سنة ١٩٢٧

﴿ الفصل الثالث من قوله - إنا قد أوحى اليك أن العذاب على من كذب وتولى - إلى قوله

- وذلك جزاء من تركي - ﴾

قال تعالى (إنا قد أوحى اليك أن العذاب على من كذب وتولى) أي إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به (قال) فرعون (فمن ربكما يا موسى) أي من إلهكما (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي أعطى كل شيء من الأنواع صورته وشكله الذي يطابق كماله الممكن له ثم عرفه كيف يرتفق بما أعطى له وكيف يتوصل إلى بقاءه . فالإنسان والحيوان والنبات في ذلك سواء كل أعطى صورته الخاصة به وألهم وتعلم كيف ينتفع به وذلك ظاهر في الأولين . وأما النبات ففيه نوع حركة وحس ضعيف كما تقدم (قال فما بال القرون الأولى) أي فما حال القرون الماضية والأُمم الخالية (قال علمها عند ربّي) أي أنه غيب لا يعلمه إلا الله فأنا عبد مثلك لا أعلم إلا ما علمني ربّي (في كتاب) أي كأنه في كتاب وهذا تمثيل لرسوخ العلم عند الله لا يضيع كما قال (لا يضل ربّي ولا ينسى) ضلّ الرجل أخطأ الشيء ولم يهتد إليه ونسى إذا ذهب عنه الشيء بحيث لا يخطر بباله وهذا محالان على الله تعالى . ثم وصف الربّ بأنه (الذي جعل لكم الأرض مهدا) وقرى - مهادا - فلمهد مصدر سعى به أي جعلها لكم كالمهد تمهدونها والمهاد اسم لما يفرش أو جمع مهد فحصل المعنى أن الأرض تتقلب فيها كما يتقلب الصبي في مهد الذي مهد له وارتاح فيه واطمأن إليه وسكن له (وسلك لكم فيها سبلا) وجعل لكم فيها سبلا بين الجبال والأودية والبراري تسلكونها من قطر إلى قطر ومن أمة إلى أمة (وأزّل من السماء ماء) مطرا (فأخرجنا به) بذلك الماء (أزواجا) أصنافا ثم وصفها وبينها فقال (من نبات شتى) وشتى صفة نبات وهو جمع شتيت كمر يض ومرضى أي متفرقات في الصور والأغراض والألوان والطعوم والمنافع الخ . يقول الله فأخرجنا بذلك الماء أزواجا الخ حال كوننا قائلين (كلوا وارعوا أنعامكم) أي آذنين فيه (إن في ذلك لآيات لأولي النهى) أي لذوى العقول جمع نهية (منها خلقناكم) فالمادة الأرضية منها خلق آدم وخلقنا لأنها تكون نباتا وحيوانا وهما يصبحان أغذية لنا تصير دما فلهما فمظاما . فنحن من التراب لا آدم وحده (وفيها نعيسكم) للدفن فنفسك ماركبناه من أجزاء أبدانكم (ومننا نخرجكم تارة أخرى) يوم القيامة للبعث والحساب فنؤلف أجزاءكم ونردّها إليها أرواحكم (ولقد أرينا آياتنا كلها) بصرفناه وعرفناه صحتها سواء أكانت خارقة للعادة أو كانت تبصرة وذكري في الكائنات المذكورة (فكذب وأفى) الإيمان والطاعة لعتوه وقوله (من أرضنا) أرض مصر (بسحرك يا موسى) هذه حيرة منه فإن الساحر لا يطرد ملكا من ملكه وإنما يطرده النبي فكأنه شعر بصدقه (بسحر مثله) مثل سحرك (فاجعل بيننا وبينك

موعدا لا تخلفه) أى مكان موعد أى وعد لا تخلف الموعد (نحن ولا أنت) ثم أبدل من المكان المقدر قوله (مكانا) ووصفه بأنه (سوى) بضم السين وكسر ها وهو من الاستواء أى منصفاً بيننا وبينك أى يستوى مسافته إلينا وإليك بحيث لا يجاوز أحدهما ما حدد له من المكان . فهذا أفاد أن الوعد لا يخلف وأن المكان يكون مناصفة بينهما وحيثما أجب و (قال موعدكم يوم الزينة) قد كان الطلب للمكان وهذا الجواب للزمان فيقال ان يوم الزينة الذى هو يوم ﴿النيروز﴾ عند الأمة المصرية كان له مكان معين فهذا عرف الزمان والمكان (وأن يحشر الناس ضحى) أى يجمع الناس وقت الضحوة نهارة جهاراً ليكون أبعد من الريبة (فتولى فرعون) أدبر عن موسى معرضاً (لجمع كيده) مكره وسحرته ولا معنى لعدتهم (ثم أتى) للوعد (قال لهم موسى) أى للسحرة (ويلكم لا تفترؤا على الله كذباً) لا تدعوا آياته ومعجزاته سحراً (فيسحركم) فيستأصلكم ويهلككم (بعذاب) عظيم (وقد خاب من افترى) من كذب على الله (فتنازعوا أمرهم بينهم وأسرؤا النجوى) أى المناجاة أى اختلفوا فيما يعارضون به موسى وتشاوروا فى السرّ وأدلى كل فريق بحجته وأسرؤا فيما بينهم وهم يتناجون ﴿إنه ان غلبنا اتبعناه لأنه إذن يكون نبياً﴾ ثم أعلنوا ما يأتى (قالوا) بالعلانية (ان هذان لساحران) أى انه أى الحال والشان هذان لساحران فالمبتدأ والخبر جملة خبر ان المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة (يريدان أن يخرجاك من أرضك) مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم) بدينكم وشريعتكم (المثل) الفضلى تأنيث الأمثل وهو الأفضل (فأجهموا) فاحكموا أى اجعلوه مجماً عليه (كيدكم) هو ما يكاد به (ثم اتوا صفا) أى حال كونكم مصطفين لأنه أهيب فى صدور الرائيين (وقد أفلح اليوم من استعلى) وقد فاز من غلب والجملة اعتراضية (قالوا) أى السحرة (ياموسى إما أن تأقى) عصاك أولاً (واما أن نكون أول من ألقى) أى اختر أحد الأمرين وان وما بعدها فى الموضعين مصدر منصوب بالفعل المضمر الذى ذكرناه وذلك للدُّب (قال بل ألقوا) مقابلة أدب بأدب وإشارة الى أنه لا يبالي بسحرهم فألقوا حبالهم وعصيهم التى لطخوها بالزئبق الذى من عادته أن يتأثر سريعاً بحرارة الشمس فما أسرع أن تحركت تلك الحبال والعصى (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) أى فألقوا ففاجأ موسى وقت تخييل سعى حبالهم وعصيهم من سحرهم فاذا هى للمفاجأة (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) فأضمر فيها خوفاً من مفاجأته بذلك على مقتضى الطباع البشرية (قلنا لا تخف) ما توهمت وعلل ذلك بقوله (إنك أنت الأعلى) * وألقى ما فى يمينك) ياموسى (تلقف ما صنعوا) أى تلتقم وتبتلع (إنما صنعوا كيد ساحر) أى حيلة ساحر (ولا يفلح الساحر) أى جئسه (حيث أتى) حيث كان وأين أقبل (فألقى السحرة سجداً قالوا آمنا برب هرون وموسى) فهم أولاً ألقوا حبالهم وثانياً ألقوا رؤسهم للسجود (قال) فرعون (آمنتم له قبل أن آذن لكم) فى الإيمان له (إنه لكبيركم) لعظيمكم فى فنكم (الذى علمكم السحر) وأنتم تواطئتم على ما فعلتم (فلا تقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) اليد اليمنى والرجل اليسرى أى لأقطعنها مختلفات (ولأصلبنكم فى جذوع النخل) لما تمكّن المصابون من المصابوب عليه جعل كأنه فيه وقد أطال فى ذلك علماء البيان فلا نضيع وقتنا فى العلوم الصناعية (ولتعلمن آينا) أنا أورب موسى (أشدّ عذاباً وأبقى) أدوم (قالوا لن نؤثر لك لن نخترك (على ما جاءنا من البينات) القاطعة الدالة على صدق موسى (والذى فطرنا) عطف على - ما جاءنا - (فاقض ما أنت قاض) أى ما أنت قاضيه أى صانعه أوحاكم به (إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) أى إنما تحكم علينا فى الدنيا وليس لك علينا سلطان فى الآخرة . فقوله - هذه الحياة الدنيا - منصوب على الظرف (إننا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) ما أكرهتنا معطوف على خطايانا * يقال ان السحرة عرفوا بعلامات عندهم أن موسى عليه السلام ليس ساحراً فأبى فرعون عليهم وأكرههم على معارضته (والله خير) منك ثواباً (وأبقى) عقاباً (إنه) أى الحال والشان (من يأت ربه مجرماً) كافراً (فان له)

للمجرم (جهنم لا يموت فيها) فيستريح (ولا يحيا) حياة ينتفع بها (ومن يأتيه مؤمنا) مات على الايمان (قد عمل الصالحات) بعد الايمان (فأولئك لهم الدرجات العلى) جمع العليا ثم أبدل منها (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها) دائمين فيها (وذلك جزاء من تزكى) تطهر من الشرك بقوله لا إله إلا الله وهذه الآيات الثلاث من كلام الله . انتهى التفسير اللفظي للفصل الثالث . وهنا ﴿ أربع لطائف ﴾

(١) في قوله - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى -

(٢) وفي قوله - قال فما بال القرون الأولى - الخ

(٣) وفي قوله - ولقد أريناه آياتنا كلها فكذب وأبى -

(٤) وفي قوله - فألقى السحرة سجدا -

﴿ اللطيفة الأولى - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - وفي اتصال هذه السورة بالسور قبلها ﴾
 هنا بيت القصيد من رسالة الأنبياء فانه لما سئل عن ربه لم يجب إلا بأنه هو الذى صور الصور وهدى كل نوع من الأنواع مستقره ومستودعه وأحواله الخاصة به . ثم اعلم أن هذه السورة متصلة بالسور قبلها كأنما هى سلسلة واحدة . ألا ترى أن سورة الحجر قد جاء فيها ذكر أنواع المواليد الثلاثة مرتبة من أدناها الى أعلاها ثم فى سورة النحل من أعلاها الى أدناها ثم ذكر بينها الانسان تارة أخرى هناك ثم جاءت سورة الاسراء وهنا ظهر عالم الأرواح فى الاسراء وفى مسألة الروح وتجلي موسى فى السماء السادسة وقابل نبينا محمدا ﷺ وراجع ﷺ ربه بإشارته فى الصلوات الخمس وما زاد عليها فهذه المحاورة بينهما والمجاورة فى العمل أشارت الى ما بين الأمتين من علاقات العلم . لهذا جاء فى سورة الاسراء تغلب أمة اليهود فى النعيم والشقاء المتتابعين عليها فى الملك . ثم تبع ذلك قصص الخضر فى سورة الكهف وكيف كان أمره مع موسى وتلاه الإشارة الى مناجاة موسى فى سورة هريم واتمام ذلك كله هنا فى سورة طه . فالاسراء والمحادثة فيها يناسبها أن تكون دروس الأمة الاسلامية مشتقة من قصص موسى . فتارة يذكر نظام دولهم وتارة يبين طريق تعليمهم وأن علم الله فوق علم العالم وتارة يصف الدعوة وكيف كان موسى يدعو فرعون . فهذه السورة متصلة بما قبلها أى ان هذه القصة هنا تمام لما جاء فى سورة هريم من النبذة الخاصة بموسى وتكميلا للتعليم . فاذا ظهر فى سورة (الاسراء) نظام الدول وفى الكهف اشراق العلم . وفى هريم وفى طه تبين الجلال الأصلى وازدهر العلم فيهما ازدهارا . ألا ترى كيف جعل العصر رمزاً لنظام الطبيعة وباعثاً قويا على فهم تقلباتها كما قررناه كأنه يقول أيها الناس من هنا فليكن البحث . فاذا رأيت العصا وانقلابها حية فاعلموا أنكم فى مادة كلها صور منقلبة منتظمة فادرسوها

﴿ تمثيل القصص القرآنى بالنظام الطبيعى ﴾

واعلم أن قول الله وعمله متناسبان . ألا ترى أنه يقول - ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت - فقوله وفعله متناسبان تناسبا حقيقيا . أفلا تنظر معى الى الذكور والاناث من نوع الانسان . أفلا ترى أن الله سلب على كل من الذكر والأنثى الشبق والشهوة بحيث لا يخطر ببال الشاب ولا الشابة وقت الخطبة إلا الاقتراب لقضاء الشهوات . فأما ذكر الولد ونظام الأسرة وما أشبه ذلك فأنما هو أمر ثانوى . فترى الشاب والشابة كل منهما يرى أن كل آماله أن يحظى بهذه الشهوة التى استوى فيها هو وسائر الحيوان والنبات حتى اذا ما اقترنا واقتربا واختلطا وحلت وولدت . فاذا ترى . ترى أن بعض الحب والغرام والعطف انتقل الى هذا المولود . ترى هذا الشاب الذى كان مملواً شبقاً وغراماً وعشقا وشوقاً لزوجته قد اقتطع من هذا كله جزء وجعل بصفة أخرى وهى صفة الرحمة فانقلب بعض الشهوة رحمة ثم لا تزال الشهوة تتضاءل والرحمة تتكامل ويعقب ذلك كله حب للزوجة ينمو على وجهه أعلى وهو حب المنفعة ونظام الأسرة فينتقل الحب من الشهوة الى حب المنفعة ونظام

الأسرة وحب الأخلاق والشماثل لا محجرات الشهوات حتى إذا كبرا انقلبت جميع تلك الطباع فأصبحت رجة وتربية وعطفًا وإخلاصًا قلبيًا لاشهوة معه وبالاختصار انقلبت الشهوة رجة وكانت النتيجة الرلد . فأوله شهوة وآخره نسل فالشهووات إذن مبدأ العمران ونظام المدن . هذا ماجرى في الطبيعة

انظر في هذه القصص . يذكر في القرآن عصا موسى ونار العليق المتقدمة ثم ننظر فنرى أن العامة يفرحون بها وتشرح صدورهم بل الله سبحانه ألهم العلماء في كل أمة فألفوا قصصًا سارا جامعًا لنوع اللذة الحاصلة من الغرابة والفسكاكة مع الإشارة إلى بعض الفضائل . فمثل ما في القرآن أشبه بالجمال الطبيعي ومثل ما في كليله ودمنة من حكاية الثور والأسد والذئب وابن آوى والنمر والثعلب والحمامة المطوقة وما أشبه ذلك كمثل الحلى المصنوع بأيدي البشر . وكما أن الجمال الحقيقي في الفوانى والتسكفي المصنوع بأيدي البشر من الحلى قد أنتجا البنين والبنات بالاقتران هكذا الجمال الحقيقي في قصص القرآن من العصا والحية وحكاية موسى وهرون والجمال الصناعي الذي صاغته أيدي البشر في الروايات التي تخيلوها قد أنتجت أدبا جيا وعلمًا وحكمة . ناهيك ما ترى في هذه السورة . لم يكتف الله سبحانه بما ذكره في أول السورة من السموات والأرض بل رجع إلى ذلك ثانياً فذكر أنه - أعطى كل شيء خلقه - الخ ثم أبان أنه أنزل من السماء ماء وذكر النبات وأنواعه والبهائم ونوع الإنسان إذ يولد ويموت ويبعث . هذه هي دائرة الوجود وسلسلة المواليد الثلاثة بعد ذكر السموات والأرض . فها هو ذا أعادها هنا كما ذكرها في النحل والحجرات . هذه الحجائب قد أشار لها بعصا موسى وتقلبها ثم أرضحها في خطاب فرعون وصرح بالمطلوب من ذلك فقال - إن في ذلك لآيات لأولى النهى - كأنه يقول إن عجائب هذه الدنيا هي الآيات التي يفهمها أصحاب العقول التي تنهى عن الشر والجهل . فكما نرى الشاب والشابة قد تدرجا في حياتهما من الشهوات الجاذبات للاقتران إلى تربية النرية وإصلاح الحياة . هكذا يتدرج الجهال والأطفال عند سماع القصص الشريف والمعنى اللطيف والأدب الجم في القرآن والأدب الصناعي في غيره إلى الحكمة والعلم وفهم الحقائق الكونية . وكما نرى أن الشاب والشابة يصيران في آخر أمرهما مشتركين في التربية وقد صاروا شيخين كبيرين لاهم لهما إلا نظام الأبناء وتربيتهم وزواجهم وزواجهن . هكذا حكماء هذه الأمة وعقلاؤها ينظرون في أمثال قصص موسى وهرون شيئاً فشيئاً مستلذين به فرحين ويتدرجون منه إلى العلوم الطبيعية المحيطة بنا مستأنسين أولاً بالنار والعليق والعصا والحية وتقلبهما ثم بعد ذلك يتعلقون بنفس الحقائق مباشرة كما ترى في قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وفي قوله - الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً - إلى آخر هذه السلسلة النباتية والحيوانية والانسانية إلى نهاية البعث

فيا عجباً لأمة الاسلام . يكون هذا الدين على هذا المنوال يتدرج بهم من العلم الأدبي في القصص إلى العلم الطبيعي ويتخذ لذلك الأساليب والطرق العجيبة تارة بذكر الأعاجيب والمعجزات وتلون الطبيعة وتشكلها على أيدي الأنبياء وتارة بالاضاءة والاشراق الناري في الأشجار الخضراء مع خطاب الله لهم وتارة يصرح بأن الله هو الذي نوع الأنواع وشكل الأشكال وألهم كل نوع ما أصلح حياته وأسعده ثم هم مع ذلك نائمون في أخريات الأهم وقد سبقتهم أوروبا وهم لا يعلمون وشيوخهم لا يريدون إيقاظهم بل كثير منهم نائمون عن هذه العلوم بل بعضهم لجهله يكفر من بها يؤمنون وما الكفر إلا بترك العلوم القرآنية والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم

اللطيفة الثانية في قوله تعالى - قال فما بال القرون الأولى - وقوله - ولقد أرينا آياتنا كلها -

وقوله - فألقى السحرة سجداً - الخ

تبين لك في اللطيفة السابقة كيف تطف القرآن بالخروج من قصص الأنبياء إلى العلوم الطبيعية . أفلا ننظر إلى محاوره فرعون لما سمع موسى يقول - ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - ماذا عمل وقصد .

قصد أن يرجع إلى سنة المعاندين وطريق المنكرين ويعمد إلى التجيز والتهويل والتهويل والخروج عن الحقائق إلى الخيالات كما هي سنة المعارضة والمجادلة وفعل ما فعله القوم إذ طلبوا من النبي ﷺ أن يوسع عليهم أرض مكة بأن يزيل جبالها ونحو ذلك . أو بأن يقص عليهم قصص فتية الكهف . أو علم الروح . أو تاريخ ذى القرنين مما ذكر فيما تقدم إذ طلبوه تعنتا لا طلبا للحقائق وقد أجيبوا للبعض بما فيه فائدة ولم يجابوا لما ليس فيه فائدة وقد حذر الله من هذا فيما تقدم وأفهم الناس أن الأنبياء جاؤا للارشاد وانما هم بشر فلا يقولون من العلم إلا ما علمهم الله وما عدا ذلك لا فائدة منه . فالأنبياء لا يعطون من العلم إلا ما نفع في رسالاتهم وما عداه ضياع لأوقاتهم ولأوقات أهمهم . هذا كله يؤخذ مما تقدم في السور السابقة . هكذا هنا يقول فرعون حين سمع الحجّة العقلية المبينة على النظر في الطبيعة قال لموسى هل تقصّ لي قصص الأولين من المصريين مثلا والآشوريين والبابليين . ولعله ذكر أمة من تلك الأمم أوحادثة يرجع تاريخها إلى قدماء المصريين مثلا فقال موسى ومالنا ولهذا هذا علمه عند ربى فأرجع إلى مانحن بصدده أنا رسول من عند ربك هو أرسلنى . أرسلك بماذا . أرسلنى بالحجج وقد أريتك العصا واليد وهما أنذا نقلتك إلى ما هو صنعه تعالى وفعله وقلت لك انظر صور هذه المخلوقات وإلهاماتها وغرائزها واقراء علوم الطبيعة فأنت يا فرعون تحاورنى لتخرجنى عما رسم لى من العلم . تدرجت إليك من خوارق الطبيعة إلى نفس علم الطبيعة وأنت تخرجنى إلى علوم التاريخ والأدب لا لا . إن علمها عند ربى فى كتاب أرجع إلى ما كنافيه واقراء العلم فى طرق الأرض ومسالكتها وانزال الماء من السماء وخروج النبات واختلافه والأنعام ورعيها له وأن الناس خلقوا على الأرض وانتفعوا بهذا كله ثم يموتون ويحشرون ويحاسبون . هنالك آن أن يقول الله - ولقد أريناه آياتنا كلها - أى الآيات التى هى خوارق للعادات تنفع العامة والآيات الطبيعية التى هى للخاصة . فالآيات بقسميها خارقة وغير خارقة قد أريناهم فرعون وهذا تقرير قوله - ولقد أريناه آياتنا كلها - فالتعبير بالكل لأجل ما قرأناه

﴿ موازنة إيمان السحرة بكفر بنى اسرائيل إذ عبدوا العجل وكل منهما قد شاهد العصا واليد ﴾
لما استبان أن هذه الآيات المنقسمة إلى قسمين قد اتضحت لفرعون قصّة الله علينا ﴿ أمرين اثنين ﴾ أمر السحرة وإيمانهم كما رأيت وسيأتى لك قصص بنى اسرائيل وكفرهم لما آمنوا بعجل السامرى إذ صنع لهم عجلا جسدا لاروح فيه فلما سمعوا خواره آمنوا به . فههنا كفر من الجهلاء وهم بنو اسرائيل وإيمان من العلماء وهم السحرة . إن السحرة شاهدوا المصا وشاهدوا اليد وشاهدوا أن العصا قد ابتلعت حبالهم وعصيهم وبنو اسرائيل شاهدوا ذلك ولكن فرق بين الأمرين فالجهلاء لا يفقهون هذا ولكن هؤلاء السحرة العلماء أدركوا أن الطبيعة التى قرؤوها والعلوم التى زاولوها لا تقوى على أن عصا تبتلع هذا كله . فأما بنو اسرائيل فهم جاهلون لا يفرقون بين هذا وذاك انما هم يتبعون كل ما أمامهم فإهم إلا كأطفال تعطيم الحلوأ فإأ كانوا وتأتى لهم بحلوأ أخرى فإأ كانوا فهم تبع حواسهم لادراسة عندهم . جاء لهم موسى بالعصا فآمنوا ثم جاء السامرى بالعجل فقالوا إن العجل الذى نطق وصار ثورا عظيما أحقّ بالعبادة من رب موسى وأى شأن للعصا فى جانب هذا العجل الذهبى . هذا برهان من الله . إن الايمان المبني على مثل قلب العصا حية لا ثبات له وانه ان لم يتبع بالبراهين العقلية فانه ذاهب أدراج الرياح وعرضة للتقلب والضياع وأن المدار انما هو على العلوم ونظام الطبيعة ودراسة ما خطه الله على قرطاس السكون من بهجة العلوم ورونق المعارف وما عدا ذلك فهو مقدمات . انتهى

﴿ القرآن الكريم والفيلسوف سبنسر ﴾
لعلك تقول مالنا والفيلسوف (سبنسر) وأى فائدة من ذكره ومالنا له . أقول لك أذكره لأقررك حقيقة عجيبة . أنا هنا بينت لك أن القرآن فى هذه السورة أقادنا أن علوم الطبيعة أفضل وأرقى من علوم الأوائل ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أفضل من علم التاريخ فان موسى لما سمع فرعون يعرج على علوم الأوائل قال

تمدها بسلوك وأن تأخذ بيدها فاننا ذاهبون الى الله قبلكم وتركنا هذا القول وديعة عندكم فأسألك بالله أن لا تضع الأمانة وأسألك بالله أن ترشد الأمة أمة سيدنا محمد ﷺ وأن تهديهم وأن تقوم خطيبا في كل مجمع وناد ومجلس وأن تدرس لهم ماقصه الله وتشرحه وتبين لهم ماشرحناه وتفكر في الطرق التي تجذب هذه الأمة الى معرفة ماذراه الله في الأرض والسموات وأن تحمل الأغنياء على بذل المال في تعليم هذه العاوم الطبيعية واذاعتها بين المسلمين فليس يعلم أكثر المسلمين الآن أن أمثال (اسبنسر) الانجليزى يحرض على ارياد العاوم التي رسمها القرآن وليس يعلم المسلمون أن ديننا يطلب العاوم التي يجهر بها هذا الفيلسوف وآلاف مثله وأن الطبيعة فوق شعر الشعراء وجاها فوق كل جال . ان جاهها من الله وجمال الشعر والتاريخ من صنع البشر وأى نسبة بين الجالين . ثم قال (اسبنسر) وما أكثر صور الطبيعة وما أقرب تمرينها للذاكرة فاذا كانت اللغات كثيرة المناحي واسعة الكلمات والمقاصد فالطبيعة أوسع وأغزر . ناهيك ما ترى من عدد النجوم في المجرة التي في السماء وهي البياض الذي يراه الناس في الليالي الصافية يظنون سحبا وما هو بسحاب وانما هو نجوم تباعدت عن الأنظار حتى اختلطت على الأبصار تعد بالآلاف الآلاف وهكذا المواد التي تركبت منها تلك النجوم وقد أظهر تلك المواد علماء الكيمياء بنظرهم في طيف تلك الكواكب بشرح يطول وهكذا اذا نظر الناس لعاوم الضوء والحرارة والكهربائية والتشريح البشرى والبيطرى . وقد أحصى علماء النبات مايزوه من أجناس النبات فكان (٣٠٠٠) ألف جنس وعلماء الحيوان وجدوا أن عدد أجناسه (مليونان) أى (٢٠٠٠٠٠٠) جنس من الحيوان فلا ترى عالما واحدا قد أتقنها كلها وانما يتقن فرعاً واحداً (٣) يقول (اسبنسر) إن التضلع من العاوم الطبيعية كما انه أفضل للذاكرة من حيث كثرة عاومه . هكذا هو أفضل لها للصلة القائمة بين أجزاء الطبيعة بحيث لا يوجد مثلها في الكلمات . إن العلاقة بين الكلمات وبين المعانى علاقة غير طبيعية . انها علاقة عرضية وأين العرض من الجوهر . ألا ترى انك اذا تتبععت اشتقاق الكلمة ودققت تدقيقاً فانك وان سرت سيرا طبيعياً في الاهتداء الى أصولها كارجاع ضارب الى ضرب وكذا مضروب وضارب لا يمكنك الوصول في آخر الأمر الى السبب في اختصاص الضاد والراء والباء بالعمل المخصوص والالقاف والميم والراء لهذا الجرم المنير بالليل . ولماذا أوجب أن يكون قر لهذا الجرم . ولماذا لم يكن (حبر) كل ذلك مجهول عند الناس أن ان العلاقة ليست طبيعية بين الألفاظ وبين المعانى وان كان الاشتقاق فيه العلاقة طبيعية . أما في الطبيعة فان العلاقة معقولة مقبولة يترسمها الطالب ويتبناها

(٤) وأيضاً ان العلم الطبيعى يقوى ملكة الحكم . قال وقد أحسن الاستاذ (فاراداي) في خطبة له عن التربية العقلية إذ يقول «إن أشيع العيوب العقلية هو ضعف ملكة الحكم» وقال ذاك الاستاذ أيضاً «لم يقتصر المجتمع الانسانى على جهله من حيث تربية ملكة الحكم حتى أضاف الى ذاك الجهل بأنه جاهل بذلك» قال (اسبنسر) والاستاذ المذكور ينسب هذا النقص الى فقد التربية العلمية . قال وقد أصاب فاننا مهما كان مبلغنا من اللغات ومعرفتها لانصل الى صحة الاستنتاج . وانما يكون لنا ذلك بصحة الاستنتاج فيما يتعلق بالأسباب والنتائج ولا تستفاد ملكة الحكم الصحيح إلا من التعود على استنتاج النتائج من المقدمات ثم تحقيق هذه النتائج بالملاحظة والتجربة

(٥) ويقول أيضاً «انه يهذب أخلاقنا فاننا بدل أن نخضع لآراء من سبقونا وخفظناها عن ظهر قلب وقبلها قضية مسلمة نرى العلم الطبيعى يعوّدنا أن نعرف بأنفسنا ونرى الضرر والنافع بأنفسنا فيكون ذلك أمتن في اتباعنا واقتناعنا بصحته . ولا ريب أن العلم الطبيعى يعلم الاستقلال لأنه مبنى على ملاحظات يقينية والاستقلال في الرأى أهم وأنفس عناصر الأخلاق

(٦) وهو يعلمنا خلق المشابة فان المجدد في الأعمال الطبيعية العلمية يكسب قوة المشابة على العمل وهي

أضمن طريق للنجاح

(٧) ثم ان دراسة هذا العلم تعلمنا كيف نطلب الأشياء باخلاص فان جلال الطبيعة يبهج الطالب بها وهذا الجلال واللذة يجعلانه مخلصا في الطلب فدراستها تعلمنا الاخلاص

(٨) ومن أفضل الخصال التي ينالها المغموم بالعلوم الطبيعية نبذا الآراء المدخولة الفانية التي لا تعتمد بالحق وان قبلها الجمهور فدارس علم الطبيعة ينبذ ما ليس معقولا وان صدق به الجمهور ولا يبالي بما يقال مما ليس له قبول . فهذه ثمانية خصال ينالها دارس علم الطبيعة نقلتها لك عن (اسبينسر) ولكن مثلت أمثلة تنطبق على عوائدنا وعلومنا ولكن المعاني كلها من كلامه . نقلتها لك لتطلع على أهم الغرب وتوازن بينها وبين أمة الاسلام التي غفلت عن آيات هذه السورة وكيف كانت هذه الامور الثمانية قد تضمنها قوله تعالى - قال فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى * الذي جعل لكم الأرض مهذا - الخ . أليست ترى أن هذه الآية هي عين ما قاله (اسبينسر) الفيلسوف وأن فرعون يقول لموسى أسمعننى علم التاريخ فيقول موسى كفى كفى هلم بنا نقرأ تاريخ الطبيعة . هلم بنا نقرأ ما كتبه الله في الطبيعة وما خطه في قرطيس السماء وألواح الأرض وهي العلوم الحقة التي تعطى قوة الاستبصار والاستنتاج والذاكرة والجمال والاخلاص والحب وهكذا . هذا هو كلام الله وهذا هو مقصود القرآن ولهذا أنزله الله فان لم يعرفه من قبلنا من الأجيال المتأخرة بعد عصر الصحابة فسيعرفه الأجيال الغابرون والأمة المتأخرون . وكم ترك الأول للآخر . وكما لله على خلقه من فضل وجود والحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلوم الطبيعية ﴾

فاذا كان هذا شأن العلوم الطبيعية ونحن الآن في دراسة القرآن . فهل لك أن أسمعك ما نظمته سابقا لتلاميذ المدرسة الخديوية وان كانت مدارسنا لتسلط الأجانب عليها غير مفرمة بتلك العلوم . فهناك أسمعكها لتكون ذكرى لكل ذى عقل مستبصر وقلب مفكر - ولكل نبأ مستقر - وستنشر هذه العلوم - ولتعلمن نبأه بعد حين -

هذا النظم من كتاب جمعه التلاميذ من نظم ونثر ألقته عليهم بالمدرسة الخديوية اسمه ﴿ جوهرة الشعر والتعريب ﴾ وها هو ذا النظم . في ليلة الثلاثاء ٥ شوال سنة ١٣٣٥ الساعة الرابعة بعد نصف الليل كتبت ما يأتى ﴿ نظمت هذا في جلال الطبيعة ﴾

قال تعالى - أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج * والأرض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب - قرأت كتاب الله في كل سورة * وأنست نور الفهم في كل صورة خذوا عنى العلم الذى قد درسته * وهذا بتة حتى أضاء بهجة فياقومنا هذى العجائب صوّرت * وأبدعها الرحمن في كل ذرة وأتقنها حتى تجلت بديعة * مزينة في رقشها خير زينة فأنشأ أفلاكا وأبدى غرائبها * وشييدها حتى استقامت بحكمة ورصع فيها المشرقات ثواقبا * نجوما تراها في ليلى اللججنة تحلى بها جيد الزمان فيالها * عقود جان زانها حسن صنعة ﴿ فصل فى عدد النجوم (١) ﴾

(١) إن النجوم المنظورة بالعين ستة آلاف فيكون فوق الأفق دائما ثلاثة آلاف وتحت ثلاثة آلاف والنجوم التي ترى بالمنظار المعظم وبالمصور الشمسى أكثر من مائة ألف ألف وهناك ما يشبه السحاب فى الليالى

وقد عدّها الأقوام رأى عيونهم * بستة آلاف لتقريب حسبة
ولكنهم لما رأوها بمنظر * وتصوير آلات برسم الأشعة
بدت لهم آلاف ألف تعدّها * مئات بلا حصر لصادق فطرة
ألم تر أبواب السماء التي ترى * بأعيننا موسومة بالمجرة
عدت كل طور في الحساب لأنها * إلى اليوم لم يكشف لها ستر حرة
فأما تناءت صورت لعيوننا * كذئوب جان أو كسائل فضة
بدائع آيات مجالى مناظر * لطائف عرفان تجلى لفطنة
(أشكال النجوم المجتمعة)

ففيها نجوم رصعت في نظامها * كسنبلة صفت بجبات حنطة
وأونة تلقى دوائر نظمت * لتعقلها نفس الحكيم بنظرة
ومنها التي قد صورت في جالها * مثلثة الأشكال في حسن بهجة
فهذا جال ليس يعقله الذى * ينام عن التبيان في كل ليلة
حياتكم لا تتركوها سهلاً * أسركو حى كيت بحفرة
ومالى اذا ما قلت ثوبوا لرشدكم * نأيتم وقلتم نخسى كأس خرة
وبعضهم في الجهل مثل نهامة * تصاد فأخفت رأسها تحت صخرة
ففاجأها الصياد مقتنصا لها * كذلك الجهال ماتوا بحسرة
حياتى حياة العلم فاعجب لحسنها * سكرت بلاخرفيا حسن سكرتى
(عجائب الأرض)

وفي الأرض آيات وفيها عجائب * من الماس والياقوت في نحر دمية
وفيها نحاس للمتاع وعسجد * لتقويم ما نبتاعه ولزينة
وفيها حديد لم يذر من صناعة * على الأرض إلا قام فيها بألة
به قطر تجرى على الأرض دائبا * وآلة محراث وصنعة إبرة
وفيها نبات قائم فوق ساقه * يتيه دلالة في جال ونضرة
وآخر لا ساق له ككشائش * فهذا لانسان وذا لبهيمة
تخار عقول العالمين لما ترى * عجائب ألوان واحكام صنعة
(فصل (١) في الجبال والسحاب)

ألا يارجال العلم دونكم اسمعوا * مقالى ولا تنأرا بجنب لغفلة
ألا فانظروا هذى الجبال شواخا * عظام كانت منذ قرون قديمة
ملونة جرا وبيضا لوامعا * وصفرا وسودا كالسحاب الرفيعة
مخازن ماء للبرايا تسوقه * لها السحب أمطارا على كل بقعة

الصفية في وسط السماء وهى المجرة وأكثر نجومها لم يمكن رصده لبعده جدا وهى شمس لانهاية لعددها قد
تباعدت حتى صغرت في العين وتضاقت كأنها لبن في النظر ، وهذه المجرة تسمى في الشرع (أبواب السماء)
وعند الانجليز (الطريق اللبنى) وعند الفلاحين المصريين (طريق التبانة)

(١) السحاب وألوانها وألوان الجبال وانها مخازن للماء يجرى من أعلاها أيام المطر ومن ذائب الثلج إذ
يتنزل بحرارة الشمس بالتدريج ومن العيون التي تجرى من باطنها وتمتد الانهار

فمن ذلك النيل السعيد وصنوه * فرات جرى حتى تلاقي بدجلة
وكنغو وزنبيرا وليس بعدها * سوى علم تخطيط ورسم خريطة
﴿ فصل (١) في عجائب الماء في الجبال ﴾

ومن عجب ما سوف أذكره لكم * ألا فانظروا هذا النظام بفطنة
تحصل ماء في الجبال فما الذي * يزجيه لما أن جرى للخلقة
فهذا سؤال ليس يدري جوابه * سوى عالم حبر بعلم الطبيعة
فيعلم أن الماء من طبيعته الذي * به اختص ما بين الطباع العجيبة
إذا صار ثلجا زاد حجما مكبرا * عن الماء في تلك الجبال الصليبية
فيضغطها ضغطا فينفذ صاعدا * وتجرى ينابيع بسلسال فضة
عجيب نظام لم يكن عن جهالة * ولا رمية من غير رام بغفلة
﴿ نظام السحاب (٢) ﴾

فها كم نظام السحب فاستمعوا له * خذوه بعقل وافهموه بفطنة
خذوا مثالا بالقدر والماء غالبا * عليها بإيقاد اللظى فوق فحمة
وقد صعد التبخير والماء مسخن * فيرجع ماء ثانيا عند قبة
فان يك صبور لذلك حاصلا * ترى الماء يجري قطرة بعد قطرة
ترى الشمس في التمثيل نار وانما * جبال وأرض كالقدور الرسية
فأما غطاء القدر فهو ممثل * لما فوق هذا الجو وصف برودة
ومثل ماء القدر بحرا مبخرا * بشمس الضحى في لحظة بعد لحظة
وذلك كالجمام أيضا ومثله * ترى مثل الانبيق أيسر لفظة
فهذه علوم السحب والقطر والندى * عروس تبدت في ثياب رقيقة
تزف إليكم والجبال يشوقكم * إليها ومأمهر سوى صدق نظرة
﴿ علم المعادن والفلزات ﴾

ألا فخذوا علم الفلزات انهم * قد استخرجوها في الجبال العسية
ففي جبل تلقى الرصاص بجوفه * وآخر تلقاه مشوبا بفضة
وفيها نحاس والرصاص وعسجد * كذاك بلاتين الجبال البعيدة
فذلكم للناس أشرف نعمة * بها أصبحوا والله في حال غبطة
فان ركبوا كانت لهم خير مركب * وان يتباهوا فهي أنغر زينة
وان خاطبوا بعضا فتلك مسرة (٣) * وبرق جرى وسط السلوك الدقيقة
وان يحرقوا أو يطحنوا فهي عونهم * وان شيدوا قصرًا أغاثت بسرعة

(١) الماء في الجبال يبرد حتى يصير ثلجا ومن خواصه انه يكبر حجمه فيشق الصخر فتتفجر العيون وهذه الخاصية ليست لسائل سوى الماء اذا جمد

(٢) نظام السحاب وتشبيهه بالقدر تحتها النار فغلت وصار لها بخار فاجتمع عند الغطاء والجمام كالانبيق فالشمس كالنار وماء البحر كماء القدر وبخار السحب كبخار القدر والجمام والانبيق وأن نزول المطر كتقطير الانبيق وقطرات الجمام ونحو ذلك

(٣) تليفون

وان هم شروا يوما تكن خير حاكم * ليعرف منها قدر تقويم سلعة
وان حاربوا كانت حرابا وأدرعا * مدافعها اغتالت نفوس البرية
ليهلك من عاشوا بغير روية * ويحيا أولوالتوفيق أهل الروية
ومن لم يشم حسن العوالم عقله * فذلك والله حقيق بخيبة
من الناس من عاشوا ولا علم عندهم * كأنهم فيها سراب ببيعة
﴿ الماس من خم والعسل من نحل والحرير من دود والجوهر من صدف ﴾
ومن فحمة سوداء جاؤا بجوهر * بهيج فذلك ألماس في صدقينة
وخير لباس الناس من نسج دودة * وخير طعام الناس من فم نحلة
وأعجب آيات الجمال جواهر * من الصدف المخلوق في قاع لجة
فهذا على أرض وذلك في هوا * وآخر في لج البحار العميقة
﴿ أعمار المعادن (١) ﴾

وفي المعدن المخلوق في الأرض حكمة * تدق على أهل العقول السليمة
تري الشب والزاجات والملح أنضجت * كما نضج الكبريت قبل سفينة (٢)
لقد خلقت في التراب والطين كلها * ومنها الذي يبدو بأرض خبيثة
ومنها التي في الماء أنشئ خلقها * كدر ومرجان بديع بحلية
على سنة زادا أو اكتملا بها * بتدبير رب العالمين وحكمة
ومنها الذي يبقى سنين طويلة * ببطون جبال أورمال دقيقة
كثل حديد والرصاص وفضة * كذلك باقي معادن سبعة
وأطول من هذا العقيق ومثله * الزبرجد والياقوت في طول مدة
﴿ عجائب النبات (٣) ﴾

ومن عجب أمر النبات كمعدن * من الدمن الخضرا الضعاف الضئيلة
يجيء بها ظل الندى فاذا بدت * لها الشمس زالت عند آخر ضحوة
فهذا نبات معدني مخلوق * بفصل ربيع مثل انبات كمأة

(١) تختلف المعادن أعمارا في بطن الأرض فالملح والشب والكبريت المتكونات في الطين والأرض السبعة تتم قبل سنة والدّر والمرجان يتكوّنان في سنة أو فوقها والحديد والنحاس والذهب وأمثالها في مئات السنين والياقوت والعقيق والزبرجد في دهور طويلة والعلم الحديث اعتبر المعادن كالذهب والحديد عناصر بسيطة وجعل المرجان حيوانا

(٢) تصغير سنة

(٣) أقرب النبات الى المعدن خضراء الدمن والسكّء . فالأول ينبت بطلّ الندى ثم يزول ضحوة لحرارة الشمس والثاني جمع كمأة فالأول نبات معدني والثاني معدن نباتي لأن الأول أقرب الى النبات والثاني أقرب الى المعدن وأقرب النبات الى الحيوان النخل والكشوثي والأخير يعيش على غيره كالسود فهو في ظاهره أقرب الى النبات ولكن فعله فعل الحيوان . وهكذا كل نبات يتغذى بالمولدات النامية مما كشفه العلماء حديثا مثل الشجر الذي يمتص الحشرات التي تحوم حوله ومثل شجرة في (مداغشقر) ذكرت المجلات الاوروبية انها متى شرب منها انسان ماءها الحاصل فوقها سكر ثم ضمت عليه أوراقها وشوكها فامتصته وصار غذاء لها والنخل تميز ذكره من أنثاه وان قطع رأسه مات فأشبهه الحيوان بعض الشبه

تري السكم مثل النبت وهي معادن * على الضد مما قبلها عند نسبة
وأعلى مقامات النبات الذي له * صفات يضاهي مبدأ الحيوية
كنبت الكشوثي انه غير ثابت * على الأرض بل يحيا على ذات شوكة
وفوق غصون أو زروع وانه * يشبه نفس الدود في بدء فطرة
كذلك حياة النخل تبدى عجائبا * فذكر انها عن كل أنثى استقلت
وان يشا الرحمن أهد اليكم * عجائب في أجسامنا والغريزة
فأعجب هذا الخلق أمر ابن آدم * جسوما وعقلا باحثا عن حقيقة

❦ ثلاث جواهر ❦

﴿ الجوهرة الأولى في قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - ﴾
إني لما كتبت هذا العنوان حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يحاورني في مسائل من هذا التفسير فقال
ماذا تريد بعد ما كتبت في هذا الموضوع . فقلت لقد رأيت اليوم عجا هو أنسب لهذه الآية . لقد أصبح العلم
اليوم يكشف لنا الغطاء عن آيات القرآن . ان في القرآن قصصا ومن هذا القصص ما قصه الله عن موسى
في سور (طه) هنا . ولقد جعل الله القصص في الديانات كالأشجار والزروع في الأرض . ان الكلام مشابه
للغذاء . فكما ان من الغذاء ما لا يناله الناس والحيوان إلا مندحجا في أوراق النبات وحشائشه حتى يدخل
الجسم بلطف فلا يهيج أجزائه التي يدخل اليها ولا يمزقها بقوة وان دفاعه اليها فيكون الانسان والحيوان
مشاركين في حياتهما ويقل مرضهما ويطول عمرهما على مقدار حالهما بخلاف ما اذا كان الغذاء لحما أو بيضا
أولبنا من كل مادة غزر غذاؤها فانها تعطي قوة هائلة ويعقبها رد فعل فيكون مرض فوت بغتة كبعض
الناس بعد حين وعلى حسب ضعف الاستعداد الذي لا يعلمه إلا مبدعه . كل هذا في الطب الحديث الذي
يفضل أغذية النبات . هكذا جعل الله في كل دين وفي علوم الأمم التي يكتبها جهابذة المؤلفين أن يلقي العلم
بطريق القصص والحكايات والكلام الجليل البديع المؤثر في النفوس فلا جرم يحدث له أثر في النفس لأنه
يدخل اليها بلا استئذان . هذه قصة موسى تراها كأشجار وأزهار وأوراق . وهذه يفهمها العامة كما يفهمها
الخاصة ولكن الحكيم يعرف أين الثمرة فيلتقطها . ومن ثمرات هذه القصة هنا قوله تعالى - قال ربنا الذي
أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فقوله - أعطى كل شيء خلقه - أصبح اليوم يرى بالمنظار المعظم وأصبحت
علوم الطبيعة كلها تطبيقا عليه . فبينما القارئ يسمع قصصا ومحاورات بين موسى وفرعون إذ يراه فجأة أصبح
لعلوم الطبيعة دارسا . فقال صاحب أي علوم الطبيعة هنا . فقلت ألم تسمع الله سبحانه يقول - قال ربنا الذي
أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فاعطاء الخلق يرجع للتصوير والاحياء والانماء على وجه مخصوص وذلك في
النبات والحيوان والانسان والمعادن وكل شيء والهداية خاصة بالحيوان والانسان . فقال ان هذا التفسير مما هو
من هذه العجائب . فما الذي زاد هنا . قلت ستعلم في هذا المقام علم اليقين معنى قوله تعالى - وما كنا
عن الخلق غافلين - ومعنى - أعطى كل شيء خلقه - أي بلا زيادة ولا نقص . وتري الحساب البديع في خلق
الأجنة في الأرحام وتعلم أن حكاية صفة بن داهر الحكيم الهندي (الذي اخترع الشطرنج وجعل حب القمح الذي
في العالم كله بالحساب لا يكفي ليوفي بيوت الشطرنج) قد ظهر اليوم نظير مغزاها في خلق الجنين في بطن أمه
فإنك ستري انه يجري على مقتضى المتواليات الهندسية . فقال قد تقدم هذا في سورة الفاتحة عند تفسير رب
العالمين . فقلت إن ما هناك قد جاء قولا بلارسم . وأما ما هنا فأنك ستراه مرسوما موضعها أمامك . ألم
تسمع قول الله تعالى - وقل رب زدني علما - وقوله تعالى - وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها - الله
وعدنا أنه يرينا آياته وها هو ذا يفي بعهده لنا شيئا فشيئا . ألم تسمع قوله - ومن أوفى بعهده من الله - . الله

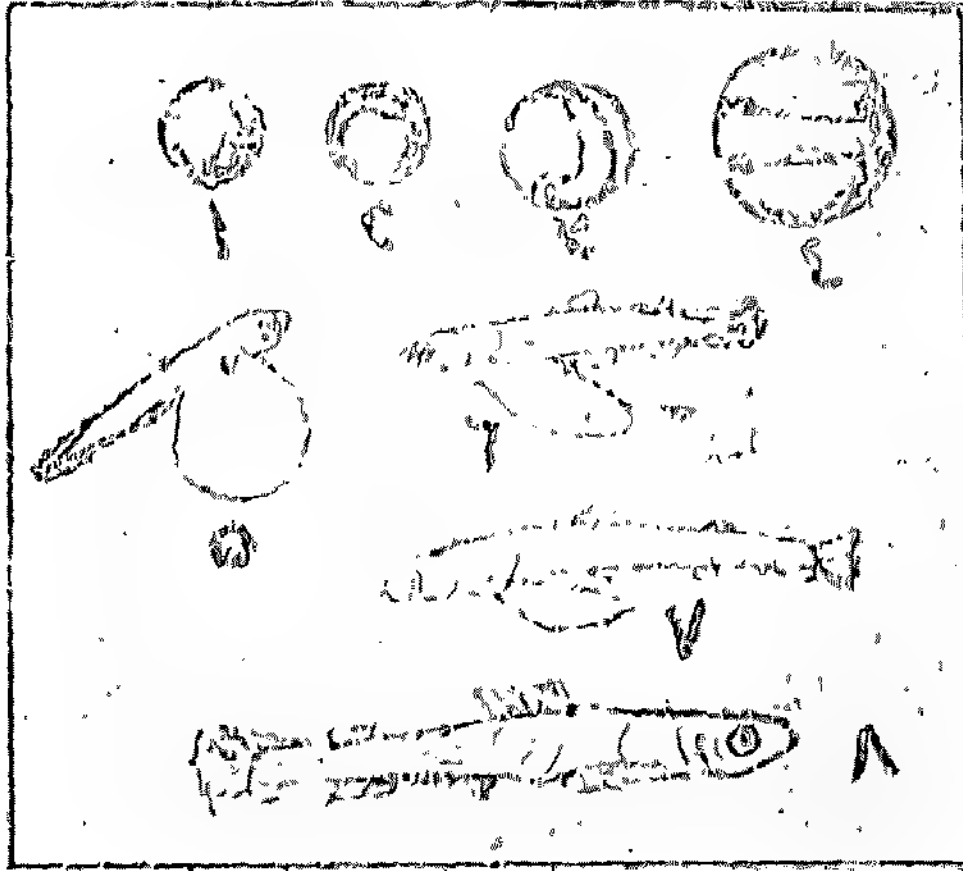
وعندنا انه يريدنا الآيات وهاهوذا يعرضها علينا فوجب علينا أن نسارع لأخذها . إن الأمم حولنا درست نظام حياة الأجنة في النبات والحيوان ووازنوا بين الأجنة في الانسان و بين أجنة الحيوان وأجنة النبات فوجدوا اتحادا واختلافا . اللهم ان العلم اليوم قد فسر القرآن تفسيراً واضحاً والقرآن قد نزل ليعرف حق المعرفة في زماننا و بعد زماننا . جلّ الله وجلّ العلم . ستري أيها العزيز أن الله لا يعطى إلا على قدر الحاجة ولا معنى للعدل غير هذا . العدل وضع الامور مواضعها . فإذا رأيت العدل في نظام الأمم والسول (كما تقدّم في سورة النحل عند آية - إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى -) يرجع الى تكافؤ القوى في الدولة بحيث يأتمر الجند لحراس الدولة من الحكام ويخضع العامة من الصناع والزراع للطائفتين فوقهما ولا عبرة بالآراء الخاصة ولا الشهوات . هكذا العدل في نظام الأجنة في بطون أمهاتها . ستري بعينك أيها الذكي في صور أجنة السمك وأجنة الانسان وأجنة الدجاج أن صغار السمك ما دامت ضعيفة قد أعطيت كيساً فيه قوتها ومتى قويت على الكسب فرغ هذا الكيس فهذا ستشاهده بعينك في الرسم الآتى قريباً . أفليس هذا هو نفس الآية إذ يقول - أعطى كل شئ خلقه ثم هدى -

يخلق لصغار السمك كيساً تعيش منه مادامت ضعيفة ثم يفرغ هذا الكيس وقد قويت . هذا يفسر قوله تعالى - وان من شئ إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

ونراه في جنين الانسان فعل غير ذلك فانه ألزم الأم بأن تمتد في بطنها بدمها يجرى في دورته الدموية وفي خارج بطنها بلبنها حتى يقدر على تعاطي الطعام . فهنا لما جعل له أمّاً وأباً جعل قوته من أمه وهناك لما لم يكن للسمك أم ولا أب أعطاه كيساً يعيش منه لأن السمك يبيض بيضاً كثيراً . وهذا البيض هو الذى نسميه ﴿ بطارخ السمك ﴾ ونأكله لذيذا وما هو إلا بيض كبيض الدجاج تبيضه السمكة في مكان ملائم قرب الشاطئ فيجئ الذكر فيلقى حيوانات صغيرة جداً على بيض الأنثى فيحصل الالتصاق إذ تدخل الذرات الصغيرة الحاصلة من الذكر في بيض الأنثى كما ستراه . ويربى هذا البيض الملقح في نفس الماء فلاأم ولا أب يعرفان أولادهما . لهذا كله أعطى السمك الصغير ذلك الكيس المقدر تقديراً محكماً ولم يعط ذلك طفل الانسان والدجاج يشبه بعض الشبه للسمك وبعضه الآخر لنوات الأربع فهو وان حصل إلقاح بيضه داخل جسمه كما يفعل الانسان والحيوان قد جعل بيضه خارجاً والجو لا يلائمه فألهمت الدجاجة أن ترقد على بيضها لتعطيه الحرارة اللازمة لنمو الجنين داخل البيضة حتى ينمو ويخرج من البيضة والفرخ حين يخرج من البيضة لا يحتاج الى كيس كما احتاجت صغار السمك اليه لأن فراخ الدجاج تخرج قوية على الكسب مزودة بالريش مهيأة لملاقاة خطوط الدهر وكوارث الجو وتحمل أعباء الحياة فتأكل الحب ويساعدها أمهاتها التى رقدت على بيضها أو القوم الذين يرقدون على البيض ويستفرخونه كما يفعله أهل هذه الصناعة في بلادنا المصرية إذ يقومون بتدفئة البيض بدل الدجاجة وحضنها . فإذا خرج الفراخ استقبلوها بالغذاء وبالإيواء وبالحفاضة عليها في مساكن خاصة فذكر ان السمك وانه لا يحصل بينهما اجتماع كاجتماع الانسان والحيوان بل التناسل بتقابل بيض الأنثى مع المواد المفترزة من الذكر خارج جسم الأنثى ولا احتياج لمغازلة ولا مهر ولا منزل يسكنانه والماء قام بتربية الأجنة بتدبير العناية الالهية - فتبارك الله أحسن الخالقين -

فلما سمع صاحبى ذلك . قال لقد شوقتنى الى هذه العجائب التى بها نفهم قوله تعالى - وما كنا عن الخلق غافلين - . فقلت ماذا تطلب أولاً . قال ان العلم يجب أن يكون متدرجاً من الأدنى الى الأعلى فأريد أولاً أن أعرف نظام الزهرة وكيفية إلقاحها ثم السمك ثم الضفادع ثم الدجاج ثم الانسان . فقلت أما النبات فقد تقدّم الكلام عليه في سورة الأنعام عند قوله تعالى - انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه - وهناك ترى رسم الزهرة أو كاسها وتويجها وأسديتها ومدقاتها والمبيض والسمة وما يسمى بالقلم فارجع اليه إن شئت وانما أريدك

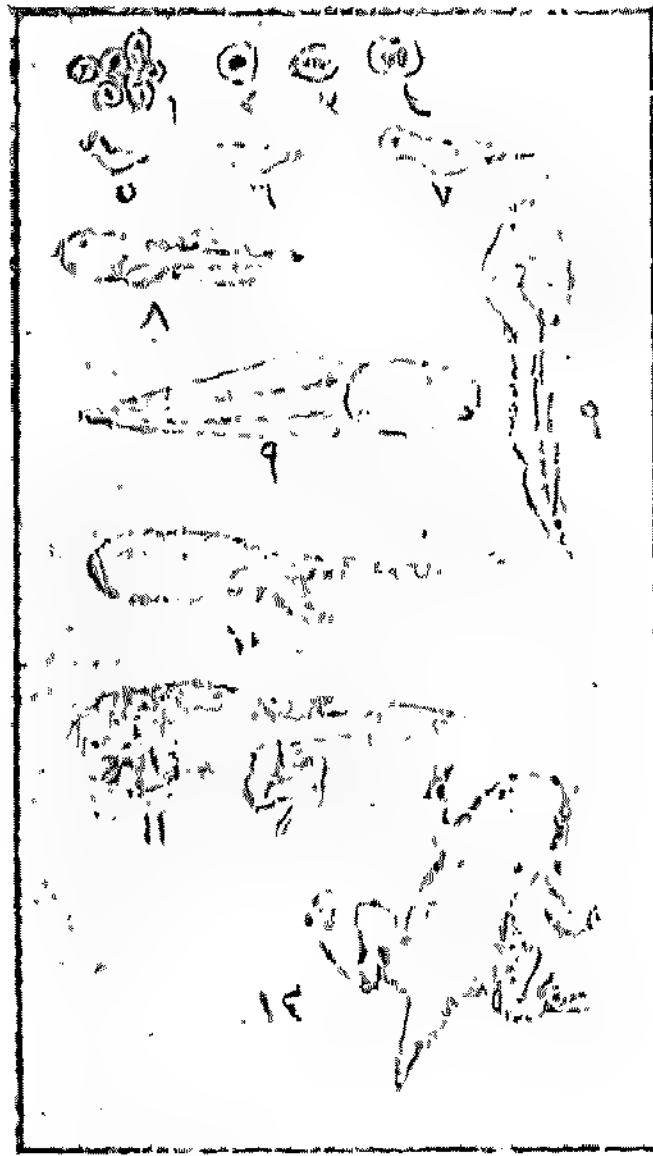
انظر الى حرف (م) في (شكل ٣) فهو نفس المبيض المسمى بالبطارخ وانظر الى (شكل ٤)



(شكل ٤ - الحياة التناسلية في السمك)

وفي هذا الشكل (نمرة ١) صورة بيضة السمك ملقحة . وفي (نمرة ٢) صورة البيضة بعد يومين . وفي (نمرة ٣) شكلها بعد أسبوعين . وفي (شكل ٤) صورتها بعد ٢٧ يوما وفي شكل ٥ يبدأ فقس البيضة وفي شكل ٦ يكون عمر الجنين ١٢ يوما ترى الكيس الذي ذكرته لك آنفا معلقا بهذه السمكة الصغيرة التي لا أم لها ولا أب إلا رحة الله التي وسعت كل شيء والكيس حرف (ك) وشكل (٧) هو هذا المخاوق بعد ٢٤ يوما من الفقس وشكل ٨ فيه السمكة أصبحت قادرة مستقلة انتهى أمر الكيس

﴿ الكلام على الضفادع ﴾



(شكل ٥ - الحياة التناسلية في الضفادع)

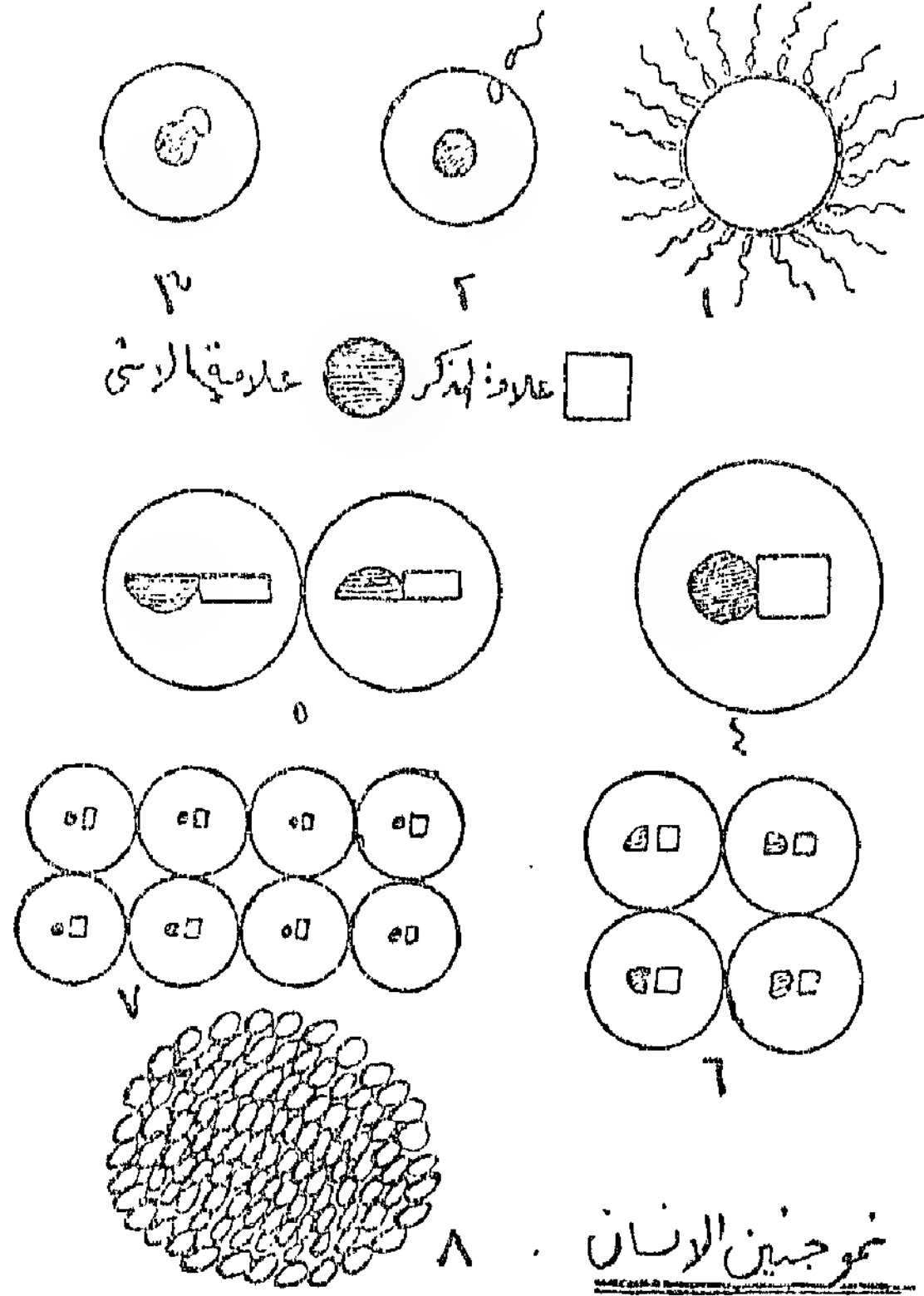
نمرة (١) بويضات الضفدع نمرة (٢) و (٣) و (٤) التطورات لهذا البيض قبل الفقس نمرة (٥) و (٦) بعد الفقس (نمرة ٧) ظهرت فيه زوائد خارجة تسمى (الخيشوم) وهو بالانجليزية (جل) . (نمرة ٨) ظهر فيها الفم (نمرة ٩) المنظر الجانبي (نمرة ١٠) ظهرت فيه الأعضاء الخلفية (نمرة ١١) حاله قبل تغير شكله (نمرة ١٢) طوره الثاني قبل التغير ثم يتم شكل الضفدع . انتهى

﴿ الدجاج ﴾

قد تقدم شرحه اجمالاً

﴿ الانسان ﴾

وهنا بيت القصيدة . اعلم أن الانسان في تناسله أمره عجيب . وهاك رسم صورة النمو في الرحم (شكل ٦)



نمو جنين الانسان

(شكل ٦ - رسم صورة نمو الجنين في الرحم منقول من كتاب ﴿ التناسل في النبات والحيوان والانسان ﴾ وهكذا الشكلات قبله في هذا المقام)

اذا تأملت الزهرة المرسومة في سورة (الأنعام) وجدت هناك الاسديات التي في الزهرة منتهية بكرة صغيرة تسمى (الانثير) والانثير هناك هو الحامل للطلع ليفيض على عضوا التأنث الح ما تقدم . فهكذا هنا هذا الانثير يقوم مقامه (الخصية) في الانسان والمبيض في عضوا التأنث الذي في أسفل الزهر يقوم مقامه في الانسان مبيضان للمرأة والرحم . فكل مبيض من المبيضين في المرأة يفرز البويضة كما تقدم في السمك والطيروالنبات وهذه البويضة تمر في قناة وتصل الى الرحم فتبقى فيه فاذا وصلت الحيوانات التي في منى الرجل الى ذلك الرحم فانها تقابل البويضة هناك وهذه الحيوانات تجتهد جميعها أن تصل الى تلك البويضة وأخيرا يهجم عليها واحد منها ويدخل فيها . وهذا هو اللقاح . وهذه البويضة هي مبدأ الجنين الانساني كما في بذرة النبات وجنين السمك وبويضة الدجاجة . وتري في (نمرة ٣) صورة حيوان من تلك الحيوانات المنوية اخترق البويضة وصورة (نمرة ٣) تمثل تمام اللقاح وصورة (نمرة ٤) تمثل البويضة بعد التلقيح قد كبرت وابتدأت البويضة في الانقسام وصورة (٥) تمثلها ذات ﴿ علامتين ﴾ احدهما ﴿ مربعة للعناصر المذكورة التي تدخل في تكوين الجنين ﴾ (والثانية) مستديرة وهي عناصر الأثنى والجنين يكون منهما معا (٦) انقسمت فيه البويضة أربعة أقسام (٧) انقسمت فيه ثمانية أقسام ولا يزال الانقسام والتكاثر الذي يصحبه ظهور الأطراف والأعضاء الخارجية والداخلية حتى يتم الخلق . فلما سمع صاحبي ذلك قال هذه مناظر يظهر انها من أصول الحكمة . ان هذا الوضع واختلاف أساليب التناسل يعطى علما جمعا . فهل تفيض في ذلك بعض الافاضة . فقلت نعم سأبحث ههنا

(١) في هذه العجائب وإن خلقت أولا وبالذات ولمن خلقت بالتبع أى من الذى يراد أن يفهمها ومن هم الذين دون الفاهمين

(٢) وفي أن كتاب هذه العجائب كتاب كتبه الله بيده صريح لا يحتاج الى تأويل

(٣) وفي الموازنة بين جنين المرأة والدجاجة من جهة و بين جنين السمك والضفادع من جهة أخرى ثم بين جنين المرأة و جنين الدجاجة ولم كهت بيضة الثانية وصغرت بيضة الأولى

(٤) وفي تسارع الحيوانية المنوية من الرجل الى اقتحام بيضة الأنثى وسبق واحد منها اليها وأن أشرف نوع الانسان بالحكمة هم الأقاون

(٥) وفي عملية الانقسام فى جنين المرأة والابداع فى نظامها والكلام على ما ابتدعه الحكيم الهندى صصة بن داهر (٦) وفي الوحدة العامة فى التناسل

(٧) وفي المقصود من هذا الوجود أهوال الشهوة أم هو الأعلى منها

(٨) وفي أن مرتبة علماء الطب والتشريح والنبات فى هذا المقام كمرتبة علماء النحو والصرف بالنسبة لعلماء البلاغة (٩) وأن الأقوى الأكمل وإن كان قليلا أشرف من الأكثر إذا كان ضعيفا

(١٠) وأن الانسان فى هذه الأرض أشبه بالمسجونين المعدن

(١١) وذكر آيات من القرآن على هذه العجائب

فهذه إحدى عشرة مسألة أفصلها لك تفصيلا إن شاء الله فأقول

(١) الفصل الأول . لمن خلق الله هذه العجائب ﴿

إن الناس والحيوان والنبات قد فصلت أجسامهم ونظمت أعضاؤهم وهم جميعا يتمتعون بثمرات هذا النظام إن أكثر الناس لا يمتازون عن الحيوان فى فهم هذا الوجود فليس يهتم أكثر أهل الأرض من الذرية إلا أن يتشرف بهم ويكونوا عوناً له فى حياته وذكر له بعد مماته . هذا ما يدور بخلد جواهر نوع الانسان . أما ان نظام الأجنة عند السمك يغير نظامها عند المرأة والدجاجة وأن هنا عجائب ومعجائب . فهذا مما لا يحصل له ولا فائدة له عندهم بل المفكر فى هذا لا يحتاج الى ولد له خاصة وزوجة بل ذلك علم عام فى تشريح الأجسام عامة ونظامها . وإذا كنا نسمع (طيمائوس) فى كلامه مع (سقراط) فى المحاورة المسماة (طيمائوس) التى ألفها (أفلاطون) فى الطبيعيات على هيئة محاورة بين (سقراط) و (طيمائوس) الذى هو من حكماء (الفيثاغوريين) أقول اذا رأينا (طيمائوس) يقول فى خلق البصر ﴿ ان البصر نار جعله الله فى داخل العين فن تلاقيه بالنار التى فى الخارج يتولد الابصار ﴾ و بسط القول فى مدح البصر و بيان منافعه فقال ﴿ إن فائدة البصر على ما أرى انه لو لم تكن لنا القدرة على ادراك الشمس والكواكب لم تمكن من الكلام عن السماء والعالم إذ من مراقبة اليوم والليلة وتحول الأشهر والأعوام حصل لنا العلم بالأعداد والشعور بالزمان وحدث فينا الشوق الى معرفة الطبيعة والعالم فنه نشأت الفلسفة وهى أنفس ما أنعم الله به على الناس ﴾

أقول . اذا كانت هذا رأى (طيمائوس) الذى ألقاه الى (سقراط) فى خلق العين وحكمته . أفلا يحق لنا أن نقول فى حكمة خلق الأجنة فى الأرحام وفى البيض وفى الماء مختلفات أن ذلك الاختلاف يقصده به تعويدنا على النظر والفكر لنجتهد فى استخلاص الحكمة من هذه المناظر الحسية الجنينية التى هى أشبه بالحدائق الناضرة كما سأوضحه هنا فانك ترى أن (طيمائوس) لم يبال بالمنافع المادية الشخصية فى العين ولم يهتم إلا بجمال الحكمة والعلم فى سير الشمس والقمر والنجوم . فالمقصود بهذه العجائب التى سأبينها لك إنما هم طائفة المفكرين فى نوع الانسان وهم قليل جداً ومن عداهم فليس لهم وزن ولم يقصدوا بل هم متممون لنظام الوجود وليس يعطى الله هذه الدروس ويبدع هذا النظام إلا لأفئدة تهتز طربالها ستسمعه الآن . فن فرح

بما سأقول في ذلك فهو من المقصودين بهذا المجال ومن لم يحركه العود وأوتاره والربيع وأزهاره فهو فاسد المزاج يحتاج الى العلاج . انتهى

(٢) الفصل الثاني

أما ان هذه الحجائب كتاب كتبه الله بيده فهذا يفهم بما سأذكره في الفصل الثالث وما بعده
(٣) الفصل الثالث في الموازنة بين جنين المرأة والسجاجة من وجه و بين جنين السمك والضفادع من جهة أخرى ثم بين جنين السجاجة والمرأة

علم الله ضعف الانسانية وعلم أن زماننا ستكون المادة غالبية عليه فأبرز هذه الأعاجيب في زماننا لندرسها ونشرحها فنستفيد جمالا في عقولنا كما استفدنا قوى في أجسامنا وحياة في مدننا . أبدع الله أمر الأجنة ونوعها وقال لنا هذا كتابي فاقرؤه وتبينوا أمره . هذا بيض السمك والضفادع قد جعلت رحمها الماء فما على السمك إلا أن يبيض وهكذا الضفادع وعلى أنا أن أحفظ الأجنة في ذلك الماء البارد . فأنا لا ينبغي عن عملي حر ولا برد لأني مقتدر . فاذا ظن الناس أن الحرارة شرط لازم لنمو الأجنة كما في حمل النساء ويبيض السجاجة . فهذا إذا جعلت الماء البارد رحما برحتي للسمك والضفادع . ولئن ظن الناس أن التقاء الأنثى والذكر أمر حتم لتربية الأجنة . فهذا إذا قد علمت السمك طريقا آخر فالتقى البيضان ولم يلتق الزوجان . ولئن ظن ظان أن تربية الجنين الذي يحتاج الى الحرارة لا بد له من البقاء في الرحم . فهذا إذا أمرت السجاجة والحمامة وسائر الطيور فألقت بيضها وحضنته - إن ربي لطيف لما يشاء - وكأن الله يقول أنا انما أريد النسل واست أسلك له سبيلا واحدا بل أسلك طرقا مختلفة . هكذا فلتفعلوا فلتكن لعقولكم مذاهب في أعمالكم واياكم والتقليد فاذا قلتم في العمل ربطنم أنفسكم بطريق خاص فأنتم كعباد الأصنام . أنا انما أبنت لكم ذلك لتعلموا أن فوق كل ذي علم عليم . فمن لم ير إلا السمك والضفادع فرضا ظن أن طريقتهما لا سبيل الى تغييره . ومن لم ير إلا السجاجة فرضا أو النساء وقف عقله عندهما . فقال صاحبي . لماذا رأينا بيضة السجاجة كبيرة وبيضة المرأة لا تكاد ترى والقياس يقتضي العكس وكان مقتضى القياس أن تكبر بيضة جنين المرأة فتكون كالبطيخة أو تصغر بيضة السجاجة حتى تكون كذرة لا ترى ولا تحس . فقلت ان المرأة قد تكفلت بتغذية ولدها فالجنين حين يبدأ في نموه يتصل بسطح الرحم الداخلي فيصله الغذاء بواسطة الشرايين الرجية وهي تحمل له الدم . وبالجملة ان للجنين دورة دموية تبدأ من شرايين الحائط الرجي وتتصل بشرايين الجنين وتنتهي بأوردة الجنين التي تصب في أوردة حائط الرحم . ومتى تم نمو الجنين وولد الطفل صار غنيا عن التغذية بدم أمه فيجب إذن قطع العلاقة الدموية بينهما والعلاقة بينهما هو حبل طويل (الحبل السرى) وهو حبل يبدأ من سرة الجنين وينتهي بقرص متصل بحائط الرحم الداخلي وهو (المشيمة) فبعد الولادة يربط ذلك الحبل بجوار سرة الطفل . فهذه التغذية هي التي منعت أن تكبر بيضة الجنين الانساني . أما السجاجة فليس من شأنها أن يتصل دمها بجنينها بل هو منفصل عنها في البيضة فاقتضت حكمة الحكيم أن يجعل مافي البيضة من الغذاء كافيا للفرخ في البيضة بحيث يكون مقدرا بمقدار قوته ونموه حتى يقدر على ترققشرة البيضة فيخرج بنفسه كما ان الأم المقهورة لا تعطى الاستقلال إلا اذا قدرت على طرد أعدائها من بلادها بقوتها وكسر السور الحديدى المضروب عليها من أعدائها . ذاك قوله تعالى - وكل شئ عنده بمقدار - وقوله - وما كنا عن الخلق غافلين - وقوله - وأحصى كل شئ عددا - وآيات الوزن والميزان وهكذا نذكره من الايات في أمثال هذا

ونظير هذا شجر الجيز وشجر البطيخ فثمر الجيز صغير مع ضخامة الشجر وثمر البطيخ كبير مع ضعف الشجرة فانظر لا حجب . صغرت ثمرة الجيز لأنها مرتفعة ولو كانت كبيرة فسقطت لأضرت بأجسام الناس ولتلفت هي

لذلك خلقت صغيرة . وشجرة البطيخ ضعيفة وساقها مملوء ماء فهو لا يقدر على حمل البطيخة لحملتها الأرض بدل الشجرة فلم يضر كبرها . الله أكبر . جل الله وجل العلم . هاهوذا كتاب الله الذي كتبه بيده قبل أن ينزل السحاب السماوية . خلقنا الله وقال لنا ادرسوه . فيها أنادا أدرس مع الدارسين . فيا الله أنت أفهمتنا هذا الصنع وعرفنا لماذا كبرت بيضة الدجاجة وصغرت فلم تربضة جنين المرأة وفهمنا اختلاف الثمار كبرا وصغرا مع أن القياس كان يقتضي غير ذلك . فلما فهمنا الحكمة تلججت صدورنا . ولكن الذي علمناه قليل جدا . فأما ما لانعلمه فهو جميع أحوال هذه الدنيا . هذا غني وهذا فقير وقصير وطويل وجيل وقبيح وعالم وجاهل وذكي وبليد وهكذا من المتناقضات التي لم ندرك حلها . ولكنك لما أفهمتنا هذا القليل أدركنا حسن نظامك وابتهجنا به وعرفنا أنك أنت خبأت الحكمة عنا في هذه الامور الجزئية والذي فهمناه نعرف معنى الرضى ونقرأ - يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية - والنفس لا ترضى إلا اذا أدركت أمثال هذه المعاني التي يرمز لها قصة الخضر وموسى عليهما السلام وخرق الخضر للسفينة وقتل الغلام واقامة الحائط . إن الذين يفرحون بهذا النظام الذي ذكرناه هم أكابر الأمم والحكام وهم هم الذين لهم زينت هذه البدائع والمحسن وأحبوا مبدعها واشتاقوا اليه وفهموا الحديث ﴿ من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ﴾ وكيف يحب لقاءه إلا اذا عرف انه حكيم حكمته تامة . وكيف تعرف الحكمة إلا بأمثال هذا والعامّة تسكفهم قصة الخضر وموسى المتقدمة . ولا يكون المرء سعيدا عند موته مشتاقا للقاء ربه إلا اذا افهم قلبه بهذه الحكمة . وأذكر مثالا نبيا عظيما وفيلسوف قديما لتدرك أيها الأخ أن الخواص من هذا النوع الانساني هم الذين يحبون لقاء ربهم . فهناك (سقراط) كان يتبسم وهو يشرب السم ومات وهو مستبشر وهذا نبينا محمد ﷺ قال عند النزاع ﴿ اللهم الرفيق الأعلى ﴾ وقال ﴿ إن للموت لسكرات ﴾ وسكرات الانبياء والأولياء والتابعين لهم سكرات الفرح والطرب بلقاء ذلك الحكيم الذي ألقى الحكمة والعلم على قلوبهم أما الفلاسفة الالهيون فذلك شئ جاء عندهم بالعقل لا بالوحى والحمد لله رب العالمين

﴿ الفصل الرابع في مسارعة الحيوانات المنوية المفرزة من الرجل الى اقتحام بيضة الأنثى

وسبق واحد منها اليها وان أشرف نوع الانسان هم الأقلون ﴾

سارعت الحيوانات المفرزة من عضو الرجل وكلها تريد اقتحام البيضة فلم يفز إلا واحد كما شاهدته في الشكل المتقدم . يظهر لي أن هذا الوجود على هذا المنوال كاه حيوانات عددها كثير طلبت الغاية وهي أن تلقح البيضة لتصبح إنسانا فأفلح واحد ورجع الباقي . هذا رمز لما في عالمنا . فكما ان رئيس الجمهورية أو الملك في الأمة واحد . وكما ان أنبغ المحامين والصناع آحاد يعدون على الأصابع . هكذا أولئك الأفراد الذين زين لهم نظام هذا الوجود هم قليل تمر الأجيال تلو الأجيال والناس يغدون ويروحون وهم جميعا أشبه بالحيوان لا يدرون من هذا الوجود إلا أنهم يشبهون الحيوان في حياته وهم لا يدركون . ولا يعقل أمثال ما نذكره الآن إلا أفراد نسبتهم الى هذا المجموع الجاهل كنسبة ذلك الحيوان المنوي الذي لقح البويضة في رحم الأنثى الى جوع المتسابقين معه الى دخولها في الرحم كما رأيت وهذه الطائفة هي التي قال الله فيها - إلا من رحم ربك - وهم خلاصة خلقه وسواهم همج

ما الناس سوى قوم عرفوا * وسواهم همج الهمج

﴿ الفصل الخامس في عملية الانقسام في الجنين في الرحم والابداع في نظامه

والكلام على ما ابتدعه الحكيم الهندي صصة ابن داهر ﴾

فقال صاحبي وما للجنين في بطن أمه ولقضية صصة ابن داهر وما المناسبة بينهما . فقلت المناسبة تامة فاسمع القصص ثم انظر المشابهة فتجد نظام الحساب البديع في حساب بيوت الشطرنج هو نفس الحساب الذي روعي في خلق الجنين وفي خلق الحيوانات الدنيئة التي تتكاثر بطريق الانقسام . قال فما قصة هذا الحكيم

فقلت يحكى أن صفة بن داهر الحكيم الهندى لما اخترع الشطرنج وأعجب الملك باختراعه قال له تمنى ما تريد فقال أتمنى أن تضع حبة قمح في البيت الأول و٢ في الثانى و٤ في الثالث و٨ في الرابع و١٦ في الخامس وهكذا الى ٦٤ فسخر الملك من هذا التمنى وظن أنه يكفيه قدح من القمح فلامه على ذلك وقال أفسخ منى فقال الحكيم انى تفكرت فلم أجد فى منزلى برا فتمنيت هذا واسكنى أتمنى على الملك أن يأمر بضبط الحساب فأمر الملك بذلك فأخبر أن ماخزائنه وما على الأرض من القمح لا يكفى ذلك فقال الملك تمنيك أعجب من اختراعك ثم إن هذه المسألة تحل بطرق أسهلها (اللوغارتمان) من علم الحساب ولها جداول خاصة يعرف بها الحساب من طريق قوى العدد المضاعفة ويليهما أن يحسب الحب الى أن يصل الى جزء من قدح مثلاً ثم يضاعف الى تمامه . فهذه البيوت التى فى الشطرنج التى هى (٦٤) قد استنفدت قمح الدنيا وأضعافه كما هو موضح فى كتابى ﴿نظام العالم والأمم﴾ وهذا نص مافيه

تأمل فيما هو أرقى من ذلك وهى مسألة الشطرنج والأخذ فيها بطريق التضعيف الى ٦٤ عينا . فكيف كانت حبة القمح بالتضعيف تصل الى مقدار مالا يمكن تحصيله من مخازن الدنيا وذلك أن القمح بالتضعيف فى بيوت الشطرنج يصل الى ١٦١٦ ٥٥ ٩ ٧٣٧٠ ٤٤٠ ٦٧ ١٨٤٤ الى أن قلت فيه ان مسألة التضعيف لها قاعدة غريبة وهى أن كل عدد مضاعف فيها يكون جميع المضاعفات قبله اذا جمعت تساوى ما فوقه إلا واحدا وتوضيحه أن ثمانية ضعف أربعة واذا جمعت ٢ و ٤ و ١ كانت ٧ وتضعيف ٨ هو ١٦ فاذا جمعت ٨ على ما قبلها بلغ ١٥ وهو أقل من ١٦ بواحد . وكيفية حسابه أن يكون البيت الأول (١) والثانى (٢) والثالث (٤) والرابع (٨) فاذا بلغ ١٦ بيتا كان البيت قدحا وهو (٣٢٧٦٨) حبة واذا بلغ (٢٠) بيتا صار ١٦ قدحا وهو (الويبة) والأردب ست وبيات واذا وصل التضعيف ٤ صار مخزنا كبيرا وهو شونة وهى ١٧٤٧٦٢ أردبا . فاذا بلغ (٥٠) بيتا صار مدينة وهى (١٠٢٤) مخزنا (شونة) فاذا بلغ (٦٤) صار (١٦٣٨٤) مدينة وهذا النظم يجمع هذا كله

* إن رمت تضعيف شطرنج بجملته *

وَأَوَا هَهُ طَعَجَزُ تَمَّ زَسْ دَدَا

١٦١٦ ٥٥ ٩ ٧٣٧٠ ٤٤٠ ٦٧ ١٨٤٤

وهنا جاء فى الكتاب أن هذه المسألة يسهلها عمل (اللوغارتم) المشهور فى علم الحساب ولكن ذكرها فى التفسير يصعب فهمه فلذلك تركناه . وهذا وقد نقلت فى كتاب ﴿بهجة العلوم﴾ فى الفلسفة العربية وموازنتها بالعلوم الحديثة عن أستاذنا المرحوم على باشا مبارك فى كتابه ﴿خواص الأعداد﴾ وهو الارتماطيقى ملخصا منه ما نصه ﴿إنه بعمل الحساب فى هذه المسألة نرى أن الحد الرابع والستين من المتوالية الهندسية التى أساسها (٢) وحدتها الأول الواحد هو (٨٠٨ ٧٥٨ ٧٥٤ ٣٦٨ ٧٢٠ ٣٣٣ ٩٢) ومن هذه المتوالية التى أساسها (٢) وحدتها الأول (١) يكون مجموع الحدود محصورا فى ضعف الحد الأخير مطروحا منه واحد وحينئذ عدد الحب من صنف القمح الذى يبنى حق المخترع كان هذا العدد وهو نفس العدد الذى قدمته . ولما كان الرطل الواحد من القمح المتوسط الحبة والتشيف يحتوى على (١٢٨٠٠) حبة تقريبا وبضرب هذا العدد فى متوسط محصول الفدان وهو (١٢٠٠) رطل من القمح يحصل (١٥٣٦٠٠٠) وهو مقدار ما فى الفدان من حب القمح وبقسمة عدد الحب على هذا المقدار ينتج (٨٨٤ ٠٨ ١٢٢ ٤٠ ١٩٠) وهو عدد الفدادين المطلوبة لتحصيل القمح المذكور فى سنة وهو قريب من ثمانية أمثال سطح الكرة الأرضية بتمامه لأن سطح الأرض (١٧٦ ٠٠ ١٧٦ ٨٨٢ ١٤٨) فدانا

وأما ما اعتبره (والين) فهو خلاف ذلك الاعتبار فإنه على مقتضى حسابه رأى كمية القمح الذى يلزم

للفاء بقدر صيرة مساحتها تسعة أميال انكازية طولا وعرضا وارتفاعا وقال غيرهما ﴿ إن هذا القمح لا ينتج إلا جزأ من ثمانية وعشرين من هذا القدر المذكور أي (١٣٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ٠٠٠ ر ١٣) هكتارا (الهكتار من مقاييس المساحة قدر عشرة آلاف متر مربع) وعليه يلزم للوفاء بمطوب الحكيم أن يزرع هذا المقدار ثمانية وعشرين عاما . هذا اذا فرضنا أن جميع اليابس صالح للزرع . أما ان اعتبرنا الحقيقة وهي أن أكثره غير صالح (ومعلوم أن البحار ٧ من ١٠ من سطح الأرض وهي لا تزرع قمحا فضلا عن أودية وجبال ورمال كثيرة) ثبت لدينا اننا محتاجون الى قرون كثيرة لوفائه ﴿ اهـ

هذا ما نقلته ملخصا في كتاب ﴿ بهجة العاوم ﴾ المذكور محررا . فاعجب أيها الذكي كل العجب من مسألة المتواليات الهندسية التي دخلت في نظام الموسيقى كما تقدم في سورة (صريم) بحيث كانت دواوين الغناء ١٦-٣٢ وهكذا الى تمام العشرة وكانت نتائجها سرور الناس والتثامهم وتعليمهم بقبول وانشرائح وكيف كانت خلقة الجنين على هذه القاعدة بل خالق كل نبات وحيوان وكيف كان أمر القمح مع بيوت الشطرنج انتهى الى مقادير تهجز أرضنا عن انتاجها في قرون كثيرة . إذن هذا العدد سر الوجود واذن نفهم غرام (سقراط) بعلم الرياضات وقوله ﴿ إن التوغل فيها يمرّ النفس على الحقائق ويقرّبها من عالم الملائكة ومن الله وقد أمر بها الحكام وضباط الجيوش وحضّ حكام المدينة على الازدياد من علوم الرياضات أكثر مما حضّ الجنود ﴾ وهكذا نفهم قول فيثاغورس ﴿ ان أصل هذا العالم العدد ﴾ وهذا هو بعض السرّ في أن الله أقسم بالشفع والوتر إذ قال - والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر - فالفجر وتر والليالي العشر شفع وهما مثالان للشفع والوتر العام ومسألة المتواليات الهندسية التي نحن بصدها كلها شفع ولكن مبدؤها الوتر فكل شفع رجع الى الوتر كما ان العالم راجع لله . ولا جرم أن في ذكر الفجر رمزا للواحد وفي ذكر العدد الزوجي بعده وهي الليالي العشر رمزا لكل عدد زوجي وهو هنا (٢) وما تضاعف منها . انتهى

﴿ حكاية مسامرة ﴾

يحكي أن عبد الملك بن مروان أرسل الى ملك الروم وفدا فيهم الشعبي فلما دخل عليه قال له ملك الروم ﴿ لماذا أيها الاستاذ يقول علماء الدين ان الله واحد ليس قبله شيء ومنه جميع هذا الوجود فهل تضرب لنا مثلا لذلك مما نعرفه في الدنيا . فقال نعم الله كالواحد في الأعداد ومنه كان هذا العالم كله وليس قبل الواحد شيء فقال أحسنت ﴾ ثم قال الملك ﴿ يقول علماء الدين ان نعيم الجنة لا ينقص مهما أخذ منه الناس فهل لذلك نظير قال نعم السراج توقد منها آلاف السرج ولا ينقص نوره ﴾ ثم قال له أيضا ﴿ كيف تقولون ان أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يبولون ولا يتغوطون فهل لهذا نظير فقال نعم الجنين في بطن أمه لو بال أو تغوط في رجليها لمات . فقال له عجبت للمسلمين كيف جهلوا أمرك فلم يجعلوك ملكا عليهم ﴾

فاما رجع الوفد الى عبد الملك ودخل عليه الشعبي قال له عبد الملك أيها الاستاذ يقول لك ملك الروم عجبت كيف جهل قدرك المسلمون فلم يجعلوك ملكا عليهم فقال نعم قال لي ذلك لأنه لم يرك ولكن لوراك لحقوني فقال له أتدري يا شعبي لم قالها فقال الملك أعلم فقال انه حسدني عليك فأراد أن أقتلك فلما بلغ هذا القول ملك الروم قال والله ما عدا قوله ما في نفسي لقد تفتن لها وعجب من ذلك العجب . انتهى والحمد لله رب العالمين .

ولنرجع الى موضوعنا ونقول . انظر الآن في نظام الجنين واعجب لجمال وحساب بيضة قسمت ٢ ثم ٤ ثم ٨ ثم ١٦ وهكذا . فكيف بها اذا وصلت ٦٤ كقمح ذلك الحكيم . هذا انقسام مستمر فيظن من يراه أنه ليس وراء الانقسام وحسابه شيء اذا هناك عظام مفصلات ورأس ونخ وقلب وكبد وأحشاء مختلفة كما ستري

رسمه قريبا أى رسم المعدة والامعاء وبعض الأعضاء الأخرى . فانظر الى أعضاء تبلغ ٢٤٨ عضوا مفصلات بمقاييس لواختلت قليلا لم تكن الحياة ولولم يراع في الرجلين مفاصل الركبتين ولا فى الأصابع مفاصلها ولا فى الأيدي مرافقها لم يتم نظام الحياة . كل ذلك تم وفصل مع مراعاة ذلك الحساب الذى يرجع الى المتواليات الهندسية التى فيها حاصل ضرب الطرفين يساوى حاصل ضرب الوسطين مثل (١ و ٢ و ٤) ومثل (٢ و ٤ و ٨) ومثل (٤ و ٨ و ١٦) ومثل (٨ و ١٦ و ٣٢) وهكذا الى ما لانهاية له وأيضا اذا جمعنا حدود هذه المتواليات فان كل مجموع منها يساوى العدد الذى بعده ناقصا واحدا مثل أن تقول (٢ و ١) يساوى (٤) إلا واحدا و (١ و ٢ و ٤) يساوى (٨) إلا واحدا ومثل (١ و ٢ و ٤ و ٨ و ١٦ و ٣٢) يساوى (٦٤) إلا واحدا وهكذا الى ما لا يتناهى ثم ان المجموع تكون هكذا بالفرد وهذا علمه واسع أفرد بالتأليف . إن الله تعالى أبدعنا وخلقنا بهذا الحساب ليفهمنا قوله . إن الله سريع الحساب . وبقية الآيات مثل . قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي . الخ وكأنه يقول لنا اذا كنتم دهشم لأمر الحكيم الهندي وعجبتم من أمر حسابه فى هذه المتواليات فكيف اذا رأيتم هذا الحساب مصححوا بخلق العين وطبقاتها السبع ورطوباتها الثلاث المشروحة فى سورة (آل عمران) مصورة موضحة ومصححوا بخلق الأذن وخلق المخ وخلق الادراك وخلق الخواص الباطنة والظاهرة . إن حساب المتواليات الهندسية التى احتاجت الى علم (اللوغارتم) عندهم لم تصدقنى عن احكام أجسامكم ونظام أعضائكم الباطنة والظاهرة . إن الله سريع الحساب . انتهى

﴿ الفصل السادس فى الوحدة العامة فى التناسل ﴾

إن من تأمل هذا العالم يجد أساوبه ونظامه واحدا . وهذا دليل الوحدةانية لأننا نجد الأساوب لا يتغير من حيث أصله وإنما يتغير بشكاه فلقد رأينا تناسل النبات وبيضه لا يختلف عن تناسل الحيوان والانسان فسلها ذات بيض وكلها ذات ذكور واناث وهذا معنى قوله تعالى . ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون * ففرقوا الى الله . وإنما نفر الى الله لأننا عرفنا الوحدة وأدركنا ما السبب فى حسن هذا النظام فنرى وحدة ونرى الوحدة مصحوبة بالكثرة الجميلة الموزونة التى يصح أن يقال يجمعها نظام حسن . فهذا الجبال وهذا الابداع المفرح الذى رأيته يجعل النفس فى شوق الى المبدع فتود لقاءه بالموت بعد أن تعلم انها أدت ما عليها فى هذه الأرض لأبناء نوعها

﴿ ذكر (طيموس) الحكيم ورأيه فى هذه الدنيا ﴾

قد ذكرت لك سابقا (طيموس) الحكيم الذى جعل (أفلاطون) المحاور على لسانه وعلى لسان (سقراط) قال طيموس ﴿ اتخذ الله صورة الحيوان المطلق المشتمل على صورة سائر الحيوان وعلى هذا فان العالم حيوان عاقل مرئى يتناول سائر الحيوانات ﴾ ثم ذكر تكوين جسد هذا الحيوان من العناصر المعروفة عندهم وهى الأربعة المعلومة وأن العالم صار كورة ثم ذكر تكوين نفس العالم من العقل والمادة وشئ مشترك بينهما . ثم ذكر أن الله لا يصح أن نقول فيه إنه فى زمان لأن الأيام والليالى لم تكن قبل خلق الليل والنهار فالله أوجدها عند تركيبه السماء وماهى إلا أجزاء الزمان الماضى والمستقبل والحال . فاذن نقول الله موجود لا غير . وأما الزمان فهو بالنسبة لنا نحن وسيأتى لهذا القول بقية فى هذا المقام عند المناسبة الآتية . وليس قصدى من ذكر هذه المسألة من كلام (طيموس) إلا أن ترى أن ماتبتدى لنا نحن فى زماننا هذا من أن الوحدة فى التناسل دلت على وحدة النظام قد لحظنا قبلنا حكماء وقالوا إن العالم كله حيوان واحد كأنه جسم انسان أو حيوان ويشير لذلك قوله تعالى . ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة . وهذه الآية مجردة إشارة

﴿ الفصل السابع فى المقصود من هذا الوجود أهى الشهوة أم العقل ﴾

لقد استبان لنا فى هذا المقام أن السمك لا يتصل ذكره بأثناء فلاقاء بينهما وإنما اللقاح يحصل ولا تعارف

بين الذكر والأنثى . وإنما أرانا الله هذه الصورة في الوجود ليضرب نظامنا الحالى كلها ضربة فاصلة . يقول لنا أيها الناس أنتم تعلمون أن الزواج والولادة على هذا النسق قد شغلكم عن النظام العام والحكمة . ولقد أنزلت لكم شرائع تعلمكم عقد الزواج والمعاشرة والنفقة والمحبة بين الزوجين وأمرتكم بالودّة وألقيت المحبة في قلوبكم فر يهتم البنين والبنات وحكوماتكم تساعدكم على هذا ونظام أسراتكم كله مبنى على هذه القاعدة فلا أسرة إلا على هذه الروابط ولادولة ولا حكومة إلا على هذا البناء . فلولا هذا البناء لاختل نظام حياتكم كلها . هذا ما علمتموه في نظامى النى وضعته لكم . ولكنى أقول لكم هذا النظام ليس كل شئ بل هو نظام اقتضاء مزاجكم في أجسامكم ولكن الحياة في غير بنى آدم لا تقف على هذا . فهذه السمك تناسل وألقح بيضه وملا البحر بالسمك ولا علم للزوجين بما تناسل منهما . إذن هذه التى عندكم صورة من صور الحياة ودور من أدوارها والحياة مداها واسع وطرقها لانهاية لها كما أنى لانهاية لى فأنا المبدع الحكيم والدليل على ذلك انى يوم القيامة أحلّ هذه الروابط وأضع نسبكم وأرفع نسبى - لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم - وإنما أفصل بينكم لأجعل الأشكال منضمة الى أشكالها فقد يكون الابن والزوجة على خلاف أخلاق الزوج فيبعدان عنه . وههنا هو السمك يشهد بذلك . فإياكم أن تظنوا أن الأمر قاصر على ماترون واذكروا امرأة نوح وامرأة لوط فى القرآن فى سورة (التحریم) . إذن ليس المقصود من هذا الوجود هو الشهوات وما الشهوات إلا وسائل جىء بها للتوصل بها الى التناسل والحياة ومنى جاء الغرض منها لم يبق لها فائدة وما الفائدة فيه نزعناه من ملكتنا كما نزع الشهوة من الرجل الكبير والمرأة العجوز لأنه لا يقدر أن يربى الطفل وهى كذلك فنزعنا منهما ما يضرهما وأبقيناها الى حين . واعتبروا أيها الناس بأمر الأبوين فهما يجتمعان للشهوة أولا حتى اذا جاء الولد اجتمعا عليه ولا يزال حنّوهما يبتعد عن جسميهما الى عاطفتيهما نحو الولد حتى تضر الشهوة البهيمية وتحل محلها الشفقة والرحمة والمشاركة فى تربية الذرية . هنالك تجلت العواطف الشريفة والأنوار المنيقة وأدرك العقلاء أن تلك الشهوة انما كانت وسيلة وأخذت تضعف وحل محلها حب أرقى وأشرف وهو حب جيل يرجع الى المشاركة المنزلية والعواطف الأبوية وهذا هو الذى خلق له الناس . خلقوا للعطف والمشاركة والمحبة العامة التى تظهر جلية فى الذرية وتتعداها الى جميع نوع الانسان ويكونون بعد الأئمة كأنهم جسم واحد وأرواح واحدة بالاتفاق فى الصفات والأخلاق . ولا يتم ذلك إلا بأن ينزع ما فى صدورهم من غلّ . كل هذا نفهمه من مسألة التناسل التى نحن بصدد الكلام عليها

﴿ الفصل الثامن فى أن مرتبة علماء الطب والتشريح والنبات فى هذا المقام كمرتبة علماء

النحو والصرف بالنسبة لعلماء البلاغة ﴾

اعلم أن هذه الجملة تقدّم نظيرها فى أوائل سورة (آل عمران) ذلك أن عالم التشريح وعالم الطب ينظران الى هذه الأعضاء نظرا ماديا فهما لا يعنهما ما نقول فى أمثال هذا المقام لأن هذا ليس محط نظرهما ولو أن الطبيب ذكر ما أقوله الآن لم يكن ذلك بصفته طبيبا . كلا . وإنما بصفة انه من علماء الفلسفة العامة والفلسفة علم والطب علم آخر وان كان بينهما علاقة ولكن علاقة الطب بالفلسفة علاقة الفرع بالأصل بل علاقة الفرع الصغير بفرع كبير من الشجرة فان الطب يتعلق بجسم الانسان من حيث يصح ويمرض والفلسفة تبحث عن كل موجود من انسان وغير انسان فالأطباء والمشرحون وعلماء النبات يقرؤن هذه العلوم لما هم بصدده كما يقرأ علماء النحو قواعدهم ولكن نظام العالم كله هو الذى يظهر فيه الجلال مثل ما ذكرنا فى نظام التناسل كما يظهر ذلك فى الشعر والنظم فى اللغات . فالعالم شعر جليل والقول مقال جليل والبحث فى النحو وفى التشريح والنبات غير الانشاء وغير النظام العام فى العالم

اذا علمت ذلك فهمت كيف رأينا فى زماننا كثيرا من دراسى هذه العلوم ملحدّين فهذا سرّه فليس ذلك

لنقص علمهم بالطب والزراعة بل ذلك لجهلهم الفلسفة وعلم الحكمة فاما انهم ليسوا أهلا لها واما انهم لم يجدوا من يعلمهم واما لأن الشهوات أحاطت بهم فأصبحوا جاهلين وهؤلاء لابد منهم لنظام الأمة وهكذا سائر الصانع والزراع ورجال الحكومات والملوك وهؤلاء جميعا ليسوا هم المقصودين من هذا النظام وانما المقصود هم الحكماء الذين يفرحون بهذا النظام ويعقلونه والذين يكونون - عند ملك مقتدر -

﴿ الفصل التاسع في أن الأقوى الأكل وان كان قليلا أشرف من الأكثر اذا كان ضعيفا ﴾
ذلك ما شاهدناه في السمك والضفادع والناموس والتباب والحشرات تلد ما لا حصر له وكلما ارتقى الحيوان قل نسله والانسان والآساد أقل نسلا من بقية ذوات الأربع وهي أقل من سائر الحشرات إذن هنا قاعدة وهي أن كثرة النسل لا تدل على الكمال وأيضا نسل الانسان وان كان قليلا أفضل من الآلاف المولفة من نسل غيره والجيش القليل المنظم أفضل من الكثير الذي لا نظام له قال تعالى - كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله - الخ

﴿ الفصل العاشر ﴾

إن الحشرات والحيوانات الذرية الفاتكة بالانسان ملأت السهل والجبل والعلوم التي ارتقت بها الأمم عجزت عن إبادة هذه الذرية الفاتكة بنا المحدثه لأمر اضنا فما مثل هذا الانسان إلا كمثل المسجونين المحكوم عليهم بالأعدام في بلاد ايطاليا فالقاتكون في ايطاليا لا يحكم عليهم بالأعدام كالأقل بل يوضعون في سجون مغلقة يصب فيها ماء ومع المجرم دلو يعلوها منه ايزج الماء حتى لا يغرقه ولا يزال هكذا ساعات في النهار متواليه محافظة على حياته فاذا طغى الماء عليه وأغرقه هلك . وانما عمدوا الى هذا لأنهم رأوا أن الموت راحة فأرادوا أن يموت معذبا . هذا عمل أهل ايطاليا بالمجرمين

أقول . ان هذا الانسان لما خلقه الله في الأرض رأى بعدله وحكمته أن يعامله هذه المعاملة فاننا رأينا تناسل الحيوان الضار والحيوانات الذرية قد غلب على الانسان وعالومه وأضررت الحشرات بقطننا في مصر وبقطن أمريكا والعلوم لم تساعدنا على إبادةها . وهناك أمراض تحدث كل يوم بالحيوانات الذرية ونحن نجدها في قطع دابرها وهي تتكاثر علينا كذلك المجرم الطلياني . فانظر لجمال يحيط بنا من كل جانب في السموات والأرض وعذاب واصب دائم وأجسام تذوب منا كل سبع سنين مرة وتتجدد للعذاب بعد أن نضجت خال جسم الانسان في الأرض أشبه بمن نضجت جلودهم في جهنم فيبدلون جاودا غيرها وكأن الأرض جهنم الصغرى . ولذلك تسمع الامام الغزالي يقول ﴿ ان جسم الانسان مثل جهنم وله أبواب سبعة كأبوابها ﴾ ويقول الله تعالى - ولا تحببكم أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا -

إذن نحن الآن في حال تشبه حال جهنم من بعض الوجوه . فيا ليت شعري لم هذا العذاب . فهل كنا في عالم غير هذا وأذنبنا هكذا يزعم فريق من القدماء من المبتدعة . أما ابن سينا فقد نفى هذا في الاشارات وقال هذا تناسخ ومنع التناسخ عقلا كما منعه الدين نقلا فاذا كان ديننا وفيلسوفنا لا يقولان بالتناسخ فانرضه وانرجع الى ما كان الحكماء قديما يتمسونه لنظامنا الحالي من الحكيم وليس ذلك لنعقد كلامهم . كلا فنحن كما قدمنا أيقنا بأن الله حكيم ويرى أن هذا اسعاد لنا كما ان صغر البيضة المنوية في الأثنى من بنى آدم وكبرها في الدجاجة لم يدل على حقارة الانسان وعظمة الدجاجة . فالنظام العدل هو القائم في هذا العالم وقد علمنا منه الكليات وجهلنا الجزئيات ففقدناها عليها فهالك ما ذكره (أفلاطون) في رسالة (طيمائوس) المتقدمة من تركيب السموات وقد تخيل أن الله خاطبها هي والكواكب والملائكة الموكلة بها قائلا انكم لافساد يلحقكم وسأخلق مخلوقات فيها شعاع من نوري فاجعلوا الجزء الميت مع الجزء الذي هو من نوري أي المادى مع الجزء الالهى وهي الروح ثم ركب الأجسام البشرية على هذا النحو ثم قال بعد ذلك ﴿ خلق الله الأرواح البشرية من

العناصر التي ركب منها نفس العالم السكية إلا أنها دونها في الصفاء والكمال ثم جعل الأرواح في الكواكب فمنها ما جعله في الأرض ومنها ما جعله في القمر ومنها ما جعله في الكواكب الأخرى فأوقفها على نظام العالم وعلى الترتيب الذي اقتضته حكمته و بين لها أن جميعها أصلا واحدا لا فرق بين روح وروح لكي لا تتظلم من عدم المساواة بينها ثم شرح لها أنها عند اقترانها بالأبدان إنما يلحقها التأثير من الخواص وما يتبعه من الشهوة والغضب والخوف فن قهرها يعيش مستقيا ومن يذعن لها يكون مفقود العدالة ومن انتفع بحياته لاصلاح ضميره إنما يرجع كوكبه المختص به فيبقى فيه سعيدا ومن قصر في ذلك فقد يصير أنثى في حياة ثانية فإذا دام على الشر فيصير حيوانا على شكل ما اعتاده في حياته من أنواع الخطأ فلا يزال يموت وينتقل من بدن الى بدن الى أن يرجع الى الصلاح ويسخر ما فيه من العناصر ويجعلها منقادا لرئاسة عقله ﴿

هذا كلام طيماوس لسقراط الذي ألفه (أفلاطون) وإياك أن تظن أن هذا الرأي كان مبرهنا عليه عندهم كلا . فكما نقول نحن في ديننا إنه لا تناسخ وهم يقولون أيضا ان هذا فرض فرضوه لا غير . والسبيل على ذلك ما قاله في نفس هذه الرسالة قبل ذلك . قال طيماوس اني ياسقراط غير قادر أن أشرح لك فعل الملائكة بأذن الله ومنشأ الوجود شرحا شافيا متصلا في جميع أجزائه والأولى أن تقنع بكلامي اذا كان مشبها وأن لا تنسى أن كلا منا المتكلم والسامع من أبناء البشر فلا بد لنا أن نقنع في هذا الموضوع بما هو أشبه ولا نطلب ما فوق ذلك اه فعلى هذا يكون هذا القول الذي ذكره وما يضا فيه من أقوال البراهمة في الهند كاه أمر فرضي . فأما ديننا الاسلامي فتعجب من أمره . فهذا المقال فيه ﴿أمران * الأول﴾ انهم فرضوا أن الله خاطب أرواحنا قبل حلولها في أبداننا وهذا أمر عجيب فان هذا الفرض هو الذي جاء بتحقيقه الوحي فكأن العقول البشرية استشفت من وراء حجاب علوما محجوبة عنها وهذه معجزة عظيمة تفسر قوله تعالى . بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم . فهذه آيات في صدور علماء الأمم قبل مجيء الاسلام ويكون ذلك حقيقة حاصلة لا مجازا وهذا جاء به الوحي . إذن ظواهر الآيات من خطاب الله لأرواحنا الذي جاء به الوحي قد جاءت به الفلسفة هذا هو الأمر الأول ﴿الأمر الثاني﴾ وهو التناسخ . ماهو إلا فرض افترضوه كما عرفت من كلامهم وإنما أوردت لك هذا القول لأريك أن الأمم قديما بحثوا هذا الموضوع وفكروا في أصل خلقنا ولماذا خلقنا . ولكل درجات مما عملوا . وأصل المقام في أن الانسان في الدنيا كالمعاقبين على ذنوب والله يقول لنا . الذي خالق الموت والحياة ليأولكم أيكم أحسن عملا . وهذا كاف واف

وأما مسألة الكواكب وسكنائها فأمرها مجهول وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة (آل عمران) في مسألة الجنة والنار وأن الجنة في السموات والنار ليست في السموات فارجع اليه ان شئت وهل هي مسكونة إن العقل لا يمنع سكنى الكواكب بل هو يؤيدها ولكن لا دليل عليه . واذا نظرنا الى بيض السمك وبيض السجاجة والمرأة في التناسل نستنتج أن الحياة لا تتوقف على حال خاصة . فكما أن بيض السمك يفرخ في الماء وهو بارد وبيض الأنثى والدجاجة لا يفرخ إلا وهو مستدفئ أي ان الحياة تحصل في الضدين . هكذا القول ان الكواكب التي يخالف جوها وأحوالها جو أرضنا وأحوالها لا مانع يمنع من وجود حياة فيها مخالفة لحياتنا هنا لاختلاف البيئة والوسط وتعطيل الكواكب يخالف الحكمة فهذا يرجح سكنى الكواكب ولكن من يسكنها وكيف يسكنونها . كل هذا مجهول قديما وحديثا

فلما سمع صاحبي ذلك قال ان محصل ما ذكرت في هذا الفصل يرجع الى التماس معرفة الحقائق في مسألة الخير والشر للانسان وأن فريقا يقول ان ذلك لذنوب سبقت من أرواحنا في عالم قبل هذا وقد منعه ديننا وفلاسفتنا وأن (طيماوس) يقول اننا خالفنا أوامر الله التي أمر أرواحنا بها واتبعنا اضلال الخواص والشهوات وان كنا في أصل فطر أرواحنا متحدين منسوبي للنور الالهي وان كنا أقل من أرواح العوالم العلوية .

ويقول (طيماسوس) إن عذابنا على ضلالنا يكون بالرجوع إلى أجسام منسحطة وانك تسلم بمخاطبة الله لأرواحنا لوروده في الدين ولا تسلم بهذا التناسخ الذي جعلوه هم فرضاً لا دليل عليه . هذا محصل ما قلته فهل تتذكر قولاً للقديس غير هذا . فقلت نعم سيأتي في سورة (الأنبياء) عند قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون - أن دين قدماء الفرس تضمنه ﴿ كتاب الأوستاوزند ﴾ ومعنى هذا (المتن والشرح) ويسميه الأفرنج (الزندانستا) وهو كتاب منظوم يقال إنه كان فيه ألف ألف بيت من نظم (زردشت) وفقد أكثره في أيام الاسكندر ثم جمع ذلك الأكثر بعد ذلك . هذا الكتاب ألفه (زردشت) المذكور بالري بالقرب من طهران قبل المسيح بنحو ستمائة سنة وقيل قبل المسيح بأثنى عشر قرناً أي قبل أن وصل قدماء الفرس إلى (إيران) وهذا كلام محقق الأفرنج . فهذه الديانة كما ستراه هناك كانت تقول في أصل الدين كما يقول الاسلام فالاسلام يقول - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - فالشر والخير مقرران في الاسلام فإن نلنا خيراً شكرنا وإن أصابنا شرٌّ صبرنا فالخير لا يقتدار على فعل الخير والشر لتعليمنا خلق الصبر وقوة النفس . هذا ملخص ما في الاسلام . هكذا دين قدماء الفرس يقولون إن الله واحد ويمتتون عبادة الأصنام ويقولون إن الله عنده ﴿ مبدآن ﴾ مبدأ الخير ومبدأ الشر وكل واحد منهما ملازم للآخر وهذا معنى المحي المميت كالنور والظلمة وهكذا . فبدأ الخير اسمه (أهورامزدا) أي الروح الحكيم أو الجواد ثم قيل (هرمز) والثاني (انفروماينيوس) أي العقل المظلم ثم صار (اهرمان) فهذه تعاليم (زردشت) قبل أن يرتحلوا إلى بلاد (إيران) ويختلطوا بالمجوس الذين أدخلوا الفساد في دينهم . فهذان المبدآن بعد أن كانا فعليين من فعل الله الواحد في دين (زردشت) صاراً إلهين مختلفين إله الخير وإله الشر فصار الفرس من الثنوية بعد أن كانوا موحدين وهما إلهان دأبهما الخصام فهذا يعطى المطر والخصب وهذا يرسل القحط والهوام والحشرات والشوك . ثم قلت إذن مسألة كثرة النسل قد جرت إلى نسل الحشرات والحيوانات النورية وهذه جرت إلى مسألة الخير والشر ويرجع شر (طيماسوس) إلى حواسنا وشهواتنا ودين قدماء الفرس (قبل انتقالهم إلى إيران) إلى أنه تقدير الله المحي المميت والمحدثون من الفرس المخاطبون للمجوس يقولون ﴿ إن للخير إلهاً وللشر إلهاً ﴾ انتهى الفصل العاشر

﴿ الفصل الحادي عشر ﴾

في ذكر آيات من القرآن تناسب هذا المقال وقد تقدم ذكر آيات كثيرة في فصول متفرقة فلا نعيد هنا انتهى يوم الجمعة ١٧ نوفمبر سنة ١٩٣٨

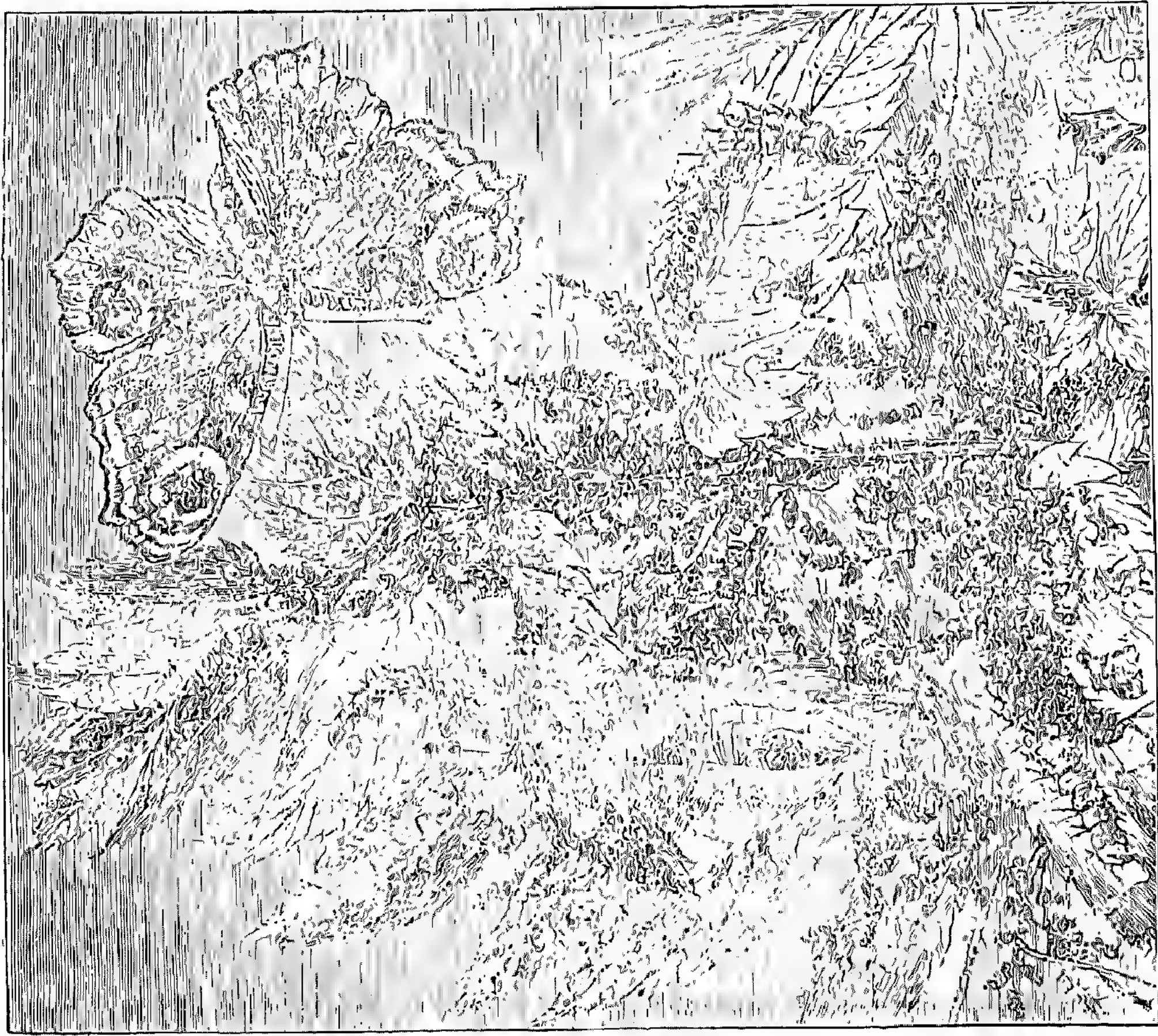
﴿ الجوهرة الثانية في نظام نمو الحشرات ﴾

وقبل أن أغادر هذا المقام اللذيذ والعلم الجليل والحكمة البارة في نظام النمو في أجنة النبات والسمك والائنات من نوع الإنسان لايسعني إلا أن أريك أيها الذكي أجل حكمة وأبهج علم في نمو الحشرات تلك العوالم التي عدها العلماء بمئات الألوف ولا يزالون يكشفون منها أنواعاً جديدة . تلك العوالم البديعة التي جعلها الله محيطاً بنا لندرسها فيها ما هو مؤد لنا كالذباب والناموس والبق وهكذا ومنها ما هو نافع كالنحل ودود القز وهذا صورته (شكل ٧)



(شكل ٧ - صورة دودة الحرير وفيلجتها (كرة الحرير) والحشرة النائمة التي خرجت من الفيلجة)
 أيها الذكي . أنا لست الآن في مقام دراسة هذه الحشرة كأن أقول مثلا إن هذه الدودة التي أمامك منها
 في هذه الصورة اثنتان تأكلان ورق التوت أصلها من بيض صغير جدا مستدير بحوِّف الوسط وله قشر صلب
 وهو سماوي اللون كثير العدد فان حشرة الحرير التي ترى أمامك في الصورة منها اثنتان أيضا تبيض من ٤٠٠
 الى ٥٠٠ بيضة وتجعلها في صفوف منتظمة قبل أن تموت . هذا أمر ربما أنت كنت قرأته في المدارس
 فلا تزيدك به علما وأنت تعرف أن هذا البيض لا يفرخ إلا عند اشتداد الحرارة في آخر شهر مارس أو أول
 ابريل فبعد أيام قليلة ترى دودة الحرير تحاول الخروج من البيضة فيقدم لها ورق التوت الذي أمامك فتراه
 وتنمو ثم ان لونها أولا يكون أسود ثم يصير سماويا ثم يصير كالقشدة وتبلغ في الطول خمسة سنتيمترات واذ ذاك
 تصير نهمة على الأكل ومتى تم نموها يظهر عليها انها تعبت من الأكل فتأخذ ترحف ببطء ويكون حلق جسمها
 (١٣) مقطعا وجلدها ناعم وفي جانبها بقع سود ولها أرجل زوجية كثيرة العدد وأكبر أقسام جلدها قرب
 الرأس وهو منتفخ وجلدها يسقط أربع مرات ويلتف ومتى سقط المرة الأخيرة تبدى الدودة في غزلها وحالها
 إذ ذاك تخالف حالها حين خرجت من البيضة والحرير عبارة عن مادة سائلة تخرج من رأسها ومتى لامست
 الهواء صلبت وتندوم على هذا النسج من ثلاثة أيام الى خمسة وهناك يتم الفيلج وشكاه البيضي الذي ترى
 أمامك في الصورة اثنتين منه وتري في داخل كل فيلجة ما يسمى (العدراء) أو يسمى (الدودة الجراء) ومتى
 نامت تلك الدودة في الفيلجة أسبوعين تخرج فراشة قشدية اللون ذات أربعة أجنحة كما تشاهدها في الصورة
 أمامك وقرنين شعريين وجسم غليظ عند الأنثى وهو دقيق عند الذكر وتمكث قليلا حتى تلقح الأنثى ثم

تموت . هذا هو تاريخ حشرة (دودة الحرير) فأولا تكون بيضة ثم دودة ثم تنام في كرة من الحرير وهي الفياجة ثم تكون حشرة تامة تبيض ثم تموت ثم يعيد البيض ما فعله آباؤه مدى الدهر . أنا أقول لك أيها الدكي انني لست في مقام أن أكتب هذا وان كنت كتبت واضعها لأن كثيرا من الناس قرؤوا هذا في مدارسهم و ترى التلاميذ يشاهدون هذا في صغرهم ويربون تلك الحشرة . هذا مهني قولي إني لست في مقام هذا التاريخ وانما الذي سقت له هذا القول أن أوازن ما بين نمو الحشرات ونمو الأجنة في بطون الاناث من بني آدم ونمو أجنة السمك الذي تقدم ذكره . هذه بيضة المرأة أمامك قد عرفت ما فهمت شرحها . هكذا اطلعت على نظام أجنة السمك . فانظر للحجب الحجاب . بيض السمك أفرخ ولم يتلاق الذكر والأنثى عند اللقاح كما علمت بخلاف بيض المرأة والحشرة . بيض السمك بعد الافراخ نجده ترك كيسا من الغذاء لهذا الجنين يتغذى منه حتى يستقل وذلك بقدر ولكن بيضة المرأة لا تحتاج لذلك ويقوم دم الأم بالتغذية وبيض الحشرة المتقدمة أعطى ورق التوت الذي يحضره الانسان طمعا في الحرير . فأما حشرة أبي دقيق فان الانسان ليفضه لها لا يحضر ورقا بل الورق حاضر مما عندها بلا عمل الانسان وفيلجتها ليست ذات قيمة حريرية بل هي ضيقة جدا وهكذا فيالج بقية الحشرات لذلك أغناها الله بالورق من أي شجر . أما دودة الحرير فجعل لها ورقا خاصا وأكثرها من الحرير ليعتنى بها الانسان (شكل ٨)



(شكل ٨ - صور التقلبات لحشرة أبي دقيق من خروجها من البيضة الى أن تكون حشرة تامة) فإها الحالات الأربع السابقة بيضة فدودة ففيلجة فحشرة تامة وهكذا كل الحشرات . وهنا نذكر ما يقوله العلامة (أندرو ويلسون) في كتاب (علوم للجميع) يقول بينما نرى دودة الحرير تأكل الورق بشراهة عظيمة نرى الحشرة التامة قد خرجت مخالفة لتلك المخافة التامة فاننا نرى لها جناحين مستقيين وهي نشطة تريد أن

تذوق لذة الحياة الجديدة ونسيت الأولى نسياناً تاماً . وهكذا اذا نظرنا للصورتين تقابلت فيها حشرة أبي دقيق فانتا نرى انها وهى دودة قد أكتبت على الأكل بشراهة ولما سممت نامت ثم نسيجت فيلججة ثم خرجت ذات جناحين وفم غير الفم الأول . الفم الأول كان يمزق الورق تمزيقاً والفم الثانى خلق مناسباً لكل المناسبة لاستخراج ذلك الكنز الثمين والمخزن المسكنون فى الزهرات وهو العسل الذى تمتصه فهى تطير من زهرة الى زهرة لتجتنى العسل الرقيق ولما كانت دودة كانت تزحف على الشجر والورق وكان جسمها مساعداً لذلك مناسباً له . هذا مقال العلامة الافرنجى فى ذلك الكتاب . وهأنذا قد جاء دورى فى القول ولكن بطريق غير مذكورة أولاً فأقول . ألاحيا الله العلم وأنار ربوعه . هذه حشرة أبي دقيق وحشرة الحرير . فانظر كيف كانت حشرة أبي دقيق مثلاً على الأرض دودة . هذه الدودة تزحف على الشجر والورق . أأنت تراها كالانسان الآن . أأنت ترى أن الانسان جهول وجهول . انظر ماسبق فى آخر سورة (الكهف) من أن الانسان الحالى ينتظر ارتقاؤه آلاف الآلاف أضعاف ارتقاؤه الآن . الانسان الآن كدودة حشرة أبي دقيق ثم انظر . أأنت تراهم على الأرض شرهين يحارب بعضهم بعضاً . هذا هو الشره الذى تمثله حشرة أبي دقيق أولست ترى انه ربما يحى له يوم وربما كان قريباً تسكن شراسته كما سكنت شراستها وهى نائمة فى الفيلججة ثم يرقى الانسان ارتقاءً عالياً كما خرجت الحشرة من الفيلججة فصارت خلقاً آخر . أقول ربما كان ذلك وان هذا الانسان تتغير أطواره ويصبح الناس اخواناً فى جو الحرية والجمال فى هذه الدار . ربما كان ذلك ويكون هذا الزمان المسمى زمان نزول المسيح . وهنا (نظرة أخرى) الانسان فى الحياة جاع مناع وذنوبه تبنى عليه حجاً كثيفاً كما قال تعالى - كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - وهذا الحجاب كالفيلججة فمن الناس من يخرجون مما حبست فيه عقولهم ومنهم من لا يخرجون فيخرجون فى عوالم جهنم ويمثل لهذا موت الفراشة فى الفيلججة . وأيضاً هذه الدروس ترىنا أن الانسان حراً به ألا يقف على حال إلا طلب أعلى منها وأن الأمم الأرضية ليس مقضياً عليها بحال واحدة فربما يعقب الدل عز والاستعباد حرية كما نرى فى حشرة أبي دقيق وترىنا أن تربية الذرية تكون فى كل شئ بحسبه ومن العجب أن يدخل الغزل والنسج فى تربية الحشرات ولا يدخل فى نمو الانسان والسماك وغيرها . إن الانسان عليه الجد كما جدت دودة أبي دقيق إن الانسان اليوم فى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . فالعمل بعد العلم الذى مبدؤه مجرد الايمان هو الذى يخرج الانسان من دور الطفولة الى دور الرجال وتواصلوا بالحق فى عملهم والصبر عليه . فالصبر هو الذى يرفع الانسان الى أعلى الدرجات كما رفعت الحشرات الى درجة الطيران فى الهواء

﴿ فائدة ﴾

يقال ان ما ينسجه دود القز على نفسه من الخيط يبلغ (٣٠٠) متراً . وقد ألغز بعض الشعراء فى دودة (القز) فقال ما يأتى من الأبيات

و بيضة تحضن فى يومين * حتى اذا دبت على رجلين
واستبدلت بلونها لونين * حاكت لها خبأً بلا نيرين
بلا سماء وبلا بايين * تنقبه من بعد ليلتين
نفرجت مكحولة العينين * قد صبغت بالنقش حاجبين
قصيرة ضئيلة الجنين * كأنها قد قطعت نصفين
لها جناح سابغ البردين * مانبتا إلا لقرب الحين
* إن الردى كل لكل عين *

انتهى من ﴿ علم الدين ﴾

﴿ الجوهرة الثالثة في صناعات الحيوان وحكوماته وجهورياته وتقليد الانسان له في ذلك كله ﴾
اعلم أن الحيوان خلق قبل الانسان والانسان مقلد له في سائر ضروب الأعمال الصناعية والسياسية
وهالك البيان

- (١) عاشت (الجرذان) تحت الأرض فقلدها الانسان الأول فعاش في الكهوف
- (٢) ثم رأى الطباء والمها (١) تعيش في الأدواح والآجام فقلدها
- (٣) ثم رأى النمل تفخذ البيوت فاتخذها
- (٤) ثم رأى الحيوان المسمى (الكستور) وهو المسمى (الجندبادستر) أيضا وهو الذي يبنى بيته بالقرب من شاطئ نهر أو بركة ويتخذ له من أغصان الأشجار جسرا متينا على هيئة سد يمنع عنه قوة السيل بأن ينضد تلك الأغصان بعضها فوق بعض ويلصق أحدها بالآخر إلصاقا محكما لا ينقصه شيء مما يحتاج اليه من هندسة البناء . فهذا الحيوان رآه الانسان انه كما يبنى بيوته بهذه الهندسة يبنى جسورا وقناطر فصنع مثله
- (٥) ثم رأى الدب الذي في المنطقة الشمالية من الكرة الأرضية يسافر في البحر على قطع من الثلج الى حيث يقصد (١) وهكذا رأى (السنجاب) قوى العزيمة يركب خشبة بهيئة مركب ويرفع ذنبه للريح قائما مقام قلع المركب ومقام (السكان) الذي يسميه العامة (الدقة) ويقطع بذلك مجارى الماء (ب) وهكذا رأى الطوآف وهو ضرب من ذوات الأصداف يسافر في البحار فيركب صدفه ويرفع مرساته وينشر أغشيته للريح شرعا ويسافر من مكان الى مكان ثم اذا فرغ من السفر ألقى مرساته وطوى شرعه واستقر في مكانه كأنه سمع قول الشاعر

فألقت عصاها واستقر بها النوى * كما قرّ عينا بالإياب المسافر

فالما رأى الانسان ذلك تعلم فنّ (الملاحه) من تلك الحيوانات . ويعتبر مثل هذا الحيوان سمكة صغيرة تعرف (بالديمورا) فانها تتخذ لها أقوى السمك وأصعبه وأعظمه مركبا لها وتسير به حيث شاءت . ذلك أن لكل نوع من السمك عوامة ممتلئة هواء وهذه العوامة بها يسير حيث شاء فهو يضغطها وينفخها كما يشاء فيجربى حيث شاء ولكن (الديمورا) لم يعطها الله هذه العوامة ولكنه أعطاها ما يقوم مقامها وأكثر كما أعطى الانسان عقلا يقوم مقام جلود البهائم وقوتها الخ فلها في جانبي رأسها ضمامات مستديرات في صورة شكل البيض فتى أرادت الانتقال الى جهة تريد اعمدت الى حيوان كبير من حيوان البحر أيا كان فتلتصق به بواسطة ضماماتها المذكورة فلا يمكنه أن يتخلص منها بحال ولا يقدر أحد على فصلها بالقوة وتسافر به الى حيث ما تشاء وهي تفضل كاب البحر فتسافر عليه وكلب البحر المذكور طوله عشرة أمتار وفيه عظيم جدا يبلغ طول فمحه نحو الثلث من طوله ومحيطه ثلاثة أمتار وقطره متر واحد وجلده غليظ لا يؤثر فيه الرصاص ويقطع محيط الكرة الأرضية في ثلاثين أسبوعا وجميع السمك يخشى بأسه وهو يتبع السفن ليلتقط جثث الموتى . وقد اصطاد أهل (مرسيليا) كلبا منه فرأوا في جوفه سمكا كثيرا ورجلا بئيا به . وهنا نقول لماذا اختصت (الديمورا) بأنها تذلل كلب البحر وغيره فيجربى بها . (الديمورا) كالانسان بالنسبة للحيوان من بعض الوجوه ولقد منعت وأعطيت . منعت العوامة وأعطيت سلطة بها تذلل غيرها ليجربى بها . وهنا نقول يظهر أن هذا العالم مبنى على علم وعدل غير ما تعارفه الناس . الناس تعارفوا أن الانسان لا يعمل لغيره إلا بأجر وأين الأجر لكاب البحر لما ذلله (الديمورا) . وفوق ذلك نرى كلب البحر يأكل غيره . إن نوع الانسان الى الآن لم يقف على جلية الحق . إن الطبيعة المنظمة حولنا فيها قضايا غير التي يعرفها العدل في الأرض . يظهر أن الحقيقة غير ذلك . ألم تر أن السمك وحيوان البر والبحر تتغذى كلها بالهواء والماء وبالخشائش بلا مقابل . إذن هو لا عمل له وجميع حياته وقواه منحة من صانع هذا العالم للحى . فاذا ذلله لغيره كان له ذلك

لأن الهواء والماء والحشائش والأرض كلها له . فإذا أمر (الديمورا) أن تتركب كلب البحر فهذا حق .
ويظهر لي أن هذه العوالم تؤلف عيكلا واحدا ونظاما واحدا وحيوانا واحدا . فكل حيوان أو نبات عضو
منه فليكن بعضه لبعض فداء وهذا درس للإنسان . يقول الله له بلسان (الديمورا) وكاب البحر ﴿ أنت
مخلوق للجميع لالفساك فان عرفت هذه الحقيقة فيها والافلايخضعتك الله لغيرك كرها كما أخضع كلب البحر لغيره ﴾
- إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا -

(٦) ورأى الثعلب البري والبحري والكلب والذئب وابن آوى وسائر السباع حرفة الصيد ولا تعيش إلا
به . وهكذا رأى الدب الأسود والكركي يهيشان من صيد السمك فمن ذلك تعلم الإنسان حرفة الصيد
(٧) ورأى (المنكبوت) يصطاد بشبكة كما ستره في سورة (المنكبوت) فتعلم الصيد بالشباك
(٨) ورأى بعض السمك له (منشار) و (بلطة) أى سلاح حاد يشبه الفأس من بعض الوجوه فقلده
الإنسان فيهما

(٩) ورأى للسرطان درعا يقي جسمه العوارض والمهاك فتعلم صناعة الدروع . وهكذا منه أيضا تعلم
صناعة (الملاقيط) و (الكماشات)
(١٠) وأخذ صناعة (احقاقى الفشوق) عن (الاستريديا) وعن (أم الخلول) كما في كتاب (علم الدين)
لاستاذنا المرحوم على باشا مبارك

(١١) ورأى الخنزير يمد خرطومه فيشق الأرض فتعلم منه الإنسان حراثة الأرض بالمحراث بل ربما كان
استخراج الذهب والفضة من الأرض بسبب تقليد الخنزير

(١٢) ورأى (الهرّة) تتوق الروائح الكريهة المتصاعدة من الفحم فقلدها

(١٣) ورأى الكلب يتعاطى مسهلا عند انحراف مزاجه فأخذ الطب عنه

(١٤) ولما رأى النمل تجند الجنود وتجهز الجيوش قلدها

(١٥) ولما رأى (القلق) يعمل بالمشاورة في الأمور تعلم علم الدواوين وجعل له مجالس للشورى للنواب
وللشيوخ كما هو مشاهد في هذا الزمان

(١٦) ولما رأى الغراب كثير الحذر قلده

(١٧) ولما رأى الناس والكلاب تصاحب الناس اتخذ ماوكهم جلساء لهم وكذا الأمراء والعظماء

(١٨) ولما رأى الناس السباع ذات جرأة وظلم جاروا وظالموا

(١٩) ورأى الخيلاء والكبر في (النمر) فقلده

(٢٠) ورأى النحل مهندسا يبني بيته مستسا الأركان بنظام لاخطأ فيه بحيث يبني مساكن كثيرة في
فسحة صغيرة بسبب حسن الهندسة والاتقان كما أتقن الله أدمغة الناس وأجسامهم وحسن أشكال أجسامهم
فقلد الحيوان في ذلك

(٢١) ورأى الخلد أعلم العامة في معرفة أحوال الطقس فتعلم منه ذلك كبار فلاسفة الأرض (والمتيورولوجيون)

(٢٢) ورأى (السمك الرعاد) قديرا على اظهار مقداره عظيم من الكهر باء فاذا لمس الانسان ارتعد
جسمه واهتز اهتزازا عنيفا فقلده

(٢٣) ورأى الطياري تغنى بغناء مطرب وصوت رخيم عجيب التلحين يشجى القلوب بتغريده ويطرد
الأحزان فقلدها

(٢٤) ورأى (فأرجيل) يبني بناء متقنا فيجعل بيته على أقبية ويحفر له أقبية ليحجرى الماء فيها فقلده
حتى قال فرعون - أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون - فيقال له لقد سبقك

بذلك (فأرجل) . وهكذا رأى الضبّ يبني بيته في أجود الأماكن وألطفها هواء فقلدها * قال الشاعر
سقى الله أرضاً يعلم الضبّ أنها * بهيمد عن الآفات طيبة البقل
بني بيته فيها على رأس كدية * وكل امرئ في سرفة العيش ذو عقل

(٢٥) ورأى كلب الماء ماهرًا في النجارة والبناء كثير القوة عظيم الهمة والاقسام فيقطع الأشجار
وينشرها ويجعلها ألواحًا ثم يبني بها مدنه على جوانب الماء ويسكنها كأهل مصر وباريس وجميع الأمم
المتدينة الذين تعلموا منه الهمة والنشاط في ذلك

(٢٦) ورأى من (الزناير) صناعا تصنع الورق فقلدها

(٢٧) ورأى (دود القز) يغزل فتعلم الغزل

(٢٨) ورأى (دود الربيع) نساجا ينسج خيامه فتعلم منه النسج

(٢٩) وبعض الطيور دقيق الصنعة في الحياكة فقلده في ذلك

(٣٠) وبعض الطيور خياط يخطط الأغصان والأوراق ويسكن فيها فقلده في ذلك

(٣١) ورأى (النمل) تكد وتكدح ليلا ونهارا مع الحكمة فتعلم منها ذلك . ولما كان أمر النمل
عجيبا أردت أن أذكر هنا نبذة صالحة عجيبة تاركا ما هو أعجب لما سيأتي في سورة (النمل)

(النمل في قريته . هندسة عجيبة)

النمل والنحل كلاهما مثل للفريزة الصادقة التي لا تخطئ فشكل منهما يعمل أعمالا غاية في الدقة والتعقيد
فيجيد عمله كأنه يعقل وإن لم يكن للعقل أثر في جميع ما يعمل وإنما هو مسوق بفريزته يؤدي عمله أداء ميكانيكا
لا يتردد فيه ولا يفكر . وقرية النمل التي يعيش فيها مقسمة طبقات منها ما هو خاص بالذخائر الأقوات التي
يخرجها أحيانا إلى سطح الأرض لكي يحف إذا رآها قد رطبت وأوشكت أن تتعفن . ومنها ما هو خاص
بالمملكة . وليس لهذه المملكة شيء من سمات الملوكة فانها مثل ملكة النحل مقصور عملها وهمها على البيض
فهى تبيض مدى عمرها . وتبذل عناية النمل بقريته أنه يدفن ما يموت حتى لا ينتن جسمه ويؤذي القرية
والنمل في القرية منقسم طبقات فنه الجنود التي تختص بالقتال والدفاع عن القرية ومنه الاناث العاملات اللواتي
يخرجن لجمع الأقوات وينظرن في مصالح القرية من رعاية الصغار وإخراجهن إلى الخلاء لتنفس الهواء النقي
ثم العودة بهن إلى العناية بالقرية والمملكة . ويعتبر النمل من عجائب الطبيعة فانها تخصص نوعا من الصراصير
باختزان العسل فتجبر هذا البعض على أن يعب العسل عبا حتى يتورم جسمه ولا يستطيع الحركة ويتركه
زمن الشتاء فإن أراد أن يشرب ذهب إليه وامتنص منه قطرة كما يحب الناس البقر وهو يعتنى ببقره
ويهيئ له علفه . ويقول الاستاذ (انفرت) وهو من أساتذة جامعة (مونينخ) وقد اختص في درس طبائع
النمل أن النمل أحيانا ينغمس في تناول هذا الشراب حتى يسكر وليس للنمل أجنحة ماعدا الملكة والذكور
فانها مجنحة . ويقال ان في العالم نحو ألف نوع من النمل تعيش في كل مكان عدا الأصقاع الباردة

ومما يحكى عن فريزة النمل ماجربه بعضهم مع أحد أفرادها فانه أخذ نملة من قرية وأبقاها محبوسة عنده
عدة أشهر ثم ردها إلى القرية مع نملة أخرى غريبة فقتلت النملة الغريبة في المكان وأذن للنملة الأصلية أن
تدخل وذلك مع عدم وجود أى فرق بين الغريبة والأصلية من حيث النوع . والنمل ما يشبه الذكاء والتفاهم
فاذا وجدت نملة مقدارا من الغذاء وجدت أخرى مقدارا كبيرا ذهبت كل منهما إلى القرية وبعد برهة تعود
الأولى بعدد من النمل وتعود الثانية بعدد أكبر من النمل لجل الغذاء . والنمل غزوات يقصد منها الاسترقاق
فانه يغير على القرى المجاورة ويختطف صغار النمل ويربى فينشأ رقا في القرية يخدم أسياده الذين يستعبدونه
وقد ذكرنا الصراصير التي يختزن النمل في أجسامها العسل . وهناك النمل أيضا الذي يعيش أحيانا على أوراق

القطن والذي يسمى الفلاحون إصابة أقطانهم به (الندوة العسلية) فان النمل يخطف بيضه ويذهب به الى قريته فيتركه حتى يتفقا البيض فيقتم البعض اصغاره حين يكبر ويشرب مايفرزه من العسل . ووقت التلاقح تطير ملكات النمل فاذا تم التلاقح عادت الى القرية وتقع جناحها فلا تخرج بل تبقى تبيض حتى تموت . (انظر شكل ٩ في الصفحة التالية)

﴿ قرية النمل وطبقاتها ﴾

(١) باب القرية (٢) نملة تدخل القرية (٣) الحرس لمنع دخول الغريب (٤) أول طبقة لراحة العمال في الصيف (٥) الطبقة الثانية لراحة العمال في الصيف أيضا (٦) مكان تناول الغذاء (٧) مخزن تدخر فيه الأقوات (٨) ثكنة جنود النمل (٩) الغرف الملوكة حيث تبيض ملكة النمل (١٠) اسطبل لبقر النمل مع علفه (١١) اسطبل آخر لحلب البقر (١٢) مكان لتفقا البيض عن الصغار (١٣) صغار النمل وبيضه (١٤) صغار النمل (١٥) مشفى للنمل وفي اليمين جبانة لسفن من يموت (١٦) مشفى الملكة . انتهى (٣٢) والنسئاس يفعل أفعالا مضحكة فقلده الانسان بما يسمى (البهاوان) وهو الذي يجري أو يرقص فوق الحبل وما أشبه ذلك

(٣٣) ورأى القرد يلعب ويمرح حتى يضحك العبوس ويزيل الحزن فقلده وبنى دورا للألعاب والامور المضحكة وهي (دور التمثيل) المسماة (التيارات)

(٣٤) ورأى في النمل الأبيض بنائين وملوكا وجنودا فجمع الانسان ذلك كله وزاد عاياه كثيرا (٣٥) ورأى كلاب الماء قد عاشت عيشة المساواة والحرية فقلدها الانسان بحكومة (الجمهورية) كفرنسا وألمانيا وتركيا الحديثة وغيرها

(٣٦) ورأى للنحل وللأرضة كما تقدم في سورة (النحل) حكومات فقلدها الانسان كما ترى في مصر والترك والانجليز والأسبان وما أشبه ذلك

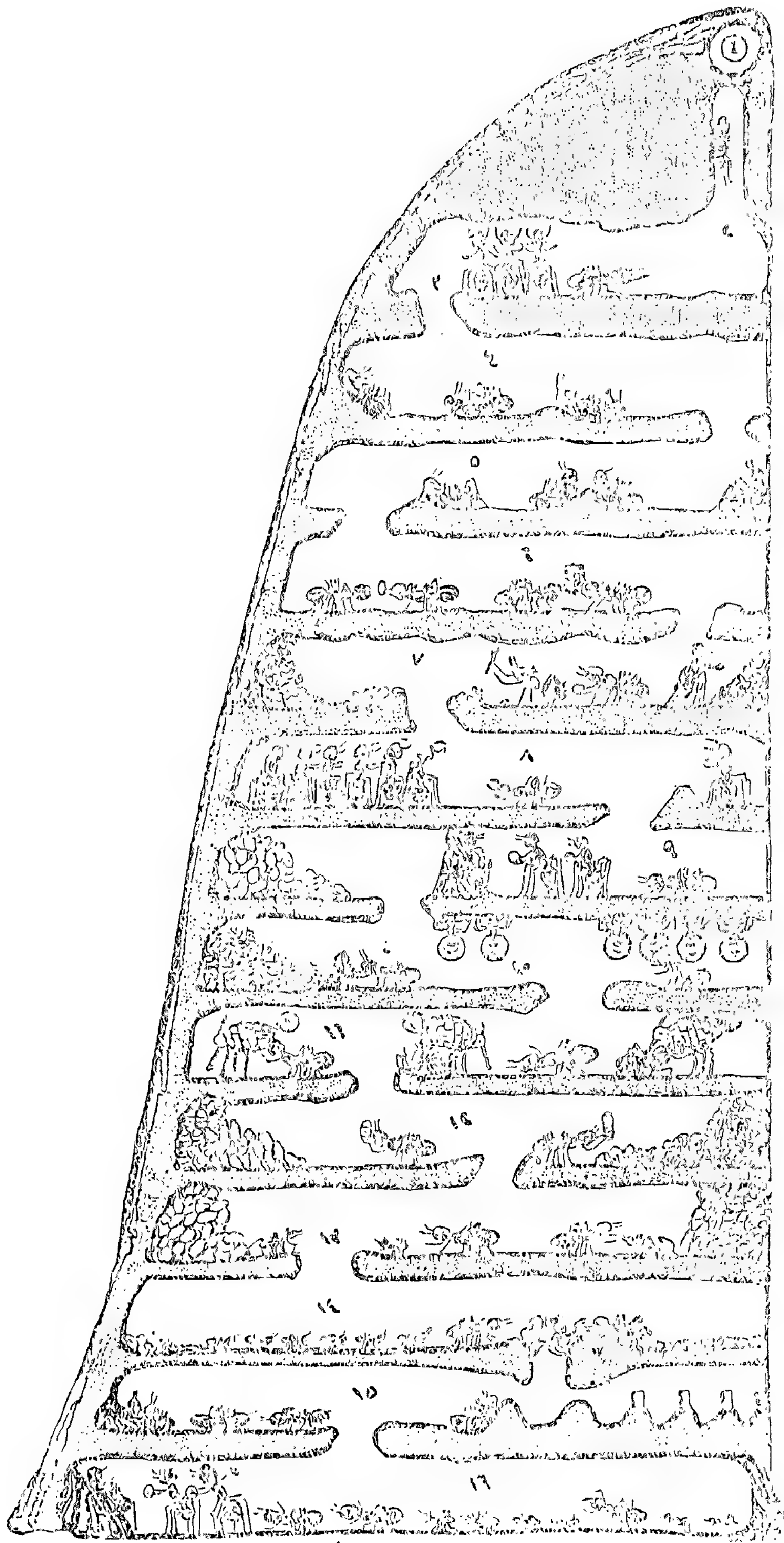
(٣٧) ورأى (الأيائل) الهندية تعيش بهيئة مجلس من الشيوخ يحكمها حكومة بني اسرائيل قبل أيام سيدنا سليمان عليه السلام فقلدها

(٣٨) ورأى الأفيال تنقاد للأشراف منها فقلدها الانسان فكانت حكومات الأشراف كما في جمهورية (أفلاطون) المتقدمة في سورة (النحل)

(٣٩) ورأى الخيول البرية تنتخب لنفسها قوادا منها فتسير أمامها وتهديها في سيرها وتسلط عليها فتعلم انتخاب الأعضاء في المجالس النيابية

(٤٠) ورأى الغنم البرية تقيم عليها كبشا منها يقاتل عنها ويسير في مقدمتها ويحميها فقلدها في ضباط جيوشه وفي رؤساء العاملين في سائر الأعمال . انتهى

فانظر لهذا الجلال في هذا العالم البهيج الجميل - فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم - وانظر كيف وزع الله القوى والقدر والأخلاق والصناعات والعلوم على أنواع الحيوان وجعلها في هذا الانسان وانما جعلها فيه ليدرسها وليفهم قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - فهذا هو الخلق وهذه هي الهداية . فيا ليت شعري من أين يعرف المسلمون معنى أمثال هذه الآية لإبدراسة هذه العلوم . اللهم إنك أنت الحمود على نعمة العلم ونعمة الحكمة . اللهم إنك أنت الملهم المعلم واني أشكرك على ما أنعمت به عليّ ووفقتني أن أجمع هذه الأر بعين خصلة من صناعات وعلوم وسياسات وحكومات مفرقات في الحيوان مجتمعات في الانسان من كتب قيمة حديثة للعهد في هذا الزمان الذي انتشرت فيه بعض أنوارك وظهرت فيه بعض علومك وعجائب صنعك وبعض أسرار كتابك وأن ما كتبه الآن قطرة من بحر من بحور العلم المكنونة



(شكل ٩ - رسم قرية الخمل وطبقاتها)

في غرائز الحيوان ونبذة من العلوم الخبأة تحت كلماتك المقدسة في كتابك . وعلى مقدار ارتقاء العقول في العلوم يزدادون ارتقاء في فهم كتابك والحمد لله رب العالمين . انتهى ليلة الأربعاء ٩ مايو سنة ١٩٢٨

﴿ تذكرة ﴾

تقدم في سورة يوسف وفي سورة المائدة ذكر منافع الطيور وأنت الحكومة المصرية منعت صيد طائفة منها وترأها مرسومة في سورة يوسف وذلك داخل في قوله تعالى - أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فقد هداه الله لأكل الحشرات المنفعة الزرع وهدى الناس لمعرفة ما فيها . ولقد أصدرت الحكومة المصرية أمرا أثناء طبع هذه الآية بمنع طيور أضعاف ما منعت في المرة السابقة لأنها اتسعت معلومات رجالها في ذلك وهما هي ذه

(الطيور النافعة للزراعة)

صدر قرار من العالي وزير الزراعة المصرية بحسبان الطيور المينة بعد نافعة للزراعة وتحريم صيدها ومنع انلاف بيضها وأعشاشها وهي : القنبرة وعصفور النين وأبو فصاده والبقلاق والشحفوت والجابل والسكروان والسنونو والزرزور والدخلة والزرقة والحسيني والدمح والسكركي والوروار والبشون وأبو قردان وعصفور الجنة والهدهد والبلبل والصفيير والخطاف وأبو بليقة وأبو اليسر والزقراق مطوق والزقراق البلدي والغراب الزيتوني وأبو صدر (أبو الحناء) والجيرة والصعو والهزار والقميحة وأم الهوى وزقراق شامي ﴿ انتهى

﴿ مسامرة في حديث السحرة مع فرعون إذ قالوا له - إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم

لا يموت فيها ويحيى - الى قوله - وذلك جزاء من تركى - ﴿

لما وصلت الى هذا المقام حضر صديقي العالم الذي اعتاد أن يناقشني في أمثال هذا المقام واطلع على ما تقدم وقال لقد أحسنت صنعنا في الكلام على قوله تعالى - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - إذ أتت أن القرآن يدخل العلوم والحكم في غضون القصص وتكون تلك هي المقصودة ولكن كيف أتت تلك المحاورة الموسوية ولم تبين محاورة السحرة مع فرعون . فالمحاورة الأولى قد استبان بها نظام هذه الدنيا فهل من سبيل الى أن تستبين الثانية بطريق مشوق جميل حتى نرى نظام الآخرة بهيئة تسر القلب وتشرح الصدر كما انشرفت صدورنا ببيان المحاورة الأولى وجمال نظام العالم الذي نعيش فيه . فقلت له ان ذلك يتم بذكرى أيام الشباب . فقل ان ذكرى أيام شبابك قد تقدمت مرارا في هذا التفسير وذكرناها في كتابك ﴿ التاج الموضح ﴾ وانك كنت تدرس الشجر والحجر والزرع والشمس والقمر وأنت لا تعلم عندك وأى علاقة بين هذا وبين أجرام الانسان وجهنم وعمل الصالحات والدرجات العلى في الجنات . إني أخال ذكرى شبابك هنا لا يكون إلا تذكرا . فقلت لا تكرار فيه فاني سأحدثك حديثا عسى أن يكون شيقا سارا يلذ لي ذكره وحي كان القائل مبتهجا بالقول ابنهيج به السامع . فأما المتكافون في أقوالهم وان حسن أسلوبهم بلا قلب حاضر ولا شوق باهر فان القلوب تنفض من حولهم ولا تنتفع الناس بأقوالهم . فأما أنا اليوم فسأعرض عليك ما كنت أجده أيام الشباب في الحقول وأنا لا أعلم لدى ولا هدى ولا كتاب منير إذ كان درسى هذه الدنيا الجيلة وشمسها وقرها وزرعها وثمرها وكأؤها وأنهارها فلا سمحك ما يروك سمعه ويلذ لك وقعه ويكون ذكرى للذاكرين . تلك أيام الثمانية . فقال مامعنى أيام الثمانية . فقلت الثمانية اسم لأرض كان يملك أبى فيها بضعة أفدنة (جمع فدان) وكنت أعمل معه فيها قبل سن البلوغ . ولما دخلت الجامع الأزهر كنت أعمل في تلك الأرض أيام العطلة الصيفية ونزرع النرة والقطن ونحوهما وفي تلك الأيام كنت أرى والدى قد اعتراه نوع من الضعف . فهناك اهتمت النفس ﴿ بأمرين ﴾ أمر الأسرة والاشراف عليها لحفظ كيائها وأمر شغلى بنفسى وجهلها مع النظر العام في دين الاسلام مع ضعف صحنى وملازمتى للصيام في بعض الأيام وللمتجد ليل . وههنا بيت القصيد . فلا بين الآن ﴿ مقصدين ﴾ المقصد الأول ﴿ فوائد الجسم

من الأعمال في الحقول تبياناً لعمل الصالحات في الآية ﴿ المقصد الثاني ﴾ كيف ضعف جسمي في باب البحث في أمر الروح ودرجاتها وانها تكون في طبقات من الأثير بعد مفارقة هذه الأبدان تبياناً لقوله تعالى - فأولئك لهم الدرجات العلى -

﴿ المقصد الأول ﴾

لقد كنت أعمل في الحقل وأحسّ بعد الفراغ من العمل براحة ولذة وسرور وانسراح صدر وكنت إذ ذاك لا أعلم لي إلا بكتب النحو وكتب الفقه على مذهب الامام الشافعي فقد تعلمت كتاب ابن عقيل على الألفية وكتاب التحرير في الفقه على مذهب الامام الشافعي وقيلاً من علم التوحيد . وهذا كل العلم الذي تعلمته إذ ذاك من الأزهر . فاذا أتممت عمل الحقل وجلست تحت شجرة أخذت كتاب تفسير الجلالين وأقرأ التفسير وأجتهد أن أستخرج كل ما قرأته فكنت أجد لي فهماً لم أعهد في ذلك الهواء الطلق وتارة كنت في أثناء إدارة آلة استخراج الماء من النهر أجد نفسي أخذت تفكر في تفسير ربع من أرباع القرآن فرجما قضيت زمناً ليس بالقليل وأنا أستخرج الماء بتلك الآلة ولا أحسّ بتعب من العمل . وبعد الفراغ من العمل أعرض مجال بفكري على ما جاء في التفسير فأجد المطابقة تامة غالباً فكان ذلك يفرحني ويشرح صدري وأذكر اني كنت أغدو وأروح من الحقل الى المنزل ونفسي لا تنفث تذكر هذا العالم وكيف خلق وكنت أقول هما ﴿ أمران ﴾ إما أن يكون هذا العالم لا أول له من نفسه . وإما أن يكون الذي لا أول له هو الذي خلقه . إذن لابد من واحد منهما يكون قديماً . فالقدم لابد منه إما للعالم وإما لصاحبه . فالقدم إذن من ضروريات هذا الوجود حقاً فلا غرابة إذن اذا قلنا ان الله لا أول له لأننا اذا لم نصف الله بهذا الوصف وجب أن نصف العالم به اذا قلنا انه لا خلق له . وهكذا من الخواطر التي كانت ترد على النفس صباحاً ومساءً وطالما كنت أرى في نومي اني حائر في أمر الشمس وكيف تكون في القطبين أيامها ستة أشهر وكذا لياليها وأنا لا أعقل لهذا معنى لأنني كنت أسمع ذلك من بعض قراء الفلك بالطريقة القديمة . هذه كانت رياضة جسمي في الحقول ويصحبها الفكر الذي لا أقدر على التخلص منه صباحاً ومساءً ليلاً ونهاراً . والذي أقصده الآن في المقصد الأول أن أبين صحة جسمي وانسراح صدري وتوقد قريحتي في العمل في الحقل . وما كنت أعمل هذا العمل في الحقل لأجل الرياضة . كلا . إذ لا علم لي بأن هناك رياضة مطلوبة . كلا . فلا علم عندنا بذلك بل كانت عادة أهل بلادي انهم يحقرون العمل ويرون أن الانسان كلما علا مقامه كان أبعد عن العمل فلذلك تجد الأغنياء في قطرنا يرون العمل حطة قدر فيترفعون عنه ويجلسون للأغنياء من الرجال والنساء كثيراً ما يصابون بأمراض مزمنة وتعثر يهيم الأوصاب غالباً ذلك لما وقر في نفوسهم من أن الكرامة في عدم العمل وقد كان العامة من أهل بلادي يحبون كيف أكون أعلم خلق الله في نظرهم ولا نظير لي في الاجتهاد في العلم ثم أتعاطى الفلاحة وأمسك الفأس وأقطع الحشيش وأسقي الزرع . كل ذلك عار ويقولون مثل هذا يجب أن يكون بجانب العمود في الأزهر وتطلع له جارية ولا يكون في الحقل . فانظر ماذا جرى . جرى بعد ذلك انني لما رجعت الأزهر ثانياً ودخلت (دار العاوم) وعلمت في المدارس وقرأت بعض أخبار الأمم علمت ما يأتي في ان أهل الولايات المتحدة يأمرّون تلاميذ المدارس انهم أيام العطلة يتوجهون الى القرى فيتعاطون الفلاحة مع الفلاحين . ولما رجع أولئك التلاميذ الى المدارس وازنوا بينهم وبين التلاميذ الذين لم يعملوا زمن البطالة فوجدوا أن أولئك العاملين في زمن البطالة في الفلاحة أصبح أجساماً وأحسن أخلاقاً وأرقى درجات في العاوم من أولئك الذين لم يكافوا بتلك الأعمال ﴿

ثم رأيت أن كبار العلماء يقولون ﴿ ان أعلى الرياضة أن يعمل الانسان في الحقول والبساتين وأوسطها أن يمشي كل يوم أميلاً وأدناها أن يحرك أعضاءه الحركات التمرينية المسماة الجيز ﴾ هنالك أخذت أقص على

تلاميذ هذه الأحوال كلها وأنصحهم آخر السنة أن يفعلوا ما كان انفق لي وأنا مجاور بالجامع الأزهر إذ كنت أعمل في الحقل وأحس بقوة عقلية وأخرى جسمية وأذكرهم بأنهم غالباً من أبناء الأغنياء الذين يحبون العمل وكنت أقول هكذا أن هذا العمل يعطى (١) قوة الجسم (٢) قوة العقل (٣) انشراح الصدر (٤) النظر في أنواع النبات (٥) الذكاء والفطنة بالمحاذرة أثناء العمل على أنواع النبات (٦) والبحث عن الضرر له ثم اتلافه . فذلك كله يجعل للانسان رياضة جسمية وأخرى عقلية (٧) التمتع بالهواء الطلق (٨) التمتع بضوء الشمس وهما الغدا آن اللذان يجعلانهما أكثر الناس وإن أكثر الناس لا يهملون

هذا مبدأ عمل الصالحات . فالرجل الضعيف الجسم الجالس في سجرة فاسدة الذي أغمض عينيه عن جمال هذه الأشجار والحشائش والأنهار الساهي اللاهي كيف يعمل الصالحات . الله أكبر . أول عمل الصالحات العناية بأجسامنا وعقولنا . فإذا قال السحرة فرعون - ومن يأتيه مؤمناً قد عمل الصالحات - فهذا مبدأ عمل الصالحات . وإذا سمعت الفقيه الاسلامي يقول لك عمل الصالحات الصلاة والزكاة والصيام والحج فلا صلاة لمن لا صحة له والزكاة والحج لمن عنده مال والصحة تساعد على هذا كله وكثير من المرضى لاصوم عليهم . وأيضا كل هذه الصالحات والعبادات أقل ثواباً من النظر في هذا الوجود واتساع العلم ولان نسبة بين العلم والعمل ولا علم لمن لا صحة له ولا عقل . إذن ما ذكرته في هذا المقام هو المبدأ العام لعمل الصالحات الذي ذكره سحرة فرعون . واذن تكون هذه القصة قد جاء في أولها النظر في العلوم في محاوره موسى مع فرعون وهنا جاء فيها النظر في العمل وفي الآخرة فكأنها أدخل فيها كل علم الدين . فقال صاحبي لم يذكر هنا إلا مبدأ العمل الصالح وهو صحة الجسم والعقل فأين الآخرة إذن . قلت في المقصد الثاني كما قدمت لك

المقصد الثاني . كيف كان ضعف جسمي سبباً لفتح باب البحث في أمر الروح ودرجاتها وانها تكون في طبقات من الأثير بعد مفارقة هذه الأبدان تبياناً لقوله تعالى - فأولئك لهم الدرجات العلى - لقد تقدم في سورة (الاسراء) تحت عنوان ﴿ كيف كان مبدأ تفكيري في أمر الروح ﴾ وذلك في أوائل تفسير السورة أن قلت اني اعتراني دوار فغشى عليّ وأنا أعمل في الحقل وذلك لضعف جسمي فأورثني هذا الدوار شكاً في حياة الروح بعد الموت وقلت ﴿ اذا كان الدوار في رأسي أو الانغماء قد فقد حسى فكيف بالموت . إذن لا حياة بعد الموت ﴾ وبعد ذلك بآمد توجهت الى الأزهر بعد ترك الدروس ورأيت في المنام قائلاً يقول لي انظر فنظرت فإذا شكل أبيض وسط الزرقاء الجوية فوق المقابر ثم قال هذه هي الروح واتفق أن ذلك ليلة الخميس . ولما طلع النهار وقع في يدي كتاب (ابن مسكويه) وفي أوله أدلة الروح فحببت من علم أدرسه مدة حياتي موافقاً لما رأيت . كل هذا تقدم هناك في التفسير والآن أريد أن أبين الحقيقة ناصعة وأذكر ما عرفته فوق ذلك ولكن قبل ذلك أذكر بهجة الحكمة وحسن البشائر التي نلتها في حياتي وعجائب الأنوار الالهية . ذلك اني أثناء انقطاعي عن العلم وحيرتي وشكّي في أمر الروح وغيرها كنت أجد شوقاً عظيماً الى أن أجد دور العلم كره أخرى . وكما هبت النسمات وتميلت الأغصان تذكرت العلوم والدراسة . ففي ذات يوم وقت الفجر صليت الصبح ووقفت بجانب شجرة والنسمات تهب واشراق الصباح معترض في أفق المشرق والجوّ لا يزال حالاً مكفهر والنجوم لا تزال تتلألأ في آفاق السماء إذ رفعت طرفي الى السماء وقلت يا الله ما هذه الأشواق المنبعثات الى طلب العلم . اللهم إني قرأت كتب العشاق فلم أجد عاشقاً نال جميع مراده فإذا أسعدتني بطلب العلم مرة أخرى فأنا أسعد العاشقين . اللهم ان كنت قدرت أني لا أرجع الى التعلم فاطفي النار المتأججة في صدري وارحمني . ولما كان اليوم الثاني في نفس الوقت وقفت بجانب الشجرة وقلت يا الله هذه هي الأشواق لا تزال بل ازدادت فأين قضاء حاجتي . إذن أنت تريد أرجاعي الى الأزهر لطلب العلم فيها أنذا منتظر . ولقد تم ذلك بعد زمن قليل بعد اليأس الشديد

واذ فرغت من بهجة العلم بهذه المسامرة أرجع لتبيانى حالى بعد تلك الرؤيا وقراءة كتاب (ابن مسكويه) أقول ألفت كتباً كثيرة قبل تأليف هذا التفسير مثل (جواهر العلوم) و (ميزان الجواهر) و (النظام والاسلام) و (نظام العالم والأمم) و (أين الانسان) و (جمال العالم) و (نهضة الأمة وحياتها) و (جوهر التقوى)

(رؤيا منامية)

وبينما أنا جالس مرة في منزله من متزهات القاهرة إذ أخذتني سنة من النوم وقائل يقول اسمع (ان الانسان ينتقل من عالم الى عالم وكل عالم ينتقل اليه تكون أعماله السابقة التي تكلفها ونصب فيها أصبحت له غريزة وطبيعة فيتعلم أعمالاً أخرى وهذه تصبح له غريزة فيما بعد ذلك وهكذا طبقاً عن طبق . أفهمت . هل تشك في كلامي) فاستيقظت وأنا متعجب من علم لم أسمع به ولا أدري ما السبب فيه وبعد ذلك اطلعت على علم الأرواح الحديث . فإذا رأيت . رأيت أن علماء الأرواح يقولون ما يأتي

(ان روح الانسان في هذه الحياة لها فضائل كالحب والقناعة والعلم وورذائل كالحسد والطمع والجهل وهذه أشبه بسوائل تنبع من الجسم الأثيري الذي ينطبق على هذا الجسم المادى حاضراً معه الآن وهذا الجسم الأثيري لطيف ألطف من الأنوار وهذه الأشعة المنبعثة من هذا الجسم تؤثر فيمن حوله حباً وبغضاً وقبضاً وبسطاً وصحة ومرضاً . ومما مثل تلك السوائل الأثيرية إلا كمثل الروائح الكريهة والطيبة . ولا جرم أن آثار الهواء الفاسد يخالف آثار الهواء الصالح . ولذلك يحسن الانسان في الجمع الملتئم بانسراح وفي الجمع المختلف بانقباض لأن لنفوس الجالسين سوائل معنوية تؤثر في الجالسين معهم ألماً لشدة المنافرة أو سروراً لاتحاد الأصدقاء . وبتواتر الشعاع الضار على النفس الأخرى يحدث فيها مرضاً تارة وآراء ضارة أخرى سواء أكانت الروح الضارة مجسدة أم مطلقة ولا يمنع ضررها عنا إلا أن ننظف أنفسنا بالفضائل . هنالك لا تؤثر فينا تلك الأرواح كما لا يقع الذباب إلا على العين القذرة . ويتفرع على ذلك مسألة العين وأن الرجل العائن يخرج منه سائل كرهية ينفذ في جسم من يقصد ضرره فيؤثر فيه وهكذا التأثير بالسحر . كل ذلك راجع لتوجه النفس . هكذا أولئك الذين يشفون من المرض بنظراتهم أو بوضع أيديهم عليه فيحصل الشفاء إما حالاً وهو نادر الوقوع وأما بعد التكرار وهو كثير . كل ذلك بسبب السوائل الجيدة الناشئة من قلوب طيبة محبة للناس ومنفعتهم)

إن أرضنا التي خلقنا عليها مغمورة في ذلك الأثير الذي هو ألطف من النور المحسوس ولكن هذا بالنسبة لما يحيط بالكواكب الأخرى خشز وهكذا كوكب وراء كوكب . فكلما كان الكوكب أرقى كان الأثير المحيط به ألطف وألطف . والروح بعد الموت لاتقدر أن تصعد الى عالم أرقى في هذا الجو الفسيح إلا اذا استعدت له فانها قد ترى أنواراً بهجة لاتقدر على ولوجها وعظاء أعلى فلا يمكنها أن تعيش معهم . إذن هنالك في البرزخ درجات فقلت لعل هذه الحقيقة فيه . ولقد عجبت كل العجب إذ رأيت هذه المعاني في ذلك العلم وأن القوم يقولون ان الانسان جسمه الروحي الأثيري (الكوكبي) متصف بالصفات التي ذكرتها لك هنا ويقولون

(١) ان الروح لا يصعد الى طبقة إلا اذا استحققتها بجهد

(٢) وأن تلك السوائل النابعة منه تكون مانعة له من الاجتماع بمن ليس على شاكلته

(٣) وانه يفرح بأمثاله ويغتم بمن ليس على شاكلته

(٤) وان هذا الجسم الأثيري تنطبع فيه كل الآراء والعلوم والمعارف والمعاصي والأميال والشهوات فهذه كلها ترسم فيه وما هو إلا كالوحة المصور الشمسي وما أعمالنا وأميالنا وعواطفنا إلا كالصور المرسومة في اللوحة - إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - ووجدوا ما عملوا حاضراً -

(٥) ان هناك شمساً أوسع من شمسنا كالجوزاء وما المجموعة الشمسية كلها إلا مثل كوكب واحد من الكواكب العظيمة ولعلّ هناك حياة أرقى بل علماء الأرواح نقلوا عن الأرواح أن الحياة هناك لأحد للسعادة فيها وأن النفوس اليها ترتقي كما تقدم في (آل عمران) عن روح (غاليلى) الفيلسوف . إذن هذا قوله تعالى - لتركبن طبقاً عن طبق - وقوله تعالى - وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض - فهانحن أولاه قد علمنا كواكب عرض الكوكب منها كعرض المجموعة الشمسية التي تشتمل على سمواتنا وعلى أرضنا . إذن الأمر واضح فلهذا مخاوفات علمناها لهذا الوصف وعرضها عرض السموات والأرض فعلاً وربما كانت طبقة من طبقات الجنات وربما كانت تشبهها في السعة وعلى كل فعلمنا بها جعلنا نتصور الجنات العلى وأن أمثالها في القدر موجود فعلاً . ولست الآن في مقام الادعاء اننا علمنا هذه الحقائق فان الرأى لا تكون دليلاً ولا كلام علماء الأرواح وإنما ذلك يفتح باباً للبحث والتنقيب في هذه المسائل وشرحها بالعلم والحكمة . وإذا كان الصالحون أمثال الخواص والشعراني والشيخ الدباغ يقولون ان أرواح الأموات في هذه الطبقات العلية في الجوّ كما يقول علماء الأرواح وذلك تقدم في هذا التفسير نقلاً عنهم . فهذا كله لا يعطينا اليقين بل يجعل المقام معداً للبحث . فالوجدان والرأى وعلم الأرواح كل هذه لا تعد برهاناً قاطعاً وإنما تعطى دليلاً يعطى بعض النفوس بعض الاقناع لتطمئن للبحث والجدّ عسى أن تصل إلى المعرفة واليقين . إن هذين النوعين وهما العمل الصالح والدرجات العلى في هذا المقال كان مبدءاً أولها الرياضة البدنية في الحقول التي هي أرقى الرياضات ومبدءاً ثانيهما في أمر الأرواح وتركها أثقال الأوزار من العلائق الأرضية باصلاح النفس وتهذيب الخلق وارتقاء المجموع الروحي في عالمنا الأرضى حتى يستعد للاجتماع بعالم أعلى في كواكب أخرى مسكونة . ولا يزال هذا النوع الانسانى الأرضى يرقى في الكمال وبارتقائه يستأهل للاتحاد بطوائف أخرى وهكذا طبقاً عن طبق حتى يكون أهل الأرض متحدين بعوالم لا ندرى عددها وعلى قدر الارتقاء وازدياد المتحدين تزداد السعادة والارتقاء الى أن يصل الانسان الى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر في عوالم مجهولة لنا كل الجهل . ثم ان ما قلناه في السعادة والشقاوة في طبقات الأثير إنما هو عذاب ونعيم البرزخ لا عذاب ونعيم الآخرة فذلك له شأن آخر - وأن الى ربك المنتهى -

وفي ارتقاء الانسان في هذه الطبقات يشاهد (كما يقول علماء الأرواح) الساعات الواسعة التي لاحد لها وفيها تلك الملايين من الشمس البدئية الزمرذية والياقوتية والزبرجدية وسرعة سيرها وتجاذبها ويدهش للعوالم الجديدة التي تبرز في الوجود ويبقى متمتعاً بهذا الجلال البديع وهو مثل بهجة تلك الحسنات وعجائبها وهذه هي الحال البرزخية ثم تنتقل الروح الى كوكب أرقى في أجساد لا كالأجساد الأرضية بل تكون ذات خفة ولطافة فتموج على سطح الكوكب أوفى أرض الجنة موجاً بلا كلفة ولا مشقة وتلتئم أرواح أهل أرضنا الذين ارتقوا مع أرواح أراضين آخرين وينشئون من طبقات الأثير روائع المصنوعات الفاخرة بمجرد ارادتهم لا بمشقات كأهل الأرض الآن وهم بما أوتوا من علم وحكمة يرجون الأثير رجاء فتحصل فيه تموجات موسيقية تسبى العقول وتسكر الأرواح ثم انهم يقيمون أفراحاً عامة وأعياداً زاهية زاهرة باجتماع الأرواح العامة من الأقطار المتباينة فيفرحون بانتصارهم جميعاً على ما قاسوا من شدائد ومصائب في الأرضين المختلفات اللاتي تعدّ بالملايين كما يجتمع في أرضنا المسكينة أهل كل دين من الأديان الأرضية فرحين باكمال العناء في صومهم أياماً معدودات وانتصارهم على شهواتهم المانعة لهم من الخروج من هذا العالم المادى القاسى العظيم المشقات وإذا تفرّقوا اجتمع كل جماعة منهم حول روح عظيم يتلقون تعاليمه وبعيد ذلك يتوجه كل منهم الى عمله الجديد الذى يزيده ارتقاء فان لكل روح عملاً لا يتمداه على مقدار قوّته وكفاءته ولا دخل للاختصاص أو التمييز . كلا . بل الكفاءة هي الميزان . فأرقى هذه الأرواح من يكون بقيادة الشعوب وحراسة الأفراد وترقى الصناعات

هذا ملخص ما جاء في كتاب ﴿ المذهب الروحاني ﴾ ملخصا له مؤلفه من المؤلفات الحديثة في العلوم الروحية بأوروبا . فنحن إذن على الأرض ملزمون أن نطلع عن النقائص وأن نحسب الله ونحب الخير لعباده ونحاذر كل الخدم من الخطأ ونستعين بالله ونحس سنرتقي طبقا عن طبق وأرواحنا مستعدة يوما ما أن تتقابل مع أرواح أرقى وأرق بشرط أن تستأهل لهذه المرتبة بالجد والاجتهاد . ثم إن أرواحنا قد يوكل إليها إدارة العوالم علما بعد عالم وتكون أجسامنا روحية لامادية ولا تزال تلتطف طبقا عن طبق حتى تصل إلى الله . ويقولون إن هذه الأرواح كلما ارتقت ازدادت اتحادا فتكون أشبه بأرواح تلاميذ لشيخ صادق قد أصبحوا كأنهم روح واحدة أو كالعاشقين الصادقين الذين اتحدت نفساهما فصارتا نفسا واحدة بحيث يصبح كل مافي ذهن أحدهما يخطر لذهن الآخر مع الحب والرضا والبهجة . وهذا الذي قالوه لا يمنعه علماء الاسلام فقد نقلت لك عن العلامة الفخر الرازي انه يقول ﴿ إن أرواحنا مستعدة لإدارة العوالم ﴾ أخذنا لها من قوله تعالى - فالدبرات أمرا - في سورة والنازعات . فهذا القول هو نفس قول علماء الأرواح ويقول الله - لتركن طبقا عن طبق - وتقدم عن بعض الصالحين في هذا التفسير أن نفوسنا في عالم البرزخ تكون في طبقات هذا الجو في عوالم السموات المعلومة للناس فأما عالم الآخرة ويوم القيامة فشيء آخر . هذا معنى ما جاء في ﴿ الفاتحة والتشهد والقنوت في الصبح ﴾

أفلا ترى أن قول المسلم - الحمد لله رب العالمين - يفسره قول موسى لفرعون - قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - كأنه يقال لم تحمد الله فيقال لأنه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى لأن هذا هو معنى تربية العالمين وقوله - اهدنا الصراط المستقيم - هو عين قول السحرة لفرعون - ومن يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات - وقوله - صراط الذين أنعمت عليهم - لم يخصه بأهل أرضنا المساكين بل جعله عاما يشمل أرواح جميع ملايين الكواكب التي عرفناها والتي لم نعرفها . فقول المسلم الذي سيأتي بعدنا - صراط الذين أنعمت عليهم - يحضر في نفسه عوالم وعوالم ويتصور أرواحا عالية تصورا اجاليا فيشتاق اليهم حتى اذا ارتقى بعد الموت فرح بهم . وكيف يفرح بما لم يتشوق اليه فاذا اجتمع بهم صاروا اخوانا على سرر متقابلين ويتصور المسلم بعدنا النعمة المذكورة بأنها درجات بعضها فوق بعض بحيث يرتقي علما بعد عالم الى مالا نهاية له وذلك على سبيل التصور الاجالي . هذه آراء من بعدنا في الفاتحة . يرونها منطبقة في ترتيبها على ترتيب المحاورتين هنا بين موسى وفرعون ثم بين السحرة وفرعون

هكذا يرون معنى التشهد . فأوله ﴿ التحيات لله ﴾ والتحيات لله انما تكون على نعم واصله من الله والنعمة هي قوله - الذي أعطى كل شيء خلقه - الخ وبعد ذلك يسلم المسلم على نبيه وعلى نفسه وعلى عباد الله الصالحين أي سواء أكانوا في أرضنا أم في غيرها وهذا السلام والأمان والسعادة نتيجة لهدايتهم الى الصراط المستقيم صراط المنعم عليهم وهو صراط واحد وهو خلوصهم من أدران هذه العوالم المادية ورجوعهم الى ربهم واتحاد أرواحهم باتحاد صراطهم ولاسلام إلا بالاتحاد الروحي بخلاف أهل الأرض الذين يعيش معهم فهم قوم جهلاء ونحن شاركناهم في جهلهم لأن الانسان الواحد لا يستقل بالسعادة فلا بد من المشاركة لغيره ومن أراد السعادة وحده فهو جاهل مفرور . فأر باب الخلوة والمنقطعون عن الناس الذين يحبون ربهم ويتركون عبادة قوم لا يعلمون فلاسلام لهم بل المسلم يطلب السلام لنفسه ولكل صالح ويسير على صراط المنعم عليهم من كل عالم خلقه الله في أرضنا وغيرها وهذا قول المسلم أيضا ﴿ اهدني فيمن هديت الخ ﴾ في قنوت الصبح ثم إن السلام على عباد الله الصالحين يرجع الى اجتماعهم في الدرجات العلى في الآية هنا . فترتيب الفاتحة هو ترتيب التشهد هو عين ترتيب المحاورتين هنا محاورة موسى مع فرعون ومحاورة السحرة معه أيضا

﴿ حمد المؤلف ربه ﴾

أفلا يجب على الآن أن أحمده الله الذي وفق وهدي لما أكتبه الآن فال موضوع كله راجع الى أمر عادي

ذلك هو عملي في الحقل بالفأس فأغنى على ضعف جسمي . فالعمل نفسه في الحقل انتهى الأمر فيه إلى علم الرياضة البدنية في الولايات المتحدة وإن ما اتفق لي من العمل في حقلنا بلا علم هو نهاية ما قرره علماء عصرنا في رقي الأخلاق والعلم . وأما الاغماء فقد فتح لي باب الشك في بقاء أرواحنا فإذا تم بعد ذلك . أريت في النوم بياضا في جوف السماء الأزرق فقل لي هذا روح ثم قرأت أدلة الروح في الفلسفة ثم قرأت آراء علماء الأرواح المطابقة لآراء علماء الاسلام ثم انتهى الأمر باجتماع عظيم لأرواح من كواكب لا تحصرها فصارت أمة واحدة تحب ربها وكل له مقام معلوم فعمل جسمي انتهى بالرياضة العامة والاغماء على في الحقل انتقلت النفس منه إلى عوالم تتحد بالاحصر . وأن إلى ربك المنتهى .

إن نتائج هذه العلوم الروحية التي ظهرت حديثا لاحد لها في الاسلام . فالقرآن ذكرت فيه الملائكة وأمرنا نحن بالايمن بها وبهذه العلوم عرفنا أن هذه الملائكة لا يحصرها عدد وانها قائمات بنظام عوالمنا محصيات لأعمالنا وبهذا تنحل كل مشككة في الدين والقرآن فلا وسوسة ولا إلهام إلا بما استعدت له نفوس المتحدين في الأرض بقبولها آراء أشكاهها من الأرواح الخبيثة والطيبة وهذا قوله تعالى - وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ما تفعلون - وقوله - إن كل نفس لما عليها حافظ - وهنا لاحد لثمرات هذا العلم في الاسلام والمسلم بهذا الذي ستفتح له أبواب وأبواب من العلم يصبح من عالم أرق من عالمنا الاسلامي الحالي الذي لم تفتح لأكثره العلوم فالحمد لله رب العالمين

﴿ بهجة العلم . نور على نور ﴾

لما اطلع على ما تقدم صديق لي صالح قال . اذا كان عمالك في الحقل وضعف صحتك إذ أغنى عليك قد اتصل أولها بأحسن الرياضات لطلاب الجامعات بأمریکا . وثانيهما بتقابل الأرواح من سائر أنحاء السموات السموية . فهذا معناه أن المصاعب الجسمية والخيرة العقلية تفتق الأذهان لمعرفة الحقائق . فقلت نعم

﴿ الخيرة والشك وحوادث الدهر موقوفات للحكمة والرقى في أعمال الحياة ﴾

إن ما عثرى هذا النوع الانساني من حوادث الدهر وتقلب الأيام هو الذي رفعه إلى الرقى . فهذه أمة المصرية لما قامت الحوادث العرابية ودخلت الأمة الانجليزية البلاد حرك ذلك من النفوس وجدانها فاستيقظت للسياسة ولتعليم الشبان بعض العلوم فلو الحوادث العظيمة ما قامت لنا في هذين قائمة فلقد كان التعليم قبل ذلك يرجع للحكومة وحدها والشعب ناظم . أما الآن فالشعب هو الذي اندفع من نفسه لحوز العلوم وهكذا الأمة الهندية التي كانت تحت حكم ملوك المغول المسلمين فلما ورثها الانجليز وحاولوا بساحتها ثم كانت ثورة سنة ١٨٥٧ الشهيرة هنالك استيقظ المسلمون وقام السيد أحمد خان وأسس كلية (عليكره) وأصدر صحيفته ﴿ تهذيب الأخلاق ﴾ باللغة الاردية وظهر فيهم شعراء أمثال الشاعر المشهور (اقبال) الذي ذكر القوم بمجد أسلافهم في شعره المسمى ﴿ مد الاسلام وجزره ﴾ ومؤرخون أمثال (السيد شبلي) الذي وضع في التاريخ كتباً كثيرة منها كتابه ﴿ الفاروق ﴾ ومنها كتابه ﴿ شعر العجم ﴾ في تاريخ الأدب الفارسي

وهكذا الأمة التركية لما حاربها اليونان والفرنسيون والانجليز وساعدهم الخليفة قامت على بكرة أيها ونهضت نهضة الآساد وأجالت هذه الدول عن بلادها وأخذت ترتقي سراعاً . هكذا أمة الأفغان إذ جاهدت فأبعدت عنها الانجليز وأخذت ترتقي . ومثل هؤلاء الإيرانيون الذين ذاقوا أسوأ الدل من ملوكهم ومن أوروبا هاهم الآن أحرار . هذه نبذة من حوادث الدهر الموقوفات للحكمة والرقى في الأعمال . فأما الخيرة والشك فإن أثرهما في رقي الأمم لا يقل عن آثار حوادث الدهر وصائب الأيام . ولقد رأيت فيما تقدم أن عقيدة التثليث عند الأمم القديمة كانت رمزا للدراسة العوالم المحيطة بنا لا انها عقيدة دينية بحسب أصلها فخرقتها الأمم وانتحلت لها الصبغة الدينية وحاولت الجمع بينها وبين الوحدانية . هنالك اضطربت نار الجدل والخصام بين

العلماء في الأمم فكان من وراء ذلك اتساع نطاق الجدل فارتقت بعض الأمم بالعلم وانحطت أخرى بالخرافات وأزيد هذا المقام تديانا ثم أتبعه بما جاء في شريعتنا الغراء من بعض العبادات التي أخذت تلقينا كالسلام الذي نختتم به الصلاة . فعلى من يسلم المؤمن والعاقل لا يخاطب مالا وجود له

﴿ مسألة التثليث ﴾

يظهر أن الشعوب كانوا يسألون علماءهم عن نظام هذه الدنيا وكيف خلق هذا الحيوان وهذا الانسان وهذا المعدن وكيف جرى هذا النهر وأضاءت هذه الشمس فلا يسع هؤلاء العلماء إلا أن يقولوا لهم أمامكم مادة وفيها ملائكة موكلون بها رأينا آثارهم ولم نر أشخاصهم ومن فوق هؤلاء إله واحد لأننا رأينا نتائج المخلوقات كلها ترمى لأغراض معينة ولا يمكن ذلك إلا باتحاد أصل العوالم وتوحيد الخالق ثم ضربوا لهم الأمثال فقالوا لهم الله أشبه بالأب في المنزل والمادة أشبه بالأم لأنها محل لتكوين الحيوان والنبات والملائكة أو القوى المنبثة في هذه المادة نسميها ابنا لأن الابن عادة يكون بين الأم والأب . فالقوة المنبثة في هذه المادة والملائكة يشبهون الأبناء في بيوتنا من بعض الوجوه . ذلك لأن الله هو الذي خلقهم وسلطهم على المادة فمن الوجه الأول سموا عوالم القوة ابنا . وكما أن ابن الانسان يعمل في أرضه . هكذا هذه القوة تعمل في المادة التي أشبهت الأم من وجه واحد وهي أنها محل الانتاج لاغير . هذا ما كان يقوله العلماء للعامة . يستنبجون من المادة ومن القوة المنبثة فيها معرفة إله واحد . فلما تبادى الزمان أخذت تلك الفكرة تمتد إلى أصلاب الرجال وأرحام الأمهات . هنالك كان الجهل . ولكن الله يستخرج من الفحم نورا ومن الحنظل سكرا ومن الشرّ خيرا . فإذا فعل بعد ذلك . جعل هذه الحيرة في الهند وفي مصر وفي بابل وآشور وفي أمريكا قبل كشفها سببا في بحث علماء منهم وصلوا إلى الحقائق فكتموها خوفا على هيبتهم أمام شعوبهم فرفقوا علومهم وبحثوا في الفلك والطبيعة وسائر العلوم ولكن لما علم الله أن الانسانية لا بد لها من نهضة جديدة أنزل الدين الاسلامي فقال بالوحدانية ومنع التثليث الذي قامت به النصرانية وشوّهته وخرجت به عن أصل الدين المسيحي بل زاد رجال الكنيسة على ذلك أنهم لم يبالوا بالرجة العامة التي جاء لأجلها الدين المسيحي فإن أهم خواصه الرحمة وأتباعه هم الذين أثاروا الحرب العامة في أيامنا هذه كما قال ذلك في هذا الشهر أي شهر يوليو سنة ١٩٢٨ (المسترلويد جورج) من عظماء الساسة في بلاد الانجليز فقد صرح على رؤس الاشهاد أن رجال الكنيسة لم يحركوا ساكنا أثناء الحرب العامة التي لم يثرها إلا الأمم المسيحية لاغيرها من الأمم الوثنية قال ولو أنهم رفعوا أصواتهم بمنع الحرب لم يجسر أحد على مخالفتهم . فهذا القول دلّ على أن التثليث عند المسيحيين الذي أوجب الحيرة والشك لاسيما بعد ظهور الاسلام قد دفع القوم إلى جمع المال من الأغنياء والمحافظة على العقيدة الموروثة وانتهى الأمر بذلك إلى الخروج عن أصل الدين وهي الرحمة وحب الانسانية فبدل أن يكونوا رحمة للعالمين صاروا هم المثيرين للفتن والحروب بشهادة أكبر سواسهم من الانجليز . إذن هذه الحيرة في أمر التثليث قد انتهت إلى ما يخالف أصل الدين من الرحمة . إذن فليكن السلام في الارض يا أمم الاسلام في مستقبل الزمان

﴿ حيرة المسلمين في أمر السلام ﴾

ذكرت سابقا أن أمم الاسلام بارتقاء العلوم يزدادون في الدين وأن الحمد في أول الفاتحة مرتبط بمحاورة فرعون وموسى أي باعطاء الله كل شئ خلقه ثم هدايته فإذا قال - الحمد لله رب العالمين - استحضر بقلبه سائر الافلاك وسكان الكواكب أجمعين وهذه الكواكب تعد بمئات الملايين وإذا قال - صراط الذين أنعمت عليهم - ذكر المنعم عليهم في مئات الملايين من الكواكب . ذلك لان العلم الحديث أشار إلى ذلك وإذا قال ﴿ التحيات لله ﴾ علم أن تلك التحيات ليست خاصة بأهل الارض بل في كل كوكب مسكون من تلك

الملايين وأضعافها قوم يحبون ربهم . وإذا قال ﴿ السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ﴾ علم أن هذا القول توطئة للمستقبل ليستعد المسلم لتلك الأيام التي سيقابل فيها الصالحين من تلك الملايين من الكواكب . وإذا انتهى من الصلاة وختمها بالمخاطبة بالسلام لمن حوله إذ يقول ﴿ السلام عليكم ورحمة الله ﴾ فذلك السلام وخطابه قد أشار له علم الأرواح الحديث إذ يسلم المسلم على الأرواح الذين يحيطون به من كل جانب كما رأينا ذلك في كلام العلامة (أوليفر لودج) في سورة (آل عمران) وفي كلام غيره منقولا في هذا التفسير إذ يقولون ان هنا أرواحا تحيط بنا وعقولنا بالنسبة لعقولهم كهقول النمل بالنسبة لعقولنا ويقولون انهم يهتمون بنا اهتماما عظيما فقسلم المسلم من صلاته ليس أمرا خاليا من الحقيقة . كلاه فالمسلم يسلم على أرواح حاضرة في كل مكان وعليه أن يقصد ذلك وأن يقصد أن تلك الأرواح لا تختص بعالمنا فكل مئات آلاف الملايين من الكواكب يسلم المسلم على سكانها ويستحضرهم استعدادا للمستقبل إذ تذهب الأرض وشمسها ويجتمع الناس كلهم من سائر أقطار الكواكب ويكونون أشبه بالجراد إذ يسرون كأنهم أمة واحدة على كثرة عددهم . فعالم الأرواح في المستقبل أولى بذلك . فتبين بهذا أن حيرة المسلم في أمر السلام والمخاطبة مع الله لا مخاطبة له كشف سرهما العلم الحديث إذ تعدد الأمم في الكواكب المتباينة وتصير جماعة واحدة صاعدة في معارج الكمال . إذن السلام في آخر الصلاة ظهر سره الآن . فعلى المسلمين أن يسعوا ﴿ لأمرين ﴾ أمر السلام في الأرض بعد أن يرتقوا مثل أهل الأرض وأمر التفكير في العوالم العظيمة حتى يكون ذلك أسرع لرقى أرواحنا بعد الموت واجتماعها بتلك الأرواح العالية وهذا من أوكيد الأسباب في زهد أرواحنا في هذه الأرض ومن عليها وتشوقها الى عوالم أجمل وأجل والحمد لله رب العالمين

﴿ لطيفة في قوله تعالى أيضا - قال فن ربكما يا موسى * قال ربنا - الى قوله - قال فما بال القرون الأولى * قال علمها عند ربى في كتاب لا يضل ربى ولا ينسى * الذى جعل لكم الأرض مهدا - الى قوله - منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى - ﴾

يسأل فرعون موسى وأخاه من ربكما فيقول ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه . ومعنى هذا أنه عظيم الرحمة عام الاحسان والجود لم يفرق بين البقة والفيل ولا بين الحقير والعظيم في العطاء فهو عام الرحمة والنظام والجود فقال له فرعون اذا كانت هذه هي صفات الله الجيلة فكيف عمده الى هذه المخلوقات المشمولة بالعناية والرحمة والعطف فزقها شرّ ممزق . ألم تقرأ التاريخ . ألم تر أن كل ما خلقه قد أفناه وأهلكه . إذن أين رحته وعطاؤه . فهل هذا فعل الحكيم . يعطى ثم يمنع ويخاف ثم يترق شمل خلقه تمزيقا . فأين الحكمة والعناية بل ذلك كله هباء منثور . فأجاب موسى ﴿ بجوابين * الأول ﴾ ان الله هو الذى يعلم الجواب على هذا السؤال وهو كقوله تعالى - فله الحجة البالغة - وهذا الجواب الاجالى لعموم الخلق ﴿ الجواب الثانى ﴾ للخواص فهو يقول (١) - جعل لكم الأرض مهدا - الخ (٢) وأنزل من السماء ماء (٣) وأخرج النبات (٤) وأكث الأنعام وأكل الانسان . والحق أن هذا الجواب مفصل لبعض قوله - أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - . إذن هو مقدمة لنتيجة هي مقصود الجواب (٥) وهوانهم خلقوا من الأرض ثم أعيدوا لها ثم أخرجوا منها تارة أخرى وهذا هو نهاية الجواب للحكماء فكأنه يقول له يا فرعون إن هذه العوالم التى أهلكها الله إنما فعل بها ذلك ليخرجها من الأرض فتترك هذا العالم الارضى الى عالم أرقى منه . فهذا الاهلاك هو عين الرحمة كما يهجر العالم داره وبلده وأهله ويسافر فى الارض ليحصل العلم . فهذا الترك نعمة لا نقمة

الصلاة فى الاسلام والتسبيح فيها يشيران للمخلص هذه الآيات حياة الناس على الأرض وصحتهم أشبه بحال المصلى إذ يقرأ الفاتحة فيقول - اهدنا الصراط المستقيم - الخ - ولكنه اذا ركع أو سجد لا يقول - اهدنا الصراط المستقيم - بل يرجع الى الله فيقول ﴿ خشع لك سمعى الخ ﴾ ويقول ﴿ سجد وجهى الخ ﴾ ويسبح فى حال

الركوع والسجود والتسبيح تنزيه لله عن قصد الاضرار بكل ما يوههم ظاهره أنه إذلال واهانة . خال المصلى في الركوع والسجود أقرب الى الخشوع والخضوع من حال القائم الذى يقرأ الفاتحة فلذلك ترى المصلى يسبح الله أى ينزهه عن قصد اذلالنا واخضاعنا كما أنه منزّه عن منة الحيوان الذى لم يخلق رافع الرأس بل أشبهه بالراكع وهكذا بعضه يشبه الساجد كالود . فهذه كلها لم توضع بهذه الهيئات إلا لأجل نفس حياتها والحفاظة عليها ولوانها وهى على حالها وجبيلتها خلقت على غير هذا النظام لكان ذلك وبالا عليها كما ترى نظيره مفصلا فى سورة الاسراء عند قوله تعالى - تسبيح له السموات السبع والأرض الخ - فى أمر الألوان واختلافها الذى هو بسنة مما سيأتى فى سورة - قد أفلح المؤمنون - إذن كل وضع لحيوان لحكمة ترجع الى نفس ذلك الحيوان . فهذا النقص فى نظرنا كمال لنفس الحيوان . هكذا مرض الانسان وموته الذى تضمنه قوله تعالى - قال فما بال القرون الأولى - فى ظاهر أمره هلاك وفى باطنه ارتقاء . إذن قول المصلى ﴿ سبحان ربى العظيم ﴾ و ﴿ سبحان ربى الأعلى ﴾ فى الركوع والسجود تذكير بهذه العاوم أى عاوم خلق الحيوان وهلاكه وهلاك الانسان وأن الله عز وجل منزّه عن فعل ظاهر الشر الذى لا ينتج خيرا كثيرا . فتسبيح المسلم فى الركوع والسجود ظلّ لأنوار قوله تعالى - الذى جعل لكم الأرض مهذا - الى قوله تعالى - ومنها نخرجكم تارة أخرى - انتهى الكلام على الفصل الثالث من القسم الثانى

﴿ الفصل الرابع من قوله تعالى - ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى - الى قوله

تعالى - إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شئ علما - ﴾

قال تعالى (ولقد أوحينا الى موسى أن أسر بعبادى) أى من مصر (فاضرب لهم طريقا) أى فاجعل لهم من قوتهم ضرب له فى ماله سهما واضرب مثلا أى اجعل لهم طريقا (فى البحر يبسا) يابسا وهو مصدر وصف به وهو كقتل وسبب (لاتخاف دركا) أى اجعل لهم طريقا حال كونك لاتخاف من الادراك فلا يدركك فرعون وجنده من ورائك (ولاتخشى) الفرق أمامك نفخ بهم موسى من أول الليل وقد استعاروا حلبيهم فركب فرعون فى جنده من القبط فقصّ أثرهم فذلك قوله (فأتبعهم فرعون بجنوده) أى خرج خلفهم ومعه جنوده (فغشيهم من اليم) أصابهم من البحر (ماغشيهم) أى غشيهم ما لا يعلم كنهه أحد من الناس ففيه تهويل * وقرئ - غشاهم ماغشاهم - أى غطاهم ماغطاهم (وأضلّ فرعون قومه) عن سبيل الرشاد (وماهدى) أى ما أرشدهم اليه وذلك تكذيب لقوله - وما أهديك إلا سبيل الرشاد - ثم أخذ الله يهدّد نعمة على بنى اسرائيل كما عددها على موسى إشارة الى أنه منعم على البر والفاجر فالأول شاكر كموسى والثانى كافر بها كبنى اسرائيل قومه فقال (يا بنى اسرائيل) خطاب لمن فى عهد النبى ﷺ (قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون وقومه (وواعدناكم جانب الطور الأيمن) لمناجاة موسى وانزال التوراة عليه لاقامة شعائرهم ونظام دولتهم (ونزلنا عليكم المن والسلوى) فى التيه وقد تقدّم فى سورة البقرة وقلنا لكم (كلوا من طيبات ما رزقناكم) من حاللاته (ولاتطغوا فيه) بالاخلال بشكره وتعدي الحدود كالسرف والبطر والمنع من المستحق (فيحلّ عليكم غضبي) فيلزمكم عذابي * يقال حلّ الدين اذا وجب أدؤه (ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى) فقد تردى ووقع فى الهاوية (وانى لغفار لمن تاب) عن الشرك (وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى) ثم استقام كما أمر * إن الله عز وجل وعد موسى أن يأتى جانب الطور الأيمن ويختار سبعين رجلا يحضرون معه لنزول التوراة فاخترهم ومضى معهم الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدّمهم شوقا الى كلام ربه وأمرهم أن يتبعوه قال الله تعالى (وما أعجلك عن قومك يا موسى) استفهام انكار أى شئ أوجب عجلتك فما مبتدأ وأعجلك خبر وهذه العجلة توهم اغفال القوم فهنا عجلة انضم اليها اغفال القوم فأجابه عليه السلام بأننى لم أتقدمهم إلا خطوات فلا اغفال لهم وإنما أنا كأحدهم وهذه الخطوات محتملة عادة على أن هذه الخطوات مع قتلها كانت

للمسارعة الى لقائك شوقا الى كلامك وهذا قوله تعالى (قال هم أولاء على أثري) أى هم خافى يلمحقون بي (وعجلت اليك ربى) الى الموعد (لترضى) لتزداد رضا عني (قال فانا قد فتنا قومك من بعدك) ألقيناهم فى فتنة من بعد خروجك من بينهم (وأضلهم السامري) إذ دعاهم الى عبادة العجل فأجابوه وكانوا ستمائة ألف مع هرون ومانجا منهم من عبادة العجل الا اثنا عشر * والسامري المذكور منسوب لقبيلة من بنى اسرائيل يقال لها السامرة . وقيل انه كان علجا من كرمان فاتخذ عجلا وكان اسم هذا السامري موسى بن ظفر وكان منافقا (فرجع موسى الى قومه غضبان أسفا) شديد الغضب حزينا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) بأن يعطيكم التوراة فيها هدى ونور (أفطال عليكم العهد) أى مدة مفارقتي إياكم والعهد الزمان . تقول طال عهدي بك أى طال زمانى بسبب مفارقتك (أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم) أى يجب عليكم غضب منه بعبادة العجل (فأخلفتم موعدى) وعدكم إياي بالثبات على الايمان بالله (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) مثلثة الميم فى قراآت مختلفة أى ما أخلفنا موعدك بأن ملكنا أمرنا فلو ملكنا أمرنا وخلينا وشأنا ما أخلفنا موعدك فنحن كفى المثل (قال الحائط للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فان من ورائى لم يتركنى ورائى) ولكن غلبنا على أمرنا موسى السامري وذلك اننا حملنا أحمالا من حلى القبط التى استعرتها منهم حين هممنا بالخروج من مصر بعلة أن لنا عيدا غدا فقال السامري انما حبس موسى عنكم لشؤم حرمتها لأننا مستأمنون وليس للمستأمن أن يأخذ مال الحربى ولو وعدنا ذلك غنيمة لم يجوز لأن الغنائم لا تحلّ لنا . ثم أمرنا أن نحفر حفرة وملاها نارا وقال اقذفوا الحلى فيها فقد فناه فانصاع عجلا مجحوا نثار * ويقال انه كان خبأ فى الحفرة قالب عجل وله مجار أشباه العروق فكان له خوار منها نخوار العجل * وقيل نفخ ترابا من موضع قوائم فرس جبريل عليه السلام يوم الفرق وهو فرس حياة فخي نثار ومالت طباعهم الى الذهب فعبدوه وهذا قوله تعالى (ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم) القبط (فقد فناها) فطرحناها (فكذلك ألقى السامري) أى ألقى ما كان معه من الحلى كما ألقينا (فأخرج لهم) السامري (عجلا جسدا) مجسدا بلاروح (له خوار) صوت إما لأنه صار حيا واما لأن مجاريه المصنوعة بدقة كان يظهر فيها الصوت بمرور الريح فيها (فقالوا) أى السامري وأتباعه (هذا إلهكم وإله موسى) فأجابه كلهم الا اثني عشر ألفا (فنى) موسى ربه هنا وذهب يطلبه على جبل الطور قال تعالى (أفلا يرون) أى أفلا يعلمون (ألا يرجع اليهم قولا) أى أنه لا يرجع اليهم كلاما ولا يرد عليهم جوابا (ولا يملك لهم ضررا ولا نفعا) فهو عاجز عن الخطاب وعن النفع والضرر فكيف اتخذه إلهها (ولقد قال لهم) لمن عبدوا العجل (هرون من قبل) أى من قبل رجوع موسى اليهم (يا قوم إنما فتنتم به) ابتليتكم بالعجل فلا تعبدوه (وان ربكم الرحمن) لا العجل (فاتبعوني) كونوا على ديني (وأطيعوا أمرى) فى ترك عبادة العجل ولقد دعاهم هرون بأحسن القول المنظم إذ أزال شبهته وساق الى معرفة الله فالنبوة فاتباع الشريعة وهو ترتيب طبيعى وذلك بالنهى عن العجل ومعرفة الرحمن وأتباعه وهو نبى واطاعة أمره وهو الشريعة والتعبير بالرحمن دلالة على أنه يقبل التوبة (قالوا لن نبرح عليه) على العجل (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع إلينا موسى) لأننا لا نقبل إلا قوله فاعتزلهم هرون ومعه المؤمنون بالله فلما رجع موسى سمع الصياح والجلبة وكانوا يرقصون حول العجل فقال للسبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هرون أخذ شعر رأسه بيمينه وخطيته بشماله و(قال) له (يا هرون مامنك إذ رأيتهم ضلوا) أشركوا بعبادة العجل (ألا تتبعن) أى أن تلمحقنى وتأتى عقبى ولا زائدة كما فى قوله - مامنك ألا تسجد - (أفصيت أمرى) أى خالفت أمرى (قال يا ابن أم لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى) أى بشعر رأسى وقد أخذ بذؤابتيه (إني خشيت أن تقول فرقت بين بنى اسرائيل) أى خشيت اذا أنا اتبعتك وفارقتهم أن يصيروا أخزا يقاتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بينهم (ولم ترقب قولى) ولم تحفظ وصيتى إذ قلت لك - اخلفنى فى قومي وأصلح - والاصلاح انما يكون بحفظ جامعهم ومداراتهم الى أن

ترجع اليهم فتتدارك الأمر برأيك وها أنت ذا قد رجعت فإذا كنت أفعل ثم أقبل موسى على السامري منكرًا عليه (قال فما خطبك يا سامري) أي ما أمرك وشأنك الذي حلاك على ما صنعت (قال بصرت بما لم يبصروا به) أي علمت بما لم يعلموه يقال بصر علم وأبصر نظر أي علمت ما لم يعلمه بنو إسرائيل وذلك أني رأيت جبريل على فرس الحياة فألقى في نفسي أن أقبض من أثره فما ألقيته على شيء إلا صار له روح ولحم ودم (فقبضت قبضة) هي ما يقبض باليد أو قبضة بالصاد ما يؤخذ بأطراف الأصابع (من أثر) حافر فرس (الرسول) جبريل (فنبذتها) فطرحتها في الحلى المذاب في الحفرة أو في جوف العجل (وكذلك سؤلت لي نفسي) فزنته وحسنته فأنا فعلته اتباعًا لهوأي وهذا اعتراف منه بالخطأ (قال) له موسى (إذهب) من بيننا طريدا (فإن لك في الحياة) عقوبة على ما فعلت (أن تقول) لمن أراد مخالطتك وهو لا يعرف حالك (لا مساس) لا يمسنى أحد ولا أمسه فحرم الله على بني إسرائيل أن يخالطوه وحرم عليه أن يخالطهم وبلغهم موسى ذلك وإذا اتفق أن يماس أحدا حمّ المس والممسوس فكان يهيم في البرية ويصيح قائلا - لا مساس - ثم ذكر له عذابه في الآخرة فقال (وان لك موعدا) في الآخرة (لن تخلفه) لن يخلفك الله بل ينجزه لك في الآخرة بعدما عاقبك في الدنيا (وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا) ظلت على عبادته مقما (لنحرقنه) بالنار أو بالمبرد يقال حرق إذا برد بالمبرد (ثم لننسفنه) لنذرينه رمادا أو مبرودا (في اليم نسفا) فخرقه وذراه في البحر (إنما إلهكم) المستحق لعبادتك (الله الذي لا إله إلا هو) إذ لا أحد يماثله (وسمع كل شيء علما) وسع علمه كل ما يصح أن يعلم لا العجل الذي يصاغ ويحرق

(١) عجائب القرآن وما معنى قول العلماء لا تنقضى عجائبه

(٢) ولم أتبع هذه القصة بقوله تعالى - كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق وقد آتيناك من لدنا علما - ثم أنذر من أعرض عنه

(٣) وقد ختمت القصة بقوله تعالى - وسع كل شيء علما -

(٤) كيف تكون مدارس التعليم الدينية في مستقبل الزمان من إشارة هذه الآيات

لما وصلت إلى هذا المقام من التفسير زارني عالم فاضل من رجال المدارس الذين جاؤا من أوروبا حديثا فقال بعد أن قرأ ما تقدم . ماذا تفيدنا هذه الآيات ولقد أوضحت الأهم اليوم يطيطون في الجوّ ويسيطرون بالبخار على الأرض وتغطس سفنها الحربية فتفتك بالسفن العائمة وتسمى (الغواصة) والأهم كلها ارتقت فأى ارتقاء في تكرار هذه القصص وما فائدة ذكر عجل السامري وسحرة فرعون وعصا موسى بعد ما ترقى الأهم وأخذت تجدد وتمال حظوظها . وهل دراسة هذا إلا ترديد لما كان في الأزمان الغابرة والأجيال البائدة . ثم ان الناس في زماننا على ﴿قسمين﴾ قسم يرى أن هذه الأمور لم تكن وهؤلاء يكفرون بالديانات ويتركونها للعامة وقسم يرى أنها حق وهم العامة الذين لا هم في العير ولا في النفير . فقلت يا صاح إن هذه كنايةات والكناية لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع جواز ارادة المعنى الأصلي فلانحن نمكرها ولا نقف على مجرد لفظها وهذا أبلغ ما يكون فإن الكناية أبلغ من الحقائق . واعلم أن الباحثين في أصلها قوم لا يعلمون لأن المقام مقام علم وحكمة والعلم والحكمة انما يكونان من الاعتبار بالقصة والأخذ بحقائقها فأما تضييع الوقت في أنه كيف كانت عصا موسى ويكون المرء بين تصديق وتكذيب فذلك ضلال ووبال قال تعالى - يضلّ به كثيرا ويهدي به كثيرا - فيضلّ به أولئك الباحثين المضيعين لأوقاتهم إذ لا يعلمون المقصود من الكلام ويهتدى المفكرون الذين يبحثون عما يراود من هذه الكنايةات . قال ما المقصود من هذه القصص وما شأن عصا موسى وسحرة فرعون وعجل السامري

(٢) ﴿العلوم العقلية﴾

فقلت اعلم يا صاح ان الله جعل هذه الأمور أمثالا للمسلمين . يريد الله أن ينشئ أمة اسلامية غير الأمم

المتأخرة الماضية . يريد ذلك . قال وكيف ذلك . قلت انظر . أليس ترى أن عصا موسى بها غلب سحره فرعون أي غلب الحق الباطل . قال بلى . قلت ثم جاء الباطل وهو العجل الذهبي فغلب الحق . قال نعم قلت وما شاع الباطل إلا عند جهال بني إسرائيل الذين عبدوا العجل ولو كانوا علماء كالسحرة لبقوا على دينهم قال حقا . قلت حينئذ تكون النتيجة أن المعجزات الوقتية فأثدتها وقتية . قال نعم . قلت والعلوم الحقيقية فأثدتها حقيقية ثابتة تبع ثبات العلم فيكون الايمان ثابتا . قال نعم . قلت حينئذ يطلب الله منا نحن لا من الذين ماتوا لأنهم عنده ولا من موسى وحمد عليهما الصلاة والسلام لأنهما عنده أيضا أن نكون محققين في كل شيء . قال نعم

(٣) (الحجر في الجبل ينبع منه الماء)

قلت أذكرك بما ذكرتك به في سورة البقرة إذ قلت ان عصا موسى لما ينبع الماء من الحجر بسببها ذكر الله بعدها بآيات أن الحجر تتفجر منه الأنهار وان هذا اشارة الى أن الناس يجب عليهم أن يتنبهوا لما في الطبيعة من عجائب وغرائب إذ ان الحجر تتفجر منه الأنهار بسبب الماء الذي في باطن الجبل فانه يصير ثابجا فينتفخ بخاصية تخصه فيكسر الحجر . فهذا الثلج والخاصة التي له هي معجزة الله يضرب بها الحجر في كل حين ويخرج الأنهار في أمكنة كثيرة . قال نعم قرأت ذلك هناك . قلت حينئذ يريد الله بذكر الحجر وضرب موسى له بالعصا أن يقرع العقول فتدرك السر المصون في الطبيعة السكامن في الأشجار وهذا السر هو اختصاص الثلج بأنه يكون أكبر من حجمه اذا جدد وليس سواء من الموائع بهذه الخاصة . وقد فعل الله ذلك لجعله وسيلة لتكسير الصخور فتفتح فتجري الأنهار كما وضحته هناك . قال هذا ظاهر لا غبار عليه . قلت هكذا هنا . قال وما هنا . قلت فانه ذكر العصا وقد أوضحنا الكلام عليها وذكر بعدها أمورا تليق لها . قال مامعنى هذا . قلت معناه أن الحجر هناك لما ضربته العصا وانفجر الماء قلنا انه اشارة لما سيذكره هناك من الأشجار المتفجرة في الجبال . أما هنا فلم يذكر الحجر . كلا . لأنه هنا ذكر أن العصا قلبت حية وجاء في سياق الكلام انها كانت تورق وتثمر متى أراد ذلك أي انها تنقلب في صور مختلفة فلم يذكر هنا انها تفجر بسببها نهر بل قال انها هي قلبت حيوانا تارة ونباتا أخرى من سياق الكلام . قال نعم وما قصدك بهذا . قلت قصدى أن الله ذكر هنا أنه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وانه جعل في الأرض سبلا وأنزل ماء من السماء وأخرج به النبات والحيوان الذي يرعاه والانسان الخ . قال هذا عرفته فيما تقدم . وماذا تقصد به . قلت كما انه هناك ذكر ما يناسب الحجر المتفجر فأتبعه بحجر في الجبل يخرج منه الماء به فهمنا انه يقصد اننا ندرس الطبيعة . هكذا فعل هنا فذكر الحيوان والنبات اللذين يصوران من المادّة كما قلبت العصا اليهما ولم يذكر حجرا هنا ولا نهرا خارجا منه مما دلنا على أن الأمر مقصود ولذلك قال تعالى - إن في ذلك لآيات لأولى النهى - فأصبحت النتائج هكذا

(١) الاتكال على خوارق العادات وحدها لا يكفي لدوام الايمان

(٢) العقل والفسكر والتضلع في العلوم كسحرة فرعون هو الحافظ الوحيد للايمان

(٣) والعلوم التي تدرس لذلك هي العلوم الطبيعية المذكورة في قوله - الذي جعل لكم الأرض مهذا - الخ

(وبعبارة أخرى) العلوم الطبيعية والفلسفية لأنها سلسلة واحدة منظمة . قال الآن قد فهمت . وهل هذه العلوم للدنيا أم للآخرة قلت هي للدنيا والآخرة معا . قال وكيف ذلك . قلت هذه العلوم هي أنفسها علوم التوحيد وعلوم حب الله وعلوم شكر الله وهي أفضل وأنفس العلوم وعلم الفقه ما هو إلا فرعها والفرع أقل من الأصل . فعلى المسلمين قاطبة في أقطار الأرض ان يسمعوها هذا ويعملوا به فانه أمر الله والله هو الأمر به بل أقول فوق ذلك ان الله سيتم هذا الأمر وتدرس العلوم كلها في أمم الاسلام وأنا واثق بذلك كل الوثوق . قال

ما المنهج الذي تظنه سيكون في التعاليم الإسلامية

(٤) ﴿ المنهج العلمية المستقبلية في أمة الاسلام في التعليم الديني ﴾

قلت ان الأمم الإسلامية ستقلب التعليم رأسا على عقب وسيصبح التعليم في علم التوحيد هكذا
تؤلف رسائل صغيرة مشوقة جميلة فيها عجائب الحكمة وبدائع الخلقة كالحیوانات الغريبة والجواهر
الشریفة والعجائب المدهشة يفرح بها صغار الطلبة في كتب صغيرة مجلدة تجليدا جيلا مرسوما فيها صور من
تلك العجائب بهيئة مشوقة وتجعل تلك الرسائل متفاوتة المقدار . ففي السنة الثانية أكبر منها في الأولى وفي الثالثة
أكبر منها في الثانية وهكذا في الرابعة فما تضي أربع سنين وقد قرأ الطالب فيها أربع كتب متدرجة في
الكبر عجيبة العلم إلا وقد أحب الله حبا لما يذكره الأساتذة عند كل عجيبة من قدرة الله وعلمه وحكمته
ونظامه ثم هو أيضا قد أدرك العالم الذي يعيش فيه فأخذت قواه العقلية تنهض وتنتعش واستعد للحياة
وأصبح رجلا غير رجال اليوم . فاذا انتقل الى القسم الثانوي كما في الجامع الأزهر وأخذ يدرس فيه وقد نال في
الابتدائي حظا من العلوم الرياضية فينشد استعداد لدرس العلوم الطبيعية فعلا فيدرس التلاميذ تلك العلوم وهم
أيضا في نفس المدارس والمساجد يدرسون الفروع الأخرى من الدين وهنا يدرسون الفلك وعلم النبات وعلم
الحیوان والتشريح وهذه العلوم تدرس درسا إجاليا مشوقا مبنيا على شوقهم السابق لها في القسم الابتدائي
هؤلاء التلاميذ متى تخرجوا من القسم العالي وخصص كل منهم لفرع فقهي أو إرشادي أو طبيعى أو فلكي
كانوا قدوة الأمة ومرشديها وأصبحوا أمة حية حقيقة فيكون عالم الدين إما قاضيا وإما مهندسا وإما طبيا
وإما عالما بطبقات الأرض . فهذه كلها علوم طلبها القرآن بل العلوم الطبيعية هي نفس علم التوحيد وقد ألفت
كتبنا شتى في تشويق المسامین للعلوم ككتاب ﴿ جلال العالم ﴾ وكتاب ﴿ نظام العالم والأهم ﴾ وكتاب
﴿ النظام والاسلام ﴾ وكتاب ﴿ نهضة الأمة وحياتها ﴾ وكتاب ﴿ القرآن والعلوم العصرية ﴾ وفي هذا
التفسير عجائب كثيرة مشوقة أيضا وكتاب ﴿ جواهر العلوم ﴾ وكتاب ﴿ ميزان الجواهر ﴾ وغيرها . قال
وماذا نصنع بما يخالف قولك من التعاليم الموجودة الآن في الاسلام . قلت هذا القول لا يخالف طرق المتقدمين
البتة . نعم يخالفها في الأسلوب وفي عدم ضياع الزمن وفي الانتفاع بالعلم دنيا وأخرى وفي توسيع اختصاص العالم
الديني فبدل أن يكون قاضيا فقط يكون طبيا أو عالما فلك ولا حرج في ذلك كما فهمت في هذا المقام
أيها الفاضل الذكي انك قد فرض عليك أن تلقى عصاك فتلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح
الساحر حيث أتى . فقال لي ذلك العالم . أما قولك فرض علي فلم أفهمه وكذلك لم أفهم ما هي العصا التي
أستعملها ولا ما هو السحر الذي تستأصله العصا وما هذه منك إلا مقالات كقالات الشيوخ الذين يدعون الولاية
وأكثرهم لا يفيدون الناس شيئا فأفهمني ما قلت بطريق واضح فقلت له ما المقصود من حصول السحر . أليس
المقصود منه انصراف العقول والأبصار عن الحقائق الى الضلالات . قال بلى . قلت إذن كل ما صرف عن
الحق تجبازاته سواء أكان سحرا أم كان غيره فان النتيجة واحدة وهي الضلال . قال وما الضلال والانصراف
عن الحق الذي تعني . قلت اعلم أن المسامین لما تولى أمرهم ملوك من أمم غريبة النزعة منحطة المدارك
تولاهم الخور في العزائم والقعود عن العلم وادراك الحقائق . فهؤلاء الملوك حصروا عقول العلماء في دوائر ناقصة
من العلم وأشاعوا كتباً بينهم خاصة وبعضها عديم الجدوى قليل الفائدة واتسع الجدل بين العلماء في
أمور لا توصل الى السعادة في الحياة الدنيا ولا في الآخرة وأطالوا الجدل في العلوم التي هي آلة لغيرها وانصرفوا
عن الحقائق الى المقدمات والى الوسائل دون النهايات فاستيقظت أوروبا لذلك وأخذتهم على غرة وخسفت بنا
وبديارنا الأرض فأخذت كثيرا منها صاعقة العذاب الهون بما كسبنا من الجهالات وما أحاط بنا من الخرافات
فهذه الطرق العلمية سدّت على الناس طرق العلم الصحيح كأنما سكرت أبصارهم وكأنهم مسحورون وذلك نفر

كثيرا من المسلمين من العلم الصحيح فاذا لم نسم هذا سحرا فان المقصود من السحر قد حصل منه فاذا كانت البصائر قد غطيت عن الحقائق فأى سحر أنجمع من هذا واذا كان سحرة فرعون أخذوا بأبصار آلاف . فهذا العمل قد صرف مئات الملايين عن طرق السعادة حتى اصطادنا الفرنجة فهربنا تم مقصود السحر بما هو أعم وأتم . فترى كتب التوحيد لا تفي بالغرض لصعوبتها وعدم تشويقها وكثرة جدلها في أمور خارجة عن نظام هذه الدنيا التي جعلها الله محل دراستنا فيها حياتنا وهي لوح دراستنا ونظام مدارسنا فحرم منها المسلمون بقشور ما أنزل الله بها من سلطان إلا بعض شذرات أو كتب قليلة العدد فأما البقية فهي غير صالحة لارتقاء النفوس ولا معرفة الله ولا حبه ولا الانسراح به . قال صاحبي ها أنا ذا عرفت السحر

﴿ السؤال ﴾

(٥) فليخص ما تقدم كيف سحر المسلمون

﴿ الجواب ﴾

سحروا بالانصراف عن العلوم النافعة في التوحيد وفي الحياة الدنيا المرتبطة به لا تنفك عنه . فقال وما العصا وكيف يكون إلقاؤها وكيف تلقف هذا السحر ومن أين تدعى انه فرض على . قلت اذا عرفت ما هو السحر فقد عرفت ماهي العصا . ان موسى أمر أن يلقى عصاه . فالتقاء العصا ليس مقصودا بالذات انما المقصود ازالة السحر ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ ازالة الجهالة فاذا رجعنا للحقيقة واضحة ناصعة ظاهرة قلت جهل يزال . فموسى أزاله بعصاه وأنت أزاله بما لديك من القوى فالأمر واضح . وكما ان الغذاء يقصد به حياة المغتذى فليس يهم تعيين الطريق الذي به يتناول فالنبات يتناوله بهرقه وأوراقه والحيوان بفمه والودود يمتصه بجملده والانسان بيده ثم فمه وبعض الناس يتعاطاه بملعقة أو بشوكة فلتسكن أى طريق فالحياة حاصلة مهما تنوعت تلك الطرق ومهما اختلفت . فهكذا هنا يراد ازالة الجهالة . أزالها موسى بعصاه فلنزلها نحن بما عندنا . قال أين العصا عندنا . قلت ما ذكرته لك الآن من صورة الدراسة والمناهج العلمية والكتب التي تؤلف في سنين مختلفة مرتبة منظمة جميلة المنظر حسنة الهيئة مجلدة تجليدا جميلا بهية الشكل تفرح التلاميذ بما حولهم من مزارع وما فوقهم من شمس ونجوم ثم يخص كل امرئ في علم خاص كقضاء أو طب وتكون مدارس الاسلام حافلة بتلك العلوم ويعرف الناس ربهم معرفة أجل وأجل من هذا العمى وحينئذ يظهر الاسلام على الأديان كلها ويؤدب رجال الشرق رجال الغرب ويطردونهم من بلادهم حتما . وملخص هذا أن تدرس العلوم الطبيعية والرياضية بطرق جميلة وتجعل من علوم الدين وانها أهمها وهي أفضل وأجل وأرقى من علم الفقه لأن هذه أصول التوحيد وتلك فروعها والأصل مقدم على الفرع وكلاهما لازم للاسلام والمسلمين . قال وكيف تقول اني مأمور بهذا ولست نبيا . قلت له لم أنزل الله هذه الآيات ولم قال بعد تمامها - وقد آتيناك من لدنا ذكرا * من أعرض عنه فانه يحمل يوم القيامة وزرا - فأين الذكر الذي ذكره الله هنا وكيف خص هذا المقام بقوله - وقد آتيناك من لدنا ذكرا - وأندر من أعرض عنه مع ان القرآن كله ذكر فلم قال هذا القول هنا . أليس ذلك للتنبيه على أن هنا نكتة يجب التنبيه لها وفكرة يجب البحث فيها والفكرة هي ما ذكرته لك من القول المتقدم وهو أن نجد في ازالة الضلالات العالقة بالأذهان . واعلم أن الله علم أن الاسلام سينتشر في أنحاء المسكونة وسيقيمون في الجهالات فأنزل الله هذا العلم في هذه السورة وأبان أن معرفة الحقائق ناصعة هي المزية لما لحقهم من الجهل والذل وظلم أوروبا فوصف لهم الداء والدواء وأبان لهم طرق ازالة الخرافات من العقول وأفهمنا أن العلوم الطبيعية هي المرقية للأثم . فأما الاتكال على الظواهر فانه مدعاة للوقوع في شرك الجهالات . وأما قولك انك لست نبيا فأقول لك ألست تعلم أن النهي عن المنكر واجب على الأنبياء وعلى غيرهم . قال بلى . قلت واذا عرفت أن الأمة اليوم واقعة في جهالة عمياء أفليس يجب عليك أن تبادر الى

إزالتها . قال بلى . قلت ألم يقل الله لرسوله ﷺ - فبهذا هم اقتده - . قال بلى . قلت هكذا فعل ﷺ فانه ألقى عصاه كما ألقى موسى عصاه وأزال السحر كما أزال موسى السحر . ذلك انه علم القوم وأسمعهم القرآن ثم كسر الأصنام التي كانت تسحر عقول القوم بكثرة المشاهدة والتعظيم والتبرك حتى صارت شجحا سحريا يسحر العقول ويصرفها عن الحق فهذا تنويم مغناطيسى حقيقة مؤثر تأثير السحر . أليست ترى انه فعل ما فعله موسى . قال بلى . قلت أليست أنت الآن مكافأ بذلك بدليل وجوب النهي عن المنكر وبدليل قوله تعالى - لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة - . قال بلى . قلت - فألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى - فان بعض القوم سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم . قال إذن فهمت ولكن أريد أن انصرف العقول الاسلامية الذي قام مقام السحر ناشئ من صهوبة الكتب وحدها . قلت هناك أسباب كثيرة فليست كل الكتب صعبة وليست كل الطرق عقيمة ولكن انصرف العقول اليوم طموعهم العباد والبلاد فأوروبا أرسلت رسلها فغمست المتنوّرين منا في اللذات والشهوات وأفهمتهم ضلالات فبعضهم في دينهم ودنياهم وطرق التوحيد عندنا عقيمة فأصبح الناس بين نارين نار الجهالة الشرقية ونار الضلالة الغربية وهذا هو الدجل وهذه أشبه بأفعال (المسيخ الدجال) وليس يصرف هذا الدجال أى الذى يشبهه إلا الطريق العيسوى والهدى الاسلامى وقد أبنته لك - فألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى - كما لا يفلح الدجال أمام المهدي وعيسى فحيسى يقتل الدجال والحق يغلب الباطل والخير يغلب الشر وجند الله هم الغالبون وفضل الله واسع . فاعرف الحقائق وابتعد عن المزاق واسق الناس من الموارد ولا تسقمهم من ماء آسن بل اسقمهم من كوثر ومن رحيق مخنوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون

قال وهل أنت بما تقول واثق أم هذه أمانى . قلت أعلم أن الله عز وجل أذن للمسلمين اليوم وغدا أن يتبوؤا مكانهم في الأرض ومكاتبهم بين الأمم وانه ناظر اليهم . ناظر نظرا عظيما وهو اليوم يث في نفوس أفراد منهم هنا وهناك طرائق العلم وأزهار الحكمة وثمارا شهية . وهؤلاء الافراد أنبتهم في أمكنة مختلفة وقد تجلى عليهم بالنور وهم ينشرون ذلك النور في الاقطار الاسلامية وسيسمع المسلمون أقوالهم وسيكون لهم مجد قد آن أوانه وقرب ابانه فاقرا إن شئت - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك انه على كل شئ شهيد - فقد وعد الله أن يرينا آياته في أنفسنا وذلك بعلم الأرواح وعلم النفس وفي الآفاق وذلك بالعلوم التي ذكرناها وحرّضنا عليها وأعدناها في هذا التفسير تكرارا وقلناها مرارا . وأقول لك ان ظهور هذه العلوم بهذه الطرق هذا أوانه حتما وهذا هو الوقت الذي وعد الله به وهاهوذا ينبز وعده وفي زمن قريب سيظهر علماء وفضلاء وحكماء في بلاد الاسلام . أليست ترى أن القرآن الذي كانت الجهلة من المسلمين يعتقدون أنه مبعث عن العلوم قد أصبح اليوم كما تراه محرّضا عليها شارحا لها مهيا لها وأصبح أمثال هذا القصص ليس أمرا مضى وانقضى فحسب بل هأنت ذا تراه يصلح لكل زمن سيأتى فلناس أن يقولوا بعد آلاف السنين - وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا - ويرون أن علم البلاغة يفهمنا أن المأمور الآن انما هو نحن . قد أمرنا أن ننشر العلم ونزيل الضلال والجهالة لا أكثر ولا أقل وهذا قول مقبول بعد مئات الآلاف من السنين . فاذا قال الله - ولكن رسول الله وخاتم النبيين - وإذا قال - اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا - فهاهوذا قد ظهر المقصود واتضح الحق وأن هذا القرآن صالح لجميع الأزمنة والأمكنة لأنه مسائل عامة في غاياتها وان كانت خاصة بالنظر الى ظواهرها . وسيقوم بهذه الامور عقلاء وعلماء يملؤون الأرض نورا وعلما قريبا وقريبا جدا . وانى أطلب من الله أن تكون أيها الذكي المطلع على هذا التفسير منهم في تذكير الناس بما علمت من هذا التفسير وغيره وأن يكون

مطمع نظرك رقي الأمة الإسلامية التي هي جسم أنت أحد أعضائه والله يتولى الصالحين وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . انتهى الفصل الرابع وهو آخر فصول المقصد الثاني من هذه السورة

(المقصد الثالث)

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا * مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا * خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا * يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْجَزِيمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا * يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا * نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا * وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا * يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا * يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا * وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا * وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا * وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَى وَلَمْ نُجِدْ لَهُ عَزْمًا * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى * فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى * فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى * فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى * ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى * قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى *

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّأُولِي النُّهَى * وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَسَكَانَ لِرِزَامِهَا وَأَجَلَ مُبَسَّي * فَأَصْبِرْ عَلَى مَا
يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ
النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى * وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى * وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا
نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى * وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي
الصُّحُفِ الْأُولَى * وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا
رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى * قُلْ كُلُّ مُتَّبِعٍ قَتَرَبَّصُوا فَسَتَفْهَمُونَ
مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى *

(التفسير اللفظي)

قال تعالى (كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) أي مثل ما قصصنا عليك قصة موسى وفرعون
نقص عليك من أخبار الأمم الماضية كثيرا لبياناتك وعلومك وتبصرة لك وزيادة في علمك وعلم المستبصرين
من أممك (وقد آتيناك من لدنا ذكرا) قرأنا فيه الأخبار والاقاصيص للانتبار بها والتفكير فيها (من
أعرض عنه) عن الذكر وهو القرآن (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) عقوبة ثقيلة والوزر الحمل الثقيل لغة وقوله
(خالدين فيه) في الوزر وهو حال من الضير في يحمل وإنما جمع على المعنى (وساء لهم يوم القيامة حلال) ساء
كبئس أي ساء الحمل حلال وزرهم فالفاعل ضمير مفسر بحملا ووزرهم مخصوص بالنم محذوف وقوله (يوم
ينفخ في الصور) بدل من يوم القيامة أي يوم تنفخ الأرواح في صورها فالصور هنا جمع صورة * وقد قرئ
- في الصور - بضم ففتح وهو ظاهر في هذا المعنى (ونحشر المجرمين يومئذ زرقا) أي عميا لأن حدة من
يذهب نور بصره تكون زرقاء وزرقة العين أسوأ ألوانها والروم كانوا أعدى أعداء العرب وهم زرق العيون
فوصفوا بوصف مبغض من حيث اللون سيئ من حيث ذهاب البصر فهو أبغ من عميا (يتخافتون بينهم)
أي يتسارون يقول بعضهم لبعض سرا من هول اليوم (إن لبئس ما كنتم في الدنيا أوفى القبر
إلا عشر ليل استقصارا لمدة لبئس ما عابوا من شدة العذاب وهوله معتبرين ما تقدم أيام نعم لأن أيام النعم
قصيرة (نحن أعلم بما يقولون) وهو ممة لبئس (إذ يقول أمثلهم طريقة) أعدائهم رأيا (إن لبئس ما كنتم
قصر في أعينهم بالنسبة لأهوال القيامة) ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) وذلك أن رجلا من
تقيف سأل عنها النبي ﷺ فأجيب بنزل هذه الآية . والذئف القلع من أصولها ثم يجعلها هباء منثورا
فأولا يجعلها كالرمال ثم يرسل عليها الرياح فتفترقها (فيذرهما قاعا صفصفا) أي يدع أما كن الجبال من الأرض
أرضا ملساء صفصفا مستوية لانبثاق فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمثا) أي لا انخفاض ولا ارتفاعا فلا وادي فيها
ولا رابية (يومئذ) أي يوم إذ نسفت وهو بدل ثان من يوم القيامة (يتبعون الداعي) داعي الله إلى الحشر
(لا تسمع له) لا يماون ولا يزغون عنه يمينا ولا شمالا (وخشعت الأصوات) أي خضعت (للرحمن) لمهابته
(فلا تسمع إلا همسا) صوتا خفيا كصوت أخفاف الأبل (يومئذ لا تسمع الشفاعة) عنده (إلا من أذن له

(الرحمن) أى إلا شفاعته من أذن له الرحمن أن يشفع (ورضى له قولاً) فلا يشفع إلا المأذون الذى رضى الله قوله . ثم اعلم أن الشفاعه فى الآخرة تابعة لأذن الله كما هنا وعلاية إذن الله أن يكون المرء مرضى القبول ومن رضا القول أن يكون مقبول القول فى الدنيا قد سمع الناس نصائحهم لطهارة قلوبهم وخالوص نيتهم . وعلى مقدار الآثار الواصلة من الشافع الى المشفوع تكون درجة الشفاعه . فالأنبياء يشفعون والعلماء يشفعون والأساتذة يشفعون والشهداء يشفعون . ولكل منهم فى الشفاعه درجة خاصة وهى مقترنة بمقدار آثاره فى المشفوع لهم وعلاية قبول شفاعتهم فى الآخرة قبول نصائحهم فى الدنيا . فكلما كانوا أبين قولاً وأكثر أثراً كانت شفاعتهم على مقدار ما وصلوا اليه من نفوس سامعيهم والله هو العالم بالشافعين والمشفوع لهم (يعلم ما بين أيديهم) ما تقدمهم من الأحوال (وما خلفهم) وما يستقبلونه منها فهو عالم بالشافع الذى أنار القلوب بعلمه وبالمشفوع له الذى نال تلك الآثار فيعطى الأذن وقبول الشفاعه فى المشفوع له بقدر (ولا يحيطون به علماً) أى ولا يحيطون بالله علماً (وعنت الوجوه) أى ذات وخضعت (للحى القيوم) أى الذى لا يموت القائم بتدبير خلقه (وقد خاب) أى من رحمة الله تعالى (من حل ظلماً) أى من حل الى موقف القياسه شركاً لأن الظلم وضع الشئ فى غير محله ولا ظلم أشد منه (ومن يعمل من الصالحات) الطاعات (وهو مؤمن) مصدق بما جاء به النبى ﷺ (فلا يخاف) أى فهو لا يخاف (ظلماً) أن يزداد فى سيئاته (ولا هضم) أى نقصاً من حسناته (وكذلك) عطف على كذلك نقص أى ومثل ذلك الانزال (أنزلناه قرآنه عريياً) بلسان العرب (وصرفنا) كبرنا (فيه من الوعيد لعلمهم يتقون) يجتنبون الشرك (أويحدث لهم) الوعيد أو القرآن (ذكرنا) عظة (فتعالى الله الملك الحق) أى ارتفع عن الظنون وأرهام الأفهام ومشابهة المخلوقات الملك الذى يحتاج اليه الملوك وإنما كان ملكاً حقاً لأن ملكه لا يزول أما ملك الملوك فانه زائل . ثم أخذ يستطرد لذكر القرآن قائلاً وإذا لقنك جبريل ما وصى اليك من القرآن فتأن ريثما يسمعك ويفهمك وهذا قوله (ولا تجعل بالقرآن) أى بقراءته (من قبل أن يقضى اليك وحيه) أى من قبل أن يفرغ جبريل من البلاغ (وقل رب زدنى علماً) بالقرآن ومعانيه * ويقال ان الله ما أمر نبيه ﷺ بطلب الزيادة فى شئ إلا فى العلم (ولقد عهدنا الى آدم) أى أوحينا اليه ألا يأكل من الشجرة . يقال فى أوامر الملوك عهد اليه وأوحى اليه وعزم عليه وهذه القصة معطوفة على - وصرفنا فيه من الوعيد - (من قبل) أى من قبل وجودهم بخالف ما عهد اليه وهم أيضاً مخالفون فالتخالف راسخة فى الأصول منتقلة الى الفروع (فنسى) العهد وهو النهى والأنبياء يؤاخذون بالنسيان أونسى أى ترك ما وصى به من الاحتراز من الشجرة (ولم نجد له عزماً) تصميماً فى الرأى وثباتاً فى العزيمة (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) أى اذكر حاله فى ذلك الوقت لتعلم كيف نسى ولم يكن له عزيمة ولا ثبات (فسجدوا إلا إبليس) قد تقدم الكلام على كل ما قاله الناس فى الملائكة فى سورة البقرة وعلى أدلة وجودهم * وقال الحسن الملائكة لباب الخليقة من الأرواح ولا يتناسلون وهذا القول يرجع الى أحد الأقوال المذكورة فى سورة البقرة التى تشير الى أن الملائكة والشياطين أرواح من ماتوا من الناس فان كانوا أبراراً فهم الملائكة وان كانوا أشراراً فهم الشياطين ويكون الأولون الى النور وأنسب والآخريين الى النار أقرب . وتقدم فى حديث مسلم أن النار حجاب الله فهكذا هى التى حجب الشياطين هى والمادة التى منها أنشئت وحجب الناس أيضاً عن ربهم ولا مجال للبحث هنا فارجع إليه هناك . وهنا يقال لم لم يسجد إبليس فقال (أبى) أى أظهر الإباء وتوقف (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك) لأنه لم يسجد لك ولم يرك فضلاً فاحترسا منه (فلا تخرجنكما من الجنة) فلا يكونن سبباً لخراجكما منها (فتشقى) فتتعب فى طلب القوت ولم يقل فتشقى لمراعاة رؤس الآى ولأن الرجل هو المكلف بنفقة المرأة فجعل الشقاء عليه خاصاً به (ان لك ألتجوع فيها) فى الجنة (ولا تعرى) عن الملابس فيها (وانك لاتظماً فيها) لاتعطش (ولاتضحى) ولا تبرز للشمس فيؤذيك حرها لأنه

ليس في الجنة شمس . وهذه الأربعة هي مدار الكفاف فالشبع والرى والكسوة والسكن هي التي عليها مدار
الحياة (فوسوس اليه الشيطان) أي أسر اليه (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أي الشجرة التي إن
أكلت منها بقيت مخلدا (وملك لا يبلى) لا يزول ولا يفسد . فالله وابلوس كلاهما رغبيا آدم في النعيم المقيم .
فالله جعله في الاحتراس من الشجرة وابلوس علقه على الأكل منها فاتحدت الغاية واختلف الطريقان . فالرحيم
سلك بهبده الطريق المؤدي الموصول والعدو سلك الطريق الذي لم يوصل (فأكل منها) أي أكل آدم وحواء
من الشجرة (فبذبت لهما بسواتهما) أي عريا من الثياب التي كانت عليهما حتى ظهرت عوراتهما (وظفقا
يخضعان عليهما من ورق الجنة) أي يلزقان بسواتهما من ورق التين (وعصى آدم ربه فغوى) وغوى أي
أخطأ الطريق الموصول إذ طلب الخلد بأكل ما نهى عنه * جاء في حديث رواه البخاري ومسلم قال صلى الله عليه وسلم
﴿استمع آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت يا موسى اصطفاك الله
بكلامه وخطأك التوراة بيده أنلومني على أمر قدّره الله تعالى قبل أن يخلقني بأمر بهين عما فجع آدم موسى﴾
واعلم أن مثل هذا الحديث يتخذ الضعفاء حجة على فعل المعاصي وهو خطأ بل مثله ينفع الإنسان بعد وقوع
الذنب ليتسلى به فأما قبل وقوع الذنب فن الجهالة الاحتجاج به لأنه يكون ذلك وسيلة الى تبديد القوى الانسانية
واضاعة الدين والقرآن وهذا هو الضلال المبين (ثم اجتباه ربه) اصطفاه وقرب به بأن حمله على التوبة (فتاب
عليه) قبل توبته حين ناب (وهدي) هداه لرشده حتى رجع الى الندم والاستغفار (قال) الله (اهبطا منها
جميعا) الخطاب لآدم ومعه ذريته وابلوس ومعه ذريته (بعضكم لبعض عدو) أي بعض الفريقين لبعض
عدو (فإما يأتينكم مني هدى) أي كتاب ورسول (فمن اتبع هداي) أي الكتاب والرسول (فلا يضل)
في الدنيا (ولا يشقى) في الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) أي الهدى الداعي الى عبادتي (فإن له معيشة
ضنكا) ضيقا وهذا مصدر وصف به * وقرئ - ضنكى - كسكرى . وهذا الضنك يدركه ذوو النفوس
الجاهة في الدنيا ولو كانوا أغنياء بسلب القناعة عنهم وحرصهم وجشعهم وسوء ظنهم بالله وفرط انشغالهم بأسباب
الاكتساب وهؤلاء لم يدخلوا في السلام العام الذي يقوله المسلم في الصلاة فإنه لا أمان لهم لسوء ظنهم بالله وبكل
شيء في الوجود فإن نزات المحنة بهم لم يروها إلا تعذيبا وإن نزلت بهم النعمة حرصوا عليها وإن ذهبت منهم
كادت نفوسهم ترهق فإذا ماتوا عذبوا في القبور على شهواتهم وحرصوا واغتموا على ما ظنوه نعيما وإذا بعثوا
بعثوا على ما ماتوا عليه حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا . هذه هي المعيشة الضنكى . واعلم أن بعض
الناس يعيشون في الأرض ويعذبون وهم لا يشعرون أنهم يعذبون . يظنون أن العذاب نعيم وأن السعير
جنات . فيرى الأغنياء الذين لاحظهم من عالم الجبال أنهم في خفض وفي دعة وفي سعة وقد فاقهم الفقراء
والخدم الذين في قصورهم والباعة في الطرق . فهؤلاء فاقوهم في السعادة والحظوظ الدنيوية وهم لا يعلمون
وقد اكتفوا بالمظاهر التي لا تحس بها قلوبهم وقنعوا بما يمتلئ به الناس اليهم وهم لا يعلمون أنهم أشقياء في
هذه الحياة . وهذا هو المعنى الذي ظهر لشاعر انجليزى ولشاعر آخر اسمه *وليم وتون* وقد ترجمت شعرهما
وأنا مدرس بالمدرسة العباسية باسكندرية لتلاميذها وهذا هو الشعر المذكور ذكرته هنا لتعلم أيها الذكي كيف
كانت العقول البشرية وأصحاب النفوس الشريفة قد اصططحت واتفقت على المعاني التي أنزلها الله في القرآن
الكريم لأنه أنزل للناس كافة - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وإذا كان رحمة للناس كافة فاذن يكون موافقا
لجوهر أرواحهم مناسبا لفطر الأصلية مستتخوذا على المعاني العالية التي اشتركت فيها الأرواح الصافية الخالية
من الأغراض البعيدة عن الأهواء التي تغترف المعاني من بحار الأنوار المشرق من وراء الحجب الذين يأنسون
بعالم الجبال وهم بعيدون عن التأثير بالأحوال الانسانية العارضة الشاغلة لأهل هذه العصور وإن كانوا في أم
ظلمة ودول جشعة سيقتلها الحرص والطمع ولو بعد حين

أيدوق الفقراء السعادة أكثر من الأغنياء ﴿١﴾

(من شعر ترانس الشاعر الانجائزي)

قوم صفت الدنيا لهم * وسواؤهم وهو عجب
فيها شمس وبها قمر * لم تحجبهم عنها حجب
فاذا ما اغبرت بأفتهم * مقدار الظفر له غضبوا
وفريق عاش ودهرهم * ليل فيه السود النوب
فاذا لمحوا من بارقة * فرحوا جندلا وبهم طرب
هذا مثل فيه عظة * لنوى التوفيق اذا ضربوا
فانظر زمرا سكنوا مصرا * وبنوا قصرا ولهم ذهب
ولهم نعم فيها نعم * فاذا راحت فلها لب
يشكون الدهر وما نصبوا * ان شاكرهم وبرصحبوا
فكأن الفضل بما طلبوا * مما من عليهم حرب (١)
وكأن المال جهنمهم * وثرأ المال لهم عطب
وترى رهطاً سكنوا الأكو * خ فذا شعر هذا قصب
وحياتهم في محضمة * ومعيشتهم أبدا وصب
جدوا الرحمن على نعم * وبه فرحوا وله انتسبوا
فكأنهم لما سلبوا * ما أعطاهم منه كسبوا
فالجب كساهم من حبل * وبكأس سعادته شربوا

﴿ وصف السعداء في الدنيا ﴾

(من شعر ولیم وتون الشاعر الانجائزي)

الأحبذا من عاش في الناس ألبا (٢) * ذكي فؤاد لم يكن قط إمعه (٣)
يصول بسيف الحق والحق أبلج * اذا اضطرب الأهواء في كل معمه
ولم يك عبدا طائعا كل شهوة * الى الموت تاقت نفسه وهو في دعه
فلا أوثقه شهوة بوثاقها * الى هذه الدنيا ولا المال أطمعه
ولم يغبط القوم الذين سمت بهم * مصادفة أو يستهانوا مع الضعه
وما غره مدح ولا شرع واضح * ولكن صوت العدل في القلب أقمعه
فيأوى الى الركن الشديد ضميره * فنزه تاريخ الحياة وأبدعه
وصار كفاف العيش لا الحب (٤) طاعم * لديه ولا الطاغى اذا رام ضعفه
يصلى على حين العشيات والضحي * لوجه جلال الله لا وجه منفعه
ويوم فراغ النفس تلقاء قارنا * كتاب نبي أو مسامر من معه
فهذا هو الحر الذي عاش مسعدا * فلا خوف يخشاه ولا حرص أوقعه
مليك قياد النفس لا ملك الوري * ولم يك ذا مال بل الملك أجمعه

فانظر كيف وصف شعراء أوروبا حال الأغنياء أولا وكيف بينوا أن السعيد إنما يكون سعيدا بصفات الكمال والقناعة والوقار لا بالشهرة الكاذبة والمدح وكثرة الغنى . هذا بعض ما يفهمه علماء الاسلام من قوله

(١) سلب المال (٢) الذكي (٣) الذي لا رأى له (٤) الخبيث

تعالى - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا - وإياك أن تظن أن المسلم خارج عن دائرة العيشة الضنك غنيا كان أو فقيرا إذا كان قلبه غافلا عن ذكر الله وعن الصلاة . فكم من المسلمين من يصابون بصومون ويعبدون وهم أجسام خاوية ونفوس خالية وعقولهم ذاهبة . إياك أن تغتر بأنك مسلم أو مؤمن . إياك أن يغرك ذلك فليس لك حظ من الإسلام إلا على مقدار تشرب نفسك بهذه المعاني وحب الله وحضور الأمور العالية في ذهنك إذا أردت أن تحظى بالمعيشة السعيدة بقدر إمكانك في هذه الدنيا فاسمع ماسياقي بعد آيات في هذه السورة واسمع قوله تعالى - فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار اهلك ترضى - ان أسرار القرآن ستظهر عما قريب للمسلمين . انظر لكتاب الله تعالى كيف يقول ان من أعرض عن ذكر الله فإن له معيشة ضنكا ثم يأتي بعد آيات في نفس السورة ويصف السوء الناجع لهذه المعيشة الضنك فيقول اصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك انج ومن آناء الليل فسبح ويقول - ولا تمدن عينيك - ويقول - وأمر أهلك بالصلاة - فهذا إذا أسير في تفسير الآيات ليتضح المقام فلنسر في وصف هؤلاء ذوى المعيشة الضنك المذكورين قال الله تعالى (ونحشره يوم القيامة أعمى) البصر والقلب كما كان أعمى القلب في الدنيا (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) فأجابه الله قائلا ليس المدار على البصر الظاهر إنما الأمر موقوف على التعقل والتفكير فأنا لم أحشرك إلا على ما امت عليه وهذا قوله (كذلك) ثم أخذ يفسره فقال (أتتكم آياتنا) واضحة نيرة (فأنسيتها) عميت عنها وتركتموها اتباعا لأبيك آدم وقد نهيتك بقصته فما ارعويت (وكذلك) ومثل تركك إياها (اليوم تنسى) تترك في العمى والعذاب (وكذلك نجزي من أسرف) بالأنهمالك في لذاته والاستغراق في أسباب الحياة الدنيا وهو معرض عن آياتنا (ولم يؤمن بآيات ربه) فكذبها (ولعذاب الآخرة) وهو الحشر على العمى وعذاب القبر والنار (أشد وأبقى) من ضنك العيش لأن العذاب الفاني أقل من العذاب الباقي . لقد وعد الله المعرضين عن ذكره تعالى ﴿ بعدابين ﴾ في الدنيا بالضنك والذل وفي الآخرة بعذاب جهنم وبالعنى الحقيقي ثم ختم الآية بأن العمى في الآخرة وعذابها أشد من ضيق العيش في الدنيا . فما أوضح هذا القول وما أعجبه . ولما كانت حياة الأفراد مقيسة على حياة الأمم كما نذب لذلك أفلاطون في كتاب جمهوريته الذى وضعه على لسان أستاذه (سقراط) إذ قال فيه ان الأمم لا تتم مدنياتها إلا ﴿ بأربعة أشياء ﴾ حكام مفكرين بحكمة وعقل وجيوش منظمة مدربة خاضعة لآراء رؤساء المدينة وعامة قائمين بواجباتهم من صناعة وتجارة وعمارة وزراعة وأدب وطاعة تامة فهؤلاء الأقسام الثلاثة اذا قام كل منهم بما أوجبه القانون عليه . فالرؤساء حكماء والجيوش مطيعون والعامة ممثلون أمر الفريقين كانت هذه الصفة هي العدل واذن لاسعادة لأمة إلا بهذه الأربعة . حكمة في الرؤساء وشجاعة في الجنود وعفة في العامة وعدل بانتظام هذه الأحوال الثلاثة والتماهي وانتظامها . ثم قال بعد ذلك وهذه اذا كانت أحوال الأمة فأحوال الانسان الفرد تقاس على حال المجموع . فلتكن قوتنا الشهوية لللبس والمطعم والزوج أشبه بالعامة في الأمة . وقوتنا الغضبية طاعة لقوتنا العقلية فلان تحرك لعمل بطريق الغضب إلا اذا كان العقل يأمر به وقوتنا العقلية قائمة بالحكمة والعلم دراسة مفكرة . وبانتظام هذه الثلاثة يكون العدل فالانسان لاسعادة له إلا بهذه الأربعة ومنها تفرعت جميع الأخلاق ﴿ العفة . الشجاعة . الحكمة . العدل ﴾ . هذا ملخص جمهورية أفلاطون ذكرتها لك هنا لتجب كيف ذكر الله الآيات الآتية بعد السابقة ذكرها ليقس حال الأفراد على حال المجموع . فانظر كيف جاء القرآن بما هو ملخص الفلسفة العالية الموضوعة في كتاب عظيم ضخيم . انظر كيف لخصها في بضع آيات فقد ذكر الأشخاص الذين عاشوا عيشا نكدنا في الدنيا وسيدشقون في الآخرة . وهذا العيش النكد باعراضهم عن ذكر الله وهذا هو علم الحكمة ويتبعه سائر ما تقدم . ثم أتبعه بذكر أحوال الأمم الجاهلة قال (أفلم يهد لهم) أفلم يبين لهم اهلا كنا من قبلهم من القرون

وهم يمشون في مساكنهم ففانهم يبين هو المأخوذ من قوله تعالى (كم أهلكنا قبلهم من القرون) يمشون في مساكنهم) أى حال كونهم يمشون في ديارهم ويشاهدون آثار هلاكهم . أفلا يقيسون أحوال الأفراد على أحوال الأمم . أفلا يفكر كل واحد في نفسه أن الله الذى أهلك هذه الأمم هو الذى يهمل الأفراد معاملة الأمم والفرد طبعه طبع المجموع مقيس عليه كما يعرفه فلاسفتكم في الأرض بقولهم وذكائهم فكيف غفل الناس عن ذلك . ونحن كما عذبنا الأمم بهلاكها نارة وبتفويض عيشها بالحرب والضرب والقتل نسهل كل ذلك بالإنسان الواحد فتارة نأخذ بهتة وتارة نبقى ونجعل في معيشة ضئيلة . وإن الإنسان ليسهل عليه أن يدرس الأمم وأحوالها فليقس نفسه عليها . وأنا لم أؤخر العذاب عن هذه الأمم بالكافرة من قریش وغيرهم إلا لكلمة سبقت منى في اللوح المحفوظ وفي علمي القديم أن أؤخر العذاب عن بعض الأمم لأنى أردت أن أثبتهم لعالمهم يؤمنون أو تخرج منهم ذرية مؤمنة (ولولا كلمة سبقت من ربك) أى الحكيم بتأخير العذاب عن أمة محمد ﷺ (لكان) العذاب المماثل لما نزل بعد وثود وغيرهما (لزاما) لازما لهؤلاء الكفار (وأجل مسمى) عطف على - كلمة - أى ولولا العدة بتأخير العذاب وأجل مسمى لأعمارهم أولعذابهم وهو يوم القيامة أو بدر لكان العذاب لزما

﴿ فصل في الكلام على سعادة الإنسان في الدنيا وكيف لا يعيش معيشة ضئيلة ﴾

اعلم أن الله بعد أن ذكر حال الذى يعيش معيشة ضئيلة وبين أن العقل المحجوب الذى فى غشاء عن ذكر الله معذب صاحبه فى الدنيا وإن كان غنيا وأن عذابه فى الآخرة تبع لعذابه فى الدنيا وأن حاله مقيس على حال الأمم وأن الفرد كالأمة - ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة - أتبعه بذكر الدواء لهذا الداء لينبه المسلمين إلى الحياة السعيدة . وأن كلمة الشهادتين والاسلام الظاهري مع غفلة القلب لا يكفيان لها فأمر نبى ﷺ بأربعة أمور ﴿ الأول ﴾ الصبر ﴿ الثانى ﴾ العبادة مع حضور القلب ﴿ الثالث ﴾ أن لا يتعلق بأمور الدنيا فيشتهى مثل ما عند الأغنياء ﴿ الرابع ﴾ أن يأمر أهله بالصلاة ويصطبر عليها . هذه هى الشرائط الأربعة لسعادة النفس فى الدنيا وأن الإنسان لا يكون فى عيشة مضئيلة

﴿ الأمر الأول . الصبر ﴾

قال تعالى (فاصبر على ما يقولون) من الشتم والتكذيب مادمت غير قادر على تأديبهم وتهذيبهم حتى يأتىك الأمر بالجهاد

﴿ الأمر الثانى . الصلوات ﴾

وهى الصلوات الخمس مع صلاة الليل وهى التهجد (وسبح) أى وصل (بحمد ربك) أى وأنت حامد لربك على هدايته وتوفيقه معترفا بأنه المولى للنعم كلها بأن تقول فى صلواتك - الحمد لله رب العالمين - الخ وليكن ذلك (قبل طلوع الشمس) وهى صلاة الفجر التى تكون فى أوقات الصفاء والجمال والبهجة واشراق الجوّ بنور بهج بديع مشرق مذكر بالنور الإلهى المالى للكون (وقبل غروبها) وقت الظهر ووقت العصر وقد أزلت ترحل من العالم الأرضى إلى عالم أرضى آخر فتكون الصلاة فى هذين الوقتين للاعتراف بما حباه الله للناس من النور الذى أكسبهم حياة ومعيشة وسبب لهم الخيرات والنعم وحاطهم بأصناف الكرامات من جنات وأعنان وسحاب وضياء به يبصرون طرقهم (ومن آتاء الليل فسبح) الآتاء جمع إني بالكسر والقصر أو آتاء بالفتح والمد أى الساعات يقول صلّ فى ساعات الليل المغرب والعشاء وصلاة التهجد فان هذه الأوقات هى التى يشعر القرب بالله تعالى ويسجد ويقرب منه لأن المشاغل الدنيوية ليس لها سلطان على القلب إذ ذاك كما قال تعالى فى آية أخرى - إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قبلا - أى أشد مواطأة وموافقة وأبين قولاً ففيها يوافق القلب اللسان ويخاطب ربه ويفرح به ويفيض عليه الأنوار والبهجة . وليس يعرف ذلك

المسلم إلا بالتجربة أما مجرد السماع فلا يكفي وأما قوله تعالى (وأطراف النهار) فإنه تكرر اتصال الصبح وصلاة المغرب وهو مطوف على ... قبل ... يقول الله سبحانه في هذه الأوقات (أهلك ترضى) أى رجاء أنك ترضى بالبناء للجهول أى يرضيك الله بالاهتمام والمسرات النفسية والأنوار القلبية والهداية والتوفيق وأن تكون هاديا للناس وفي الآخرة بمشاهدة الله الذى كنت تشتاق إليه وأنت حى فى الدنيا أو بالبناء للفاعل أى تنل عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك فى الدنيا والآخرة

(الأمـر الثالث)

قال تعالى (ولا تمدن عينيك) أى نظر عينيك (إلى ما متعنا به) استحسننا له وتمنيا أن يكون لك مثله (أزولجا منهم) أصنافا من الكفرة ثم أبدل منه قوله (زهرة الحياة الدنيا) أى ذوى زهرة الحياة الدنيا . ولا جرم أن الزهرة ذابلة قريبا والثمر هو الباقي (لنفتنهم فيه) أى لنبلوهم ونحشرهم فيه (ورزق ربك) وهو الهدى والتوفيق وثوابهما (خير) مما منحوها من الدنيا (وأبقي) فإنه لا ينقطع . ثم أعلم أن الرزق الذى جاء فى هذه الآية ينتهى إلى مشاهدة الله تعالى والاستغناء به عن عالم المادة لأنه هو المصدر الأول لكل نعمة فإذا اقتنع الجهال من سائر الأمم بالمال والمناصب وهى زائلة بل قواهم نفسها مضمحلة ذاهبة فى هذه الدنيا قبل الآخرة فإن أرباب النفوس العالية لا يقرّ لهم قرار حتى يشاهدوا مبدأ هذا الجلال البارع . أنهم لا يحبون شيئا إلا أن يروا ربهم وهذه الرؤيا لا معنى لها إلا العاوم والمعارف الشريفة التى تنتهى بالمشاهدة اللائقة لذلك المقام لا مشاهدة الحواس . وأهلك تقول هذه خطوة كبرى . أقول لك انها من حديث البخارى ومسلم فعن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال انكم سترون ربكم عيانا كما ترون هذا القمر لاتضامون (١) فى رؤيته فان استطعتم ألا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ - وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - اهـ

إن هذا الحديث خير مفسر لهذه الآيات . يقول الله تعالى صلوا صلواتكم الخمس وصلوا تهجدوا بالليل ذلك لأتجلى عليكم إذا وجهتم قلوبكم إلى فى نفس الصلوات وإياكم أن يشغلكم المال واللذات الفانية فأنما المال زهرة والعلم ثمرة ولا ثمرة إلا أن تشاهدوني فلامال الدنيا ولا الجنة فى الآخرة بمقنعين ذوى العقول دون أن يرونى . وكيف يرونى إلا باستحضارى فى قلوبهم . وكيف يستحضرونى فى قلوبهم إلا فى خلواتهم ولا خلوة أفضل من خلوة القلب فى الصلاة ولا تتم الصلاة وخلوة القلب فيها إلا باحتقار المال وعدم تمنى ما عند الناس وعدم الاحتفال بهذه المادة فان كنت غنيا أو فقيرا فليكن المال عندك كنز هرة والعلم كنز ثمرة ومتى دمت على ذلك ومت فانك ترانى وتشاهدنى أيها العبد مشاهدة حقة ولا تظن أن قيامك بأمر أمتك وعملك لهم يمنعك من ذلك فن أحسن لعبادى فقد تقرب إلى بهذا الاحسان

(الأمـر الرابع)

قال تعالى (وأمر أهلك بالصلاة) وأمر أهل بيتك والتابعين لك من أمتك بالصلاة كما أمرت أن تصلى أنت (واصطبر عليها) ودوام عليها (لانسألك رزقا) لانسألك أن ترزق نفسك وأهلك (نحن نرزقك) وإياهم ففرغ قلبك لأمر الآخرة (والعاقبة) المحمود (للتقوى) لذوى التقوى وكان عروة بن الزبير رأى ما عند السلاطين قرأ - ولا تمدن عينيك - الآية ثم ينادى الصلاة الصلاة رحيم الله . وكان بكر بن عبد الله المزنى إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا فصلوا بهذا أمر الله برسوله . وعن مالك بن دينار مثله وفى بعض الأسانيد أنه كان عليه الصلاة والسلام إذا أصاب أهله ضرر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية

وإياك أن تظن أن هذا معناه أن تقعد عن الكسب بل معناه أن تسعى فى الكسب وقاوبنا مع الله كما

(١) لاتضامون من الانضمام وهو الازدحام فهو بتشديد الميم

ان العاشق المحب يسعى في جمع كلمة أهل العروس على حبه ويسعى في جمع المال وكل ذلك لا يمنع من الفرح والغرام بنفس العروس فهو يسهر ويكد ويحصل للاجتماع بها فيجمع المال ويلطف أهلها ويتوسل بأصحاب أيها وهي في نفسه الشغل الشاغل بل كل أعماله موجهة اليها . ناهيك ما ترى أن المسلمين مأمورون أن يصلوا صلاة الخوف وهم متلبسون بالحرب فتكون المدافع والرشاشات منصبة عليهم وهم محذورون في التكبير وذكر الله . فاذا سمعت أن النبي ﷺ يصلي إذا أصابه ضرر وهكذا ابن دينار وغيره فاعلم أن هؤلاء هم أنفسهم الذين فتحوا البلاد ودوخوا الممالك وما كان ذلك وهم يصلون بل كانوا يحاربون ويصنعون الأسلحة ويشتهونها ويفعلون من المؤامرات السرية والاستحكامات العسكرية ما أعجزوا به أهل زمانهم . فالله في هذا أن يكون القلب بذكر الله معمورا وبالعامل في الدنيا مجتهدا . ولوانا تركنا القول بدون هذا التعليق لظن البعض أن ذلك كاف في الحياة . وأمثال هذا القول والأخذ به وحده هو الذي أضاع على الأمة دينها وديارها فيظن من لا عقول لهم أن الدين ليس فيه إلا هذا مع أن هذا أحد طرفي الدين والطرف الآخر أعمال الحياة من جهاد وصناعة الخ فتأمل . وبهذا تعرف معنى قوله تعالى - يضل به كثيرا - أي من أخذوا بأحد شقي الدين من القرآن - ويهدي به كثيرا - أي من أخذوا بجميع أطراف الدين فلا أعمال القلب تلهيهم عن أعمال الجوارح ولا أعمال الجوارح تلهيهم عن أعمال القلب . وهذا هو الحق الصراح . فأما الكسالى منهم فهم الذين فهموا في الدين غير هذا فعطلوه وعطلوا أهلهم فأخذتنا أوروبا وأذاقتنا سوء العذاب الهون ومزقتنا كل ممزق وسيلتم الصدع وينضم الجمع ويتم الأمر ويرقى المسلمون وإلى مجدهم يرجعون وذلك في أقرب الأوقات ولما كانت الآيات السابقة التي فيها الشروط الأربعة للسعادة في الدنيا وتبعتها الأخرى قد جاء فيها الصبر على ما يقولون وانه أول الشروط أخذ هنا يبين ما يقولون لتأسى بالنبي ﷺ ولنصبر كما صبر ولا نبالي بما يقال فان العاقبة للتقوى فقال (وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه) أي هلا يأتينا محمد بآية من ربه تدل على صحة نبوته (أولم تأتوهم بينة مافي الصحف الأولى) الهمزة للاستفهام الانكاري للتقرير . يقول لهم يا أيها الكافرون كيف تطلبون آية أو ما عرفتم ما جاء في القرآن لاسيما مافي هذه السورة من قصص الأولين ونبأ المرسلين كموسى وذلك ملخص ما جاء في التوراة في مواضع مختلفة وصحف متفرقة . وكيف كانت هذه الزبدة ملخص علوم وآراء لو عمل بما فيها لكوّنت أمة ولأقامت شعبا كبيرا إذ جاء فيها أن العلم لا يبنى إلا على الحقائق وأن معجزة موسى بعصاه وبيده لم يؤمن بها إلا العلماء من السحرة . أما إيمان الجهالة من بني اسرائيل فقد زلزل السامري بجعله فكيف تطلبون مني آية على صدق نبوتي تؤمنون بها زمانا ما ثم تنسج عليها عناكب النسيان اذا ظهر فيكم من بدعي نبوة أو ولاية وأتى بما هو من قبيل التخجيل السحري فانكم تتبعون ذلك وتتركوني وتكون كل آرائكم موجهة الى من فعل ذلك ولو كان على ديني كما اتفق لبعض المسلمين الذين أظهروا غرائب فظنهم الناس أنهم اتصلوا بالعرش فهم مؤمنون بالنبي ﷺ ولكن قلوبهم معلقة بأوثانك الشيوخ لا يسمعون إلا لقولهم ولا يريدون سواه وان كانوا مؤمنين . فيقول الله هنا أما كفاكم يا أهل مكة ما قرأتم في هذه السورة من أن ما تقترحونه من الآيات كزراعة جبال مكة أو تفجير الأنهار أو غيرها لا قيمة له في اتباع الأنبياء وانما المدار على العلوم العقلية قال تعالى (ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله) أي من قبل سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (لقالوا ربنا لولا) هلا (أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك من قبل أن نذل) بنزول العذاب (ونخزي) في العقبي (قل كل) أي كل واحد منا ومنكم (متربص) منتظر للعاقبة (فتربصوا) أي فانظروا أنتم (فستعلمون) يوم بدر أو يوم القيامة (من أصحاب الصراط السوي) المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة نحن أم أنتم . انتهى التفسير اللفظي للمقصد الثالث من سورة طه . وهنا (أربع لطائف) اللطيفة الأولى في قوله تعالى - وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا - إلى قوله - وقل رب زدني علما -

اعلم أن الأحكام التي تشتمل عليها الشرائع ومنها القرآن ستة : الاعتقادات . العبادات . المشتبهات . المعاملات . الزاجرات . الآداب الخلقية . فالاعتقادات خمسة أثبات وجود الباري جل ثناؤه بصفاته وأثبت الملائكة الذين هم السفراء بين الله وبين خلقه والكتاب والرسول والمعاد وقد انطوى على ذلك قوله تعالى : ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وما العبادات ثمانية : الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد والاعتكاف والقرايين والكفارات . وأما المشتبهات فهي أربع : المأكولات والمشروبات والمنسكوبات والملبوسات . وأما المعاملات فهي أربع : المعاوضات كالبيع والاجارة ومايجرى مجراها والمخاصمات كالدياوى والبيئات . والأمانات كالودائع والعواري . والتركات كالوصايا والمواريث . والمزاجر خمس : منجزة عن فوات الأرواح حفظا للنفوس كالقصاص والدية ومنجزة لحفظ الأعراض كحد القذف والفسق ومنجزة لحفظ الأنساب كالجلد والرجم ومنجزة لحفظ الأموال كالقطع والصلب ومنجزة لحماية البيضة للمرتد وقتال البغاة . وأما الآداب الخلقية فتلاثة

(١) ما يختص به الانسان في نفسه واصلاح أخلاقه : لعلم والحلم والسخاء والعفة والشجاعة والوقار والتواضع
(٢) وما يختص به في معاشرته وذويه ومختصيه : كبر الوالدين وصلة الأرحام وحفظ الجار ورعاية الحقوق ومواساة أهل الفقر وامصرة المظلوم واغاثة الماهوف

(٣) وما يختص به أولوا الأمر من سياسة الرعية . انتهى من مقدمة التفسير للعلامة الشهير أبي القاسم الراغب الأصفهاني . وقال في نفس هذه المقدمة أيضا مانصه

﴿ إن الناس لن يتساووا في معرفة القرآن وانما يفاضلون منه بحسب درجاتهم واختلاف أحوالهم فالباغاء تعرفه من فصاحته والفقهاء من أحكامه والمتكلمون من براهينه العقلية وأهل الآثار من قصصه ما يجبهه غير المختص به . وقد علم أن الانسان بقدر ما يكتسب من قوته في العلم تتزايد معرفته بغوامض معانيه وعلى ذلك أخبار النبي ﷺ * قل ﷻ نصر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها كما سمعها حتى يؤديها الى من لم يسمعها فرب مبلغ أوعى من سامع ﴾ انتهى

وهذا يوضح لنا معنى قوله تعالى - وقل رب زدني علما - فالزيادة في العلم تزيد الانسان فهما في القرآن وقراء هذا التفسير يعرفون هذا حق المعرفة لأن العلوم في هذا الزمان قد برعت وأظهرت ما كان خافيا على الأمم المتقدمة وهذا سر قوله تعالى - وقل رب زدني علما - . فعلى المسلم أن يزداد علما حتى يدرك مقاصد القرآن ومراميها

وقال أيضا تحت عنوان ﴿ فصل في انطواء القرآن على البراهين والأدلة ﴾ مانصه ﴿ قال عليه الصلاة والسلام إن لكل آية ظهرا وبطنا ولكل حرف حدا ومطلعا (لاعلى ماذهب اليه الباطنية) ومن هذا الوجه كل من كان حظه في العلوم أو فركان نصيبه من علم القرآن أكثر ولذلك اذا ذكر الله تعالى حجة على ربه وبته ووحدانيته أتبعها بإضافتها الى أولى العقل ومرة الى أولى العلم ومرة الى السامعين ومرة الى المفكرين ومرة الى المتذكرين تنبيها على أنه بكل قوة من هذه القوى يمكن ادراك حقيقة منها وذلك نحو قوله تعالى - إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون - وغيرها من الآيات ﴾ انتهى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - وقل رب زدني علما - أيضا ﴾

اعلم أن هذا العالم الذي نعيش فيه يخاضع بعضه بعضا - إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا - ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها - ومن السجود لله أن يكون الخلق نافعاً لغيره شاء أم أبى ويستنتج من صفات هذا العالم أن النفوس الانسانية لا تنال سعادتها إلا اذا صفت سرائرها وكانت نسبتها الى العالم كله واحدة بحيث يستوى عندها المحبوب والمكروه وتعمل الخير لأجل الخير لا لأجل منفعة

وهذه المقدمة سقتها لأقول . قد خدم السمك الصغير في البحار السمك الكبير فأكله . فهذا قدّم جسده وهو كل ما في مقدّراته وقدم السمك كبيره وصغيره أجسامه للإنسان وتنت البقر والغزلان والبقر وغيرهما من سائر الحيوانات الوحشية أجسامها قربانا للزبد والنور وخلفت البقر أغلافيها للأغراء وجلودها وهذا جلود النعم وغيرها لمنافع الناس . وهكذا الصناعات في كل أمة من أمة الأرض إذا اخترعوا صناعة حديثة يخدمون نوع الإنسان كله إذا سار في سبيلهم شأواً ذلك أم أبوا . فترى من اخترع البخار والكهرباء والبريد الذي له سلك والذي لا سلك له ومن اخترع قطار سكة الحديد ومن اخترع (الراديو) والآلة الحاسبة (الفوارغراف) كل هؤلاء قدّموا عملهم لنوع الإنسان كما قدّم الحيوان لحمه وجلده له . ولا يمرى أنه لا فرق بين صانع آتقن صنعة فقلده سواء وهو لا يقصد ذلك وبين (نمر) مات وترك جلده لنوع الإنسان كلاهما لا يقصد له . إذن هما سيات . إذن لا خير في عمل يعدّه الإنسان للنفع العام إلا إذا قصد ذلك . وهذا معنى الحديث ﴿ إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ﴾

إذا عرفت هذا فانظر إلى النبوة . إن النبوة يقصد منها الهداية العامة وليست كصناعات الصانع أو نحوها بل هذه يراد بها قصداً هداية الناس . فإذا رأى الله عز وجل فطر العالم كله على مقتضى صفاته وهي افاضة الخير فإن كل موجود مستعد لافاضة الخير على غيره والكل أكثر ذلك بلا قصد فالله هو العالم الحكيم وهذه المخاوف لا تلحقه في ذلك الوصف . أما الأنبياء ومن اقتفوا آثارهم فهم يصنعون الخير قاصدين نفع الناس مقتدين بفعل ربهم في خاقه فهو مفيض للخير وهو عالم وحكيم . والأنبياء درجات فمنهم من أرسل لقومه ومنهم من أرسل للعموم فانك تسمع الله يقول . والى عاد أخاهم هودا . والى ثمود أخاهم صالحا . ويقول . ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور . ويقول في النبي ﷺ في نفس السورة قبل ذلك . كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور . إذن رسول الله ﷺ مرسل إلى الناس والأنبياء كل رسول مرسل إلى قومه . وتسمع الله يقول . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . وهنا وصلنا إلى المقصود . رسول الله ليس كالأنباء في الاختصاص بأمة والأنبياء ليسوا كأرباب الصناعات بحيث يتعدّاهم النفع لغيرهم وهم لا يقصدون . إذن رسول الله أرسل للناس جميعاً ليفهموا وهو يقصد ذلك . فإذا حصل . لما ظهر الإسلام ماجت الأرض واضطربت ، لماذا اضطربت لأنه قال اني أرسلت إلى جميع الناس وقال ﴿ أصرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ﴾ . فإذا حصل فتحوا فارس والروم . وماذا حصل امتد الفتح إلى أقصى الشرق . فهناك حصل ﴿ أمران عظيمان ﴾ وهما السيل الجارف الذي جاء من أوروبا بالحروب الصليبية ونظيره من الشرق حرب المغول والتتر وهم يأجوج ومأجوج المتقدم شرحهم شرحاً وافياً في سورة (الكهف) . هنالك تداخل العالم بعضه في بعض شرقاً وغرباً . وذلك كله تتم في الألف الأول من التاريخ الإسلامي . أما الألف الثاني الذي نحن فيه فانه قد ظهرت فيه ثمرات ذلك التداخل بين الشرق والغرب واستنار الناس شرقاً وغرباً كل بقدره . تقدم في آخر سورة الكهف أن نوع الإنسان مضى له على الأرض (٣٠٠) ثمانمائة ألف سنة . وهذا وإن كان أمراً تقرّيبياً يمكن الاتئناس به . وقد جاء أن الرسل فوق ثمانمائة رسول . هذه ثمانمائة ألف سنة أو أقلّ أو أكثر هؤلاء الرسل الذين أرسلوا لهم لم يأذن الله لرسول منهم في تلك الأيام أن يعلن صوته للعالم ويقول يا أيها الناس إن رسول الله اليكم جميعاً ولكن أعلنه آخر رسول ولما أعلن هذا الاعلان ماجت الأرض وهاجت وقرأ الغربي عاوم الشرق وبالعكس فصلت هذه المدنية التي نحن فيها الآن ولم يتم هذا إلا بالرسالة . إن رسول الله ﷺ رحمة لأهل أوروبا والصين واليابان وأمريكا لأن هؤلاء جميعاً لم تتم لهم هذه المدنية إلا بسبب انتشار الإسلام وتداخل الأمم ولولا هذا التداخل لم يتم شيء من هذه المدنية . والدليل على ذلك أنه لم يتم شيء من هذا في التاريخ الذي بلغنا وربما كان في أزمان نحن نجهلها الآن

إذن المدنية الحاضرة ثمرة الاسلام والاسلام جاء به رسول الله ﷺ الذي أمره الله أن يدعو فقال له - وقل رب زدني علما - وفرق بين قوله - رب زدني علما - وقوله فيما تقدم - الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - فهناك ذكرت ليصرف الناس حقائق ما في السموات والأرض لأن الله جعل جملة منوطا بمسرفة ما في السموات والأرض والظلمات والنور أي اننا نحمد الله على هذه البدائع والعجائب . أما هنا فهو يأمره أن يقول - رب زدني علما - فأني بياء المتكلم أي ان الزيادة نافعة لي مباشرة فلذلك طلبها وقال - رب زدني علما - وإذا دعا محمد ﷺ ربه بأن يزيده علما فأتمت مأمرة كما أمر هو أن يزيده علما . فإذا أمر بالسعاء بالزيادة فقد أمر بالزيادة تبعا وأتمت تبع له ويتبع هذا أن يزيد العلم في أمة الدعوة كلها لأنه ﷺ جاء للرحمة العامة فكأنه دعا بزيادة العلم لجميع أهل الأرض لأن أمة مأمورة بزيادة العلم كما أمر هو وازدياد علمه هو سيتبعه الانتشار فيعم الأمم وقد حصل هذا كله فإن الأمم الاسلامية أولا أثارت نائرة الكتب اليونانية ثم لما نشرت علومها جاءت أوروبا فأخذتها وزادت عليها ثم جاءت الصين واليابان . كل هذا سر - زدني علما - . وإذا قال نبي - زدني - فليس ذلك كقول آحاد الناس . ان الجامع يقصد نفسه والعالم يقصد العموم والأنبياء أعم فهم كالشمس . فإذا قالت الشمس يارب زدني نورا فليس لهذا معنى إلا أن تفيض النور على غيرها ولو بواسطة القمر فلذلك من مقصودها . فإذا رأينا العلم انتقل الى المشرق والمغرب وازداد ثم ازداد فهذا من آثار - رب زدني علما - ولأذكر لك في هذا المقام ﴿ ثلاثة أمثلة ﴾ من ازدياد العلم في العالم الذي نعيش فيه

(١) مثال لما في قاع البحر من العجائب في العلم الحديث

(٢) مثال لما فوق الأرض من بدائع علم الحياة

(٣) مثال لما في عالم الجو والسموات من غرائب الابداع

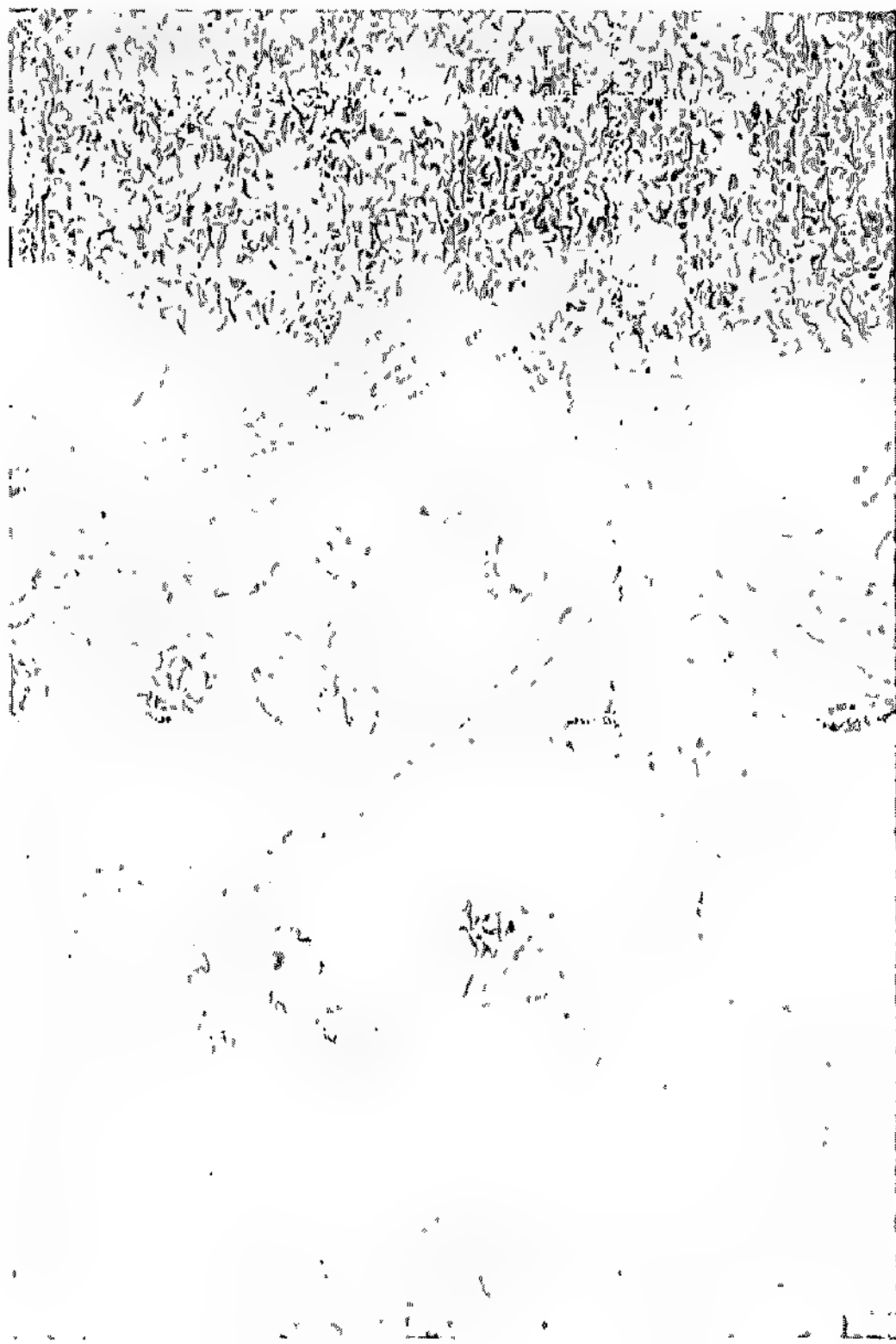
﴿ المثال الأول في مسألة المطاط (الكأوتشوك) ﴾

إن المطاط أو (الكأوتشوك) تقدم الكلام عليه في أول سورة يونس صرسرما موضعا منافعه وخواصه العامة . وقد قلت هناك ان الله جعله قليلا في الأرض لينصب الناس في تحصيله الخ وما كنت أعلم ماتم بعد ذلك . فانظر ماذا جرى . رأيت أميركا والمانيا أن البقاع التي فيها الكأوتشوك تحت سيطرة الانجليز وقد عمت الحاجة اليه . فإذا يصنعون . أخذ أهل أميركا يجلبون عسى أن يظفروا بمادة تقوم مقام (المطاط) كما أمكنهم أن يستغيضوا عن الجلود بمادة أخرى فونق أحدهم أنهم الى مادة في قاع البحيرة المالحة الكبرى في أميركا ورأى أنها تصلح بعد مزجها بقليل من المطاط البالي المنبذ لتكوين مطاط كالعتاد المستخرج من الشجره وماهى تلك المادة . هي نوع من (النفط الاسود) وجدت تحت قاع تلك البحيرة بعمق يختلف من ١٢٥ قدما الى ١٤ قدما وهذا النفط أسود يشبه في كثافته عسل القصب وفيه ٩٩ من المائة من زيت كبريت جامد نشأ من بقايا حيوانات قديمة مندثرة وبقى مخزونا بين طبقات من الطين في منطقة تبلغ مساحتها ألفي فدان عند شاطئ البحيرة الشمالى . فهذا النفط ينقى ويمزج بالمطاط البالي وهو أفضل اقتصادا من المطاط الشجرى المتقدم وثمنه أقل من ربع ثمن المطاط المعتاد ويكفى لكل ستين جزءا من النفط المذكور أن يضاف ١٤ جزءا من المطاط المستعمل . اما الألمان فانهم يقومون الآن بتجارب أخرى في ألمانيا لصنع المطاط كله من مواد كيميائية ليسهل وجودها في كل مكان وتقول الصحف الألمانية انها مستبشرة بالنجاح انتهى فانظر لهذا الانسان كيف خلق الله له المطاط وقاله ولكنه في زماننا أكثر له العجلات والأدوات المتحركات التي تحتاج الى المطاط فكأنه قال . أيها الناس . هاأنذا خلقت لكم نموذجا وهو المطاط وقد قللته في الأرض فزيدوا علما واختبروا المواد الأرضية - وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم -

﴿ المثال الثاني ما فوق الأرض من بدائع أسرار الحياة ﴾

تقدم في سورة (الأنعام) عند قوله تعالى - انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه - وصف الثمرات الصغيرة

وهي طلع الأزهار وقد رسمت هناك أشكاله مكبرة باعتبار أن لكل نبات شكلا خاصا لهذه الحبيبات الصغيرة التي بها يكون القاح النبات . فهمنا نذكر أمرا عجيبا . ذلك أن الناس في عصرنا لم يوفقوا إلى معرفة الشيء الذي يبعث الحياة في الأحياء (وبصورة أخرى) لم يصابوا لسر الحياة ولم يقدروا أن يصوروا نمو الحياة وحركتها في الأحياء . ولكن الأستاذ (أرثر بيلسبوري) يقول انه وصل إلى تصوير (الجوهر الحيوي في الزهر) ويقول انه يشبه تفاعل الحياة في الحيوان شيئا مذهشا . ومتى تمّ هذا الكشف واعتمده العلماء بعد التجربة تجهل الطبيب قادرا على معرفة ما تتعرض إليه الحياة الأولية في كل جسم من العوامل التي تحدث ضررا في بعض الأعضاء الحيوية وينشأ عنه مرض معين لان المرض عامل طارئ على الجسم يعطل العمل الحيوي المستمر وتظهر أعراض هذا التعطيل فسمى مرضا مميّنا ووظيفة الطبيب أن يعرف مكان العلة ويعطي العلاج لازالتها . ومتى وثق الناس على ذلك عرفوا دواء الداء ونشطوا الأعضاء الخاملة و أصبح جسم الانسان كأنه آلة ميكانيكية في نظر المهندس ، فالمهندس يعرف مواضع خلل الآلة فصاها . هكذا الطبيب في الجسم و أصبح الطب علما يقينيا بعد أن كانت أعماله ظنية . فهذا الأستاذ أمكنه أن يصور ذرات اللقاح وهي متحركة ولم يسبق أحد إلى تصوير ذرات لقاح نباتية حية . وذلك أنه كان في جزائر (هاواي) فرأى (زنبقة العنكبوت) فكشف بين ذراتها اللقاحية وحدة حيوية حمراء اللون فأدرك أنه توصل إلى ما كان يريد وأنه رأى الشيء الذي يبعث عملية الحياة في النبات والشجر فجاء مع تلك الذرات التي لا تظهر للعين المجردة إلا إذا كانت متراكمة ووضع ما اصطفاه منها في نقطة من سائل خاص ووضعها على قطعة من الزجاج ووجه إليها منظاره الخاص فرأى تطور الذرات بعد بضع ساعات وفق منها غشاؤها الخارجي وظهر من داخلها ما هو كالعرق يتاوى كالود وبعد قليل انسلت منه تلك النطفة (وحدة الحياة) . وملخص هذا أن ذرة اللقاح ظهرت من داخلها مادة الحياة وذرة اللقاح المذكورة لا ترى فبالأولى ما خرج منها وهو سر الحياة ولم يمكنه أن يصور هذه المادة إلا بعد أن جعلها مائة ألف ضعف . وهذه صورة سر الحياة (شكل ١٠)



(شكل ١٠ - رسم جراثيم حية في نقطة سائل تمثل نطانات لقاحية تمتزج برأس ورقة أخرى لتكوين الحياة)

المثال الثالث . السفر الى القمر

لعلك سمعت هذا العنوان فاستهجنته كما استهجنته أنا . ولا جرم أن هذا معقول أنه ينبذ . فإذا كان الانسان ليس عالما بأمر فهو ينكره ولكني اطلمت في بعض المجلات على مقال واف معقول فذكرته هنا لذكر المثال الثالث لقوله تعالى - وقل رب زدني علما - فان علم النفط في قاع البحر وعلم سراح الحياة في النبات والحيوان ازدياد للعلم مستمد من قوله تعالى - وقل رب زدني علما - وهذان علما في البحر وفوق الأرض فلندكر زيادة العلم في الجو فنقول

أذكرك بما تقدم في سورة (الحجر) عند قوله تعالى - إن في ذلك لآيات للمتوسمين - فقد ذكرت هناك المتوسمين من أمة الاسلام حين يرون أن القوم يريدون أن يستخدموا الفحم الذي في القطب للأعمال الانسانية وأن يجدوا في تقريب المسافات وجيح الأعمال فارجع اليه هناك . فهناك يفكر بعضهم أن يستخدم سرعة دوران الأرض في تقريب المسافات الخ . أما هنا فان القوم وصلوا الى ما يأتي

ذلك أن القوم في (برلين) و (مونيخ) بألمانيا جربوا في معامل (أوبل) الشهيرة طرازا جديدا من المركبات وذلك انهم لا يدبرونها بالمحركات المعروفة . كلا . بل يدبرونها بجهاز من الأسهم الغازية تقذف الغاز من أنابيب خاصة وتسير بقوة اندفاعه بسرعة عظيمة وقد جربت مركبة من هذا النوع فبلغت سرعتها في ثمان ثوان مسافة عظيمة وقد تعاقدت معامل (أوبل) مع الطيار الألماني (راب) المشهور ليركب طائرة صغيرة تجهز بالجهاز السهمي الجديد وترتفع عن الأرض بسرعة (٥٠) كيلومترا ثم تبلغ سرعتها (٤٠٠) كيلومترا في الساعة وستنشأ طائرة أخرى بعد اتمام التجارب الأولى للسير بسرعة عشرة آلاف كيلومترا في الساعة وطيارة كهذه تستطيع أن تقطع المسافة من الأرض الى القمر في أربعين ساعة فقط . ولكن لاشك في أن المسألة ليست مسألة اجتياز المسافة فقط بل مسألة الصعوبات العظيمة التي لا بد لمحبي السفر الى القمر من تذليلها قبل أن يهزموا على رؤية عالم غير هذا العالم . ويمود الفضل الأول في البحث عن هذا الجهاز السهمي الى الباحث الألماني (ماكس فاليه) وقد كان أول من أنشأ الجهاز ثم أخرج فكرة ذلك الباحث الكبير الى حيز العمل المهندس الألماني (فردريك سندير)

على أن الذين يقومون الآن بهذه التجارب لا يفكرون في السفر الى القمر مباشرة حالما يصنعون طيارة ذات جهاز سهمي بل يريدون أن يعرفوا ما في جو الأرض قبل أن يزوروا جو القمر وسيدون مباحثهم بالارتفاع الى علو عظيم يبلغ عشرة آلاف متر حتى يستطيعوا أن يعرفوا مقدار ضغط الهواء عنده وطرق مقاومته . ولما كان ضغط الهواء ضعيفا جدا على ذلك العلو أملوا أن يستطيعوا انشاء خط جوي بين أوروبا وأمريكا تطير به الطيارات ذهابا وإيابا على ذلك العلو فتجتاز المسافة بين القارتين بسرعة وسهولة عظيمتين بفضل الجهاز السهمي من جهة وضعف مقاومة الهواء من جهة أخرى

واذا جاء الجهاز السهمي بالنجاح المنتظر منه فان الاحتمالات التي تفتح أمام العلم وأمام حركة النقل في العالم ستكون عظيمة جدا لأنه لا بد من أن يحل هذا الجهاز في المستقبل محل المحرك ذي الاحتراق الداخلي الذي تسيربه الطيارات والسيارات والسفن الحديثة اليوم كما حل هذا المحرك محل البخار الذي تقدمه . وهكذا يسير علم النقل من الحمار الى البخار فالزيت ثم الغاز . ومتى كشف الانسان أسرار الكرة الهوائية المحيطة بالأرض فلاشك انه سيشعر في استكشاف ما وراءها ويفكر عندئذ في رحلة الى القمر تبدأ أولا بحب الاستطلاع العلمي وتنتهي عند ظهور نتائج حسنة منها بالسعي الى الحصول على الفوائد المادية . وستظهر النتائج الأولى لتجارب الجهاز السهمي في هذا الصيف ويتاوها درس طبقات الهواء العليا على الأثر فاذا نجحت كلها فان فكرة السياحة الى القمر التي حلم بها (جول فرن) لا تبقى حاما بل تصير حقيقة مشهودة ليطمئن علماء

الاحصاء وقالوا إن الأرض إن تضيق بسكانها بل قبل أن تمتلئ بهم وتجزئ خيراتها عن اشباعهم سيكتشفون أرضاً أخرى في الكواكب السيارة وينتقلون اليها لتخفيف الضغط على هذه الأرض المسكينة . قالوا وفي ذلك الحين تصدر ادارة البريد اعلانات تنبه بها على الناس أن يذكروا اسم الكوكب الذي يقيم فيه الشخص المرسل اليه الخطاب فلا يكتفون بكتابة لفظة (مصر) أو (ألمانيا) أو (انكلترا) للدلالة على المملكة التي يقيم فيها الشخص بل يضيفون اليها الأرض أو القمر أو المريخ . انتهى

أقول أنا لم أذكر هذه المسائل على أنها حقائق ولكن ذكرتها لأبين للمسلمين كيف أخذ العلم يزداد عند الأمم وكيف يفكرون في تلك الزيادة . ذكرتها هنا لقول الله تعالى - وقل رب زدني علما - فكأن هذه الدعوة ظهر أثرها في أمة الدعوة . أما أمة الاجابة وهم نحن المسلمين فهم خلا من حب تلك الزيادة . فأما مسألة العروج الى القمر وقولهم انهم يسكنون هناك أو في كواكب أخرى فهذه أمور خارجة عن الطور الانساني الحالي وتراهم يقولون انها حلم (جون فرن) . وأنا أقول وأنا أيضا حلمت هذا الحلم وذلك اني رأيت في المنام اني طلعت أرض القمر وصرت أقول في نفسي حسن حسن أهل الأرض اذا أرادوا الاستعمار فهذه أرض القمر يسعون وكنت مشغولا بأمر الأشجار وزرعها في مصر لأجل الطيور المتقدمة ذكرها في سورة يونس فرأيت في أرض القمر شجرا فقلت الحمد لله هنا شجر تعيش فيه الطيور النافعة للزراعة - وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين - وهذه خطرات للأفئس . واعلم أن سكنى الكواكب لأهل الأرض غير معقولة لأن لكل كوكب جوا يخالف الآخر كما ان لكل حيوان نموا يخالف الآخر كما تقتسم في هذه السورة وقد أشارت لذلك الأرواح في استحضارها فليس من المعقول أن يعيش أهل الأرض بأجسامهم في كوكب آخر والحمد لله رب العالمين ﴿ بيان أن آية - وقل رب زدني علما - ميزان الأمم ارتقاء وانحطاطا ﴾

وتبيان ما قاله العلامة ابن خلدون في ذلك . وبيان مجالس العلم والأدب في العصر العباسي على يد العباسيين في بغداد وبنو بويه في العراق وفارس وبنو سامان في الدولة السامانية في تركستان وهكذا الدولة الزيارية في طبرستان والدولة الغزنوية بأفغانستان والهند والدولة الحمدانية في حلب والموصل والروانية بالأندلس والفاطمية بمصر وأن هذه الدول رفعت شأن العلماء فبقيت ولم يزل احترام العلم والعلماء انحطت الأمم الاسلامية وبيان انحياز العلم الى بلاد أوروبا ونصر الملوك هناك للعلماء من أي أمة كانوا . وتبيان أن علما أكثر (بأستور) الآتي ذكره بفرنسا يبني لأمتة مجدا وسعة في الرزق لاحد لأمد . فهكذا يجب أن يكون ذلك في مستقبل الاسلام امثالا لقوله تعالى - وقل رب زدني علما -

(١) هذا بيان ما قاله العلامة ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان ﴿ فصل في أن علامات الملك التنافس في الخلال الحيدة وبالعكس ﴾ ذكر هنا أن خلال الخير أغلب على الانسان من خلال الشر وأقول إن هذا حق لأن عالم المادة كله غلب خيره على شره ولولا ذلك لم يبق في الوجود . ثم قال ﴿ إن العصبية لها غاية وما غايتها إلا الملك ﴾ ثم قال ﴿ ان وجود العصبية من غير خلال حيدة نقص فكيف يكون حال الملك اذا كان بلا خلال حيدة . إذن الخلال الحيدة لابد منها للملك والحفظ ﴾ ثم قال ﴿ فاذا وجدنا أن الذين يتغلبون على كثير من النواحي والأمم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر والقرى للضيوف وجل الكل وكسب المعدم والصبر على المسكاره والوفاء بالعهد وبذل الأموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة واجلال العلماء الحاملين لها والوقوف عند ما يحددونه لهم من فعل أو ترك وحسن الظن بهم واعتقاد أهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدعاء منهم والحياء من الأكابر وتوقيرهم واجلالهم والانقياد الى الحق مع الداعي اليه وانصاف المستضعفين من أنفسهم والتبذل في أحوالهم والانقياد للحق والتواضع للمساكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى أسبابها والتجافي عن القدر والمكر

والخديعة ونقض العهد وأمثال ذلك . قال فإذا علمنا ذلك في المتغلبين علمنا أن هذه أخلاق السياسة قد حصلت
لديهم واستحقوا بها أن يكونوا ساسة لمن تحت أيديهم أو على العموم وأنه خير ساقه الله تعالى إليهم مناسب
لخصبيتهم وغلبهم وليس ذلك سدى فيهم ولا وجد عبثا منهم والملك أنسب المراتب والخيرات لخصبيتهم فعلمنا
بذلك أن الله تأذن لهم بالملك وساقه إليهم وبالعكس من ذلك إذا تأذن الله بانقراض الملك من أمة جلهم
على ارتكاب المذمومات وانتحال الرذائل وساولك طرقها فتفقد الفضائل السياسية منهم جلة ولا تزال في انتقاص
إلى أن يخرج الملك من أيديهم ويقبّل به سواهم ليكون نهيّا عليهم في سلب ما كان الله قد آتاهم من الملك
وجعل في أيديهم من الخير . وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحقّ عليها القول فدمرناها
تدميراً . ثم قال ﴿ واستقر ذلك وتبعه في الأمم الدابقة تجد كثيراً مما قلناه ورسمناه ﴾ ثم قال ﴿ واعلم
أن من خلال السكّال التي يتنافس فيها القبائل العصبية وتكون شاهدة لهم بالملك اكرام العلماء والصالحين
والأشراف وأهل الأحساب وأصناف التجار والغرباء وانزال الناس منازلهم سوا أكان هؤلاء من أهل
العصبية أم كانوا ضعافاً . ولهذا يكون أول ما يذهب من القبيل أهل الملك إذا تأذن الله بسلب ملكهم
اكرام هذا الصنف من الخلق . فإذا رأيت قد ذهب من أمة من الأمم فاعلم أن الفضائل قد أخذت في الذهاب
عنهم وارتقب زوال الملك منهم . وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له . والله أعلم ﴾ انتهى بالحرف من ابن
خلدون مع قليل من الاختصار . وإنما ذكرت هذه المقالة مع طولها لأنها هي القاعدة التي سألني عليها ما
سأذكره من أن حب العلم والعلماء واكرامهم هو محور الرقي . وبضدها تميز الأشياء . فهناك العصر العباسي
الذي ابتداء سنة ١٣٢ هـ بحرية وانتهى سنة ٦٥٦ هـ بحرية أي من سقوط الدولة الأموية إلى سقوط بغداد على
يد هولاكو سنة ٦٥٦ هـ وقد جعلها المؤرخون المعاصرون لنا ﴿ أربعة أدوار ﴾ الأول ﴿ إلى سنة ٣٣٢ والثاني
من ابتداء خلافة المتوكل إلى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ ﴾ والثالث ﴿ ينتهي بدخول السلاجقة
بغداد سنة ٤٤٧ هـ ﴾ والرابع ﴿ إلى سقوطها في يد هولاكو والتتار كما تقدم

لقد كان الرشيد والمأمون وقبائهما المنصور والهادي والمهدي كل هؤلاء كانوا يكرمون العلماء ويحرصون
على نشر العلم وهذا أمر مشتهر . فلندكر ما كان من أمر العلم واكرام العلماء بعدهم أيام هرون بن محمد بن
هرون الواثق ويكنى بأبي جعفر قد بويع بالخلافة سنة ٣٢٧ قال المسعودي كان الواثق محبا للنظر مكرما لأهله
مبغضا للتقليد وأهله محبا للأشراف على علوم الناس وآرائهم ممن تقدم وتأخر من الفلاسفة والمتطبيين . وهنا
ذكر هيئة المجلس الذي كان يتذاكر فيه الطب مع العلماء مثل (ابن ماسويه) و (ابن بختيشوع) و (حنين
ابن اسحق) إذ أخذوا يتباحثون معا بمشركة الخليفة لهم في الطريق الذي يدرك به الطب هل هو التجربة فقط
كأن يرى الناس الرعاف والاسهال والقيء ونتائجها . وكأن يرى الانسان في المنام انه عاجل مريضاً بدواء ففعل
ذلك فشفي . أو يخطر بباله ذلك في اليقظة فيفعله فيشفى . وهكذا ذكروا أن جمهور الأطباء يحرون على القياس
والقياس مقدمات أولية مثل معرفة طبائع الأعضاء والأبدان والأهوية والأعمال والصناعات والعادات والاطعمة
والأشربة ثم بحثوا في الأسنان وأقسامها وانها ٣٣ سناً . وهكذا ذكر (حنين) أن خمسة تغير الهواء وهي
أوقات السنة وطلوع السكواكب وغروبها والرياح والبلدان والبحار وأن أحوال البلدان ﴿ أربعة ﴾ ارتفاع
وانخفاض ومجاورة الجبال والبحار وطبيعة تربة الأرض . ثم قال ان ارتفاع البلدان يجعلها أبرد وانخفاضها
يجعلها أسخن . فأما مجاورة الجبل فإن كان الجبل جنوباً كان البلد أزيد برودة وإن كان الجبل في الشمال
كان البلد أسخن . ثم قال وإذا كان البحر من البلد من ناحية الجنوب فإن ذلك يسخن ويرطب وإن كان
في ناحية الشمال كان ذلك البلد أبرد . ثم قال وإذا كانت البلدان أرضها حجرية كان ذلك البلد أبرد وأخف
وإن كانت طينا جعلته أبرد وأرطب . وإذا جاورت البلاد نقائع ماء أوجيفا أو بقولا عفنة وغير ذلك مما يتعفن

تغير هواؤها . انتهى ما اخترته منه

هذه سيرة الواثق وكان يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته فلما توفي الواثق وخلفه أخوه جعفر المتوكل انحرف بعض الانحراف على العلماء فقد قتل ابن السكيت وغضب على يحيى بن خنيسوع الطيب وحبس ماله ونفاه الى البحر بن وسخط على عمر بن مصرح الراجحي وكان من عليه الكتاب وأخذ منه مالا وجواهر وأمر أن يصنع به ذلك في كل يوم ولما قتل المتوكل اضطربت الأحوال واستفحل شأن الأتراك ونفرت قلوب طلبة العلم وأكثرهم من الفرس والعرب فتفرقوا من بغداد رويدا رويدا الى فروع المملكة العباسية

أفلاترى عقاب الله للدولة . أفلاتراه أنزل العقاب صارما على الأمة على ما فعله المتوكل . قتل بعض العلماء ونفى بعضا وصفع بعضا فقتل هو أولاً ثم اختلت المملكة وقويت شوكة الأمة على الملوكة وهاجر العلم من بغداد فالمتوكل وأمثاله لم يقولوا - رب زدني علما - كما أمروا بل قالوا رب زدني جهلا . وهذا كقوله تعالى في سورة (سبأ) - قالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم - . إن أهل سبأ لم يطلبوا من الله أن يباعد بين أسفارهم بل كان فعلهم من التخريب والسلب والنهب أوجب ذلك نفوذاً في البلاد وطالت مسافات السفر في القفر بعد اتساع نطاق المهارة . هكذا هنا لم يقل المتوكل رب زدني جهلا وإنما جرى على أسلوب لا يوافق ازدياد العلم كما أمر في الآية فتمت كلمة العذاب فهذا مصداق ما قاله ابن خلدون فيما ذكرناه وأن احترام العلماء علامة الرفعة والعكس بالعكس

﴿ الدول التي تفرعت من الدولة العباسية ورغبتها في العلم ﴾

اسم الدولة	مقرها	مدة حكمها	جنس مؤسسها
المروانية	الأندلس	من سنة ١٣٨ - ٤٢٢	عربي
السامانية	وراء النهر	من سنة ٢٦١ - ٣٨٩	فارسي
الزيرية	جرجان	من سنة ٣١٦ - ٤٣٤	فارسي
الجدانية	بين النهرين وحلب	من سنة ٣١٧ - ٣٩٤	عربي
البويهية	العراق وفارس وغيرهما	من سنة ٣٢٠ - ٤٧٤	فارسي
الغزنوية	أفغانستان والهند	من سنة ٢٥١ - ٥٨٢	تركي
الفاطمية	مصر	من سنة ٣٥٧ - ٥٦٧	عربي

﴿ عز العلم في ظل الدولة البويهية ﴾

أنصار هذه الدولة الديلم من الجيлян وراء خراسان وآل بويه يرتفعون في نسبهم الى ملوك الفرس القدماء وجد آل بويه اسمه (بويه) ولقبه أبوشجاع له ثلاثة أبناء هم علي ولقبه عماد الدولة وحسن ولقبه ركن الدولة وأحمد ولقبه معز الدولة . كان آل بويه هؤلاء يحبون العلم والأدب وكان وزراءهم من العلماء والشعراء والكتاب كابن العميد والصاحب بن عباد وسابور بن أزدشير المهلب بل نفس ملوك آل بويه اشتهر بعضهم في العلم والأدب مثل عضد الدولة وقد قرب اليه العلماء واستحثهم على تأليف الكتب فألف له أبو اسحق الصابي كتابا في أخبار (آل بويه) . وألف له أبو علي الفارسي كتاب ﴿ الايضاح والتكملة ﴾ في النحو وقصده المتنبي والسيامي وغيرهما . ومن شغفه بالشعر تمني أن يكون هو المصلوب بدل ابن بقيعة الوزير لثقال فيه قصيدة محمد بن عمران الانباري التي مطلعها

علق في الحياة وفي الممات * لعمرك نلاك احدي المعجزات

وقد كانت عظمت دولتهم كلها ترجع لنصرهم العلم وشدة رغبتهم فيه . فانظر كيف كان ركن الدولة (ابن

بويه) في الري وهمذان وأصبهان مستوزرا ابن العميد السكاتب المشهور . وهكذا بهاء الدولة بن عضد الدولة في العراق والأهوار استوزر سابور بن أردشير فأنشأ هذا الوزير في كرخ بغداد خزانة كتب وقفها على افادة الناس . قال ياقوت لم يكن في الدنيا أحسن كتب منها كانت كلها بخطوط الأئمة المتهبرة وأصولهم المحررة . وقد كان صاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة بن ركن الدولة ثم وزير لفخر الدولة أخيه وكان له عشرات من أهل العلم والأدب يقيمون عنده وعشرات يفدون عليه

﴿ الدولة السامانية في تركستان ﴾

رأس هذه الدولة سامان من أشرف بلخ وأعقبه أنشؤا دولة عظيمة في خراسان وتركستان وزهت في أيامهم بخارى فكانت مجمع الأدباء والعلماء والشعراء واشتهرت نيسابور وقد أنشئت فيها أقدم المدارس الإسلامية وملك هذه الدولة عشرة واشتهر كثير منهم بالعلم والأدب ومنهم منصور بن نوح الذي استوزر البلعمرى العالم الفارسي فترجم له تاريخ الطبري الى اللغة الفارسية وخلفه ابنه نوح وهو الذي اقترح نظم الشاهنامه (الياذة الفرس) في الفارسية اقترح ذلك على شاعره الدقيق فنظم له بعضها . ولما قتل أتمها الفردوسي بعده بإشارة السلطان محمود الغزنوي . ولما سمع نوح بشهرة صاحب بن عباد وزير البويهيين كتب اليه سرا يستدعيه الى بخارى ليفوض اليه وزارته وتدير مملكته فاعتذر صاحب بأن كتبه تحتاج في نقلها الى ٤٠٠ جل والكتب التي جمعها نوح هي التي ذكرها ابن سينا في تاريخه انه استفاد منها في صباه وأن منها كتباً نادرة الوجود

﴿ الدولة الزيارية في طبرستان ﴾

أول ملوكها مردويج بن زيار وأشهرهم بحب العلم ونشره شمس المعالي قابوس بن وشمكير سنة ٣٦٦ هـ . ٤٠٣ هـ كان كاتباً عنده معرفة بالفلسفة والنجوم والنجامة . وقد ألف رسالة في الاسطرلاب وكان يرسل صاحب بن عباد وهو القائل الآتية

قل للذي بصروف الدهر عيرنا * هل حارب الدهر إلا من له خطر
أما ترى البعير تعلو فوقه جيف * وتستقر بأقصى قعره الدرر
وفي السماء نجوم ما لها عدد * وليس يكسف إلا الشمس والقمر

﴿ الدولة الغزنوية بأفغانستان والهند ﴾

مقرها غزنة وأعظم ملوكها السلطان محمود سنة ٣٨٨ - ٤٢١ صاحب الفتوح العظيمة في الهند وناشر الاسلام فيها وكان يلقب بيمين الدولة . فتح بخارى وخلف الدولة السامانية فيها وغلب على الزياريين وحكم أفغانستان وتركستان وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وشمال الهند . والذي يهمننا أن مجلسه كان حافلاً بالعلماء والشعراء وتلك كانت عادة ملوك عصره . وقد اقترح على الفردوسي اتمام الشاهنامه فأنجزها كما تقدم

﴿ مسامرة ﴾

كان محمود هذا لا يسمع بعالم أو شاعر إلا استقدمه اليه فعلم أن في مجلس مأمون بن مأمون أمير خوارزم جماعة من رجال العلم والفلسفة . وفي جلستهم ابن سينا الطبيب والبيروني الرياضي المؤرخ وأبو سهل المسيحي الفيلسوف وأبو الحسن الخوارزمي وأبو نصر العراقي الرياضي وغيرهم فتاقت نفسه الى احرازهم في مجلسه فكتب الى مأمون كتاباً أرسله مع بعض خاصته خلاصته ما يأتي ﴿ علمت أنت في مجلسك جماعة من العلماء المبرزين مثل فلان وفلان فأرسلهم الى ليتشرفوا بمجلسي ونستفيد من علمهم فلم يكن للأمر مناص من اجابة الطلب لكنه كان حريصاً عليهم فثلا عليهم الكتاب وقال لهم انه لا يقوى على رد طلبه فقيل البيروني والخوارزمي (بتشديد الميم) والعراقي بالذهاب وفر ابن سينا والمسيحي . ان اكرام العلماء كان في نظر أهل ذلك العصر من أسباب الأبهة وأدلة الحضارة . فهذا وأمثاله من الأمم الفارسية أكرموا العلماء وعظموا العلم

وتنافسوا فيه لأن لهم سابقة في ذلك وهم الأكاسرة ملوك الفرس أولئك الذين شادوا للعلم منارا ورفعوا له قدرا . وهؤلاء الملوك على آثارهم يهرعون وبهم يقتدون وعليهم يقومون وبسيرهم يقتدون . فهل يعلم ذلك أمراء العرب بالجزيرة اليوم ولآبائهم دولة كانت شائعة الذرى رفيعة القدر . فهل يشرفون آباءهم باحتدائهم حذوهم كما فعل أولئك الفارسيون

إن هؤلاء الملوك الفارسيين سواء أكانوا من الزياريين أو البويهيين أو السامانيين قد نزعوا في أكرام العلماء الى مانزع اليه كسرى إذ أرسل برزويه الطبيب الفارسي الى بلاد الهند ليترجم كتاب ﴿ كيلة ودمنة ﴾ فتوجه الطبيب المذكور خفية الى الهند وترجم الكتاب ورجع وقرأه على الملك ووجوه القوم فأكرم مشواه وأنزله المنزلة السامية وخلع عليه وقال له خذ ما تشاء من المال فقال . كلا . ثم كلا ولكني أريد أن يكتب وزيرك تاريخ حياتي في مقدمة الكتاب تشريفا لي ففعل وكتب تاريخ حياته وأنه كان من أبوين شريفين وأنه طلب العلم لله والدار الآخرة لا لاجاه ولا لئمال وأنه كان يأخذ على الطبيب أجرا عظيما من الأغنياء ويصرفه على الفقراء المرضى ويواسيهم من جيبه الخاص وأنه كان يعتقد أن من طلب العلم لأجل العلم ولله نال الدنيا مع العلم ومن تعلم العلم للدنيا فقط لم ينل حظ الآخرة . فطالب العلم إما أن يكون عمله كالحنطة أو كالكلأ فزرع الحنطة ينفع للإنسان والحيوان ويزرع الكلأ لا يفيد إلا البهائم . فمن طلب الأعلى نال معه الأدنى ومن طلب الأدنى لم ينل الأعلى . اهـ

﴿ حب الدولة الحمدانية في حلب والموصل للعلم ﴾

هؤلاء من قبيلة تغلب وهذه الدولة حكم منها أربعة أمراء في الموصل وخمسة في حلب حتى خرجت الموصل منهم الى البويهيين سنة ٣٨٠ واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤ وكان سيف الدولة أبو الحسن على صاحب حلب ممدوح المتنبي ونفس سيف الدولة كان شاعرا نقادا للشعر محبا للعلم مقربا للعلماء

﴿ الدولة المروانية بالأندلس ﴾

إن الناصر وابنه الحكم كانا محبين للعلم وهذا تقادم في هذا التفسير وأمرهما مشهور وكان الفقهاء والأدباء يحضرون مجالسهما . وكان الناصر مولعا باقتناء الكتب فجمع منها ما لم يجمعه أحد قبله . وأنشأ في قرطبة مكتبة جمع اليها الكتب من أنحاء العالم كان يبعث في شرائها رجلا من التجار ومعهم الأموال ويحرضهم على البذل في سبيلها لينافس بنى العباس في اقتناء الكتب وتقريب الكتاب . وكان أبو الفرج الأصبهاني صاحب الأغاني معاصرا له وهو أموي فبذل ألف دينار ذهب على أن يرسل اليه كتاب ﴿ الأغاني ﴾ قبل إخراجه الى بنى العباس . وفعل نحو ذلك مع القاضي أبي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وغيره وكانت فهارس الدواوين وحدها (٤٤) فهرسا في كل فهرس عشرون ورقة . قال بعضهم فاذا قدرنا للصفحة (٢٥) اسما فقط كان مجموع عدد الدواوين (٤٤٠٠٠) كتاب فكيف بسائر الكتب . ويقول ابن خلدون ان مجموع ما حوته تلك المكتبة (٤٤٠٠٠٠) ونبع من ملوك الطوائف بعدهم جماعة مثل اسماعيل بن ذي النون المتوفى سنة ٤٣٥ هـ

﴿ الدولة الفاطمية بمصر ﴾

استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٧ هـ وقد نبغ في تنشيط العلم منهم اثنان العزيز بالله سنة ٣٦٥ - ٣٨٦ والحاكم بأمر الله سنة ٣٨٦ - ٤١١ فأنشأ خزان الكتب فيها مئات الآلاف من المجلدات في العلوم في مكتبته التي كانت تسمى (دار الحكمة) أو (دار العلم) وقد أباح فيها المناظرة للتردد اليها وسهل لهم المطالعة والنسخ وهي التي قلدها أستاذنا المرحوم على مبارك باشا فقال لاسماعيل باشا ﴿ إن مصر كانت فيها دار العلم يحضر اليها رجال يتناظرون في أنواع العلم فأذن لي أن أحضر طالبا من الأزهر نسميهم طلبة (دار العلوم) فأذن له فدار

العلوم هي المكتبة الخديوية بدرب الجاميز إذ ذاك . ثم استأذن في أن ينشئ مدرسة يسميها (مدرسة دار العلوم) المعروفة الآن بمصر . وهي المدرسة التي تعلمنا فيها ولولاها لم نكن نعرف شيئا من العلوم والفضل في ذلك للقدوة الحسنة بالحاكم بأمر الله فجعل أستاذنا المكتبة الخديوية كأنها دار الحكمة وتحيل في أن يجعل لها مدرسة وقد مضى لها ٥١ سنة الآن وحسن التحيل من وزير المعارف أستاذنا المتقدم . وهكذا صارت هذه المدرسة نبراسا لمصر وغيرها من البلدان في هذا القرن العشرين . وهكذا أنشأ الحاكم (المرصد الحاكمي) وبناه على جبل المقطم وبقى عمدة الراصدين حتى بنى نصير الدين الطوسي مرصده في مراغة بتركستان سنة ٦٥٧ هجرية

﴿ تذكرة في أحد بن طولون ونصره للعالم ﴾

لقد كان أحد بن طولون يفعل ما فعله أولئك الأسراء فقد كان له مجلس عام يحضره العلماء من كل حذب وصبوب . وأذكر أني قرأت للمسيحي المؤرخ أنه يوما قال هل بقي من العلماء أحد في مصر لم أره فقالوا له هناك في أقصى الصعيد عالم قبطي تبلغ سنه ١٣٦ سنة يسكن في منزل على شاطئ النيل فأمر باحضاره مكرما معظما فلما حل بساحة الأمير بمصر ووضعت أمامه المائدة الملكية أخرج ما كل من حقيته وقال دعوني أكل مما اعتدت عليه فان هذه البنية اذا غيرت طعامها اختلت واعتلت وأسرعت للزوال فبقاؤها خير لكم لتنتفعوا بها فلما بلغ الأمير ذلك أذن فيه وأباح له ذلك . ولقد أدهش علماء المسلمين والنصارى واليهود حين تباحثوا معه . وقد سألوه عن الهرم وبنائه وعن الكتابة التي عليه وعن بعض جزائر البحر الأبيض المتوسط وعن بعض البحيرات القريبة من البحر الأبيض المذكور فكان يجيبهم أجوبة ظهر صدقها في الكشف الحديث وأذهل القوم علمه وحكمته فسأله المسلمون كيف اتبعت دين المسيح وأنت حكيم فيلسوف وهذا الدين مضطرب فقال هذا الدين حق لأنه مخالف للعقل . ذلك أنهم يقولون إن الإله رأى ابنه يضرب ويصفع ويحقر ويصلب ويجعل أضحوكة ويذل وهو يستغيث واكليل الشوك والقتاد فوق رأسه وأبوه القادر على كل شيء لا يرد عليه ولا يغيث ولا يرجه . فمن هذه الوجهة عقول بني آدم لا تصدق هذا الدين . ولكنني وجدت أناسا من القديسين قد اهتموا بهذا الدين وصاروا صلحاء فاتبعته واهتديت بهديهم . إذن هذا الدين فوق العقل . فلما سمع المسلمون والنصارى ذلك رضى الطرفان بقوله ، وخطبه يهودي في المجلس كالمعارض عليه فقال له أيهودي أنت قال نعم قال أيها الأميرانه مجوسى فغضب اليهودى فقال أيها الأمير سله أليس في التوراة أن الانسان يتزوج ابنة أخيه فقال بلى قال أوليس الانسان اذا مات أخوه وجب عليه أن يتزوج زوجته قال بلى قال له إذن يتزوج بنته أفليس هذا دين المجوس بعينه فدهش الحاضرون من قوله وزاد الرجل احتراما واعظاما واجلالا . انتهى

ولأختم هذا المقام بذكر موفق الدين عبد اللطيف البغدادي الذي ذكر في تاريخ حياته وكيف قرأ كل علم وكل حكمة من أدب وفافسة . وبالجملة لم يدع فنا إلا عرفه . فثلا يقول حفظت اللع في ثمانية أشهر وتقويم اللسان في ١٤ يوما . وهكذا قال وحفظت كتاب النجاة وكتبت الشفاء وبحث وهكذا . ولما كان المقام مقام البحث في تعاون الأسراء على العلم وتنافسهم فيه وحبهم للعلماء ضربت الذكر صفحا عن تاريخ حياته كله فلاخص الكلام بما كان من أمره مع صلاح الدين الأيوبي . قال ثم إني توجهت الى زيارة بيت المقدس ثم الى صلاح الدين بظاهر عكة فاجتمعت بهاء الدين بن شداد قاضى العسكر يومئذ ثم جمعه على عماد الدين الكاتب . قال وذا كرنى في مسائل من علم الكلام ثم قاموا الى القاضى الفاضل قال فرأيت يكتب ويملى على اثنين قال وسألتنى القاضى الفاضل عن قوله تعالى - حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها - الخ أين جواب اذا وأين جواب لو في قوله تعالى - ولو أن قرآنا سيرت به الجبال - الخ وعن مسائل كثيرة ومع ذلك لم ينقطع عن الكتابة والاملاء فأرسله الى مصر وأوصى عليه بها أمدا طويلا ودرس في الجامع الأزهر

ثم توجه الى القدس ثم الى دمشق سنة ٤٠٤ هـ الى هنا انتهى ما أردت من ذكر تعاون أمراء الاسلام وملوكهم على نصر العلم وحب العلماء وأن ذلك كما قال ابن خلدون هو رأس الأمر وملاكه
 حب العلم وتعظيم العلماء اذا حلّ بأمة فتش لها باب الفضائل وسائر أخلاق السكّال وذلك ايدان من الله بأنهم يملكون زمام السياسة . واذا أدبر عن الأمة هذا الحب أي حب العلم نفرت منهم سائر الفضائل ويتبعها ذهاب الدولة . فهذا القدر من التاريخ ثبت لك بيانا لقوله تعالى هنا - وقل رب زدني علما - ولم يبين نوع العلم بل جهله عاما كقوله تعالى - قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون - واني لأعجب من هذه الآية واقول إن الله لو أرسل رسولا وأيده بالمعجزات فصّدقه الناس ولم ينزل عليه سوى قوله - وقل رب زدني علما - لكفت في اظهار أم وأجيال وملوك وحكام وعلماء وان لم ينزل غير هذه الآية . ولقد عجت لأهم الاسلام المتأخرة كيف ضلوا وجهلوا ولله عاقبة الامور . هذه هي الصورة الواضحة الظاهرة الباهرة الجميلة من تعاون أمراء الاسلام على العلم وعلى احترام العلماء وحبهم وكيف رأينا المجد يصاحب العلم . فلما أن نسوا - وقل رب زدني علما - انحطت الأمم الاسلامية . وأذكرك بما جاء في سورة (الأنعام) عند قوله تعالى - تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا -

﴿ انحطاط العالم في بلاد الاسلام ﴾

لقد استبان هذا المقام في سورة (الأنعام) وذكرت لك مفاعله في القرن السادس إذ أحرق ابن المارستانية كتب الركن عبد السلام الجيلي بموضع يقال له (الرحبة) ببغداد وهذا الاحراق بمشهد من الناس فاقرأه مفصلا في سورة الأنعام وذلك سنة ٥٨٩ هـ فانظر كيف أحرق المسلمون في هذا التاريخ ما جمعه من العلوم في العصور الأولى وأعجب من صنع الله عز وجل كيف رأيت المتوكل العباسي شرد العلماء من بغداد وقتل ابن السكيت فمات هو مقتولا وانتقل العلم من جذع الدولة الى أطرافها وتولاه أمراء من الفرس والترك والعرب غير العباسيين - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فقد تغيرت عقول المسلمين في القرن السادس وقالوا ربنا لاتزدنا علما بل قالوا . كلا . أنقص علومنا . فاذا فعل الله . لم يمض أقل من قرن حتى دخل هولاكو ببغداد . لماذا . لأن المسلم اذا كان غيبا جاهلا يذله الله ولا يرضى للمسلم أن يكون غيبا لأن نبيه ﷺ أمر أن يقول - رب زدني علما . أي وهو يزداد علما فاذا أخذ علمه في النقص أدله الله . ولقد كان على بن الملقب بالسيف الأمدي مبرزا في علوم الأوائل فلما دخل بغداد جفاه الفقهاء ووقعوا في عقيدته ففرّ الى مصر سنة ٥٩٣ هـ وظهر وعلم ثم حسده الفقهاء بها أيضا ففرّ منها أيضا هاربا . وهكذا قد أحرق القوم كتب الغزالي بالأندلس وفي المغرب الأقصى . فلما كره المسلمون العلم سلط الله عليهم الحروب الصليبية وهجم المغول والتتار فكتسحوا ما بالمكاتب من الكتب لاسما ما كان منها في بخارى وسمرقند وما كان منها بحلب لما دخلوها سنة ٦٥٨ هـ فقد مزقوا الكتب وأحرقوا ألوف لا تحصى . وهكذا تذكر أيها الذكي ما تقدم في سورة (ابراهيم) من اضطهاد ابن رشد في الأندلس وكيف كان حاجب هشام بن الحكم يضطهد العلماء ويحرق الكتب . وكيف كانت دولة الموحدين فقد نصر العلم أولا عبد المؤمن ولكن يعقوب المنصور في ابن رشد وأمر بحرق الكتب فهي كالتى قبلها نصر للعلم أولا واضطهاد آخر . هناك تقرأ المنشور الذى نشر لتنفير الناس من الفلسفة والعلوم والحكمة . انتهى

﴿ التجاء العلم الى أوروبا ورجوعه اليانانيا ﴾

انتقل العلم الى أوروبا وتنافس ملوكها في عصرنا على حب العلماء كما كان ذلك في الدول الاسلامية المفرقة من الدولة العباسية سواء بسواء (وبعبارة أخرى) أن العلم لما جاء المسلمون بقي عندهم وأعز دولهم ولما أهانوه وأهانوا حامله وحرقوا كتبه التجأ الى الأمم المسيحية وقرّت عينه هناك بهم . وهاهوذا يمد يده

الينا . وهأنذا وآلاف مثلى فى المسلمين يمدون أيديهم له ليرجعوه الى نصابه فى بلاد الاسلام ومقره الأول
تلبية لقوله تعالى - وقل رب زدنى علما -

اذا قلت هرب العلم من بلاد الاسلام وقلت انه آوى الى الأمم المسيحية فليس معنى هذا انهم لم يحاربوه
كلا . بل كان حربهم لهم أشد فتكا وأعظم وقها وأكثر صرعى . اقرأه فيما تقدم فى سورة التوبة عند قوله
تعالى - اتخذوا أحوارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم - الخ فأنا لا أعيد ما ذكرته هناك
فقد قدر المؤرخون عدد الذين قتلوا بأواصر من ديوان التفتيش الذى أسس فى سنة ١١٨٤ فى مجمع فيرونا
وصادق عليه البابا (اينوشنسيوس الثالث) سنة ١٣٠٤ وثبته نهائيا البابا (غريغوريوس التاسع) براءة
خصوصية . أقول قدرهم المؤرخون بالملايين ولست أعيد ما ذكرته هناك بالتفصيل فأرجع اليه . فهذه الملايين
المقتولون بأمر البابوات لم يقتل مثلهم ولا جزء من آلاف من عددهم عند المسلمين ولكن العجيب أن العلم
هرب من بلاد الاسلام مع قلة ضحاياه ولسكنه وطدت أركانه وثبت بنيانه واشتد ساعده ونصر على أعدائه
فى أوروبا المسيحية مع كثرة ضحاياه وقتلاه * وفى المعنى * ومن طلب الحسنة لم يغلبها مهر *

وقال المتنبي

على قدر أهل العزم تأتي العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم

وتعظم فى عين الصغير صغارها * وتصغر فى عين العظيم العظائم

إن السعادة على مقدار النصب . تغلب العلم فى تلك الأصقاع الباردة على أعدائه بعد أن جنسدل من
أصدقائه آلاف الآلاف . أتدرى ماذا حصل . عم أقطار أوروبا ثم حلّ بساحات أمريكا واليابان والصين
وهاهوذا يحاول فتح عقول أهم الاسلام فدخل ايران و بلاد الترك وقد دخل ظاهرا بلاد مصر ويحاول الرجوع
الى بلاد العرب . أتدرى أيها الذكى لماذا صبر العلم هذا الصبر فنجح ذلك بدعوة رسول الله ﷺ

﴿ الكلام على الشمس والأرض والأمم الاسلامية عليها والعلم والنبي ﷺ ﴾

الشمس أشبه ببرتقالة بالنسبة للعوالم الكواكب التى عظم عددها جدا . فاذا قدرنا شمسا ببرتقالة فلنقدر
سائر الكواكب مجتمعة كالكرة الأرضية بل أكثر من ذلك وأرضا بالنسبة للشمس أقل من حبة رمل .
فاذا قام على هذه الحبة من الرمل أم وأهم فان صورهم جميعا لاترى بأقوى المناظير . فاذا تصورنا أمة من تلك
الأمم التى لاترى على قبة تلك الحبة من الرمل . وقال قائل منهم أيها الناس ان ربنا الذى خلق هذه العوالم
كلها الذى شمس عظمى وأرضا بالنسبة لها صغيرة جدا قال لى أدعنى أن أزيدك علما . اذا قال ذلك قائل
منهم فلا جرم يقولون جميعا بلسان واحد اذا كان ربنا قال لك هذا فعناه أن أعداءك وأعداء أمتك وأحبابكم
جميعا يتعاملون فيقول لماذا هذا فيقولون لأن حبة الرمل التى نحن عليها بالنسبة للعوالم صغيرة جدا ونحن
عليها قليل جدا بالنسبة لغيرنا . فاذا قال الله لنا ذلك واعتنى بنا مع عظمتة فان هذا علامة على رقينا جميعا

﴿ ايضاح هذا المقام ﴾

لما قال النبي ﷺ والمسلمون ربنا زدنا علما أجاب الدعاء فنشر العلم فى أوروبا والصين واليابان ونشر العلم
فى تلك الأقطار هو عينه زيادة علم للمسلمين لأن علم الأمم دخل علينا بلادنا وصناعاتهم وكتبهم قد أثرت فينا
فزدنا علما ﴿ وبعبارة أخرى ﴾ أن موجة العلم أولا ماجت من الحجاز فعمت أمما فى الشرق وحاربوها فعمت
أوروبا و بلاد الشرق كره أخرى . وهانحن أولاء نتعلم من علومهم التى كان أصل التحرر يرض عليها من ديننا
فبالاختصار أن رقى العلم فى الشرق والغرب رقى للمسلمين منه . إذن الحركة الفكرية فى العلم فى الأمم استجابة
لدعوة نبينا محمد ﷺ وأمتة لأننا الآن ننقل فى هذا التفسير من علوم الأمم فزدنا علما وسيزيد قراء هذا
التفسير علما . كل ذلك بنقل علوم الأمم فزيادة علمهم زيادة علم لنا إجابة لدعوة نبينا ودعوتنا بازدياد العلم

فاذا رأينا الصين في هذا الاسبوع (يوليو سنة ١٩٢٨) ارتقت وأصرت الأورو بين أن يسبروا على قوانينها فهذا من دعوته ﷺ . يا عجباً كل العجب . اننا لم نسمع في التاريخ أن الأمم كلها على نبط واحد في التعليم إلا في هذه الأعصر ولم يحصل ذلك إلا بعد نزول نبي من عند الله وبلغ الأمم قائلاً إن الله أمرني أن أدعوه أن يزيدني علماً ولم ينقطع العلم بعد أن نزلت هذه الآية وقد عمّ العلم الأمم كلها ولم يرد في التاريخ نظير هذا . اللهم انك أنت الذي جعلت الأمم كلها كأنها فرد واحد . فاذا علمت واحدا فقد علمت العموم . ومن قتل نفسا بغير نفس أوفساد في الأرض فسكاًئماً قتل الناس جميعاً ومن أحييها فسكاًئماً أحيي الناس جميعاً . اللهم ان أهل الأرض أمة واحدة بل هم كشخص واحد . وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون .

﴿ كيف يتعاون ملوك أوروبا وعلماءها على رقي العلم ﴾

لقد تقدم في سورة (ابراهيم) عند قوله تعالى . وذكرهم بأيام الله . كيف تعاون القوم في أوروبا على العلم . وكيف نرى أن (تبخوبراهي) العالم بالأجرام السماوية قد أعانه ملك (الدانمارك) وملك الانجليز وأمباطور ألمانيا وهكذا غيره وغيره فارجع اليه هناك . وأقول هنا فوق ما ذكرت هناك . تقدم أني ذكرت هناك (ديدرو) الذي ألف دائرة المعارف الفرنسية وكانت هي السبب الأعظم في الثورة الفرنسية وهي التي زلزلت عقائد الشعب في رجال الدين فهذا المؤلف قد كان رقيق الحال فقيراً في فرنسا . ولما كبرت ابنته وأراد تزويجها لم يكن عنده مهر لها وعلمت بذلك الامبراطورة (كاترينا) فأرسلت رسولا اشترى منه مكتبته بألف جنيه وأبقته في باريس وأقامته حافظاً لها براتب سنوي . فهذه امبراطورة (الروسيا) ساعدت عالماً فرنسياً . وانظر الى الأمدى المتقدم ذكره كيف اضطلع في مصر وفي بغداد لما أراد الله انخطاط العلم في الاسلام . وانظر الى مجالس العلم عند الأمراء في القرن الرابع الاسلامي فيما تقدم كيف تعاون العلماء على رفعة شأن العلم عند ارادة الله رقي الاسلام والمسلمين

﴿ اعظام ملوك أوروبا وعلماءها للعلامة (لويس باستور) المتوفى سنة ١٨٩٥ ﴾

أذكر هذا العالم الآن لأرى المسلمين الحاليين تعاون الأمم المسيحية الآن على رفع منار العلم وكيف كان هذا العالم قد نفع فرنسا وزاد ثروتها بعلمه بحيث يقوم مقام مئات الألوف من الأغنياء (١) أرسل له أستاذه (ديماس السكماوي) الشهير وتوسل اليه توسلاً أن يبحث في أسباب (ضربة دود القز) التي فشت في فرنسا سنة ١٨٥٣ لأن (ديماس) كان ساكناً في المكان الذي اشتدت فيه الضربة وفعلت فعلها الذريع ولم يكن (باستور) رأى دود الحرير قط فاعتذرا اليه بعدم اختباره في ذلك وطلب منه أن يعفيه فجاءه الجواب من ديماس يقول فيه اني لوائي بك وبقدرتك على اجابة طلبي رجة لبلادي المسكينة فان الرزء يفوق التصور وكانت ظواهر هذا الداء نقطا سوداء تعالو جسم الدود فيتأخر نموه وتختلف أقداره وتبطؤ حركته . وهكذا فعمل تجارب نجح فيها نجاحاً باهراً (٢) ثم بحث مباحث أخرى مثل مبحث الاختلاف أثبت بعد تجارب لا محال ذكرها أن الأجسام الذائبة اذا عرضت للهواء امتلأت من الذرات الحية التي فيه . ومتى ماتت الجراثيم التي في تلك السوائل ولم تدخلها جراثيم أخرى من الهواء لم يتولد فيها شيء (٣) وهكذا بحث أمراض السجاج والغنم والبقر وتوصل الى ذلك ومنع تلك الأمراض باضعاف الجراثيم المعدية وتطعيم المواشي بها . ولقد كان قبل ذلك يموت في فرنسا وحدها من المواشي ما يقدر ثمنه بعشرين ألف ألف فرنك سنوياً . ولقد أثني عليه المسيو (بولي) في اجتماع المجامع الخمسة السنوي فقال ﴿ انظروا كيف ان الطبيعة قد كاشفته دفعة واحدة بسر من أغص أسرارها (سر العدوى) وكيف ان العلم قد حوّل تحويل مسبب الموت الى دافع الموت الخ ﴾

وقال الاستاذ (هكسلي) ﴿ إن ما كشفه (باستور) يساوي المليارات الخمسة التي أعطتها دولة فرنسا لدولة ألمانيا غرامة ﴾ (٤) وقد قلده مجمع انسكترا الملكي نشان (رمفرد) سنة ١٨٥٩ وهكذا وزير الزراعة في

النمسا أجازته بهشرة آلاف (فلورين) على كشفه علة مرض دود القز . فانظر كيف تعاونت أوروبا على نصر العلم حفظت أموالهم ومواسيهم بنفس العلم . وكيف تعاون معاصروهم من الأمم الإسلامية للجهل فطردوا الفرس جمال الدين الأفغاني . ولما جاء إلى مصر طردوه منها فالتجأ إلى الأستانة وكان معه فديم الكاتب المصري فاحتال في قتلها بمكروب السرطان السلطان عبد الحميد . هذا ولما حاربت ألمانيا فرنسا وكان (باستور) من متخرجي مدارس ألمانيا ورأى ظلمها لقومه أرسل شهادة الدكتوراة الألمانية إلى ألمانيا قائلاً إنه لا يقبل إكراماً من أمة تحارب بلاده فأراد أهل بلاده أن يقلدوه نشانا وقيموا له احتفالاً فأبى فحظهم مقامه اه هذه حياة (باستور) وأنا لم أكتب باستور في تفسير القرآن رمية من غير رام . كلا . وإنما كتبت هذا لأريك أن أستاذك (ديماس) يقول له اني واثق بك وبقدرتك على اجابة طلبي رجة لبلادي المسكينة . فاعجب لعالم يخاطب عالماً كلاهما عالم بالكيمياء يقول له ﴿ رجة لبلادي المسكينة ﴾ ما أحسن هذا العلم وما أحسن هؤلاء العلماء . عالم يرجو عالماً أن يرحم البلاد من ضربة دود القز لأجل صنع الحرير . فتنى نسمع أن علماء الاسلام بالمعاهد الدينية يفقهون أن الأمة تحت اشرفهم وهم قوامون عليها على هذا النحو

فانظر كيف عبر بالرجة . وانظر كيف كان نشر العلم في الشرق والغرب جاء بعد البعثة المحمدية والله يقول - وما أرسلناك إلا رجة للعالمين - فالرجة التي جاءت لدود القز واللغيم وللبقير بعض الرجة التي أرسل لها ﷺ وهي الايقاظ للعلم . إياك أيها الذكي أن تظن في التعصب لديني فهذه حقيقة ظاهرة لا تحتاج إلى دليل أو برهان إن الهداية ﴿ ثلاث مراتب ﴾ المرتبة الأولى ﴿ هداية الأنبياء وهي هداية عامة لاتتعدى الارشاد بدون دخول في العلوم الجزئية والتفصيل ﴾ المرتبة الثانية ﴿ مرتبة الحكماء والهداة في الأمم . ينزل الله في كتاب سماوى على نبي فيقول له ادعنى أن أزيدك علماً فيتبعه بعض العلماء وهم حكماء الأمة فيفهمون قوله فيقرؤون هذا التفسير وأمثاله . فإذا يقولون . يقولون ان هذا كلام الله الموجز ولكن نحن لا نقتصر على خطاب الناس بهذه الآية بل نخاطب الناس بما يعلمون ونشوقهم للعلم بما يألون ونوضح لهم فيعقلون ونذكرهم فيذكرون ﴾ المرتبة الثالثة ﴿ هم العلماء المختصون الذين يختصون بعلم أو صناعات فيتقنونها فينفعون الناس بعلمهم كأمثال (باستور) المذكور فهؤلاء قد شوقهم للعلم الحكماء والحكماء في الاسلام شوقهم للعلم نبينا محمد ﷺ فإذا قلت لك أيها الذكي ان (باستور) قد أفاد فرنسا مالا قدر الذي بذلته لألمانيا في الغرامة وأفاد جميع أوروبا وأفاد المسلمين لأن دوابنا قد حفظت ونفوسنا من الطاعون بالاحتياطات الصحية . فليس معنى هذا أن هذا أرقى ما يصل إليه العلماء في الاسلام بعدنا . كلا . بل ان قراء هذا التفسير وأمثاله سيؤلف بعضهم وينشركتباً تشوق المسلمين للعلم على نحو ما كتبناه أو أحسن أو أقل . فهذا التشويق يحدث شوقاً في بعض النفوس فيتخرج علماء في مدارس ومدارس وينفعون الأمم لا المسلمين وحدهم في علوم وصناعات مختلفات كما فعل (باستور) وغيره . إذن حكماء الاسلام الذين يسوقون العلماء لحوز علوم الكيمياء والطبيعة والفلك أفضل ألف مرة من العلماء الذين تأثروا بأقوالهم . وهؤلاء الحكماء ماهم إلا جنود الأنبياء . فالأنبياء كشموس الحكماء كالأقمار . والعلماء كالنجوم وهؤلاء العلماء أشبه بباستور المذكور وهذا معنى قوله ﷺ ﴿ أصحابي كالنجوم ﴾ فهذا معناه . أما الحكماء فكالأقمار وهو ﷺ شمس - يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً - انتهى يوم الجمعة ١٣ يوليو سنة ١٩٢٨

(تذكرة للأمم الإسلامية في تعاليم أوروبا)

قضى الله عز وجل أن يكون الخير مقروناً بالشر والمرض يتبع الصحة * قال الشاعر

ودعوت ربى بالسلامة جاهداً * ليصحنى فإذا السلامة داء

(وقال آخر)

والخير والشرّ مقرونان في قرن * فالخير متبع والشرّ محذور

قال تعالى - وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى - وفي آية أخرى - وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة - الخ * وفي الآثار ﴿ اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ومن علم لا ينفع الخ ﴾ . أقول هذا بمناسبة ذكر (باستور) العالم الفرنسي وتحريض الأئمة الإسلامية على علوم أوروبا فإن هذا القول إذا أطلق على علته أدى إلى ترك الديار بلاقع فما جنى الناس الورد إلا من خلال الشوك ولا آكلوا الحما إلا وجدوا معه عظما ولا سمكا إلا اجتهدوا في اجتنب شوكاته والابتعاد عن مضراته فهذا العلم الأوروبي خير كثير يحيط به شرّ مستطير . أما كونه خيرا كثيرا فهو الذي أعتق تركيا وإيران والأفغان واليابان والصين من ظلم أوروبا . فهو لاء كلهم استقلوا ولبسوا لأوروبا ثوب النمر وقاوموها مقاومة الابة الفوارس . كل ذلك كان لما قابل القوم عتوّهم بنظيره وسلاحهم بمثلته فتسكافا الشرق والغربى ورجع الظالمون الغربيون بخفي حنين . ذلك لأن حاملي العلم غير مغلوبين على أمرهم . أما أممتنا المصرية وأمثالها فانهم تعلموا ولكن احتلال الأجنبي أغرق العلم في بحر من المفسد والفسوق والخلاعة فما رأيت ذكيا من الأذكياء إلا انقلب على عقبيه وضلّ سواء السبيل في زمن الشباب ولا مجدا جيل الصورة إلا استحوذ عليه الرجال والنساء ففتنوه وأنزلوه عن منازل الأشراف إلى دركات الزعانف والسوقة الجاهلين . وأكثر من تراه من المتوسطين في العلم والذكاء من يمسى ويصبح ولا هم له إلا المقام على وظيفته والمحافظة على سمته وبرزته . فاما العلم فأنما هو مطلب المكاسب سلم المعاش . فتي وصل الشاب بهذا السلم إلى معاشه رضى بحاله ولم يزدد علما بل رجع فيه القهقري وإذا مات فسوف يرى . سألت ناظر مدرسة من المدارس المصرية وكان من تلاميذ المدرسة الخديوية . فقلت له إن المتقدمين من أمم الاسلام كانت لهم في العلم طريقة شيقة وحب عجيب وذكرت له بالتطويل أسلوب موفق الدين عبد اللطيف البغدادي وكيف كان يحفظ الكتب في أيام معدودات على مامر بك ولم يذر علما إلا قرأه ولا حكمة إلا درسها . فقال وهو مخلص في خطابه ﴿ نحن الآن في قبضة الانجليز والمدار عندنا أن تكون بزتنا وهيئتنا منمقة وننطق بالانجليزية كما ينطقون . بهذا نرتقي . فأما العلوم فإن الناس عنها معرضون . فلأن الوسط الذي نعيش فيه والبيئة التي تجمعنا كانت مغرمة بالتحصيل مداومة على العلم معمورة بمجالس الأدباء ومسامرة الحكماء لكننا أسرع الناس إلى المزاحمة في المعارف وأقربهم زلفى إلى التنافس في العلوم وأشدّهم رغبة فيه . فالمرء إذن موقوف على الرغبة العامة وعلى حال الوسط . فالناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم ﴾ . فقلت له قد صدقت وقلت قولا سديدا

كل ذلك لشر المفسد في البلاد وعدم قدرة الفضلاء على تغيير المنكر لشدة شيوعه ومساعدة المحتلين وامتيازات الأجانب في البلاد فلتحذر الأمم الإسلامية أن يتعاطوا السم في الدسم كما تعاطينا نحن المصريين . فهناك ما جاء يوم الاثنين ١٦ يوليو سنة ١٩٢٨ و ٢٧ محرم سنة ١٣٤٧ منشورا في جرائدنا المصرية تحت عنوان ﴿ القديم والجديد ﴾

عقدت إحدى صحف لندن فصلا في موضوع القديم والجديد قالت فيه ما يأتى

بينما تظهر مصر في عيون الغربيين غريبة أو بالأحرى روائية لما يحيط بها من هالة الشفق التاريخي نرى المصريين يطمحون إلى أن يكونوا من أبناء العصر بل أن يبلغوا أسبابا (فوق العصرية) ونسمع اليوم من كل حذب وصوب عن التقدم في مصر . تقدم العلوم والمعارف . تقدم النهضة الفكرية . تقدم الافكار الجديدة . تقدم اقتباس الآراء الغربية ونبد كل شئ قديم ورجعى . هذه صورة حقيقية ولكن إلى حدّ معلوم ونقطة معينة . نعم ان أموراً جسيمة تحدث في مصر اليوم . ولكن هناك ناحية أخرى تظهر فيها حاشية الرقى تلك الناحية الخافية التي تؤثر في حياة الناشئة المصرية وتحط من شأن السجايا والطباع . فكم من الاحداث

والشبان يجد ما يأخذ ببده ويهوى به الى أسفل السركات في تلك البسج التي يسمونها المدنية الغربية كأشرطة السينما القذرة المخلة بالآداب التي يرونها يوما بعد يوم في دور السينما والمؤلفات البذيئة التي يطالعونها والمعاشرية الرديئة التي يلقونها فلا يخرج الطالب من المدرسة إلا وهو عبد لعادات وشهوات شنيعة يظل أسيرا لها بقية أيام حياته وتكون عبئا ثقيلا يروح تحت ومذلة تذه وتضع أنفه في الرغام وتسمه بوصمة عار لا تمحى مازال حيا هذه حالة البنين . أما حالة البنات فأنتكد وأضل سبيلا فان زو بهة الحجة التي هبت على مصر والاندفاع الشديد في تعليم الاناث وتحرير المرأة واقتباس الملابس والأزياء الأوروبية ومعظم ضروب الرياضة البدنية والألعاب والرقص وما الى ذلك قد أوجدت طفرة في البلاد كان لها أشد مساس بالآداب وعبث بالفضيلة فاذا أرادت مصر أن تصل الى مصاف الأمم الراقية فعليها أن تحرص على الحياة الأدبية ولا سيما بين الناشئة والأحداث وأن تحسن تربية البنين والبنات وتغرس في قلوبهم التقوى وخافة الله والحشمة والنزاهة ومبادئ الشرف والأمانة . وخير التربية هي التي يوضع أساسها في البيت ويشاد صرحها في المدارس . انتهى

(تذكرة) إن ظهور هذا التفسير اليوم في بلاد الاسلام موافق لحركة الاصلاح فيها فقد ألهم الله رجال الاصلاح أن يضعوا بذوره ليتخرج رجال في المعاهد الدينية على مشرب هذا التفسير . فانظر الى ما قدمه صاحبنا الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر الى في ١٩ صفر سنة ١٣٤٧ الموافق ٩ أغسطس سنة ١٩٢٨ لحكومتنا المصرية وهذا نصه

﴿ اصلاح الأزهر الشريف ﴾

(مذكرة الاستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر)

أوجب الدين الاسلامي على أهله أن تختص طائفة منهم بحمله وتبليغه الى الناس - فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليستفهموا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون - وأوجب الله على نبيه ﷺ أن يدعو الناس الى السبيل الموصلة اليه - أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن - وقواعد العلماء كلها متفقة على وجوب السعي الى نشر الدين واقتناع العباد بصحته وعلى وجوب حمايته من نزغات الاحاد وشبه المضلين . وفي الكتاب الكريم آيات كثيرة تحت على النظر في الكون وعلى فهم ما فيه من جمال ودقة صنع . وقد لفت النظر الى ما في العالم الشمسي من جمال باهر وصنع محكم وافت النظر الى ما في الحيوانات من غرائب تدفعها الى الصنع الدقيق والأعمال التي لها غايات محدودة . وأشار الى سير الأولين وحث القرآن على العلم وفاضل بين العلماء والجهال وأعمال السلف الصالح وسير العلماء لا تدع شبهة في أن الدين الاسلامي يطلب من أهله السعي الى معرفة كل شئ في الحياة . وقد تولى سلف علماء الأمة القيام بهذه المهمة على أحسن وجه وأكمله خلفوا تلك الثروة العظيمة من المؤلفات في جميع فروع العلم ودرسوا أصول المذاهب في العالم ودرسوا البيانات ودرسوا الفلسفة على ما كان معروفا في زمنهم وكتبوا المقالات في الرد على جميع الفرق . وكانت للعقل عندهم حرمة وله حرية التامة في البحث وكان الاجتهاد غاية يسعى اليها كل مشغل بالعلم متفرغ له . ولكن العلماء في القرون الأخيرة استكانوا الى الراحة وظنوا أنه لا مطمع لهم في الاجتهاد فأقفوا أبرابه ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم وابتعدوا عن الناس فجعلوا الحياة وجهلهم الناس وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث وجهلوا ماجد في الحياة من علم وماجد فيها من مذاهب وآراء فأعرض الناس عنهم وتقموا هم على الناس فلم يؤدوا الواجب الديني الذي خصصوا أنفسهم له وأصبح الاسلام بلا حجة و بلا دعة بالمعنى الذي يتطلبه الدين . في الدين الاسلامي عبادات وعقائد وأخلاق وفقه في نظام الأسرة ونقه في المعاملات مثل البيع والرهن وفقه في الجنائيات . وقد عرض الدين الاسلامي لغيره من الأديان وعرض لعقائد لم تكن لأهل الأديان (كذا) وأشار الى بعض الامور الكونية في النظام الشمسي

والمواليد الثلاثة من جناد ونبات وحيوان

وقد هوجم الاسلام أكثر من غيره من الديانات السابقة . هوجم من أتباع الأديان السابقة وهوجم من ناحية العلم وهوجم من أهل القانون . لهذا كانت مهمة العلماء شاقة جداً تتطلب معلومات كثيرة . تتطلب معرفة المذاهب قديمها وحديثها . ومعرفة مافي الأديان السابقة . ومعرفة مايجد في الحياة من معارف وآراء . ومعرفة طرق البحث الفكري وطرق الاقتناع . وتتطلب فهم الاسلام نفسه من ينابيعه الأولى فهما صحيحاه . وتتطلب معرفة اللغة وفقهها وآدابها . وتتطلب معرفة التاريخ العام وتاريخ الأديان والمذاهب وتاريخ التشريع وأطواره . وتتطلب العلم بقواعد الاجتماع والأمة المصرية أمة دينها الاسلام فيجب عليها وهي تجاهر بذلك أن ترقى تعليمه ايرقى جلته ويكونوا حفاظا ومرشدين يدعون الناس اليه . ولا يوجد دواء أنجع من الدين لاصلاح أخلاق الجاهيل فان العامة تتلقى أحكام الدين والأخلاق الدينية بسهولة لاحتياج الى أكثر من واعظ هاد حسن الأسلوب جذاب الى الفضيلة بهمله وبحسن بصره في تصريف القول في مواضعه . ولذلك كان الدعاة الى الفضيلة قديما وحديثا يلجئون الى الأديان يتخذونها وسائل لاصلاح بل إن كل دعاة المذاهب السياسية وجملة السيوف لم يجدوا بدا من الرجوع الى الأديان وصنع دعواتهم بها . كل ذلك لأن حياة المجتمعات لاتدين لنوع من أنواع الاصلاح إلا اذا صبغ بصبغة دينية يكون قوامها الايمان . والأمة المصرية بل والأمم الشرقية جمعاء تدهورت أخلاقها فضعفت لسيها ملكات الصدق والوفاء بالوعد والشجاعة والصبر والاقدام والحزم وضبط النفس عن الشهوات وضعفت الروابط بين الجماعات فلم يعد الفرد يشعر بالام الآخرين ومصائبهم وقد أثرت الحياة الفردية في حياة الجماعة أثرها الضار فانحطت منزلة الأمم ورضيت من المسكنة بأصغر المنازل

الى أن قال ﴿ يجب أن يدرس القرآن دراسة جيدة وأن تدرس السنة الشريفة دراسة جيدة . وأن يفهما على وفق ما تتطلبه اللغة العربية فقهها وآدابها من المعاني وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة وأن يتعمد في تفسيرهما عن كل ما أظهر العلم بطلانه وعن كل ما لا يتفق وقواعد اللغة العربية ﴾

﴿ يجب أن تهذب العقائد والعبادات وتنقى عما جد فيها وابتدع وتهذب العادات الاسلامية بحيث تتفق والعقل وقواعد الاسلام الصحيحة ﴾

﴿ يجب أن يدرس الفقه الاسلامي دراسة حرة خالية من التخصب لمذهب وأن تدرس قواعده مرتبطة باصولها من الأدلة وأن تكون الغاية من هذه الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عنها في الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها والنظر في الأحكام الاجتهادية لجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمنجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء ﴾

﴿ يجب أن تدرس الأديان ليقابل مافيها من عقائد وعبادات وأحكام بما هو موجود في الدين الاسلامي ليظهر للناس يسره وقدره وامتيازته عن غيره في مواطن الاختلاف . ويجب أن يدرس تاريخ الأديان وفرقها وأسباب التفرق وتاريخ الفرق الاسلامية على الخصوص وأسباب حدوثها ﴾

﴿ يجب أن تدرس أصول المذاهب في العالم قديمها وحديثها وكل المسائل العامة في النظام الشمسي والمواليد الثلاثة مما يتوقف عليه فهم القرآن في الآيات التي أشارت الى ذلك ﴾

﴿ يجب أن تدرس اللغة العربية دراسة جيدة كما درسها الأسلاف وأن يضاف الى هذه الدراسة دراسة أخرى على النحو الحديث في بحث اللغات وآدابها ﴾

﴿ يجب أن توجد كتب قيمة في جميع فروع العلوم الدينية واللغوية على طريقة التأليف الحديثة وأن تكون الدراسة جامعة بين الطرق القديمة في عصور الاسلام الزاهرة والطرق الحديثة المعروفة الآن عند علماء التربية . وعلى الجملة يجب أن يحافظ على جوهر الدين وكل ما هو قطبي فيه محافظة تامة وأن تهذب الأساليب

ويهدب كل ما حدث بالاجتهاد بحيث لا يبقى منه إلا ما هو صحيح من جهة الدليل وكل ما هو موافق لمصلحة العباد ﴿ يجب أن يفعل هذا لإعداد رجال الدين لأن رسالة النبي ﷺ عامة ودينه عام ويجب أن يطبق بحيث يلائم العصور المختلفة والأمكنة المختلفة وإن لم يفعل هذا فإنه يكون عرضة للنفور منه والابتعاد عنه كما فعلت بعض الأمم الإسلامية وكما حصل في الأمة المصرية نفسها إذ تركت الفقه الإسلامي لأنها وجدته بحالته التي أوصله إليها العلماء غير ملائم ولو أن الأمة المصرية وجدت من الفقهاء من جارى أحوال الزمان وتبدل العرف والعادة وراعى الضرورات والخروج لما تركته إلى غيره لأنه يرتكن إلى الدين الذي هو عزيز عليها ﴾ ثم قال بعد كلام ﴿ وقد بذل الله هذه الأحوال وأصبح قانون الأزهر مشتملاً على ضعف العلوم التي كانت تدرس من قبل وأصبح يدرس في الأزهر التاريخ الطبيعى والكيمياء ويدرس فيه الجبر والهندسة وقبل الأزهر في قسم تخصص القضاء الشرعى دروساً في وظائف الأعضاء ودروساً في التشريح . قبل الأزهر يون كل جديد وأعدوا أنفسهم له وزالت كل العقبات التي كانت من قبل ولم يبق إلا إصلاح طرق التعليم وإيجاد المعادين الأكفاء وتوزيع العلوم على الأقسام توزيعاً صحيحاً . وإذا كانت هناك بقية تعترض الجديد فلم يبق لها من الشأن ما تستطيع معه أن تكون عقبة في طريق الإصلاح ﴾ انتهى

هذا ما أُرنت نقله من ذلك التقرير المرفوع من صاحبنا شيخ الإسلام الحالى الذى هو موافق لروح هذا التفسير . كتبته هنا لتعلم أيها الذكى مبلغ ما أخبرتك عنه في هذا التفسير هرا را وفي كل سورة من أن لهذا التفسير وأمثاله أثراً محموداً إن شاء الله في الإسلام وأن الأمة قد استعدت له ولأمثاله . ولقد نشأت في الأزهر وعاهدت الله على أنه إذا علمنى بعض حقائق هذا الدين التي كنت أجهلها بالأزهر نشرتها بين المسلمين لئلا يقع أدكياءهم في حيرة مثل ما انفق لى . ثم إن ما كتبته شيخ الجامع الأزهر في هذا التقرير الذى رفعه للحكومة المصرية قد خطا خطوات واسعة فيما يطلبه الأزهر والمسلمون . لقد طلب أن يكون التعليم فيه على قسمين ﴾ قسم لا يحدد عدده ولا ترتب درجات التعليم فيه ولا يكون له شئ من الحقوق في أعمال الدولة وإنما يراد منه التفقه في الدين . وقسم يحدد عدد تلاميذه وترتب درجات التعليم فيه إلى ﴾ ثلاثة أقسام * القسم الأول ﴾ مدته خمس سنوات وهكذا الثانى والثالث . فالأول والثانى تدرس فيهما العلوم كالمدارس المصرية ماعدا اللغات الأجنبية وكذا علوم الأزهر الأصلية . والقسم العالى يدرسون فيه المنطق والتوحيد والأخلاق والفلسفة قديمها وحديثها وآداب اللغة والقرآن وعلم التريية وبعض اللغات وتاريخ التشريع الإسلامى وما يلزم للقاضى والحامى من نظم القضاء والادارة وقوانين المرافعات ونكدا . وهؤلاء يكون منهم علماء اللغة العربية وعلماء الفقه وعلماء الارشاد والدعوة ويوظفون في الوظائف المناسبة لهم . هذا ملخص ما فى التقرير . ثم اعلم أيها الذكى أن هذه خطوة تتبعها خطوات . ففى تم ذلك تلته خطوة أخرى فسيقوم فريق من هؤلاء العلماء بهدنا ويقولون لا نقف عند هذا الحد وأى فرق بين اللغة العربية وبين الطب والكيمياء والطبيعة وعلم النبات والحيوان . فلم لا يكون منا السياسى المحنك الماهر والطبيب النطاسى والمهندس الذكى وعالم الكيمياء والنبات والحيوان وهذا ما سيكون بعد حين وإذن يكون الأزهر والمجاهد الإسلامية قد سارت على منهج قوله تعالى - لا تكاف نفس إلا وسعها - فيخصص كل طالب لما استعد له والله هو الولي الحميد

﴿ العلم علما ن علم ضائع وعلم نافع ﴾

أما العلم الضائع فهو ما لا يفيد الأهم في حياتها ولا فى أخلاقها ولا سمون نظامها . لقد تقدم في سورة الكهف ما نقلته عن علماء أئمة الإسلامية أنهم كانوا يعمدون إلى ما فى القرآن من الآيات ويحسبون بالجل ويستنجون منها نتائج . وهذا الحساب يرونه سرا مصونا وجوهرا مكنونا ويقوى ذلك اطلاعهم على علوم الحساب والهندسة والجبر وأمثالها فينوعون فيه ويشغلون الحياة به . فهذا فيه فائدة ولكن مضارته لا حصر لها . أما فائدته

فان المسلم حين يطلع عليه تدعن نفسه للدين ولا يشك فيه لأنه يرى أن هذه الجائبات و بدائع الحساب قد حواها دينه فيتمسك به وفي الوقت نفسه يقف عقله عند هذه ولا يتخطاها . فهذه العلوم أشبه ببعض شيوخ الصوفية الذين ليسوا كاملين . فهو لاء يكون اعتقاد تلاميذهم فيهم سببا لوقوفهم في العلم عند حد خاص لا يتعدونه . وأذكر أنني في أيام شبابي كنت أقرأ ذلك في بعض الكتب فكنت أدهش من ذلك الحساب وعجائبه مثل ان جل محمد اللفظي (بحيث تكون الميم حرفين) يساوي (١٣٢) وحروف الفاتحة اللفظية عددها يساوي (١٣٢) أيضا فلما قرأت هذا أخذت أعد الحروف اللفظية فكانت تقرب من هذا العدد أو تتحد به فكان هذا عندي دليلا على صدق القرآن . وقد تقدم أن هذا وأمثاله يقبل المعارضة وليس فيه من العلم ولا الحقائق شيء وكنت أنظر في الأوافق وأعدادها ونظامها وأدهش وأقول . يا عجب . لماذا لا يجعل الله في الطبيعة نظاما كنظام الأوافق كهذا المثلث وأقول . يا لله إننا نرى هذا المثلث

٤	٩	٢
٣	٥	٧
٨	١	٦

كل ضلع من أضلاعه (١٥) سواء أكان أفقيا أم رأسيا . وإذا كان هذا النظام جيلا فلماذا لم نجد الله فعلا في الطبيعة مثله . هذا كان غرامي وأنا

شاب بمثل هذا . وسبب ذلك وقوع أمثال تلك الكتب في يدي . فجلّ الله وجلّ العلم . غلب على الحساب وغلب على عقلي حب نظام الأعداد وصارت هذه طبيعتي وليس الآن لي متسع أن أفيض القول فيما عرفته بعد ذلك لاني مدرسة دار العلوم ولا في الأزهر قبله بل في كتب الغربيين وستراه مسطورا في سورة (العنكبوت) أن العلماء في زماننا لما رتبوا العناصر بعقولهم وجدوا بينها نظاما مدهشا يعتبر في جانبه علم الأوافق نسيا منسيا وأن النظام هناك والخواص وتناسبها أمر يفوق الحصر كمالا وجلا حتى ان الأوافق العددية لقيمة لها في النظام إلا كقيمة الشمعة في ضوء الشمس . هذا هو الذي كان يخطر لي وأنا شاب وأقول يارب لم لم تر نظام الأوافق في عالم الطبيعة . هذه هي النتائج التي علمتها في حياتي وإياك أن يصدق هذا عن أصل الموضوع فانا نتكلم في العلم الذي لا ينفع وقد قلنا ان هذا العلم لا ينفع لأنه وان أفاد بعض فائدة يضيع على المسلمين فوائد لا حصر لها وانه ان أفاد اطمئنان بعض صغار العلم فانه يصد عنه ويحجب العقول عن التفكير . وسبب ذلك أن الذين يقرؤون تلك الكتب لا يعرفون العلوم التي اشتقت منها هذه الأمور فيظنون أن ذلك سر القرآن وسر الأولياء فيرون أنه من طبقة فوق متساو لهم ومن عقول فوق عقولهم فيذلون ويخضعون ويموتون ولا هم يذكر . ستقول لي أيها الذكي أسمع عجيبة ولا أرى طيحنا فاضرب لنا مثلا حتى نعرف به ما تقول أقول لك . انظر المثلث السابق فقد جعلوه من أسرار (طه) وهذا هو السبب في ذكرى له هنا . المثلث السابق كل ضلع من أضلاعه عدده (١٥) كما تقدم ومجموعها كله (٤٥) ويقولون ان هذا السر عظيم من أسرار القرآن . ألا ترى أن (٤٥) هي جمل (آدم) . إذن هذا المثلث هو سر آدم أيينا وإذا كان (٤٥) حاصل ضرب ٩ في ٥ فله (٥ ضلعان) ضلع ٩ وضلع ٥ و ٩ أكبر من ٥ فيكون آدم وهو (٤٥) ضلعه الأكبر (الضلع أحد المضروبين) ٩ لأنه آخر الأعداد البسيطة التي هي أمهات أعداد كلها وآدم آخر المكوّنات وهي التسعة (العقل . النفس . الفلك . السكوكب . العنصر . المعدن . النبات . الحيوان . الانسان) وضلعه الآخر (٥) فالأكبر نسبيه أيمن والأصغر نسبيه أيسر فاذن آدم له ضلع أيمن وضلع أيسر وحواء خلقت من الأيسر ولا شك أن حواء في الجبل (١٥) وهي مخلوقة من ضرب ٥ في ٣ وحواء تلد انسانا تاما كما ان ٥ بضر بها في نفسها تأتي بمربع (٢٥) ومربع (٢٥) يكون ظاهرا في جميع مضروباتها مثل (١٢٥) وما بعدها الى ما لا يتناهى فالجسم هذا شأنها وحواء هذا شأنها كل منهما قد تم ما تولد منه

وإذا كانت (طه) مركبة من (٩) ومن (٥) فيكون معناها هكذا - طه ما أنزلنا عليك القرآن

لتشقى - يعنى يا آدم وياحواء يعنى أيهما النوع الانسانى - ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى - أى ما جعلناك جامعا
لجميع مراتب الوجود لتشقى بل لتسعد بمطالعة حقائق الموجودات بسبب وجود نموذجها فيك وهذا المعنى
على أن القرآن هو القرآن التكويني أى هذا العالم ونظامه وإن أريد به الوحي فيقال ما أنزلنا عليك القرآن
بالوحي إلا لتسعد بالعمل بما فيه الخ

أنا أيها الذكى نقلت لك عبارة القوم وأنا أعلم أن أكثر من يقرؤها يتعب في فهمها إذ يرى أن مسألة
عدد (٥) عدد كروى مثلا وأن هناك ضلعا أصغر وضلعا أكبر وألفاظا من علوم مختلفة فأمثال هذا كان يقرؤه
المتعلمون في الاسلام فيظنون أن هذا من علم أعلى وتقف العقول وتحصر الأفكار . ذلك لأن مسألة العدد
السكروى وهو (٥) وأن (٢٥) ظاهرة في كل مضروباتها . هذا من علم الارتماطيقى (خواص الأعداد)
الذى ذكرته في كتاب ﴿مہجۃ العلوم فی الفلسفۃ العربیۃ وموازنتها بالعلوم العصریۃ﴾ وإذا رأى ذلك متفقا
مع حديث خلق حواء من الضلع الأيسر ويدخل على الأذ كياء لفظ ضلع مع انها أحد المضروبين في العدد
وآدم ليس له ضلعان اثنان أيمن وأيسر . كلا . بل له (٢٤) ضلعا لاضلعان ولكن القارئ الذى يفهم هذا
في كتب القوم يظن أن هذه حقائق ذات قيمة فتلهع نفسه وينخاع قلبه ويرى أن هذه العلوم عالية جدا
فيمش في تلك الكتب ويقف عقله فيكون أشبه بالناب اذا وقع في العسل وهذه حال أكثر الأذ كياء من
رجال العلم والصوفية في الأم المتأخرة الاسلامية . أتدرى من أين نقلت لك هذا . نقلته من ﴿سفينة
الراغب﴾ نقلا عن شرح العلامة الشيخ ابراهيم المصرى الحلبي على لغز اسم كتاب ﴿الزبدة﴾ لبهاء الدين
الساملى سنة ١١٦٥ فهذه كانوا يعتقدونها أسرارا للقرآن وماهى بأسرار . كلا . بل هذا التمهل يضل العقول
ويضيع عليها الوقت ويخرجها الى عالم الخيال ويجنبها عالم الحقائق . هذا هو العلم الضائع

﴿ العلم النافع ﴾

إن من قرأ هذا التفسير وأمثاله رأى أن هذه السورة مشحونة بمجائب الخلق وذكر عجائب السموات
والأرض وما عليها من نبات وأنعام ويقول الله - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - وهذه الآية
مثلا مفسرة بالعلوم التى أحاطت بنا من كل جانب وبها سعادتنا وسعادة الأمم حولنا بل فرق ذلك جعل في هذا
التفسير أن الطاء والهاء يشيران لنفس هذه الجلة وقد فسرت بما ذرأه الله في عالم الحيوان مشروحا شارحا
للصدور . فما نتيجة ذلك الحساب الذى جعلناه سرا إلا أن يقال إنك أيها النوع الانسانى جامع للحقائق تطالعها
في نفسك . فهل هذا هو السر . اللهم لاسرر هنا ولا معنى فهذا المعنى جزء ضئيل من المعنى المخبوء في آية
واحدة من السورة فان قوله - أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - شملت الانسان ولم تقتصر عليه بل جمعت
كل حيوان وكل نبات وكل فلك وكل جماد . فما هذا السر إذن - إن هى إلا أسماء سميتموها ثم وآبأؤكم
ما أنزل الله بها من سلطان * إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى - فأمثال
هذا الحساب قد أوقف العقول في الأمم الاسلامية دهرا طويلا . فلعمري أين هؤلاء العلماء ممن يعدهم الله
الآن للأهم الاسلامية ليرشدوهم ويعلموهم . إن الله أعد للمسلمين عقب ظهور هذا التفسير وأمثاله من مؤلفات
علماء زماننا رجالا في ظهور آبائهم وآخرين في بطون أمهاتهم سيدرسون هذه الدنيا على حقائقها ويقولون انما
مثل هذه التى سميت أسراراً انما هى أشبه بتدريب الأطفال في المدارس تدريبا عضليا جسميا لتقوية
العضلات في ساحات المدارس وهذا فائدته لتقوية الجسم وحده ولا ينتج فائدة مادية أخرى

أما العمل في الحقول وفي الصناعات الذى سنده الله لخلقه فانه يفيد ﴿الأميرين﴾ يفيد قوة البدن ويفيد
نمو العمران وارتقاء الأمم وينتج الاغذية والملابس وسائر الصناعات . فنحن اذا وجدنا السابقين من متأخري
المسلمين أضاع بعضهم وقته في هذه التى سموها أسراراً وقد مرت عقولهم عليه ولكن ما نفعتهم أمهم فملينا نحن

أن نمرن عقولنا على ما يكسبنا (أصريين) رقى عقولنا ورقى أحوالنا المعاشية والمعادية . فأننا إذا فقلنا كما كانت أوائلنا أيام الدولة العباسية وكما تفعل الفرنجة بعدهم من تحويل أرضنا من حال الى حال واحداث مالم يكن موجودا من المزارع واستخراج مالم يستخرج من المعادن وأنواع السوائل المخزونة في الأرض فلنا الاصريين رقى عقولنا بجائب هذه المخاوقات وارتقاء مدينتنا بالمنافع العامة . ففي عجائب تلك المخاوقات من النظام والجمال والبدائع ما يدهش العقول ألف مرة بخلاف ذلك الوهم الذي لايجب به إلا المبتدؤن في العلم ثم يقولون أصري الله نبينا ﷺ أن يدعو الله أن يزيده علما . ولاجرم أن العلم الذي لافائدة منه لا يطلبه نبينا ﷺ ويقولون ان العالم الذي يكون على قدم رسول الله ﷺ هو الذي يستخرج منافع هذه الدنيا ويكون كالنجم به يهتدى ومستحيل أن يكون كالنجم إلا اذا عم نفعه . ويقولون يقول الله تعالى - لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة - فجعل الله التفكير في الدنيا قبل الآخرة . ثم يقولون فلنبتدي بالفكر في الدنيا ونقرأ آيات الصدقات . يقول الله تعالى - فلا اقتحم العقبة * وما أدراك ما العقبة * فك رقبة * أو اطعام في يوم ذي مسغبة * يتيما ذا مقربة * أو مسكينا ذا متربة - فيفكرون إذن ويقولون إن إطعام المسكين والفقير له منزلة سامية واذا كان آلاف آلاف من الأغنياء أطعموا ملايين من الفقراء وأغنوهم فهو لاهم أجر عظيم ولكن ربما ظهر عالم في الأمة فابدع ما شاء الله أن يبدع في هندسة الأرض بأن بني قناطر حفظت الماء فسقت آلاف الفدادين (جمع فدان) . فهذا بعلمه نفع أم لا أشخاصا فقط فهو وحده أفضل من هؤلاء الأغنياء كلهم وهكذا اذا ظهر من اقتحم العقبات العلمية ودرس طبائع الأرض وفهم خواصها فأدرك بعلمه ما فيها من معادن ومنافع كالنفط والقار التي ببلاد العراق فان من يتأمل فيها يجد الألماس والانكيز لهم الحظ الأوفر في استخراج ما بها من النفط والقار ويقطرونه وكان المسلمون أحق بتلك العلوم والمعارف لأن الله يأمرنا بالازدياد من العلم . الله أكبر ما أجل العلم وما أبدع الحكمة . يا الله أدهشت عقولنا وأثرت بصائرنا بحكمتك في أرضك . يا الله أريتنا أرضك جنة واسعة . وكيف لا تكون جنة وقد رأيناها عروسا زينت للناظرين . عروسا قد حليت بأنواع الحلى

فلاندوم على حال تكون به * كما تلون في أثوابها الغول

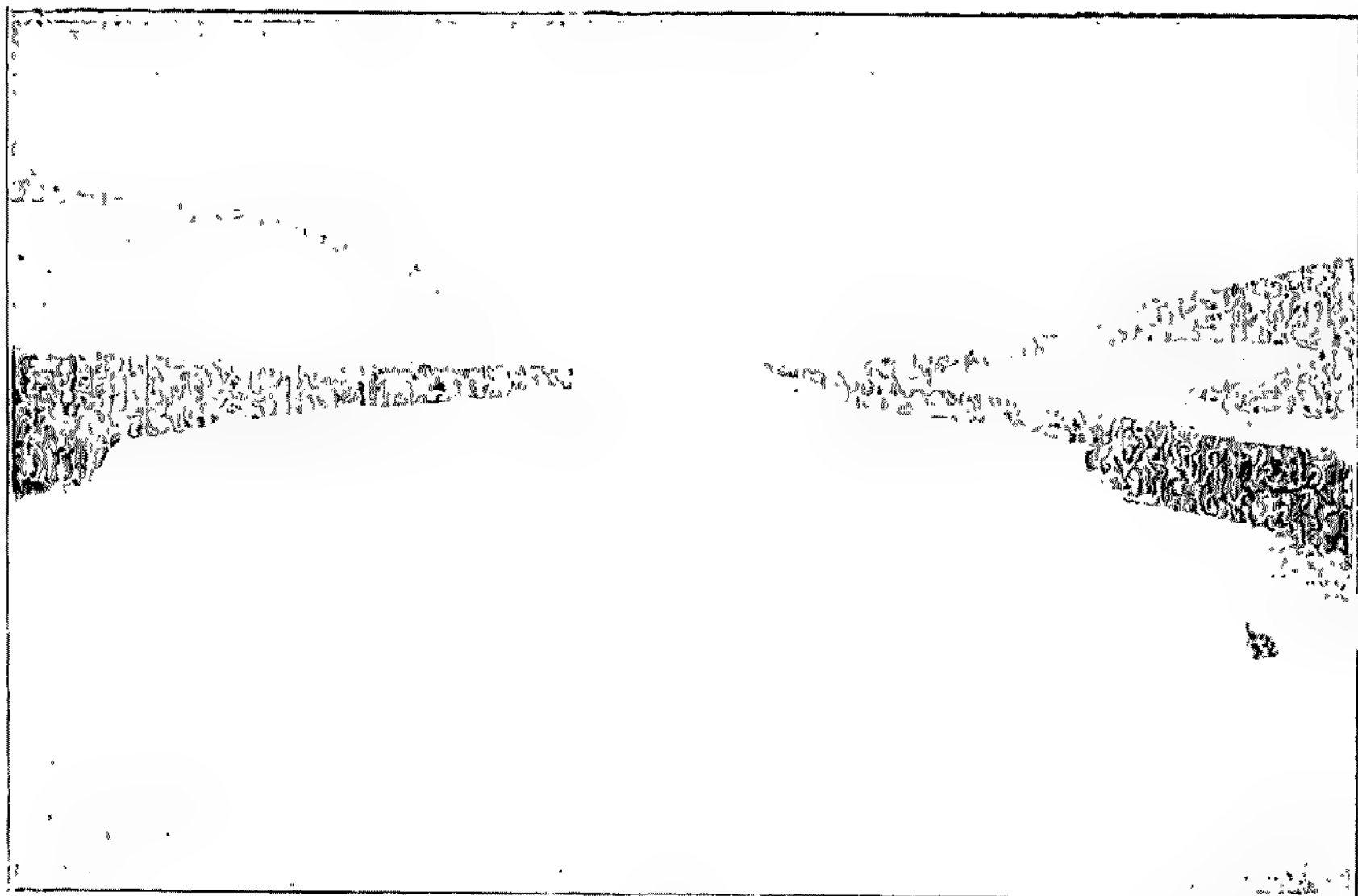
كيف لا وقد رأينا عيوننا تنبع من الأرض . بالماء البارد تارة والحار أخرى كما مر . صورا في سورة الكهف وهكذا قد أخرجت عيوننا كبارا وصغارا تنبع بالقار وهو في حال الغليان وهناك يجتمع أشبه بالصلصال على الأرض أسود أملس صقيلا رطبا عطر الرائحة وذلك على بعد أربعة وأربعين ميلا الى الجنوب من بلاد الموصل على الجانب الغربي من (دجلة) في مكان يسمى (بالقياره)

وهناك بالعراق أيضا آبار يستخرج منها (النفط) كما يستخرج الماء من الآبار . ولقد فتحت بئر هناك في زماننا فقدفت في الجوّ ألوف من القناطير من (النفط) في مدينة (كر كوك) التي تبعد عن بغداد بنحو (٢٠٠) ميل الى الشرق . وهناك مكان يقال له (بابا قرقر) يخرج منه غاز يتقد نارا متى لامس الهواء فاذا نسكت بأصبعك أو بعود رأيت اللهب يخرج من الأرض . واذا حاولت سده بالتراب خرجت النار من مكان آخر وأرض النار هذه أربعة أمتار مربعة فيها بضعة عشر ثوبا يخرج من كل واحد منها نار ملتهبة كلهيب المصباح في لونها (انظر شكل ١١ في الصفحة التالية)

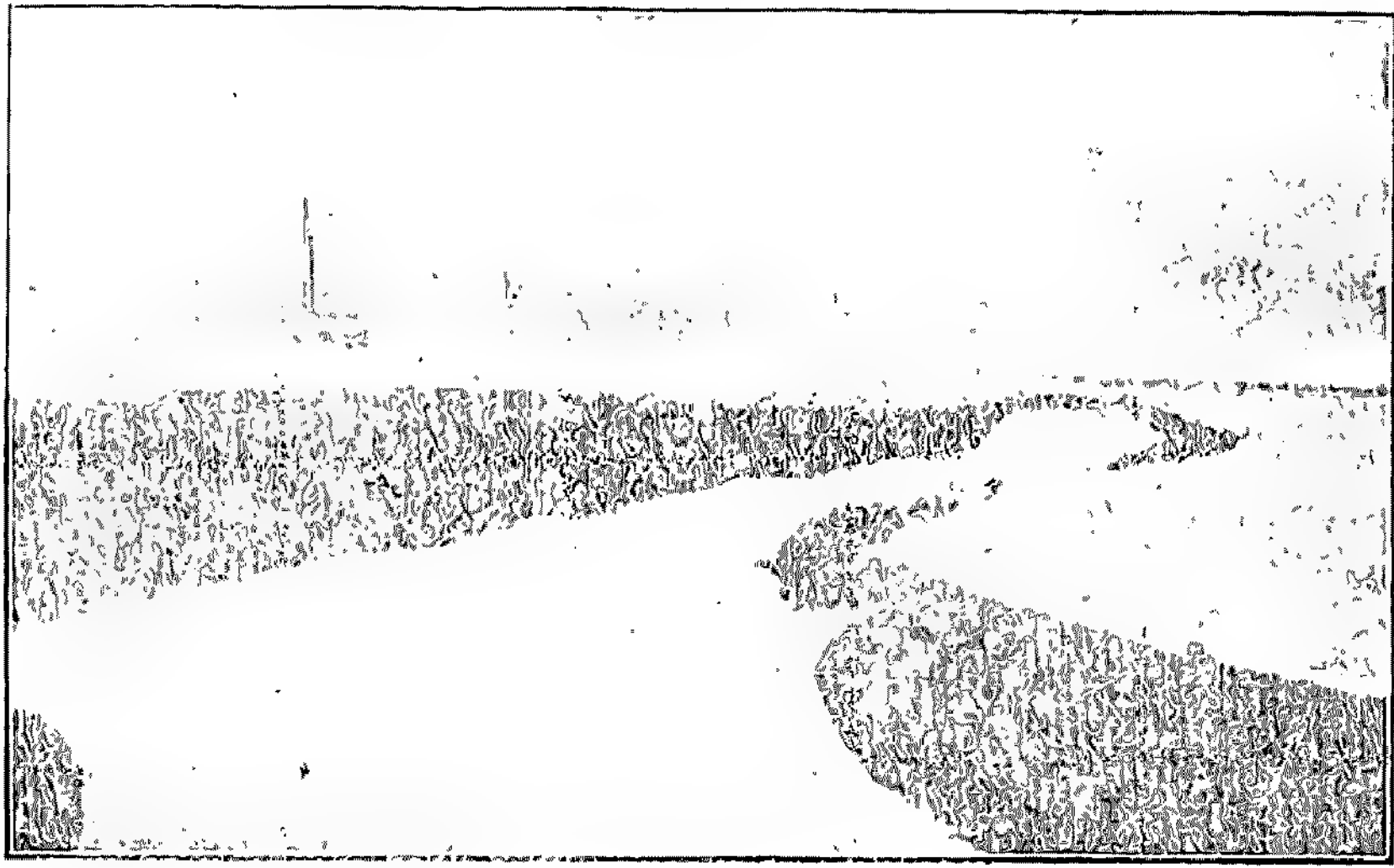


(شكل ١١ - رسم أطمه في (كركوك) وهو سين من النار يقال لها (بابا قرقر) يظن انها اتون النار المتقدة التي ألقى فيها الفتية الثلاثة على ما جاء في سفر دانيال)

ويقال ان المجوس عبدوها لما رأوها تخرج على هذه الحال في (باكو) وهو قول لم يحقق ولقد انفجرت بئر في سنة ١٩٢١ بالقرب من (بابا قرقر) فجأة وارتفع في الجو بضع مئات من الأمطار وكان يقذف (النفط) في اليوم الواحد (٣٥٠٠٠) صفيحة من الصفايح المعروفة وذلك في شهر اكتوبر من تلك السنة وجرى نهر من (النفط) وصار بحيرة وخشى على (كركوك) من الغرق وانهمزم المهندسون والمهال ثم عادوا فردموا البئرومات منهم ثلاثة خنقا بالغاز أحدهم مهندس أمريكي والآخرا عراقيان . وبالجملة أن (النفط) و (القار) في العراق كله (انظر شكل ١٢ وشكل ١٣)



(شكل ١٢ - رسم بحيرة من النفط حيث انفجرت البئر قرب (بابا قرقر) في (كركوك) ولعل البحيرة التي رآها الاسكندر كانت هناك)



(شكل ١٣ - رسم صورة أخرى لآبار (النفط) على مقربة من (كركوك) حيث تفجرت بئر
واندفت فجري (النفط) نهرا واشتعل بعضه كما ترى في الصورة ولا يزال مشتعل)

﴿ تنبيه ﴾ هذه الصورة والثاني قبلها منقولة مع ملخص المعنى من مجلة (المقتطف)

خبرني أيها الذكي هاتخرج من بلاد الاسلام علماء يخصصون لذلك بالتعليم في الأقطار الأوروبية
ويشرحون الطريقة التي بها تستخرج تلك المواد من الأرض وننتفع بها . فهوؤلاء لم يكن عملهم قاصرا
على نفع مئات الالوف من الناس . كلا . بل العالم منهم ينفع أهل الأرض كلها لأن ذلك (القار) أو (النفط)
ينتقل بالتجارة الى أقطار الأرض كلها فهو إذن قد نفع جميع الناس . فاذن العالم أفضل ألف ألف ألف
ألف مرة من الغنى وانفاقه من علمه أفضل ألف ألف ألف مرة من انفاق الغنى من ماله . هذا هو سرّ
قوله تعالى - وقل رب زدني علما - . انتهى يوم الجمعة ٣ صفر سنة ١٣٤٧ و ٢٠ يوليو سنة ١٩٢٨

﴿ اللطيفة الثالثة في قوله تعالى - ولقد عهدنا الى آدم - الى قوله - ولعذاب الآخرة أشد وأبقى - ﴾
هذه الآيات ذكر الله فيها آدم ونسيانه وأنه ليس له عهد وذكّر الجوع والعري والظما والخ ووسوسة الشيطان
والأكل من الشجرة وظهور عورتيهما لهما . اعلم أن هذه القصة أنزلها الله ليجهلها صراة بني آدم فاذا تأملها
الناس عرفوا أن ما جاء فيها منطبق عليهم تمام الانطباق * وفي المثل ﴿ أسرحسوا في ارتقاء ﴾ وأنت لك
القصد والقرآن لا يواجه الناس بحقائق أحوالهم بل يكتفى لهم ويرمز ليكون أدعى الى التفكير وأقرب الى التأمل
ولو أن الحقائق التي تضمنتها هذه القصة وخواها صرح بها القرآن لئلا ينسب بنو آدم من الرقي والياس بمنع الرقي
الى الكمال . ان بني آدم يعيشون في هذه الأرض وقد أحاطت بهم المثلث واستبانت الحقائق . فهذه الطيور
والبهائم تعيش بلا طبخ ولا عجن ولا خبز ولا اسراف في مأكل ولا مشرب ولا يقرب الذكر أنثاه إلا عند الحاجة
الى الحمل ثم لا يقربها الى أجل مسمى . فالطبيعة المحيطة ببني آدم قد برزت مكتوبة بخط جليل ظاهر . إن
السعادة والهناء والسلامة والصحة في القناعة والرضا وعدم الاسراف . فإذا فعل هذا الانسان . طغى وبنى
وتعدى حده في مأكله ومشربه وملبسه وهذه كلها مذكورات في هذه الآيات وجهل ما خطه الله على لوح
الطبيعة من النظام . هذا الانسان خلق له الجوع والعطش والتألم من الحرّ والبرد فأمد بكل غذاء للجوع
وبالماء للعطش وبالملايس لمنع آلام الجوع ولكنه لما تناول الغذاء جهل أصل المقصد منه فتفنن في ضروبه
وألوانه ولما تعاطى الماء ظهر جهله فيه فتفنن في ضروب الازادات فأصبح صريع شهوته قتيل جهالته . ولما
استعمل اللباس لم يقف عند الحاجة بل أخذ يتزين به ونسى كمال نفسه فأصبح بنو آدم بهذا عبيد العوا

وأدخلوا في جهنم دار المنلة والهوان وقد نسوا نسياناً تاماً سعادة الطير وقناعتة بريشه واكتفاه بالحلب يلتقطه وهو مفرد طرب . وهكذا الأنعام لها جلودها وأشعارها وأوبرها لم ترد زيادة عنها . وهكذا الساء تشربه قراحاً لا تمزجه بحاوي ولا تجعله خراً . فهذه المحن التي وقع فيها بنو آدم هي المضاهية لما قيل في آدم ان الشيطان وسوس له وانه أكل من الشجرة وأن السوءة بدت لهما وانهما أخذتا يخلصان من ورقة الجنة . فذكر الأكل وذكر الخسف راجع للجوع والاعرى والأكل يتبعه الشرب ثم ذكر العداوة والاسراف ونسيان العهد ولا جرم أن الانهمالك في هذه المطالب اسراف وهو يورث العداوة . إن النسيان المذكور في الآية قد عم هذه الكرة الارضية . كلنا نجهل أصل المقصود من الجوع ومن العطش الخ . ولقد ذكرت نبذة في هذا الموضوع في سورة (البقرة) عند قوله تعالى - أتستبدلون الذي هو أدنى - الخ وفي سورة (الأعراف) عند قوله تعالى - وكلوا واشربوا - وفي سورة (الحجر) عند ذكر آدم في أول السورة وفي هذه المقامات الثلاث ذكرت أهم الشروط الصحية في الملبس والمأكل والمشرب . وأن الأمم والأفراد الذين انهكوا فيها ذلوا في الدنيا بالضعف والذل - ولعذاب الآخرة أشد وأبقى - وهأنذا الآن أقرأ في كتاب الصحة تأليف زعيم الهندوس الأكبر (مهاتما غاندي) الذي ترجمه الأستاذ الشيخ (عبد الرزاق المليح) آبادي فجمعت كل العجب أن يكون هو قد اصطفى من الطب الحديث ما يقوى ما ذكرته سابقاً في هذه المواضع الثلاثة ولكنه هو زاد أصراً عجبا ذلك أنني كنت أتوخى فيما أكتبه أن أبين الماء كل الضارة مثل الدقيق المنخول والسكر وكذلك ما يشرب مثل القهوة والشاي والخمر . وهكذا قد أثبتت المضار الناجمة من ترك الرياضة البدنية التي جهلها كثير من المسلمين فضعفت أبدانهم ورقت عظامهم وقصرت آجالهم . أما هو فقد أطنب في ذلك وأبدع فيه ثم أنبئه بما كنت أود أن أعرفه أنا ويعرفه قراء هذا التفسير . ذلك أنني كنت أقرأ في المادّة الطبية للطبيب المصري وهو الشيخ الرشيدى بعض أعمال طبية عجيبة تدأوى من أكثر الأمراض بلا استعمال دواء وذلك هو الاستحمام بالماء البارد أو الحار . وهكذا قرأت في كتب أخرى أن الهواء وضوء الشمس والطين . كل هذه تقوم مقام الأدوية وهكذا كنت أقرأ في الكتب القديمة والحديثة أن استعمال الأدوية التي ملئت به الصيدليات في زماننا مداخلت معدة أو منزلة إلا كانت سبباً في تسلسل الأمراض كما قدمته في سورة (البقرة) مفصلاً ولكني كنت أتمنى أن أرى طرق المداواة بهذه المواد مهيأة سهلة بحيث لا يحتاج الإنسان فيها إلى مرشد سوى الكتاب . فلما اطلعت على هذا الكتاب ألفيت المؤلف قد أوضح طرق العلاج أيضاً تماماً وذكر أنه قد جرّبها فعلمت أن الله عز وجل قد أذن لنسوى الجدة من قراء هذا التفسير أن يستغنوا عن الأطباء غالباً متى قرؤا ما سأقله عنه من تلك الكيفيات الصحية التي شملت الأمراض الظاهرة والباطنة اللهم إلا قليلاً . فهأنذا أنقل من ذلك الكتاب القسم الأول منه وهو ما يحفظ الصحة هنا وأرجى قسم المداواة إلى سورة (الشعراء) فأكتبه عند قوله تعالى - والذي هو يطعمنى ويسقئ - فإن حفظ الصحة بمقامنا هنا أليق والمداواة بآية (الشعراء) أنسب وسأنقل من الكتاب في المقامين عيون كلامه وأهم ما يناسب التفسير وليس هذا خارجاً عن التفسير بل هو من صميمه وإذا كنت في سورة (آل عمران) أذكر نبذة جيالة من علم التشريح بمناسبة قوله تعالى - هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء - وأذكر عند قصة إبراهيم الخليل في سورة (الأنعام) أجل ما في علم الفلك وأذكر عند قوله تعالى في سورة (المائدة) - وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم - الخ خلاصة ما جاء في الكشف الحديث من ظهور حقائق جديدة بالاعتبار بها عرف الناس أن كثيراً من عبارات الأنجيل منقولة بالحرف من كتب اليهود وهكذا ترى أيها الذكي أن الآية قد يكتب عليها نحو عشرين ورقة أو أكثر أو أقل ثم ذلك كله فوائد عامية تشوّق للعلم فبالك بما يقوم صحة الأبدان ويزيح عنها ويجعل المرء قوى البدن صحيح الجسم قوى العقل والذاكرة ليربح السعادة في الدنيا ويعم نفعه أهل بلاده وأهله دينه . لا جرم أن هذا أحقّ بالعناية وكل علم رسم

في ذهن سقيم يسقم تبعاً للعالم به والسقم يتبعه الموت * وفي الأثر ﴿ العقل السليم في البدن السليم ﴾
ولنبداً الآن بذكر قسم حفظ الصحة هنا ملخصاً أجل ما ذكره لتستيقن بما كتبت سابقاً لأنه ما كتب
ذلك إلا بعد التجربة وقراءة كتب الطب الغربية العصرية المطبوعات ولنذكر ما جاء فيه على ترتيب ما في الآية
فقد جاء فيها الجوع والعري والظما فلنذكر الكلام على الغذاء ثم اللباس ثم الماء ثم الهواء تبع ترتيب الآية فنقول
قد ذم أكثر الأكل الذي يوجب تعاطي المسهلات والحبوب الهاضمة وذكر أنه هو قد كان وقع في ذلك
إذ كان يشرب الشاي صباحاً ثم يفطر بعد ساعتين ثم يتغدى الساعة الواحدة ثم يشرب الشاي ثانية ثم يجلس
للعشاء بين الساعة السادسة والسابعة . قال فلا تسأل عن تعاسي وسوء حالي في تلك الأيام فكان حشو
جسمي الكثير من الشحم يوجب أن يكون عندي قوارير للأدوية تلازمي . قال وكانت مقدرتي العقلية
ونشاطي ثلث ما أحس به اليوم مع اني كنت في عنفوان الشباب ثم أخذ يذكر الطيور وقناعتها وهكذا جميع
الحيوانات وتجب كيف نهد أنفسنا أفضل المخلوقات وقد سبقنا الحيوان الى هذه السعادة . ثم بين أن الغش
والسرقة وغيرها من الذنوب مبنية على هذه الشراهة والطمع وأخذ يضحك من هذا النوع الانساني المسرف
في لذة الاعراس والأفراح والأعياد ولا يخجل الناس من هذه الفضائح لشحن بطونهم . قال وهذا إثم كبير
انقلب مفخرة فبذل أن الناس في الاعراس حين يقتلون أنفسهم بالبطنة يلومون أنفسهم نراهم يفتخرون بهذه
المنبجة والمهلكة والموت الزؤام فأصبح ما يوجب الخجل والحزى باباً من أبواب الفخر والشرف وكأنه بهذا
يعبر عن قوله تعالى - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم
تستكبرون في الأرض بغير الحق - وبما كنتم تفسقون -

أقول . الحمد لله قد أصبح علم الطب في العصر الحاضر كتفسير للقرآن . ذلك أن الله علم أن الأمم سيزداد
عددهم على الأرض فيستبحر العمران ويزدهم السكان ويكثر الطاعون والوباء فذم في القرآن الاسراف أولاً
وعمم الأطباء في العالم الانساني ثانياً وزاد الطب رقياً على مقدار ازدياد الأمراض انتشاراً . ثم أفاد أن هذا
النوع الانساني يكره اللصوص والغشاشين ولكنه لا يعد البطنة ذنباً مع أنها إثم كبير وأصحابها أهل للقت والسخط
وذكر ما يتبع ذلك من الخمر والحشيش والأفيون وأخذ يقبح التبغ وعادة تعاطيه كما قدمت الكلام على ذلك
كله في سورة (البقرة) عند آية الخمر وفي سورة (الأعراف) وأخذ يقول إن الناس لا يعاون الدسائس المتنوعة
التي يستعملها صناع السجائر إذ يرشون التبغ بحامض الأفيون وغيره من الحوامض المعطرة لكيلا نقدر على
تحرير أنفسنا من قبضته اذا أردنا ذلك . ثم قال والمدخن يصبح عبداً خاضعاً للتبغ الى درجة يفقد فيها كل
شعور للحياء والخجل وهؤلاء اذا لم ينالوا التبغ يرتكبون الجنايات للحصول عليه وحكي حكاية (ليون تولوستوي)
الروسي إذ قال ﴿ أراد رجل لسبب ما قتل زوجته فاستل مديته وهمم بالجناية ولكنه أحسّ حالاً بالندامة
فأعرض وأخذ يدخن فلم يلبث أن غشى على مشاعره تأثير التبغ فقام من فوره وقتل المرأة ﴾ قال فاستدل
الحكيم بهذه الحكمة على أن الدخان أشد تأثيراً على المخ من الخمر وأكبر خطراً منها . ثم أبان أن التدخين
يوجب انحطاطاً كبيراً في قوة الهضم لأن المدخن لا يشعر بالميل الى الغذاء ولذلك يستعمل المربيات والبهارات
والهوقات بكثرة ونفسه يتعفن ويظهر في بعض الحالات على وجهه البثور والنفطات وتسود الأسنان واللثة وقد يقع
بعضهم في أمراض خطيرة والدخان (التبغ) يعفن الهواء ويفسده وبهذا تستضر الصحة العامة ضرراً كبيراً . وقال
مثل ذلك في الشاي وأشد وهكذا القهوة والسكاكو . وأبان أن هذه المنبهات مضرّة . وأنا أقول فأنا أجد الله إذ
نقل عن الأطباء واصطفي من افواههم ما اصطفيته سابقاً في المقالات التي ذكرتها لك قريباً وقال انها تحتوي على نوع
من السم ثم كرر القول وأكده أن القهوة والشاي والسكاكو كلها رديئة لاحتوائها على مواد كلها مضيئة
لقوى الهضم ومن تعود على شئ منها لم يقدر على تركه إلا بعسر . وذكر أن شاعراً هندياً وصف القهوة بأنها

تزيل البلغم والنفخ ولكنها تضعف قوة الرجولية وترقق الدم وترقق المني . ثم قال وقد صدق فيما قال فالأضرار الثلاثة حق ولكن البلغم والنفخ يمكن الاستغناء عنها بسائل الزنجبيل فهو أنفع فيها لهذا الغرض . ثم قال ان إثم القهوة أكبر من نفعها . فإذا كان شئ يفسد المادة المنوية ويسمى الدسم أفلا يجب اجتنابه وقال ان السكاكو فيه مادة تضعف احساس الجلد وفيه مضار كالشاي وكالقهوة . ثم اخترع قهوة تقوم مقام الشاي والسكاكو ولكنها قهوة صحية نافعة ويجد الذين يشربون القهوة فيه طعاما لا يفرقون بينه وبين طعم القهوة . وذلك أن يوضع قح جيد منقى في مرجل فوق النار فيقلى حتى يحمر ويضرب الى السواد ثم يسحق كالبن ثم تأخذ من المسحوق ملعقة وتضعها في فنجال وتصب فوقها ماء فاترا وان وضعتها على النار نحو دقيقة فهو أحسن وتضع عليه اللبن والسكر ان شئت فهذا شراب لذيذ أرخص وأصح من القهوة . ثم ذكر أن الأغذية إما لحم لأهل المناطق الباردة كالاسكيمو وإما نبات لأهل كثيرة وإما مخلوط فيهما لأقوام . ثم أثبت بالبحث أن الجسم الانساني أقرب الى مناسبة الغذاء بالفاكهة . ذلك لأنه ليس بجسم البقر والجاموس مثلاً فتلك لها أربع معدات كما تراه مرسوما بالشكل في سورة (النحل) . أما الانسان فله معدة واحدة . إذن ليس طعامه كطعامها فهي تأكل كل النبات . نعم الانسان أقرب اليها من الآساد والنمور آكلات اللحوم ولكن تركيب المعدة مخالف ولكن الانسان أقرب الى الحيوانات آكلات الثمار كالقرد مثلاً فهو يشبهه في شكله وتركيب بنيته . فاذن الانسان أبعد عن نحو الأسد جداً وعن نحو البقر نوعاً ولكنه أقرب الى القرد آكل الثمر كاللوز والبرتقال والتمر والعنب والتفاح واللوز والجوز والبقول السوداني والجوز الهندي . ونقل عن الأطباء أن الانسان لا ينبغي له أن يعالج الطعام بالطبخ فهو يقدر أن يعيش على ما تنضجه الشمس بحرارتها كالحيوان وأيضاً ان أكثر المواد الغذائية تضيع بالطبخ . فأما التي لا تؤكل نيئة فإنها لم تخلق لغدائنا . وبعد أن ذكر هذه الآراء قال ان قراءة الكتاب سيسخرون من هذا الرأي ولكن على أن أقول المثل الأعلى لهم وما جرت به بنفسى وأنا واثق أنه لا أحد من القراء يعمل به ولكن على أن أظهر لهم حقيقة العلم ومن أراد ذلك فليسر فيه بالتدريج . هذا كلامه هو ثم قال (إن كثيراً من الناس في انكسارهم اقتصر على الفواكه ودونوا نتائج تجاربهم . قال وقد ألف الدكتور الألماني (جست) كتاباً ضخماً في الموضوع أثبت فيه قيمة غذاء الثمار بكثير من الدلائل والشهادات وهكذا عالج كثيراً من الأمراض بوصف هذا الغذاء مصحوباً بالمعيشة في الهواء الطلق) قال وقد توسع حتى قال إن أهالي كل قطر يقدر أن يستغنوا بثمار بلادهم) ثم قال المؤلف نفسه انه جرب الثمار وحدها ستة أشهر فاقصر على الموز والبقول السوداني والتمر وزيت الزيتون معه بعض الفواكه الحامضة كالليمون . قال وقد نجحت تماماً . قال ولقد بقيت صحيحاً وغيرى قد مرضوا وقواى العقلية والجسمية أقوى الآن بكثير وأنا أكثر فيه ثباتاً وعقلاً وحزماً . وهكذا جربت غذاء الثمار في كثير من المرضى . وبالجملة أقول ان تجربتي الشخصية وقراءتي لكتب الطب زادتني رسوخاً في الاعتقاد بأن غذاء الثمار أحسن غذاء للانسان . وبعد أن فرغ من هذا قال (إن غذاء النبات أحسن غذاء بعد غذاء الثمار . والمراد بالنبات ما يشمل أنواع الخضراوات والحبوب ويلحق بها اللبن ولكن النباتات تغذيتها أقل من الثمار لأنها تفقد جزءاً من قوتها أثناء الطبخ ولا بد منه لأنه يتعذر أكلها نيئة . وهنا ذكر أحسن النبات فقال (القمح أحسن أنواع الحبوب ويمكن أن يعيش الانسان عليه وحده ففيه جميع المواد المغذية . وقد تقدم هذا في سورة الحجر موضحة وأقل منه الدخن والذرة . وهنا أخذ يذم الدقيق والخبز في السوق وأنا أكتفي من هذا بما تقدم في سورة (الحجر) فانه هناك واضح كل الايضاح . وهنا استحسن في القمح أن يجرش ثم يطبخ ويخلط معه اللبن والسكر فيكون طعاماً لذيذاً . أقول وأنا أخالف في أمر السكر لأنه مضر بالصحة وأخالفه في اللبن لأننى سأنقل عنه أن تركه أفضل من تعاطيه . ثم ذم غذاء الارز وقد تقدم هذا في سورة (الحجر) . ومن العجيب انه أخذ يذم البقول ويقول

انها وان كانت تساعد في تنظيف الدم فهي عسرة الهضم جدا فيجب الاعتدال فيها وذا العدس واستشهد بكلام الدكتور الانجليزى (بق) والقاف تنطق أشبه بالكاف إذ قال ﴿ إن العدس يجلب الشيخوخة قبل أوانها ﴾ وقال ﴿ فالأحسن لمن لا يقدر على ترك البقول والعدس أن يقتصر منهما على القليل . ثم أخذ يذم البهارات مرة أخرى والتوابل . وذكر أن السودانيين حقروها ومتى أكلوها أفسدت معداتهم وظهرت بشور على وجوههم ثم كرر القول أن البهارات والتوابل لا يقصد الناس منها إلا أنها تهضم طعامهم لسكنها لا تحدث لهم إلا جوعا كاذبا وينتهى لهم ذلك بفقر الدم وبالإسهال . قال وقد مات رجل انجليزى بسبب أكل الفلفل الأحمر ثم زاد على ذلك أن الملح أيضا ملحق بالبهارات ومن ترك الملح نظف دمه حتى لا يؤثر فيه لدغ الثعبان والمصاب بالبواسير وضيق النفس يشفى إذا ترك الملح . قال ولما تركت الملح استفدت فوائد منها عدم كثرة شرب الماء . ومن يترك الملح لابد أن يترك معه النبات والعدس . إن الخضراوات والعدس لا يمكن هضمها بدون الملح . قال والذي يترك الملح بتاتا يشعر في أول الأمر بفقر واسترخاء ولكنه إذا ثبت على ذلك استفاد فائدة تامة . ثم أخذ يذم اللبن ولما ذمّه كرر القول أنه واثق أن قراءه لا يوافقونه ولكن عليه أن يقول الحقيقة والمثل الأعلى ذلك لأن الجمل يرضع لبن أمه فإذا كبر استغنى بالحشائش . ومعنى هذا أن الكبير منا لا يصلح له اللبن كما فعل الثور تماما لأن هذا هو درس الطبيعة المشاهدة واستدلّ بقول الأطباء أن اللبن يورث نوعا من الحمى وأن هناك في الجوّ جراثيم تسقط على اللبن فتسممه ونوق ذلك ما يعلمه الناس أن المرأة المريضة لبنها يمرض ولدها هكذا البقرة المريضة يفعل لبنها معنا كذلك . ومن أين لنا البهيمة السليمة والأطباء يعطون الدواء للأُم ليصبح رضيعها . فإذا كان هذا شأن اللبن فلنستعصم بدله بزيت الزيتون . واللوز الحلو بدل قوى جيدا اللبن فيوضع في الماء الساخن ويزال قشره ثم يسحق جيدا ويمرس ويمزج مزجا فهو يهيئ شرابا محتويا على جميع مزايا اللبن وسالما من جميع مضاره . ثم قال إذا كان الجمل عند ظهور أسنانه يكتب بالحشائش ويترك اللبن فهذا معناه أننا نحن إذا جاوزنا سن الطفولة نعيش على الموز والتفاح والوز وهكذا سائر الثمار أو على خبز القمح قال وبترك اللبن نحني فوائد اقتصادية . قال وعرق الليمون الحامض بدل جيسد اللبن الحامض وأما السمن فألوف مؤلفة من اليهود يستعملون بدله الزيت . ثم عقد فصلا للحم فقال قد ثبت بالفحص أنه ليس غذاء طبيعيا للإنسان والدكتور (بق) المتقدم ذكره والدكتور (كنجيز فورد) أظهر بكل وضاحة مضاره في أجسامنا وأثبتنا أن الحمض الذي يولده العدس يولده اللحم واللحم يولد الأمراض في الأسنان والروماتيزم في الجسم ويحرك الأميال الرديئة كالغضب . وما الغضب وسائر الشرور إلا صور من صور الأمراض . قال وقد أخذ بعض آكلى اللحوم يهجرونها ويرجعون إلى الغذاء النباتي . ثم أبان أن المقتصرين على اللحم حالتهم رديئة ثم أتى بهذه النتيجة أن الذين يعيشون على الثمار قليل ويسهل أن يعيش الإنسان على الثمار مع القمح وزيت الزيتون . فهذا غذاء يساعد مساعدة كبيرة في تقوية الصحة ثم رتب الفواكه هكذا الموز وبهده التمر والعنب والبرقوق والبرتقال وأمثالها . قال ويمكن تناولها مع الخبز ثم قال إن الخبز لا يفسد طعامه إذا بل بزيت الزيتون . قال وهذا الغذاء لا يحتاج فيه إلى الملح والفلفل واللبن والسكر وتحضيره سهل ورخيص ثم قال إن أكل السكر وحده حقاقة والاكثر من الحلاويات يضعف الأسنان ويضر بالصحة والمأكولات المصنوعة من البر والثمار جامعة بين الصحة واللذة

﴿ مقدار الغذاء . ذكر أن الأطباء يساهمون بأن تسعين في المائة من الناس يأكلون أكثر من حاجتهم ﴾ وهنا أطال في أمر مضغ الطعام وجعل له المقام الأول ونقل عن الأطباء أن مضغ الطعام جيدا يفيد مواد غذائية كثيرة من طعام قليل حتى بالغ كاتب خبر فقال ﴿ لومضغنا الطعام جيدا لم نحتاج إلا إلى أوقيتين أو أربع أوقيت من الغذاء ﴾ . قال الدكتور هذا القول بعد أن جرب تجارب لا تحصى وقد بيعت نسخ كتابه ألوفا

مؤلفة . و براز الذي يأكل طعاما نافعا غير كثير يكون قليل المقدار متماسكا بعضه ببعض ولينا ذا لون قائم وخاليا من كل رائحة خبيثة . ومن يرى أن برازه ليس كذلك فليعلم أنه يأكل طعاما كثيرا غير نافع ولا يمتضغ جيدا وهكذا من يشكو الأرق أو ينام نوما متقطعا مقلقا بالأحلام أو يجد صعبا على لسانه اللعاب متجمدا فهو أكثر من الأكل والعفونة في نفس الأسنان تدل على أن طعامه لم ينهضم تماما وظهور البثور في الوجه وفي داخل الأنف وتولد الريح في البطن كل ذلك من كثرة الأكل . وبالاختصار يقول إن أصل المصائب اننا جعلنا بطوننا مزابل . وهنا أخذ يحسن فرض الصيام وأوجب أن يصوم الانسان كل أسبوعين يوما على الأقل لأجل الصحة قال وقد تأسست في انكثرا وأمريكا جمعيات تحض على الاقتصاد على الأكل صرتين في اليوم فلا يفطرون صباحا ولا ياكلون إلا بعد ثلاث ساعات من استيقاظهم . وهناك دكتور اسمه (ديوى) ألف كتابا جديلا في الصوم وأثبت فوائد ترك الفطور . قال وأنا جربت في مدة ثمان سنين أنني قد اكتفيت بمرتين في اليوم وهذا خير لمن جاوز سنى الشباب

﴿ الرياضة ﴾

قال انها ضرورية في الهواء الطلق كضرورة الماء والهواء والغذاء . ومن لا يواظب عليها لا يكون صحيحا وأفضل الرياضة العمل في البساتين والحقول ساعات في النهار فهذه رياضة جسمية وعقلية معا ويليهها رياضة المشي وهي وإن كانت أقل من العمل في الحقول والرياض قد سميت (ملكة الرياضات) وأنا أقول أنني أثناء تأليف هذا التفسير كنت لا أكتب مطلقا إلا بعد المشي على قدمي نحو ستة كيلومترات كل يوم وأنا أعتقد أن هذا قليل ولكنه نفعني والحمد لله وأنا الآن مواظب على الرياضة غالبا ولكن ممارسة الكتب العلمية تزيد الانسان رغبة في العمل . ثم ذكر المؤلف ما كتبه السكاتب الأمريكي الكبير (تورو) الذي أطنب في فوائد الرياضة ثم قال ما نصه ﴿ إن كتابة أولئك الذين يعيشون في البيوت ولا يخرجون منها أبدا في الهواء الطلق تكون ضعيفة كأجسامهم وإن أحسن مؤلفاتي كلها هي التي ألقتها في الزمن الذي كنت أمشي فيه كثيرا ﴾ وقد كان يمشي أربع أو خمس ساعات كل يوم . ثم قال ﴿ إن المشي ميلا أو ميلين ليس بمشي لأن مشي عشرة أو اثني عشر ميلا ضروري للرياضة فإن لم يكن كل يوم فليكن يوما في الاسبوع ﴾ ثم ذم لاعبي كرة القدم والصولجان فقال انهم لا يملكون قوى عقلية تامة

﴿ اللباس ﴾

أما اللباس فقد حدثت عنه في سورة (الأعراف) وكذلك الماء هناك موضعا وسأزیدهما هنا ايضا من كلامه وأزید عليهما الماء فأقول

يقول ان الانسان خلق في الأصل عاريا مكشوف الجسد فكان جلده متينا قويا يتحمل (جسارة القيظ) و (صبارة) الشتاء وابل المطر ونحن لا نتنفس بفمنا فحسب بل بجلدنا كذلك فتغطية الجلد تمنعه من أداء وظيفته فلما شاعت عادة اللبس أخذ أهل البلاد الباردة يغطون أجسادهم لأنهم لا يتحملون البرد ثم صار اللباس للزينة ثم صار عنوانا على الوطن والجنس ونحوهما . والحق أن جلدنا خلق كسوة لنا وتوهم الناس أن جسمنا العاري غير جميل توهم باطل . ثم قال ان الجسم العاري أجمل من اللباس وأخذ يذم الحلى فقال إن منها ما يكون سببا في تراكم الأوساخ كزينة الأنف والأذن . وذم الملابس الافرنجية في غير البلاد الباردة فيجب أن يكون واسعة في غيرها وقال ان اللباس الأسود يكون أحر من الشمس بخلاف الأبيض لأن الأول يشرب الحرارة ويجمعها والثاني يذبها ولا يقبلها وسمى الرجلين سمسرة الأمراض لأنها تتوسخ وتعرق وتتعفن تعفنا شديدا فيجب تغطية باطن الأقدام دون ظواهرها واختار هولئك القبقاب وذلك كما فعل قدماء المصريين من لبس نعال كنعان أهل الحجاز ولم يقتصر على ذلك حتى أمر الناس أن يمشوا حفاة

﴿ الزواج ﴾

ولقد منع الاسراف في هذه الشهوة وبالع حتى حرم أكثر تمتع الناس بها لأن حفظها يقوى عقولنا ويحفظها اذا كبرنا فننفع الناس بهقولنا ولا نموت إلا وقد أدبنا ماعليتنا للناس . إذن يكون موتنا سعادة لأننا أرضينا ربنا بمنفعة عباده ولا نقدر على ذلك إلا اذا صحت عقولنا وأجسامنا وهما لاصحة لها إلا بحفظ هذه الشهوة وعدم خطورها بالبال . واذا كان لابد منها فليكن ذلك لطلب النسل لاغير (أقول وذلك كما يفعل الحيوان سواء بسواء) ثم انه بهذا ذلك يقول ﴿ إن هذا القول لن يقبله أحد من الناس ولكن أنا ألفت الكتاب لأشرف نوع الانسان النافعين للأمم أولئك هم المتقون - وقليل من عبادى الشكور - ويقول ﴿ من غلبته الشهوة من هذه الطائفة فليستحجم بالماء البارد ﴾ وقال ﴿ إني وقعت في الاسراف في هذه الشهوة عشرين سنة وهأنذا الآن أجد الله إذ أحافظ عليها وأحفظ عقلى وجسمى مدة الحياة ﴾

هذا ما قاله في الغذاء والغذاء لا بد له من الرياضة ويتبعهما أمر الشهوة ثم مجمل ما ذكره في اللباس وقد وعدت أن أذكر الغذاء لأجل ذكر الجوع في الآية ثم اللباس وأتبع ذلك بالماء مراعاة لنظام الآية هنا إذ يقول تعالى - إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى * وانك لا تعلم فيها - الخ فلا تختم القول بالماء وأتبعه بالهواء أما الماء فقد وضع في سورة (الأعراف) أى وضوح كما ذكرته هنا فلندكر شفرة مما قاله هنا . يقول ان الماء يفسد بسببين سبب المكان الذى هو فيه وسبب أنفسنا . فالماء الذى في مكان قدر نحذر منه عادة ولكن ماء الأنهار والجارى النظيفة نلقى فيها القاذورات نحن ثم نشرب منها فليحذر الناس من شرب الماء من الأنهار التى فيها القذر فلتخصص الجهة العليا من النهر للشرب والسفلى للاغتسال وغسل الأشياء مثل الملابس والأواني وهناك بلاد تعودوا أن يحفروا بجانب النهر حفرة في الرمل ويأخذوا منها الماء لشربهم وهذا الماء يكون نظيفا جدا لأنه مصفى بالرمال ومنع شرب ماء الآبار إن لم تكن مبنية بناء محكما حتى لا يقطر الماء الوسخ فيه وسقوط الطيور والهوام وتعفن فيها واتخاذ الطيور أو كرها فيها . كل ذلك يفسد الماء وكثيرا ما يتسرب اليها الماء الوسخ من باطن الأرض فليحترس من شرب ماء الآبار . وهكذا من خزن المياه في الخوض المكشوف فليغطه ولينظف حيناً بعد حين . ثم قال وقليل من الناس من يراعون الأحواض والآبار فلا يصح الاغتسال في النهر ولا غسل الملابس في موارده العامة للشرب خاصة أو قضاء الحاجة والبول على شواطئ الأنهار فالماء الصافى نادر . لذلك هيأ الأطباء الماء المقطر لمرضاهم . فمن شكا الامساك يشفى غالبا بشرب الماء المقطر . وفي كتاب حديث في هذا الشأن مبالغة عظيمة في الماء المقطر أن استعماله بطرق خاصة يمنع جميع الأمراض وهذه مبالغة ولكن تدل على فائدته

﴿ الهواء ﴾

ثم ذكر أن الانسان لا يعيش بدون الهواء خمس دقائق . نحن نعرف الماء القذر فتجنبه ولكننا نتنفس في الهواء الفاسد وكأننا نتعاطى النقي ولا نحس به . فاذا تنفس الناس في حجرة فقد أصبح هواؤها كالقئ ولكننا لانعرف ذلك . وأخذ يتعجب ممن ينامون أو يجلسون طويلا في حجرة مغلقة . ثم قال إن الهواء الفاسد قد قضى على صحة (٩٩) في المائة من الناس . فالسبل وحى الدق وسائر الأمراض العفنة سببها الهواء . وقال إن المراهض اذا لم تبين على طريق صحى أفسدت الهواء . والسنانير تدفن البراز في التراب وكذلك الكلاب . يجب أن ننظف المراهض بايدينا ولا نخجل ونمنع البصق في الطرق لأنه يهدى الناس اذا كان صاحبه مريضا ونمنع التنفس بالفم وهكذا . وأفاد أن ينام الانسان ليلا تحت ضوء القمر في ساحة طلقة الهواء ويكون في النهار في مكان طلق بقدر الامكان . واذا نام الانسان في حجرة فليترك بابها مفتوحا واستنشاق الهواء البارد لا يحدث الزكام . نعم يحدث عند الذين أفسدوا رئاتهم بالنوم في الحجرات المقفلة وغيروا

عاداتهم جأة ولكن لا ينبغي لهم أن يخافوا من البرد لأنه إن أصابهم لا يلبث أن يزول قريبا وكشف الوجه في أثناء النوم ضروري والا تنفس الانسان في الهواء الذي قذفه وهكذا يقول في النور لا بد منه . قال وقد شفى كثير من المرضى على يد علماء أوروبا بالاستحمام الهوائي والاستحمام الشمسي بدلا من الادوية . وقد شفى ألوف من المرضى بتعرضهم للهواء وللشمس ولم يستعملوا أى دواء . فعلينا إذن أن نترك جميع أبواب بيوتنا ونوافذها مفتوحة ليدخل فيها النور والهواء بكثرة . هذا ما أردت أن أذكره من قسم المحافظة على الصحة من ذلك الكتاب . ولقد خصته لك تلخيصا لا يضيع عليك وقتك مع الايضاح وأرجات كيفية المداواة لجميع الأمراض غالبا بدون شرب دواء الى سورة (الشعراء) كما ذكرت سابقا . وهنا اعتراض فرب قائل يقول لى انك في هذا التفسير قد أتيت بالتناقضات لأنك في سورة (الأعراف) قد جمعت بين أنواع اللحم وأنواع الخضراوات وجعلتها مرتبة في طرق استعمالها وهضمها . وهنا نقلت أن اللحم والخضراوات لا لزوم لها وفي سورة (البقرة) أيضا منعت اللحم . فأذن أنت انما تنقل الكلام على عواهنه والقارى لا يعرف لك رأيا وهذا أمر لا يقبله العقلاء أقول . هذا حصل فعلا ولكن الأطباء عند المرض وظيفتهم كوظيفة الوعاظ والمصلحين للعقول . فالطبيب عادة يجد الناس يأكلون كل شئ فعليه هو تنظيم ما يأكلون . وهكذا المصلحون ينظمون أحوال الناس وعاداتهم وليس في استطاعة هؤلاء ولا هؤلاء أن يغيروا العادات تغييرا تاما . فما ذكرته في سورة (الأعراف) هو الطب المعتاد بين الأمم . وما ذكرته هنا لطبقة ترفع به عن طبقات الناس وتحظى بسعادة وصحة غير ما عرفه الناس من السعادات . ثم إن ما ذكرته أنا في سورة (الأعراف) مناسب لما لأن الله تعالى يقول - وكلاوا واشربوا ولا تسرفوا - فوجب تنظيم الأكل هناك . أما هنا فالله يقول قولاً آخر . يقص علينا قصة أدينا آدم ومن هذه القصة نرجع الى تاريخ حياتنا نحن . نحن كنا نعيش في الغابات ونأكل من الثمرات فهذه جنتنا الصحية كجنة آدم أدينا . ثم اننا قلنا لا بد من لذات وزينة فانتقلنا الى ما نحن فيه الآن فعاقبنا الله بالخروج عن سنن الطبيعة . فاذا كان آدم نسي عهد الله وأكل من الشجرة فنحن خرجنا عن سنن الطبيعة فأكلنا فوق طاقتنا ولم نفعل فعل الحيوان في أمر الشهوة البهيمية فلم نجعلها مثله لأجل الذرية . لهذا عوقب الناس بالمرض من سائر وجوهه كما عوقب آدم بالخروج من الجنة . واذا قال الله في آدم انه لما أكل هو وحواء من الشجرة أخذوا يخلصان عليهما من ورق الجنة . هكذا لما خرجنا عن سنن الطبيعة أخذنا نجتد في طلب اللذات والزينة في القوت واللباس . واذا قال الله لها - ألم أنهكما عن تلكما الشجرة - الخ فهذه هو النداء في كل وقت نسمعه بلسان الدين والطب يقرع أسماعنا كل يوم ﴿ اتركوا الشهوات لتصحوا ﴾ . هذا قول الدين وقول الطب والعلم معا لتصح العقول والأجسام . واذا أجاب أبو اناربهما بأنهما ظلما أنفسهما فهنا نحن أولاء نكتب جميعا في الشرق والغرب ونعترف على رؤس الأشهاد بأننا معاشر بني آدم ننزلنا عن الحيوان في أكلنا وشربنا وهوائنا وشهواتنا التناسلية فكل كاتب يقول ذلك عن نفسه وعن نوع الانسان فهذا الاقرار يكرر كل يوم كإقرار أبونا . واذا أجابهما الله بأن يهبطا بعضهم لبعض عدو . فهذه هو نوع الانسان بعضه لبعض عدو . واذا قال الله لها ان من اتبع هداى لا يضل ومن أعرض عن ذكرى يكون في معيشة ضلوكى . فهذه هو تذكير الله لنا بالكتب السماوية والكتب العلمية كل يوم فن اتبع فاز ومن ضل هلك في صحته إن خالف المثل الأعلى وفي عقله أيضا بترك الصحة أو بترك التقوى . ثم إن هذه الآراء التي تكتب هنا وأمثالها تذكر قواد الأمم بالرجوع الى حال الصحة التامة ليكونوا قادة للنوع الانساني - وقليل من عبادى الشكور - . اللهم إني أجدك جدا كثيرا إذ وفقتنى لكتابة هذا وتفسير الآية به . كتبت هذا يوم الاثنين ١٨ يونيو سنة ١٩٢٨

(زيارتي لمتحف فؤاد الصحى بمصر)

أقول لما اطلع على ما كتبت أحد الفضلاء قال إن في هذا القول لمبالغة وشدة وتضييقا وليس لهذا إلا أن يكون من المذكرات للمقلاء بل إن المؤلف نفسه قد قال ذلك . فهل لك أن تسير معى الى جهة عابدين لأريك ما حدث بالقاهرة على كسب منك أنت . هذا كلام (غاندى) ولكن بعض القراء يقولون إن (غاندى) رجل أشبه برجال التصوف والزهاد . وهذه الطائفة مشددون فإذا أردفت كلام هذا العالم بما شيد في مصر بعابدين وهو المتحف المذكور ثم تثبت ما تراه هناك وما أعد لمشاهدة الجمهور كان ذلك أحسن وقعا وأدق صنعا وأقرب الى العقول فهما لأنهم يعلمون أن هذا المتحف قد أنشئ في مصر على منوال ما صنعه أهل أوروبا الذين روى الفساق من أبناء الشرق عن فساقهم أحاديث الخيانة والشهوات القاتلات سلسلة مصححة فاتبعوها بأمانة واخلاص فعسى انهم اذا سمعوا أحاديث الطب المروية عنهم يتبعون أحسنها ويهديهم الله ويجهلهم من أولى الأبواب . فقلت إن ما ذكرته عن (غاندى) منقول عن أوروبا . فقال ولكنه مقرون بعفته هو فيظن فيه التشديد والمبالغة فتوجهت معه الى « متحف فؤاد الصحى » فأول ما فاجأني فيه بهومتسع وفيه تماثيل وصور شتى تمثل أنواع الأعضاء الجسمية

(أ) فهناك صورة تمثل المصارع وقوته تحريرا على الرياضة البدنية
(ب) وهيئة آلة كالمسواك موضوعة على الأسنان ترى الداخل أن الأسنان يكون التنظيف فيها طولا وعرضا
(ج) وصورة الرأس متصلة بالرقبة وبيان عملي أن لها « حركتين » حركة تفتى بها الى الأمام والخلف وحركة جانبية

(د) صورة فقر من فقرات العنق مكبرة وفيها النخاع الشوكى والأعصاب واضحة فيها

(هـ) صورة تبين قوة عظام الفك

(و) وبيان أن وزن جسم الانسان اذا كان (٧٠) كيلوجراما فإن الماء فيها يكون (٤٥) منها والمواد الصلبة (٢٥) وهذه منها مواد زلالية (٤) ومواد دهنية (٧) وأملاح غير عضوية $\frac{1}{3}$ و مواد نشوية ٧٠ . ك ج (ز) وصورة العمود الفقري الخ . وبالجملة يرى في هذا البهو العظام والألياف العضلية مفصلات وهناك في ذلك الدور الأرضى يتفرع من هذا البهو « ثلاث حجرات » * الحجر الأولى « فيها (١) جهاز الدورة الدموية (٢) وجهاز الأوعية اللفاوية (٣) وجهاز التنفس (٤) والغدد ذات الافراز الداخلى وقد كتب فيها هذه النصائح

(١) ابتعد عن الخمر والتدخين وحاذر من عدوى الزهري تسلم من كثير من أمراض القلب والأوعية الدموية « الحجر الثانية » فيها

(أ) الجهاز العصبى (ب) صورة الانسان قبل التاريخ وهيكله العظمى نفسه (ج) نفس الأدوات التى استعملها الانسان قبل التاريخ (د) الجلد الانسانى وفيها ألواح مكتوب فى أحدها ما يأتى

(١) النظافة من الإيمان (٢) الصحة تاج على رؤس الأصحاء لا يراه إلا المرضى (٣) لو تسنى لك رؤية ما تراه كم تحت أظفرك من القاذورات بالمجهر (المكروسكوب) لبذلت عناية كبرى فى قصصها ونظافتها . وقد كتب فى لوحة ثانية ما نصه

(١) « العقل السليم فى الجسم الصحيح »

(٢) بعض أنواع الجنون وراثية فيجب العناية بانتقاء الأزواج

(٣) المخدرات كالسكر كاين والمورفين والخمر من أهم أسباب الجنون

(٤) « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » وكتب تحته هكذا (حديث شريف)

- (٥) حجم مخ الانسان منسوب الى وزن جسمه يفوق مخ أى حيوان آخر
- (٦) الأمراض الطفيلية المزمنة فى الأطفال تؤخر نمو عقولهم
- ﴿ الحجره الثالثه ﴾ فى الدور الأرضى المفرّعة من هذا البهو فيها
- (١) الجهاز الهضمى (٢) الماء كولات ومصدرها وطرق استعمالها (٣) الجهاز البولى
- (٤) الأمراض التى تنشأ عن نقص فى بعض موادّ الغذاء (٥) الأذن . وفيها لوحة كتب عليها ما يأتى
- ﴿ المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ﴾ ولوحة أخرى كتب عليها ما يأتى
- (١) ﴿ الجاهل يعيش لياكل والعاقل يأكل ليعيش ﴾
- (٢) اشرب كثيرا من الماء القراح فانه ينقى الدم ويساعد على إفراز البول
- (٣) لا تركز الى الأدوية المملّنة لمعالجة الامساك إلا بإرشاد الطبيب
- (٤) التدخين يسبب مرض القلب والأوعية الدموية وفقد الشهوة وضعف الابصار
- ولوحة ثالثة كتب عليها ما يأتى
- (١) ﴿ نحن قوم لاناكل حتى نجوع واذا أكلنا لانشبع ﴾ وكتب تحتها (حديث شريف)
- (٢) ﴿ ربّ أكلة حرمت أكالات ﴾
- (٣) سوء التغذية يودى بحياة آلاف من الأطفال
- (٤) لبن الأم هو الغذاء الطبيعى للطفل حتى الشهر التاسع
- (٥) لا تدخل الطعام على الطعام
- وبعد أن اطلعت على الدور الأرضى صعدت الى السلم المؤدى الى الدور الذى فوقه فرأيت أمرا عجا .
- رأيت صور وجوه مزججة وأعضاء محزنة مشوّهة تشويها فظيها لأقوام أصيبوا بالزهرى وزهقت أرواحهم ضحيته
- وقد كتب تحت هذه الصور المشوّهة ألواح فيها نصائح مثل قولهم
- (١) إن التهوّد على العادات الصحية فى الصغر أمر مهم . أما قراءة علم الصحة بلا تهوّد فلا فائدة منه
- (٢) ومثل ﴿ انى لا أبصق على الأرض ﴾
- (٣) انى أمضغ طعامى جيدا
- (٤) انى أغرف لنفسى الطعام بملعقة خاصة ولا أستعمل لذلك ملعقتى الخاصة بى
- (٥) انى أذهب الى المرحاض فى ساعة معينة كل يوم
- (٦) انى لا أعود المرضى إلا اذا كنت مضطرا لمريضهم لأن كثيرا من الأمراض سهلة الانتقال
- (٧) أنا أنام عشر ساعات كل ليلة ونوافذ غرفتى مفتوحة
- (٨) انى أغسل يديّ بالماء والصابون وأنظف أظافرى قبل أن ألمس الطعام
- (٩) انى أنظف أسنانى مرتين كل يوم على الأقل مرّة فى الصباح ومرّة فى المساء
- (١٠) انى استحم استحماما كاملا مرّة على الأقل كل أسبوع
- (١١) انى أضع منديل على أمانى اذا سعلت أو عطست . وقد كتب أيضا أن هذه اللوحات مستحضرة من بلاد الصين . ثم إن هذه النصائح الجملة قد فصلت فى ألواح أخرى وشرحت . ففى لوحة كتب ما يأتى
- (١٢) الأطعمة المعروضة فى الأسواق بلاوقاية من الأتربة والذباب خطر تناولها . كذلك الطبخ الذى يمسكه البائع بيده القذرة الخ . وفى لوحة أخرى كتب ما يأتى
- لأننا كل الخضر اوات إلا بعد طبخها أو غسلها جيدا مثل الفجل والكراث والخس لأنها قد تكون مصابة من ماء البرك بالمكروب . هذا ما قرأته وأنا صاعد فى السلم على اللوحات المعلقة على الحائط . فلما دخلت الدور

العلوى وجدت فيه ﴿ ثلاث حجرات ﴾ أيضا . فأما الحجر الأولى ففيها الأعضاء المشوهة من مرض الزهري بهيئة تقشعر منها الأبدان بحيث لو اطلع عليها شاب لا يسمح لنفسه بالزنا مرة واحدة في حياته فكأن الأعضاء المشوهة بالسلم مقدمات لهذه الحجر . وهذه الحجر قد كتب على بابها في لوحة مانصه ﴿ الأمراض السرية - ولا تقر بوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا - والحق أن ما يشاهده الانسان في هذه الحجر لا يدع سبيلا للشك في اهلاك الزنا للنفوس البشرية . وجوه كالحة وأنوف مائلة ورقاب ذابلة وقروح دامية وشفاه سائلة وآذان حائلة وعيون جاحظة وسوات مفتتة وعورات مخرقة وفروج منقطعة أو مقطعة وهيئات جهنمية وعظام ألوانها بنية ﴾ (بتشديد النون والياء) في أجسام بلية منظر مهول ومظهر كالغول ووصف أعجز القول فليس لي بوصفه حول ولا طول . لذلك أنتقل من هذا الى باب بقية الحجرات في هذا الدور العلوى فأقول هناك على باب بقية الحجرات لوحة قد كتب عليها ﴿ إن الذئ في البهوى . الامومة . الطفل . الاسعافات

﴿ غرفة نمرة ١ ﴾

الأولية ﴿ الأمراض المعدية . الأمراض الطفيلية

﴿ غرفة نمرة ٢ ﴾

أمراض العيون . الأدوات الصحية . السرطان . الحياة التناسلية . إذن دخلت البهو وهناك فيه رسمت الزهرة ولها أعضاء تذكير عددها خمسة صفراء اللون محيطة بخمسة أخرى داخلها وهي أعضاء تأنيث خضراء وكلها مجسمة واضحة . وهناك شاهدت أطوار النطفة من أول يوم الى تمام كمال الجنين في الشهر الأول وليس واضحا . أما في الشهر الثاني والثالث فإنه يرى مخلقا بعض الخلق . أما في الشهر الرابع فإنه يرى تام الخلقة نائما على ظهره ولكنه في الثاني والثالث يرى نائما على جنبه الأيسر وفي الشهر الخامس يكون أكبر وهو نائم على جنبه الأيمن وفي السابع يكون نائما على ظهره وهكذا الى الثامن . أما في التاسع فإنه يكون نائما على جنبه الأيسر كالشهر الثالث . وفي الأيام الأولى يرى تكوينه مبتدئا يجعل النطفة قسمين ثم أقساما ثم يظهر شكل العلقه ثم يكون له ما يشبه الذيل ثم يرى أن هذا الذيل قد زال وأصبح أشبه بحيوان لا ذيل له فلا دخل إذن الحجر الأولى نمرة ١ هناك ثلاثة أنواع من الألواح . ألواح كتب عليها نصائح للرجال وألواح كتب عليها نصائح للشبان وألواح كتب عليها نصائح للبنات

﴿ نصائح الرجال ﴾

ألواح نصائح الرجال كثيرة فمنها جندي مدجج بالسلاح مكتوب تحته ﴿ اذا أردت أن تكون جنديا شجاعا فيجب أن تكون مخلصا مطيعا سليم البنية . وقد أمر أن ينظر في اللوحات التي بعده مثل ﴿ بيان كيف يمكن كبح جاح الشهوة البهيمية وذلك بعدم قراءة النوادر ورؤية الصور المبتذلة وكل ما يوقظ الشهوة وينصح أيضا بالابتعاد عن النساء المبتذلات وعن شرب المشروبات الروحية ويؤمر بضبط النفس وبالاهتمام بالأعمال الخاصة وباللألعاب الرياضية ونحوها ﴾ ثم هناك بيان كيفية إصابة الزهري وبيان ما يطلب من الرجل ومن المرأة من العفة والشرف وشرح المرض التناسلي وضرره . فكأن هذا شرح لما في الحجر الأولى التي يدخلها الانسان قبل دخول البهو المملوءة صورا مخزنة . فهذا شرح لها . وهناك لوحة كتب عليها ما نصه ﴿ هل الجوع ضروري . ليس الجوع ضروريا لحفظ الصحة لأن الطبيعة (يريد رب الطبيعة) تتصرف في السوائل التي تفرزها الغدد التناسلية أثناء النوم . لا تصدق من يقول لك ان (الاستحلام) مضر ويجب معالجته بالجوع . فهذا ليس حقيقيا فان المدرسين الرياضيين يمنعون المصارعين من الجوع قبل المسابقة لأنهم يريدون أن يكونوا في أحسن صحة ممكنة . القبطان سكوت وجاعته في ارتيادهم القطب الجنوبي وجاعات كثيرة غيرهم أمضوا وقتا طويلا حيث لا توجد امرأة ولا ينكر أحد انهم كانوا رجالا أشداء ﴾ هذا ما أردت

ذكره من لوحات نصائح الرجال

﴿ لوحات نصائح الشبان ﴾

كتب فيها ما يأتي ﴿ المحافظة على الصحة • نصائح لرجال والأولاد نشرتها مصلحة الصحة بالولايات المتحدة باتحاد الجمعية الأمريكية للصحة الاجتماعية ﴾ وهذه صورتها

(١) هل أنت صحيح (٢) هل يمكنك أن تمشي عشرين ميلا في اليوم (٣) هل يمكنك أن تشتغل في الحقل ثمان ساعات في اليوم (٤) هل يمكنك أن تجري (١٠٠) ياردة في (١٢) ثانية • مستلزمات الصحة • (١) القوة العضلية (٢) الاجتهاد (٣) النشاط (٤) قوة الإرادة (٥) الشجاعة (٦) ضبط النفس • ما هي حدود مدة التمرين البدني ﴾

وهنا أمر بالمحافظة على قوانين الرياضة البدنية فقال حافظ على صحتك لتقوم بالألعاب الرياضية أولت تعلم العلم والأشغال التجارية أولاًى عمل في ميدان الحياة باتباع القوانين الآتية

(١) تريض والعب بلا فراط (٢) تناول الأطعمة الصالحة (٣) استنشاق الهواء الطلق كلما أمكن ذلك (٤) نم وقتاً كافياً (٥) اعتن بنظافة جسمك وثيابك • ثم بعدها لوحة كتب عليها ما يأتي ﴿ تشرب بالروح الرياضية ﴾ (١) السباحة (٢) كرة القدم (٣) كرة المضرب (٤) ركوب الخيل (٥) المشي في الهواء الطلق والصحارى • كل هذه أنواع الرياضة الشيقة • وفي لوحة أخرى أيضاً ما يأتي ﴿ تريض بدنك بعمل نافع • الاشتغال في الحديقة والتجارة • أنواع الرياضة المنزلية النافعة • تريض عند اليقظة من النوم • تريض أمام نافذة مفتوحة وأتبع ذلك بحمام وذلك جسمك بنشاط بمنشفة خشنة • قف معتدلاً واجلس وامش معتدلاً • الوضع الطبيعي للجسم يلفت النظر لجماله ويدعو الى الاحترام والثقة بالنفس ويساعد على الهضم • أحن رقبتك الى الخلف حتى تمسّ طوق الرقبة • أكثر من الاستحمام • كيفية الاستحمام • الماء الدافئ والصابون لمدة ثلاث دقائق ويعقب ذلك شعور بارتياح وحرارة في الجسم ونشاط ان كان الانسان صحيح البدن • الاستحمام يومياً والاكثر من غسل الوجه بالماء والصابون والتجفيف بمنشفة نظيفة يساعد على منع الدمل ولكن لا يشفيها فاذا اصبحت بالدمل فاستشر طبيباً ﴾ انتهى ما أردته من نصائح هذه الدار

﴿ ظهور آثار ما تقدم من علم الطب في الأمم وبيان بعض السر في قوله تعالى - وعصى آدم ربه فغوى - ﴾ اللهم إنك خلقتنا في هذه الأرض وأودعت أرواحنا في هذه الأجسام الأرضية وحكمت عايتها أن تتبع في صحتها ومريضها وذكائها وبلادتها طبيعة الأغذية والأهوية التي تتناولها وتستنشقها • خلقت يا الله في الانسان شهوة وجعلت له عقلاً ومكنته في الأرض فجعلته خليفة وقلت له ﴿ يا عباد فاتقون ﴾ فزلت قدم هذا الانسان بما سوّلت له الشهوة البهيمية فاختأ في تقدير الطعام والشراب واللذات ونسى أصل المقصود من الحياة واتبع اللذة وما هي إلا وسيلة للحياة والصحة فعكف على الوسيلة ونسى الغاية • نسي الغاية لأنه ظالم جهول قال تعالى - نسوا الله فنسيهم - ومن نسيان الله نسيان حكمته في بريته ونظامه في خلقته

يقول العلامة ابن خلدون في مقدمته مملخصه ﴿ إن الأقاليم المعتدلة ليست كلها على وتيرة واحدة في الخصب والعمران • فتها ما يكون لأهلها خصب العيش من الحبوب والادم والخنطة والفواكه لوفور العمران ومنها ما لا تنبت زرعاً ولا عشباً وسكانها في شظف العيش مثل أهل الحجاز وجنوب اليمن • ومثل المسامين من صتهاجة الساكنين بصحراء المغرب وأطراف الرمال فيما بين البربر والسودان فان هؤلاء يفقدون الحبوب والادم جلة ولا يتغذون إلا من الألبان واللحوم • وهكذا العرب الجائلون في القفار وهم لا ينالون إلا التزاليسير من الحبوب والادم وعماد أغذيتهم الألبان القائمة مقام الخنطة • فهؤلاء الفاقدون للحبوب والادم من أهل

القفار أحسن حالا في جسومهم وأخلاقهم وأبعد عن الانحراف وأذهانهم أثقب في المعارف والادراكات . ثم أبان السبب قائلا : ان كثرة الأغذية ورطوباتها تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها عدم انتظام أقطار الجسم في نسبة الخلق وانكساف الألوان وقبح الاشكال من كثرة اللحم وتغطي الرطوبات على الأذهان بما يصعد الى الدماغ من أبخرتها الرديئة فتجىء البلادة والغفلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة . ثم وازن ما بين الناس وبين الحيوان . وأن الغزال والنعام والمهر والزرافة والجر الوحشية والبقر إذا وزناها مع أمثالها من حيوان التلول والأرياف والمراعي الخصبة وجدنا البون شاسعا في صفاء أديمها وحسن رونقها وأشكالها وتناسب أعضائها وحدة مداركها . فالغزال أخو العنز والزرافة أخو البعير والجر والبقر أخو الحمار والبقر والبون بينها ما عرفت فالحيوانات الاهلية في أبدانها رطوبات وفضلات رديئة وأخلاق فاسدة ظهرت آثارها على أبدانها وفي ادراكها والجوع حيوان القفر حسن في خلقه وأشكاله . هكذا في الآدميين . فأهل الأقاليم الخصبة العيش الكثيرة الزرع والضرع والادم والفواكه يتصف أهلها غالبا بالبلادة في أذهانهم والخشونة في أجسامهم وهذا شأن البربر المنغمسين في الادم والحنطة مع المتقشفين في عيشهم المقتصرين على الشعير أو الذرة فهم أحسن حالا في عقولهم وجسومهم مثل المصامدة وأهل غمارة والسوس . ووازن هنا ما بين أهل بلاد المغرب المنغمسين في الادم والبر مع أهل الأندلس المفقود بارضهم السمن جملة وغالب عيشهم الذرة . فالآخرون أذكاء العقول خفيفوا الأجسام يقبلون التعليم والأولون أقل منهم في ذلك . ثم ذكر أن المعودين على الجوع من أهل البادية لافضلات في جسومهم غليظة وللطيفة . ثم ان أثر الخصب وأحواله يظهر في حال الدين والعبادة فان المتقشفين من أهل البادية أو الحاضرة الذين يتجافون عن الملاذ أحسن ديناً واقبالاً على العبادة من أهل الترف والخصب بل أهل الدين قليلون في الأمصار لما يعمها من الاكثار من اللحوم والادم ولباب البر . وهكذا اذا نزلت بهم السنون وأخذتهم المجاعات يسرع الهلاك الى أصحاب الملاذ والترف والانغماس في طيبات الماء كل والمشارب مثل بربرة المغرب وأهل مدينة فاس ومصر . فأما أهل القفر والصحراء وبلاد النخل الذين يعيشون على التمر وهكذا أهل أفريقيا في عهد ابن خلدون الذين غالب عيشهم الشعير والزيت وأهل الأندلس في زمانه الذين غالب عيشهم الذرة والزيت فان هؤلاء لا تأخذهم السنون والمجاعات فلا يكثر فيهم الهلاك . قال بل ولا ينذر قال لأن المنغمس في النعم والملاذ كسبت أمعاؤهم رطوبة فوق رطوبتها الأصلية فاذا حيل بينها وبين ما ألفته أسرع اليها اليبس وتبعه الهلاك . فالهالكون في المجاعات انما قتلهم الشبع السابق لا الجوع اللاحق فالمدار إذن على العادة ﴿

هذا ملخص ما ذكره ابن خلدون في مقدمته . فهذا هو العجب العجيب . أنزل الله في القرآن قصة آدم وأكله من الشجرة وكررها في القرآن . كررها ليلفت اليها أذهاننا نحن أبناء الاسلام . نحن الذين نزحنا من جزيرة العرب الى شمال أفريقيا والأندلس والعراق وغيرها وقال الله لنا إن أباكم آدم أغراه إبليس فأكل من الشجرة فكشفت عورته فاخذ يخصف من ورق الجنة ليوارى تلك العورة . وهانحن أولاء الآن قد نهانا الله عن الاسراف في الماء كل والمشارب وحذرنا فقال - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون - فلما تفرقنا في أقطار الأرض وملكنا نسينا عهد الله لنا كما فعل آدم سواء بسواء ولكن آدم تاب فتاب الله عليه . أما نحن أبناء العرب ومن معنا من أمم الاسلام فأكثرنا ناسون لعهد الله فأخذنا في البطنة وسوء التدبير واستكثرنا من تلك اللذات وقد عاست أن اللذات والبطنة والاستكثار منها قد أورثت الناس قلة الجمال في أجسامهم والخفة في أرواحهم وفقد الصحة في أبدانهم وذهاب الذكاء في عقولهم وفقد الحية في شرفهم وتعرضهم للموت اذا حلّ الوباء وقلة العبادة والعلم وحبّ الله . فهذه ﴿ سبع خصال ﴾ تقدم البرهان عليها من تاريخ ابن خلدون وبضدها تميز الأشياء . إنك يا الله حشرتنا في هذه

الأرض وأرىتنا طريق الشهوات والعفة فاتبع أكثر الناس الأولى وذلك لما أكثر لهم الخيرات والمنافع وفتوح البلدان التي خاف منها رسول الله ﷺ علينا إذ قال ﴿إِنْ أَخَوْفَ مَا أَخَفَ عَلَيْكُمْ مَا يَفْتَحُ عَلَيْكُمْ﴾ والحديث تقدم في سورة الأنفال وغيرها . والذي خافه رسول الله ﷺ قد تحقق فعلا وصار المال الذي فتح الله به على الناس سببا في ضرر الأجسام والعقول وضياع الدول والأنساب والشرف . أفليس من العجب أيها الذكي أن يتفق العلم الحديث الآن وما جاء في التاريخ . أفليس من أجل النعم الإلهية أن نرى ما يقوله أطباء العصر الحاضر الذي عقله أمثال (غاندي) الزعيم الهندي وعمل به وزهد ورأى في نفسه خفة وذكاء وعقلا بعد أن كان كثير البطنة قليل الذكاء هو عين ما يقوله ابن خلدون سواء بسواء

اللهم إني أجدك على نعمة العلم وعلى نعمة التوفيق وأسألك أن توفقني فيما بقي من أيام حياتي أن أعمل صالحا وأقتدى بالصالحين . اللهم اني أجدك إذ استبانت الحقيقة لي ولاخواني قراء هذا التفسير إذ يرون الحقائق ناصعة جيلة المحيا بهجة المنظر وأن مقرر ابن خلدون عملا في زمانه من اختلاف الأجسام والعقول باختلاف المآكل عفة وشهوة هو عينه الذي يقوله علماء زماننا حرفا بحرف ثم يظهر في الهند عالم فيقرر هذا في نفسه . فقال (غاندي) المتقدمة قبل الهداية للقناعة هي حال أهل الأمصار التي ذكرها ابن خلدون وحال (غاندي) بعد القناعة هي حال أهل القفر الذين لا يكثرون من الأغذية المورثة عفونة في أجسامهم هذا بعض أسرار قوله تعالى . ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما . وقوله . فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا تخرجنكما من الجنة فتشقى . وقوله . فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى * فأكل منها فبدت لهما سوءاتهما . وقوله . ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا . إلى قوله . وكذلك نجزي من أسرف . والحمد لله رب العالمين . انتهى صبيحة يوم الخميس (٢) أغسطس سنة ١٩٢٨

﴿ فصل في إيضاح ما تقدم ﴾

تبين مما تقدم في هذا المقام أن الإنسان اليوم تنطبق عليه قصة آدم بخذا فيراها إلا قليلا . وهنا لما وصلت إلى هذا المقام حضر صديقي العالم المفكر واطلع عليه فقال ما هذا الفصل الذي تريد شرحه الآن ولقد أطلت المقال والشرح . أفأكان يكفي ما تقدم في هذه القصة . قلت إن الاطالة في أمثال هذا إيضاح لأولى الابصار وتبصرة لهم ولأن أطلنا في هذا لنكونن أهدي ممن يطيل في مقدمات بلاتائج . فقال مامعنى مقدمات بلاتائج . فقلت ان المسلمين اليوم محتاجون إلى الإفصاح عن الحقائق الدينية والعلمية . وأكثر الكتب المشهورة فيما بينهم كانت الاطالة فيها في الآلات المعدة للاستنتاج ولكننا اليوم في زمان يجب علينا فيه أن نشرح الحقائق ونختصر المقدمات ونطيل في النتائج والمقاصد . وأكثر ما في هذا التفسير مقاصد وموارد يردها المسلمون فيصدرون عنها وقد انشروا صدورهم إذ قرؤوا في التفسير ما كانوا يشاققون إلى معرفته من نظام هذه الحياة الدنيا وما بعدها . فقال لقد ذكرت ملخص ما قاله (غاندي) وما رأيته أنت مكتوبا في المتحف الصحي وما ذكره ابن خلدون في المقدمة ففي هذا المقام اجتمعت موارد النصائح الطبية من تجارب الأمم في المتحف الصحي وخلاصة تجارب الأطباء في كلام (غاندي) ونتائج ذلك كله قديما في أحوال الأمم أيام ابن خلدون المؤرخ . فإذا تبتغى بعد ذلك . قلت أريد أن أوفي المقام حقه . فقال من أي ناحية . قلت من ناحية استعداد الإنسان . قال إذن تريد مقالا عاما ينطبق على جميع ما تقدم . قلت نعم . قال فما هو . قلت ﴿اللهم إنك خلقتنا على هذه الأرض ومنحتنا غرائز بها قوام حياتنا وعقلا به نظام هذه الغرائز فأبى أكثر الناس على الأرض إلا اتباع خطوات اللذات وعصيان نصائح العقل والحكمة حتى قلت فينا . قتل الإنسان ما أكفره . فوالله لقد ظهر القتل في نوع الإنسان أيام حياته . كيف لا وقد جعل سطوة الحكومات مناسبة لمشارب الأمم وظلم الملوكة على مقدار جهل الرعية واحتدام

وطيس الحروب بين الدول على مقدار مافي نفوسهم من الجشع ومافي قلوبهم من الطمع وهكذا اهلاك الأطباء للمرضى مقاس بمقدار انهما كهم في لذاتهم وحبهم لما اعتادوه . فقال صاحبي أنا لم أفهم معنى قولك ان الأطباء يهلكون المرضى . ان الأطباء يشفونهم لانهم يقتلونهم . فقلت نعم الطبيب أعد للشفاء ولكن لما رأى أن المرضى يميلون الى شهواتهم نوع الدواء على مقتضى دواعي نفوسهم فأصبح الدواء من مسببات أمراض جديدة وأوصاب حادثة . ألم تر رعاك الله أن علماء الطب اليوم قد نصوا على أن خير الدواء ما كان أبعد عن العقاقير وأقرب الى الأغذية والهواء والماء وهكذا . ألم تر الى ما ذكره (غاندى) المتقدم ذكره مما سأذكره ان شاء الله في سورة (الشعراء) عند قوله تعالى - واذا مرضت فهو يشفين - من القسم العمل في الطب الذى لا يعول إلا على البسائط . قال فهل جرّبت شيئاً من ذلك . فقلت نعم . فقال وما هو . فقلت قد جرّبت ^١ مسألتين اثنتين * الأولى ^٢ اننى بعد ما قرأت كتاب (غاندى) في الصحة اعترانى ليلة (أرق) فرأيت فيه أن الأرق يزول بالاستحمام بالماء الحار ثم البارد ثم أن ينام الانسان في الهواء الطلق ففعلت ذلك ولكن لما أردت النوم في الهواء الطلق تدرت بالذئار نحو دققة فلم أحس بهجوم النوم فكشفت الغطاء وجعلت جسمى ملاقياً للهواء فأسرع النوم الى عيني في لمح البصر ^٣ (المسألة الثانية) ^٤ اننى في يوم من الأيام اعترانى مرض معدى وهو المسمى (بالزحير) وهو أن تستعصى الطبيعة عند قضاء الحاجة وتكون الفضلات مخاطية ملوثة بمادة دموية وقد كان هذا المرض يعتورنى منذ سنين وكنت أتعاطى له أدوية وعقاقير فيبراً بالتدريج فلما اعترانى هذا المرض مرة أخرى رجعت الى الكتاب المذكور فرأيت فيه ماملخصه إن المريض عليه ألا يتعاطى الطعام ٣٧ ساعة وأن يشرب في أثناءها الماء الدافئ مع الليمون ويؤمر المريض أن يمشى ساعتين في اليوم ويستحم الاستحمام الخاص بالماء البارد ويدلك البطن بخرقه خشنة وهكذا يضع لبخة الطين على معدته ليلاً وهكذا فما قرأت ذلك حتى تركت الطعام وتعاطيت الماء الدافئ مع الليمون ومشيت مدة في الهواء الطلق . فن عجب أن المرض وقف وانقطع . وانى أذكر هذا في التفسير شكراً للنعمة وتذكراً لأولى الأبواب . إن هذا النوع الانسانى كله في جهل مركب وأنا أعجب من نوع الانسان هذا النوع الذى اتفق فيه العالم والجاهل والطبيب والمريض . اتفقوا جميعاً - إلا من رحم ربك - على انتهاج خطة اللذات واتباع الشهوات . ان الطبيب المعتاد لا يمكنه أن يداوى المريض بما تداويت به . ويمنعه من ذلك ^٥ (سببان * السبب الأول) ^٦ أن المريض لو أمره الطبيب بالمشى ساعتين ليشفى من هذا المرض وبأن يجوع ٣٧ ساعة لم يتسنى للمريض اتباع مشورة الطبيب لأن المشى عمل شاق والجوع صعب على النفس ^٧ (والسبب الثانى) ^٨ أن المريض لا يعطى الطبيب أجراً إلا اذا أعطاه دواء لأنه يجهل أن الشفاء قد يحصل بالمشى والجوع . إذن يضطر الطبيب أن يجارى المريض لذلك عمراً (الصيديليات) وفكتكت بنوع الانسان فتكاد ذريعاً . ذلك لأن هذا الانسان فى الأرض يتبع الشهوات والعادات . هو حيوان مقلد - وان تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخرصون - عصى آدم ربه فغوى ولكن آدم تاب الله عليه . أما بنوه فهم عصوا بداعى شهواتهم وتقليدهم وقلة تبصرهم . وها هو القرآن يذكرهم والأمراض توقظهم ويقول الله - ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا - الخ أنا سطرت هذا ليفكر أهل العلم فى الاسلام أن الله عز وجل ما أنزل بلاء لأهل الأرض إلا كان سببه الجهل فلولا الجهل ما أضعت فى الأيام الماضية أياماً وليالي فى مداواة هذا المرض بل كنت أقطعه بما قطعه به هذه المرة . إن المانع للانسان من الرقى هو الجهل .

إن المانع للآثم عن الرقى هو الجهل - إن الله لنوفض على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون -

اللهم إن العذاب مقتدر على مقدار الذنوب والذنوب هنا أن بنى آدم يقدمون لذاتهم فى مرضهم على صحتهم وسعادتهم فيعاقبون بازدياد المرض . ألا ترى رعاك الله أن الأطباء فى زماننا اذا رأوا مريضاً بهذا المرض فى

الشرق أو في الغرب فإن الطبيب يقول له إن أفضل علاج أن أحقنك بالحقن وهناك يدخل الابرة في جلده ويدخل العقاقير فتجري مع الدم ويقول له إن هذه العقاقير تقتل الحيوانات الصغيرة المنتشرة في الجسم المؤذية إلى استعصاء الطبيعة ولا يزال المريض يواظب على إدخال تلك الابرة في جسمه ولا يزال هو ناعما هادئا ساكنا ظانا أن هذا آخر علاج ويتغذى بالأغذية التي يصفها له الطبيب . أما العلاج بالجوع وبالمشي وبالليمون الذي لم أعرفه ولم أعمل به أنا إلا في مرضي الأخير للزحير فقطع المرض حالا فإن الطبيب لا يصفه لأحد حتى لنفسه ولا لأخيه ولا لأمة ولا لأبيه ولا لصاحبه ولا لبنيته لأنه هو نفسه مسوق بالعادة وأكثر الناس عبيد العصا مسوقون بالغرائز والمعدات ويعاقب المريض على ذلك بطول مدة الشقاء ويحدث أمراض خفية في جسمه بسبب تلك العقاقير التي أدخلها الطبيب في جسمه كما قال تعالى - وجزاء سيئة سيئة مثلها - فهو استعجلى الراحة ووافق طبيبه بالعادة فلم يستعمل الحية وتعاطى الدواء فأدخل لها بذور الأمراض الخفية تفعل فعلها ويظهر مرض جديد بعد حين . إذن الآلام المرضية التي تنتاب الإنسان مقدرة بمقدار اللذات التي وضعت في غير موضعها واذن صدق قول الله - أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون - وهذا القول وإن كان في الآخرة فآثاره في الدنيا واضحة . إذا علمت هذا فانتظر ما ستقرؤه في سورة (الشعراء) من الأدوية التي لعقاقير فيها وانصح للمسلمين وقل لهم حافظوا على الصحة وتداووا بالبسائط لا المركبات اه

﴿ اللطيفة الرابعة ﴾

اعلم أن ملخص ما في هذه السورة يرجع ﴿ لمقامين * الأول ﴾ توحيد الله مع اشتغال القلب به ﴿ الثاني ﴾ أن جميع الآيات الخارقة للعادة لا تصلح لإقامة الأمة بل لابد معها من العلم لأن عالم المادة متشابه والضلال مختلط بالحق . وهذان المقامان جعها الله في آخر السورة هنا كملخص لها . فإذا قال في أول السورة انه خلق السموات والأرض واستوى على العرش وطلب من موسى الصلاة لذكره فقد قال هنا وأمر يا محمد أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك . وإذا ذكر معجزات موسى من العصا واليد وأن عجل السامري قد غطى على المعجزة عند الجهة وأن العالوم العقائية هي المقصودة قال هنا ملخصا لذلك - أولم تأتهم بينة ما في الصحف الأولى - . انتهت اللطيفة الرابعة وبها تم تفسير سورة (طه) والحمد لله رب العالمين

﴿سورة الانبياء مكية وهي مائة واثنان عشرة آية﴾

إقرأ مناسبتها لما قبلها في اللطيفة الأولى من لطائف القسم الأول

﴿وهي قسمان﴾

﴿القسم الأول﴾ في حقيقة النبوة وفي البعث ودقة الحساب وفي الاستدلال على الله بالعوالم المشاهدة من السموات والأرض وما بينهما وذكر عبادة الملائكة ودوامها من أول السورة الى قوله - وكفى بنا حاسبين -
 ﴿القسم الثاني﴾ من قوله تعالى - ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان - الى آخر السورة وفيه ذكر
 (١٤) قديسا وهم الانبياء المشهورون للاعطاء بأحوالهم والافتداء بسيرهم أولهم موسى ويليهِ ابراهيم فاسحق
 فيعقوب فلوط فداود فسلمان فأيوب فاسماعيل فادريس فندوا الكفل فندوا النون فزكريا فيحيى وأتبعها بذكر
 مريم وهي أم نبي . ثم أكمل السورة بذكر الوعيد على الكافرين وأن سيدنا محمدا ﷺ رحمة للعالمين فهو
 قائم مقام هؤلاء جميعا في آخر الزمان . هذا ملخص السورة

(القسم الأول)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ مُخَدَّتٍ
 إِلَّا أَسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ
 مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ * قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ
 الْأَوَّلُونَ * مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
 إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسِئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ * ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ
 وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ * لَقَدْ أُنْزِلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَكَمْ قَصَمْنَا
 مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ * فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا
 يَرْكُضُونَ * لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ *
 قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِئِينَ *
 وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوَاً لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا
 إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ تَقْدِفُ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ

يَمَّا تَصِفُونَ * وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا
يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ * أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ
يُنْشِرُونَ * لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لَا
يُسْأَلُ عَمَّا يَعْمَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ * أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ
مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ
قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ * وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا
سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ
أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ
مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ * أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ
كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا
يُؤْمِنُونَ * وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ
* وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ * وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ * وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ
الْمُخَالِدُونَ * كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ * وَإِذَا
رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهْذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ
الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ * خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ تَحْلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ * وَيَقُولُونَ
مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونَ عَنْ وُجُوهِهِمْ
النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ * بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا
وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ خَافَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ
يَسْتَهْزِئُونَ * قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ *
أَمْ لَهُمْ إِلَهَةٌ تَنْعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْعَبُونَ * بَلْ
مَتَّعْنَاهُمْ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ

أَطْرَافِهَا أَفْهَمُ الْغَالِبُونَ * قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصَّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ *
وَلَنْ مَسَّيْهِمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى
بِنَا حَاسِبِينَ *

(التفسير اللفظي)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال تعالى (اقرب للناس حسابهم) أصله اقرب حساب الناس ثم اقرب للناس الحساب ثم اقرب للناس حسابهم (وهم في غفلة) أي عن الحساب (معرضون) عن التفكير وهما خبران للضمير والجملة حال (ما يأتيهم من ذكر) يوقظهم من سنن الغفلة (من ربهم) صفة لذكر (إلا استمعوه وهم يلعبون) يستهزئون به ويسخرون والجملة حال من الواو وقوله (لاهيته قلوبهم) حال أخرى فهم يستمعون الذكر وقد جمعوا بين الاستهزاء والتلهي (وأسرّوا الجوى الذين ظلموا) أي بالغوا في إخفاء التناجي والذين ظلموا بدل من الواو في - وأسرّوا - وقوله (هل هذا إلا بشر مثلكم أفأتأتون السحر وأنتم تبصرون) هذا كاه بدل من الجوى يقول الله أسرّوا المناجاة وهي هذا الحديث وقوله - تبصرون - أي تعلمون انه سحر - (قال ربى يعلم القول في السماء والأرض) هما قراءتان - قال - أي محمد ﷺ في جوابهم - و - قل - يا محمد الخ - ربى يعلم القول - سرّه وجهره في كل مكان ومنه مناجاتكم (وهو السميع) لها (العليم) بما في نفوسكم فهو يحاسبكم على ما أسررتم من هذه الأكاذيب (بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء بل هوشاعر) ثم أضربوا عن قولهم سحر وقالوا انه تخاليط أحلام رأها في نومه فتوهمها حقيقة ووحيا ثم أضربوا عن هذا أيضا الى انه افتراء من عنده قصدا وهو عالم بافترائه ثم أضربوا عن هذا أيضا الى انه شاعر كأولئك الذين ينمقون القصائد ويختلفون فيها ضروبا من الخيالات كما في المعلقات السبع وغيرها وهي مشهورة عند العرب فليكن هذا مثلهم على انه ان كان صادقا في دعواه ولم يكن كما ذكرنا (فليأتنا بآية) بمعجزة تبهرنا كما أتى موسى وعيسى وكما اقترحنا عليه أن يزيل جبال مكة عنا ويجرى أنهارا فيها (كما أرسل الأولون) وفعلوا ذلك كإبراء الأكمه والأبرص وأحياء الموتى وكالعصا وما أشبه ذلك فقال لهم الله ردّا عليهم (ما آمنت قبلهم من قرية) من أهل قرية (أهلكتناها) صفة لقرية (أفهم يؤمنون) لوجنتهم بها . كلا . لا يؤمنون كما تقرّر في سورة طه ووضح هناك وإذا قلتم هل هذا إلا بشر مثلكم فالأنبياء لم نرسلهم للناس إلا من جنسهم فنجعلهم من جنس الرجال هكذا أرسلنا من قبله من الرسل لقومهم . فالرسل ليسوا من الملائكة إذ الملائكة لا يمضون مطمئنين على الأرض بل هم عالم روحاني غريب النزعة عنكم لا يستقرّ بينكم فالنبي إذن يكون من الرجال ويأكل الطعام كما تأكلون ويموت كما تموتون ولا يكون خالدا وذلك ليشعر بما تشعرون به ويحس بما تحسون به فيلائم طباعكم فيعلمكم وهذا قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي اليهم فاسألوا أهل الذكر) أهل التوراة والانجيل فانهم وإن أنكروا نبوة محمد لا يستطيعون أن يقولوا ان أنبياءهم كانوا ملائكة (إن كنتم لاتعلمون) ذلك (وما جعلناهم جسدا لاياكلون الطعام) حتى تنكروا أن يأكل كما تأكلون ويمشي في الأسواق كما تمشون (وما كانوا خالدين) في الدنيا بل يموتون كما تموتون ولكن هؤلاء رجال ميزناهم بصفات استحقوا بها أن يوحي اليهم ووعدناهم بالنصر (ثم صدقناهم الوعد) أي في الوعد كقوله - واختار موسى قومه - أي من قومه (فأنجيناهم) من الهلاك انجازا لوعدنا وتصديقا لوعيدنا (ومن نشاء) وهم الذين آمنوا بهم (وأهلكنا المسرفين)

الذين جاوزوا الحد فكفروا بهم . هذه هي قضية الأنبياء كلهم وقصتهم فهم بشر لهم ما للبشر وعليهم ما عليهم وعدناهم فصدقناهم في الوعد . وإذا كان هذا فعلنا معهم فهكذا فعلنا مع محمد . إن محمدا أنزلنا له قرآنا فيه صيتكم وذكركم بين الأمم فيعرفكم به أهل الشرق الأقصى من الصين واليابان وجزائر الهند الشرقية وأهل أوروبا وأمريكا . كل من هذه الأمم يعرفون أمة العرب وأن هادينا وقرآنا ويدرسه المستشرقون منهم ويسلم من هؤلاء كثير بعد أن كنتم لا أتم في العير ولا في النفير - مستضعفون في الأرض تخافون أن يخطفكم الناس - وكذلك في هذا الكتاب ما يعلى صيتكم وشأنكم بكمال الأخلاق التي يتحلى بها ذوو الشهامة والمروءة منكم وهذا هو قوله (لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم) أيغيب عنكم ذلك (أفلاتعقلون) ما فضلتكم به على غيركم فتؤمنون وكان من حقكم أن تكونوا أسرع الناس اليه لما فيه من مزايا الشرف الدنيوى فوق ما هو موضوع له من السكال الأخرى فان أيتيم إلا التمدى في الضلال فانتا نهلك الأمم الظالمة ولا نبقى في الوجود إلا ما هو نافع وندع ما ليس بصالح له ولا دافع عارا ولا مورا نارا ولا نافع جارا فان لم تنهوا أهلكنكم وأنشأنا غيركم فان العالم في قبضتنا ولا نخلق إلا لمنفعة ومصلحة واضحة جليلة عندنا فان لم تقبلوا هذا الدين أقصيناكم وأحللنا غيركم محاسنكم وهذا قوله (وكم قصصنا) أى أهلكنا (من قرية كانت ظالمة) أى من أهل قرية كانت ظالمة بكفر أو غيره (وأنشأنا بعدها) بعد اهلاك أهلها (قوما آخرين) مكانهم (فلما أحسوا بأسنا) أى عذابنا أى أدركوه ادراك المشاهد المحسوس (إذا هم منها يركضون) يهربون مسرعين راكضين دوابهم أو كالراكضين لها فيقال لهم (لا تركضوا) لا تهربوا (وارجعوا الى ما أنفرتم فيه) أى تنعمتم فيه من العيش (ومساكنكم لعلىكم تسألون) أى تقصدون للسؤال والتشاور في المهام والنوازل فيسألكم عبيدكم وأنتم على الأرائك في خفض من العيش يقولون بم تأمرون ويسألكم الناس في مجالسكم لتعاونوهم وتفد عليكم الوفود وأنتم في أبهتكم يستمطرون سحائب أ كفيكم وأنتم في بحبوحة العز وسعة الجاء وغنى عظيم أى يقال لهم ذلك استهزاء بهم كما في قوله تعالى - ذق إنك أنت العزيز الكريم - (قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين) فاعترفوا بانهم فرطوا أيام مجدهم وكفروا بالنعمة حيث لا يفيد الاعتراف بعد فوات الفرصة (فازالت تلك) أى قولهم - يا ويلنا - الخ (دعواهم) دعاءهم وهى خبر زال وتلك اسمها وإنما سميت دعوى لأن المولود كأنه يدعو الويل ويناديه (حتى جعلناهم حصيدا) مثل الحصيد كما يحصد الزرع أى المحصود وهو يستوى فيه المفرد والجمع (خامدين) ميتين من خدت النار وهذه الحال هى حال الأمم الشرقية الآن من المسلمين فانك تسمع في كل وقت قول أهل الهند وأهل مصر وسوريا وأهل شمال افريقيا يدعون بالويل ويقولون فرطنا فلاعلم عقلنا ولادين اتبعنا ولا مجد أسسنا فنزل بنا الفرنجة فاحتلوا بلادنا يا ويلنا إنا كنا ظالمين وان شاء الله لا يحل بهم العذاب لأن هذا القرآن أنزل لذكركم وعزهم فسيعرفون العاوم ولا يكونون خامدين فان هذا القول وان صدق على أمم مضت فلا يصدق على هذه الأمم لأنهم نزل القرآن لاعلاء شأنهم فكيف يكونون حصيدا خامدين . ومن عجب أنى أكتب هذا التفسير وقد استقل أهل الأناضول من الترك وأمة الأفغان وأمة الفرس وهم قوم مسامون وليسوا من العرب . أما أبناء العرب أى الذين نزل القرآن بلغتهم فهم الآن بين برائن الآساد الأوروبية وهم يريدون نهش عظام أبناء العرب وسواهم من الأمم الاسلامية الأخرى غير الذين استقلوا ولكن الله يقول لأمة العرب أيضا لستم خامدين لأن القرآن أنزل لذكركم واصيتكم فليرجعن مجدكم قريبا ومجد أم الاسلام فان القرآن نزل بلغتكم وأنذرنا الأمم به كما أنذرناكم وحذرناكم وكيف نترك الناس بلا تحذير ولا نرسل فيهم منذرين (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) ما خلقنا هذا الجلال للعب واللهو وإنما خلقناه لحكمة وأبدعناه لمنفعة وزوقناه لربى نفوسا ونطاعها على عجائبنا ويدركون جلال الوجود ويكون ذلك لهم جناحا يطيرون به الى العالم الأعلى (لو أردنا أن نتخذ لهم واتخذناه من لدنا) من عندنا أى من العوالم

المجردة من المادة كالملائكة ولا تنزل للابسة ماهو من شأنكم المادى كالزوجة والولد ولم تخلقكم لتلهى بكم كما تلهون أتم بالصور المادية الأرضية بل يكون اللهو بمن عندنا من العوالم المجردة . على أن ذلك أيضا لا يليق بنا لأن هذا خارج عن نظام حكمتنا وقوانين نظامنا ورفعة قدرنا (إن كنا فاعلين) ما كنا فاعلين ذلك فلا نلهو بالصور الجسمية ولا بالنفوس الروحانية بل نحن خلقناكم لحكمة وقدرناكم وصورناكم وجعلناكم السمع والأبصار لغايات قدرناها لكم لالهونا ولعينا وعلى ذلك نحن لا نترككم سدى بل نحاسبكم ونؤاخذكم لأن الجدة مطلبنا واللهو واللعب شأن العبيد الخاوقين لارب العالمين فإذا ليس اللهو شأننا (بل نقذف بالحق على الباطل فيسدمغه فإذا هو زاهق) بل أمرنا فوق ذلك فأننا من شأننا أن نرمي الحق الذى من جلته الجدة على الباطل الذى منه اللعب فيكسر دماغه بحيث يشق غشاءه المؤدى الى زهوق الروح فإذا هو هالك وقد شبه بانسان كسر دماغه . هذا هو شأننا فكيف نترككم بلا انذار كأننا خلقناكم لنلهو بكم . كلا . وإذا كنا نغلب الجدة على اللهو وننصره عليه فمن أولى أن لا نتخذ ما حقرناه وأقصيناه صفة لنا ثم ان نتيجة هذا كله أن الناس ينثرون ويحاسبون لأن الله خلقهم لحكمة ولغاية . فهذه الأرواح الانسانية سيصير قوم منها فى العالم العلوى مع الملائكة الأعالى ويلحقون بهم فى الجنة ويسمون عليهم . ولذلك خلقهم . فآلة إذن يربى الانسان فى الأرض ليلحق بالعالم الأعالى ولم يخلق للهو واللعب ولذلك أعقبه بذلك فقال (ولكم الويل مما تصفون * وله من فى السموات والأرض ومن عنده) يعنى الملائكة (لا يستكبرون عن عبادته) لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) ولا يعيون وليس كنوع الانسان الذى يربى ليلحق بهم فان هذا الانسان منه من تكبر عنها وهم الكافرون ومنهم من يعبد ويعيا وهم المؤمنون . أما الملائكة فهم دائما فى العباداة فهم أشبه بالقلب الانسانى فانه دائما يعمل ويدفع الدم فى الشرايين الجسمية دائبا ليلا ونهارا نام الانسان أو استيقظ . وكالكواكب الدائرة ليلا ونهارا . وكالنبات والحيوان ليلا ونهارا . هكذا سيكون هناك قوم من هؤلاء المؤمنين يرون الله ويرتقون عن أهل الجنة أو يكونون فيها وهم مع الملائكة أو يصيرون أشبه بهم ثم وصف هؤلاء الملائكة فقال (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) أى ينزهون الله دائما لا يضعفون والجملة حال من الواو فى - يسبحون - هذه أوصاف الالهية وهى أن يكون الاله عظيما يعبد أهل الأرض والملائكة المبرؤن من المادة لا كتلك الآلهة المزيفة المكذوبة التى اتخذوها فى الأرض وهذا قوله (أم اتخذوا) أى بل اتخذوا (آلهة من الأرض) صفة لآلهة (هم ينشرون) أى يحيون الموتى فان الاله من لوازمه أن يحيى الموتى فاذن هؤلاء الآلهة المكذوبة يحيون الموتى . وليس الأمر كذلك فانهم هم أنفسهم أموات فكيف يحيون الأموات على أنه (لو كان فيهما آلهة إلا الله) غير الله فلا وصف لآلهة وليس يجوز أن يقال انه بدل مرفوع لأنه لا يمكن إلا اذا كان الكلام غير موجب ولا يجوز نصبه على الاستثناء لأن النكرة فى الاثبات لا عموم لها فإذا لم يدخل فيه المستثنى فكيف تخرجه إلا وهو لم يدخل فيما قبلها ولو بمنزلة ان فلانى هنا . يقول لو كان فى السموات والأرض آلهة مغايرون لله (لفسدنا) لخربنا وهلك من فيهما أى لو كان فيهما جنس الآلهة غير الله أى إله غيره لاختلفا أو اتفقا فاختلفا فهما يستلزم أن يصح العدم والوجود على شئ اختلغا فيه وهو محال واتفاقهما يوجب توارد خلقين على مخلوق واحد وهو مستحيل فيكون وجود الالهين محالا . على أن هذا البرهان اذا سلمنا جدلا أنهم آلهة ولكن الاله كما قلنا يسبح له من فى السموات والأرض والملائكة فكيف نجعل هناك موازنة بينه وبين الأشجار والصور الأرضية (فبجان الله رب العرش) المحيط بجميع الأجسام والملائكة حافون حوله يسبحون بحمد ربهم فلامعنى للتنزل والموازنة المذكورة لأنه أجل وأعلى وهو منزله (عما يصفون) من الشركاء ونحوها . وكيف يقارن بتلك الآلهة وهو (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) فأين العظيم الذى يجلب عن السؤال والضعيف المعرض للسؤال ثم أعاد الكرة للانسكار مرة أخرى بعد هذه

الحجج فقال (أم اتخذوا من دونه آلهة) بعد ما ظهر السليل (قل هاتوا برهانكم) فقد ثبت الإله الواحد عندهما
وعندكم وقد اتفقنا عليه . فأما الزيادة عن الواحد فنحن نذكره وأنتم أثبتتموه فعليكم البرهان ولادليل على
الزائد (هذا ذكر من معي وذكر من قبلي) من الكتب السماوية فهي كلها متطابقة على التوحيد متباعدة
عن الشرك (بل أكثرهم لا يعلمون الحق) لا يميزون بينه وبين الباطل (فهم معرضون) عن التوحيد
لغباوتهم . ثم بين ذكر من قبله فقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)
أي فوحّدون . ولما كان الولد نقصا كالشريك لأنهما معا من صفات المحدثين قال (وقالوا اتخذ الله ولدا
سميحه) تنزيها له عن الولد وهؤلاء خزاعة قالوا الملائكة بنات الله (بل عباد مكرمون) مقربون (لا يسبقونه
بالقول) لا يقولون شيئا حتى يقوله لأنهم يدبرون أمر العالم كما يليهمهم لا أنهم عصاة مثل هؤلاء الذين جعلوهم
أبناء الله (وهم بأمره يعملون) لا يعملون إلا ما يأمرهم به (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) ما قدموا وما أخوا
(ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) أن يشفع له مهابة منه (وهم من خشيته) عظمتهم ومهابته (مشفقون) مرّعدون
إن العالم كجسم الانسان وقد جعل الله روحنا وتصريفها لأجسامنا تمثيلا لتصرفه في العالم . فإذا كانت روحنا
واحدة فهو واحد . وإذا كانت لنا حواس مختلفة فله ملائكة مختلفة . وإذا كان في الحواس أعلى وأدنى كالعين
والتلس في الملائكة كذلك سكان عالم السموات وسكان عالم الأرض كل له درجة . وإذا كانت حواسنا
تطيع إرادتنا فملائكة الله مطيعون إرادة الله . ولما سأل العلماء الأرواح التي حضروها وصفت الله والعالم
هكذا ثم قالت ﴿إن أرواح الناس كلما ارتقت بعد الموت تضامّت مع الأرواح العالية وصارت معها رأيا واحدا
لأنها كلما ارتقت في المقامات العالية وطهرت مانت الفوارق بينها فيصير الفكر واحدا والخلاف يسقط لأن
الصفاء يجمعهم والفكر متحد وكأن أهل الأرض إذا ارتقوا إلى عالم آخر يكونون وحدة متلائمة الأطراف
ذات درجات مختلفة . هذا في قسم الصالحين . أما الطالحون فهم نوع آخر ويكون القسمان أشبه بالعالم
المحسوس بعضه نار وبعضه جنات كالأرض ففي داخلها نار وفي خارجها جنات على سطحها . وهؤلاء الملائكة
المقربون لا تصل بهم الجراءة أن يدعوا الألوهية فانهم من خشية مشفقون (ومن يقل منهم إني إله من دونه
فذلك نجزيه جهنم) كما بليس إذ دعا إلى نفسه . أما الملائكة فلم يدعوا هذه الدعوى ودخوله معهم فيه تجوز
(كذلك نجزي الظالمين) الذين وضعوا الألوهية والعبادة في غير موضعهما متبعين في ذلك وسوسة إبليس

﴿فصل في نبذة من علم الفلك وعلم طبقات الأرض للاستدلال على الوحدانية في هذه الآيات وذلك

من (وجهين * الوجه الأول) جهة الأحكام وحسن التصوير والتقدير (الوجه الثاني) من جهة

القرآن إذ أخبر بأمور لم تعلم إلا في القرن التاسع عشر ﴿

يقول الله (أولم ير الذين كفروا) أي أولم يعلموا (أن السموات والأرض كانتا رتقا) ذواتي رتق أو
مرتوقتين فهو مصدر بمعنى اسم المفعول أي ملتحمتين متصلتين (ففتقناهما) ففصلناهما وأزلنا اتحادهما كما
ثبت عن أهل أوروبا في هذه العصور إذ هم الذين قرروا هذا العلم وقالوا إن الشمس كانت كرة أشبه بالنار
دائرة ملايين من السنين والأرض والسيارات وتوابعها كانت معها . ثم إن أرضنا انفصلت كما انفصل
غيرها من السيارات انفصال جميعا من خط الاستواء الشمسي أثناء سرعة سير الشمس وجريها حول نفسها
فتباعدت أرضنا والأرضون الأخرى وهي السيارات فان شمسنا والسيارات الأخرى كلها سيارات وكلها أرضون
وهكذا كل الشموس التي نراها كأنها كواكب ثابتة على هذه الخال لها سيارات وقد اشتقت منها وقد قدرنا
على سبيل الظن أن الأرضين في العوالم كلها لا تنقص عن ثمانية مليون أرض مسكونة ويقولون ليست جميع
السيارات حول شمسنا يظن أنها مسكونة بل المسكون منها أرضا وربما كان المريح وسيار آخر الخ
فثبت أن أرضنا مشتقة من الشمس والشمس أيضا من شمس أكبر منها وتلك من شمس أكبر منها

وهكذا وكل شمس من هذه دائرة حول ما اشتقت منه الى ما يقف عنده الفكر ويدهش العقل . هذه قصة العالم الذي نسينه . وهذا هو القول المشهور الآن في العالم الأوروبي الكافر بسيدنا محمد ﷺ جهلا به فقوله تعالى على سبيل الاستفهام التقديرى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما - من المعجزات لأن هذا العلم لم يعرف عند العرب ولا عند الأمم المعاصرين لهم وإنما عرف في عصرنا الحاضر فعلى أن أعلن المسلمين به وأقول لهم إن هذه معجزة واضحة في القرآن فإن الله قد استدلل بحسن صنعه واتقانه على تفردده بالقسرة والحكمة إذ جعل الحرارة سببا في حركات تلك العوالم التي كانت نارا محتركة ثم بواسطة هذه السورات أزمانا برد ظاهر الشمس فانفصلت منه الأرض وغيرها من السيارات وأرضا منها وكان هذا الحساب المدهش في سيرها والخلق البديع على ظهرها واتقان كل شئ عليها . هكذا كان ذكره في القرآن مع جهل المسلمين وغير المسلمين من فرس وروم وأمم أخرى بهذه النظرية التي لم تكن إلا حديثا معجزة مدهشة فإن أهل أوروبا وهم الكافرون بنينا محمد ﷺ عرفوا هذا الرأي فالتفتوا الى يوحنا الأمم الذين كانوا في زمن النبي ﷺ ويوحنا أيضا لجهلنا . يقول أولم يعلم هؤلاء الكافرون بمقولههم أن العالم الأرضي قد فصل من العالم السماوي أى ان العقل البشرى مستعد لمعرفة هذا من اتباع الأسباب ومن قراءة الكتب ومن درس المجائب فكيف لا يؤمن الناس بالله واحد . وسيأتى ايضاحه قريبا لأن هذه المعجزة مهمة جدا ثم قال (وجعلنا من الماء كل شئ حي) أى وخلقنا من الماء كل حيوان كما قال تعالى - والله خلق كل دابة من ماء - وكذا كل نبات لأنه بحياه . ويقول أيضا علماء العصر الحاضر ان كل حيوان خلق أولا في البحر وأصل جميع الطيور والزواحف وحيوانات البر من البحر قد تطبعت بطباع حيوان البر على مدى الأزمان وتنوعت ولهم في ذلك كلام كثير فتكون هذه أيضا في حكم ما رآه الذين كفروا ويعتبر معجزة للقرآن وسنوضحه قريبا ثم قال تعالى (أفلا يؤمنون) مع ظهور الآيات ثم أتى بمعجزة ثالثة فقال (وجعلنا في الأرض رواسى) أى جبالا ثوابت كراهة (أن تميل) أى تميل (بهم) وتضطرب فأنك سترى أن الأرض لها (ستة أدوار) تقدم ذكرها في سورة هود وهذه الأدوار الستة مقسمة الى ٣٦ طبقة والصور الأولى منها كان عبارة عن الزمن الذي كوّن فيه على الكرة الأرضية النارية قشرة صوانية صلبة قدر زمنها بنحو ثمانمائة مليون سنة . ومعوم أن الأرض كانت نارا ملتهبة فبردت قشرتها وصارت صوانية وهى الغلاف الحقيقى لتلك الكرة النارية ولازال الأرض تخرج لنا من أنفاسها المتضايقة ونارها المتقدة فى جوفها كل وقت نارا بالبراكين التى شرحناها سابقا فى هذا التفسير فى سورة (آل عمران) فهذه البراكين أشبه بأفواه تنفس بها الأرض لتخرج بهض النار من باطنها ثم يخرب ذلك البركان وينفتح بركان آخر . وهذه البراكين تخرج نارا ومواد ذائبة تدلنا على أصل أوضاعها وما كانت عليه قبل الدهر . فهذه القشرة الصلبة لولاها لتفجرت ينابيع النار من سائر أطرافها كما كانت بعد ما انفصلت من الشمس كثيرة الثورات والفوران وهذه القشرة الصوانية البعيدة المغلفة للكرة النارية هى التى نبتت منها هذه الجبال التى نراها فوق أرضنا كما يقوله علماء طبقات الأرض . فمن هنا ظهر أن هذه الجبال جعلت لحفظها من أن تميل لأن الطبقة الصوانية هى الحافظة للكرة النارية التى تحتها والكرة الصوانية هذه نبتت لها أسنان طالت وامتدت حتى ارتفعت فوق الأرض فلوزالت هذه الجبال لبقى ماتحتها مفتوحا وإذا ذلك تشور البراكين آلافا مؤلفة وتضطرب الأرض اضطرابا عظيما وتزلزل زلزالا شديدا لأن البراكين وثوراتها زلزلة فها بالكَ إذا كانت الجبال كلها لم تكن وختل أماكنها ثم إن هذه الجبال قطعة من نفس القشرة غاية الأمر أنها ارتفعت فها هى إذن الإحافضة للكرة النارية التى لو تركت وشأنها لاضطربت فى أقرب من لمح البصر فأهلكنا الحرث والنسل . هذه هى المعجزة الأخرى للقرآن لأن السابقين ومن عاصروهم كانوا يؤمنون به فقط فظهور ذلك اليوم من المعجزات القرآنية . ولقد أجمع العلماء قديما وحديثا أن الجبال على الأرض لا قيمة لها بالنسبة

للكرة الأرضية فلو فرضنا أن هذه الكرة الأرضية كرة قطرها ذراع لم تكن الجبال فوقها إلا كتنحو نصف سبع شعيرة فوقها . ولو أن الأرض كرة قطرها متر واحد لم تزد الجبال عليها مليمترا واحدا ونصفه فقط فها هذا الجزء الحقيق بالنسبة لتلك الكرة حتى انه يمنع ميلها وسقوطها فسكان الناس يؤمنون بهذه الآية وقد ظهرت هذه النبوة فعلا في العلم الحديث ولم تظهر إلا على يد من كفروا بسيدنا محمد ﷺ والمسلمون لا يهامون إلا من الفرنجة وأنا أكتب عنهم ومن كتبهم فصدق الله وجاءت المعجزات ترى في هذا التفسير . فالله هو الذي فصل الأرض من الشمس وكانتا ملتصحتين والله هو الذي خلق كل الدواب في البحر ثم ارتقت الى أن ارتفعت في الهواء وان كان هذا المعنى فيه نظر ان حملنا الآية عليه والله هو الذي جعل الجبال حافظة للكرة الأرضية أن تهتز وتضطرب لأنها نار والجبال متصلة بالطبقة الصوانية المحيطة بالنار فالله هو الحافظ لها . كل ذلك دال على وحدته . ولكن الأهم من ذلك أن القرآن ورد به ولم يعرفه الناس بل لم يفسر به القرآن على وجه علمي برهاني إلا في هذا العصر وإنما كان يفسر قديما بمجرد الإيمان . فهذه هي المعجزة الثالثة . واعلم أن الكرة الأرضية بعد أن تمت أدوارها الستة المذكورة في سورة (هود) وفي سورة (الأنعام) ومضى دور التوفان العام ثم الدور الحالى ونظمت الأحوال على ما هي عليه الآن ظهرت فيها (الفيجاج) وهي المسالك الواسعة وكما نظمها الله وأخرج زرعها ونوع حيوانها حتى وصل النبات الآن على ما يقول (اسبنسر) ٣٣٠ ألف نبات والحيوان أيضا مليونى نوع وخلق الانسان وأبدع كل شئ فيها هكذا نظم السماء وجعلها سقفا محفوظا حفظ الشموس في مداراتها بحيث لا تختلط ولا تختبط بل حفظها سالمة في أماكنها الخاصة بها وبقوة الجاذبية بالاصطلاح العلمى فالقمر والشمس والكواكب الأخرى متجاذبات حافظات لمداراتها لا تخرج عنها والا لاختل هذا العالم وبهذا الحفظ ونظام الدوران كان الليل والنهار الحادثان من جري الأرض حول الشمس وقوله - كل في فلك يسبحون - راجع للأرض والشمس والقمر وهذا هو قوله (وجعلنا فيها فجاجا سبلا) وهو بدل من - فجاجا - (لعلهم يهتدون) الى مصالحهم وقوله (وهم عن آياتهم معرضون) أى غير متفكرين وقوله (يسبحون) أى يسرعون في المدارات المخصصة لها ، أجراها مجرى العقلاء فهي تسبح كما يسبح السمك في الماء وهذا هو الرأى الحديث وهو أن الأرض تجرى وأن هذه كلها تجرى في عالم الأثير المالى لهذا الفضاء فهنا معجزات

(١) الأرض كانت ملتصقة مع السماء

(٢) الأحياء خلقوا أولا من الماء

(٣) الجبال قد ثبتت انه لولاها لتشقت الأرض بالنار

(٤) الأرض تسبح لاسا كنة

(٥) جريها وجري الكواكب كسبح السمك في الماء

كل هذا هو العلم الحديث وهذا أمر عجب . هذا هو النظر العام في السموات والأرض فالشمس تجرى والأرض تجرى وهما تسبحان والقمر معها وبينهما المخاوقات الحية فها هذه العوالم إلا كآلة طابعة والمخاوقات كلها وسطورها أو كدار صناعة تخرج كل يوم أدوات وآلات ومصنوعات مختلفة الأشكال فهي كل يوم تأتى بأشكال حديثة بعد هلاك القديمة . فلما فرغ من الكلازم على دار الصناعة أخذ يصف ماصور فيها من الصور والأشكال التى أعدت لأن تخرج الى عالم أرقى من هذا العالم متى تم كمالها وأعلى هذه المخاوقات الانسان فأخذ يصف الصناعة بعد وصف آلتها فأبان أن البشر لا بقاء لهم في الدنيا فأنت وهم ميتون على قاعدة التحليل والتركيب الذى اقتضاه نظامنا في هذه الدار العظيمة الصناعية فاذا ترصوا بك ريب المنون فالمنون ليس خاصا بك بل هم خاضعون لقانونه فكذلك تدوقون الموت وإنما خلقناكم على هذا النظام لنعاملكم معاملة المختبرين

ونزقيكم في عالم الجبال والسمكال وهذا قوله تعالى (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) الى قوله (ونبأكم بالشر والخير فتنة) مصدر مؤكد لنبأكم من غير لفظه (والينا ترجعون) فنجازيكم على مقتضى شكركم وصبركم
﴿ فصل في استبعاد هذه العلوم وأمثالها والاستهزاء بها ووعده الله للناس بأنه سيريهما للناس في زماننا هذا كما اتضح لك تكميلا للمعجزة للقرآن في آخر الزمان ﴾

اعلم أن الله تعالى أشار للأول بقوله (واذا رآك الذين كفروا ان يتخذونك) أي مايتخذونك (الاهزوا) سخريا قائلا بعضهم لبعض (أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم بذكر الرحمن هم كفارون) أي منكرون فهم أحق بالاستهزاء . وأشار للثاني بقوله (خلق الانسان من عجل) لأنه يكثر منه والعرب تقول لمن يكثر منه الكرم ﴿ خلق من الكرم ﴾ ومن عجلته مبادرته الى الكفر واستحجال الوعيد واستبعاد ما جاء في هذه الآيات من الامور العلمية التي أوضحها علماء العصر الحاضر فهو يستبعد طبعاً لأنه لا يعقلها فقال الله لا تتبععدوا أيها الناس (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) والآيات أمور عامة منها العلوم الطبيعية المثبتة لما تقدم وعلم طبقات الأرض وغيرها فاذا لم يفهمها أهم سابقة فاني سألقها على قوم بعدهم . وقد ورد في قول النبي ﷺ ﴿ رب مبلغ أوعى من سامع ﴾ وذلك في حجة الوداع ورفع طرفه الى السماء وقال ﴿ أأهل باغت . اللهم اشهد ﴾ ومن العلوم التي غيبت عن الناس واستعجلوها أسر القيامة حين تشقق الأرض وتظهر النار التي في داخلها التي هي إحدى نيران جهنم وقد كشفت في العصر الحاضر وهذا هو قوله (لويعلم الذين كفروا حين لا يكونون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون) أي بحيث لا يقدر أن يدفعها ما استعجلوا العذاب ولكنهم لجهنم يستهزؤون ويظنون أن هذا لاحقيقة له مع أنهم لو حفروا تحت أرجلهم لوجدوا أن الحرارة ترتفع درجة واحدة في كل ثلاثين متراً من العمق . ففي عمق ثلثمائة متر عشر درجات وفي عمق ثلاثة آلاف متر مائة درجة وهي درجة الماء المغلي وفي عمق ثلاثين ألف كيلو متر ألف درجة وفي عمق مائة ألف كيلو متر أكثر من ثلاثة آلاف وثلثمائة درجة . وهذه حرارة تذوب فيها كل الجوامد والمواد المعروفة وقطر الأرض نحو ثلاثة عشر ألف كيلو متر . فالأرض ما هي إلا نار متأججة وليس عليها إلا قشرة جامدة يبلغ سمكها مائة كيلو متر فنسبتها الى الأرض كنسبة قشرة التفاحة الرقيقة للتفاحة نفسها . إن الأرض كانت في أول أمرها ناراً متأججة مشتقة من الشمس فبردت شيئاً فشيئاً وكان كل شيء نراة الآن فيها سائلاً فلا حجير ولا شجر ولا غيرهما وهي الآن على ما هي عليه كما جاءت من الشمس ونحن على تلك القشرة الرقيقة . فاذا انشقت الأرض انشقا عظيماً أكثر من انشقاقها منذ بضعة سنين نحو الى سنة ١٩٢٣ في بلاد اليابان إذ زلزلت زلزلة شديدة وطفحت بنار من باطنها فأهلكت خمسمائة ألف انسان وأهلكت قرى كثيرة . أقول فلوانها شققت أكثر من هذا لانهدمت هذه القشرة كلها اذا كان الانشقاق في كل مكان وحينئذ يسقط الناس في النار فعلاً وليست ناراً وهمية بل هي نار حقيقية يحترق الناس بها فعلاً . هكذا فلتكن المعجزات . وهكذا فليكن الصدق وهذا على الرأي المشهور الآن وإن كان ظنياً . نبي أمي يأتي منذ ألف وثلثمائة سنة ويأني العلم الحديث بما يقوله بخدا فيره ثم يقول الله (بل تأتيهم) أي النار حينما تهدم قشرة الأرض بانفجار عام أشبه بانفجار اليابان المتقدم ذكره (بغتة) فجأة وهو مصدر (فتبهمهم) فتغلبهم كما شوهد غلبتها لليابان (فلا يستطيعون ردها) أي صرفها (ولا هم ينظرون) يمهلون للتوبة والمعدرة فكيف ساغ لهم أن يستهزؤا بك يا محمد وهذه العلوم غائبة عنهم سيعرفونها من بعدهم لأنهم ليسوا أهلاً لها فكان يجب عليهم التصديق بها إيماناً وينقلون هذا العلم الى أبنائهم من بعدهم وخنفهم ويكون التصديق بك لما شاهدوا من الآيات الحجية التي تأسسهم وقد ادخرنا هذه الأمور لأهم ستأني لتكون لهم آية علمية على صدقك فتكون الآيات دائماً متجددة فتسل على استهزائهم بما حصل للرسل قبلك (واقعد استهزى برسلك من قبلك) كما استهزأ بك قومك (خفاق) فنزل (بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون)

أى عقوبة استهزأهم . هكذا سيحقق بهؤلاء ذلك وقد تم ذلك فعلا يوم بدر وغيره . على أن العذاب الذى أعد هؤلاء ليس قاصرا على يوم القيامة بل الناس على سطح هذه الأرض معرضون لخطر فى قيامهم وقعودهم تحيط بهم حوادث من عجة قد منعناها عنهم برحمتنا وهم لا يشعرون بذلك . فنعذ عن الذين لم نسلط عليهم الحيات مثلا فتلدغهم وهم نائمون . ولم نسلط عليهم الحر الشديد ولا البرد الشديد فيموتوا . وهاهم أولاء يرون الآفات العارضة لزراعهم فالوانا أكثرناها لم يبق لهم زرعهم . فالناس أينما حلوا أو ارتحلوا يرون أصنافا من المهلكات ولكننا نحن نمنعها عنهم . فالعذاب محيط بالناس الآن وهم غافلون . وانما نحن لما تمنعناهم ومنعناهم ومنعنا عنهم جميع الآفات المحيطة بهم حتى طال عليهم العمر ظنوا أنهم يفلتون من عذابنا دائما مع أنهم لو فطنوا لكرتهم الأرضية وتأملوا سطحها لوجدوا أنها قد انكسرت من جهة القطبين بسبب دورانها أيام كانت سائلة . فهذا دليل على أن أرضهم نار متهبة وكل ما فوقها سريع الزهاب والتقلب فلا أمان للتقلب عليها . وهاهم أولاء يرون الأقوام تخطف من حولهم والأمم تؤخذ بذنوبهم من جيرانهم . فهلا اعتبروا بنقص أطراف الأرض وبنقص الأمم حولهم وأخذهم بحرب وضرب وتنكيل كما حصل فى زمن النبوة بعد هذه السورة ونزولها لأنها نزلت بمكة فسلط الله المسلمين على أطراف البلاد وكما يجرى الآن من تسلط الفرنجة على أطراف بلاد الاسلام . فكل هذه آيات للناس ليستيقظوا ولا يقفوا ويفكروا فى أمر دنياهم وآخرتهم . أقول وانما ينصر المسلمين فى الأزمان القريبة لأن الأخلاق معطلة . ألا ترى أن أهل أمريكا يباغون نحو مائة مليون وهم من أمم شتى وقد كوثوا مملكة واحدة . أما المسلمون فان العنصر العربى منهم الذى يقطن ﴿ جزيرة العرب ﴾ لا يزيد عن عشرة ملايين وفيه بضع ممالك وقد منعهم الحسد والجهل وسوء التربية وسوء الخلق والشره وقلة الدين أن يكونوا مملكة واحدة فكل منهم يحذر الآخر فأدبهم الله بالفرنجة وسلطهم عليهم فأذلواهم وسيكون لهذا الأمر آخر وسيهديهم الله ويصلح بالهم ويؤدبهم ويسعدهم ويهديهم الاتحاد إن شاء الله تعالى فهؤلاء يقول لهم الله - أولاء يرون أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها - وأمم الفرنجة تقص البلاد من حولكم قصا . فكيف جهلتم هذا ولم تصدوا كما يأمركم دينكم . إنكم إذن جاهلون صم بكم لاتعقلون وهذا قوله تعالى (قل من يكأؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) من بأسه وعبر بالرحمة لما عرفت أن العذاب يكون بالآفات وهو يمنعه دائما ولما عرفت أن قشرة الأرض رقيقة ونحن عليها فبرجته حفظها من الفرقة (بل هم عن ذكر ربهم معرضون) لا يخطر ببالهم (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا) أى بل ألهة تمنعهم من العذاب (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أى لا يقدر على نصر أنفسهم فكيف ينصرون عبادهم (ولا هم منا يصحبون) أى ينصرون ويجارون (بل تمنعنا هؤلاء وآباءهم) فى الدنيا وأمهلتناهم (حتى طال عليهم العمر) أى امتد بهم الزمان (أفلا يرون) أى هؤلاء المشركون وغ- يره من يغترون بالسلامة (أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) وهذا فى الحقيقة من اقتراب العذاب لهم فكيف لا يعتبرون بنقص الأمم حولهم وبغير ذلك (أفهم الغالبون) انما الغلبة لله ولرسوله وللقائمين بالحق (قل إنما أنذركم بالوحى) أى بما أوحى الى (ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون *) واثن مستهم نفحة) أصابهم شئ قليل (من عذاب ربك) وأصل النفح هبوب رائحة الشئ (ليتولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) أى لدعوا بالويل على أنفسهم واعترفوا عليها بالظلم كما تقدم فى أول السورة (ونضع الموازين القسط) أى ونحضر الموازين ذوات العدل توزن بها صحائف الأعمال والقسط مصدر يصح الوصف به مبالغة وهذا تمثيل لخال العدل (ليوم القيامة) أى لجزء يوم القيامة (فلا تظلم نفس شيئا) من حقها أو من الظلم (وإن كان مثقال حبة من خردل) أى وإن كان العمل مقدار حبة منه (أتينا بها) أحضرناها (وكفى بنا حاسبين) أى عالمين حافظين . انتهى تفسير القسم الأول من السورة . وفيه لطائف

﴿ اللطيفة الأولى ﴾ في مناسبة السورة لما قبلها وفي قوله تعالى - اقرب للناس حسابهم - الخ مع قوله - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - الى قوله - وكفى بنا حاسبين - ﴿

﴿ اللطيفة الثانية ﴾ في قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا - الخ

﴿ اللطيفة الأولى في (فائدتين * الفائدة الأولى) في مناسبة هذه السورة لما قبلها ﴾

لقد علمت أن الدائرة العلمية في علم الطبيعة قد جاء ذكرها في (الحجر) وفي (النحل) مرتين ثم ذكرت قصة موسى وقومه مجزأة في (الاسراء) وما بعدها الى (طه) وجاء في هذه الأخيرة يؤيد العلوم العقلية بحيث انتهينا من عجل السامري وعبادة القوم له وتفضيله على عصا موسى جهلا وغباوة وأن ذلك داع حثيث الى الرجوع الى العلوم العقلية والطبيعية والفلسفية وأن الأمم لا تقوم إلا بها كما ان العقائد لا تصح إلا بالتكامل بها وظهر من هذا التقرير أن معرفة الله ليست مسألة ذات حل واحد بل هي مسألة كثيرة الحلول كهيئة الغنى ونحوها . فكما ان الناس مختلفون أخلاقا وخلقيا وقوة وفضلا وجالا وألوانا لاعتد لها بل كل امرئ له مرتبة ليست للآخر . هكذا هنا معرفة الله هي أن يتكامل الانسان بالعلوم العقلية والأخلاق بقدر طاقتيه والجاهل من اكتفى بقشور العلوم وظواهر الديانات . فالقرآن جاء لهدم نظريات جميع الديانات وتأسيس أساس آخر وهو أن الناس يجب عليهم التكامل بالعلوم العقلية بقدر طاقتهم أي أن يكونوا ناهجين نهج الحكماء والفلاسفة هذا هو المقصود من السور التي سبقت هذه السورة . ولعمرك لقد أوضحت هذا المقام ايضا حاتما في هذا القول وما قبله وعليه . فكما أن الدين أمرنا أن نصلي الصلوات الخمس للتذكر ولم يكتف منا بصلاة يوم واحد أو بشهادة أن لا إله إلا الله هكذا طلب منا أن نزداد علما دائما . فبالعبادة نتذكر وبالعلم تثبت العقائد ويكمل نظام الأمم وكما قال الله لرسوله - قم الليل إلا قليلا - قال له - وقل رب زدني علما - ومن عجب أن تذكر هذه الآية في سورة (طه) بعد الكلام على أن الإيمان لا يتم إلا بالعلم . فكأنه يقول . يا محمد ها أنت ذا رأيت أن خوارق العادات لم تؤثر إلّا زمتنا قليلا في بنى اسرائيل فاطلب من ربك ازدياد العلم تعليمًا لأمتك فقل لهم يزدادوا علما أزدهم هدى وعمران بلاد وأجعلهم خلفائي في خلقى وقد قلت لهم - كنتم خير أمة أخرجت للناس - فبهذا تكونون - خير أمة أخرجت للناس - كما وعدكم ربكم . وقد تبين بهذا أن معرفة الله ليست مسألة حسابية أوجبرية أو فلسفية وإنما هي غذاء للنفوس . فكما غدينا النفوس علما ازدادت بصيرة ربها ﴿ وبعبارة أصرح وأوضح ﴾ ان الله يطلب منا أن نلم بالعلوم الطبيعية التي لا تسكون إلا بالرياضة وهذه العلوم يتبعها معرفة الله ومعنى معرفته الانتقال بالتدريج من النقص العلمى الى الكمال العلمى وذلك درجات كدرجات الغنى والقوة الجسمية والقوة العقلية وقوة الحرارة وما أشبه ذلك . هذا ما يفهم من القرآن وما ظهر في سورة (طه) وما قبلها اذا علمت هذا فاعلم أن سورة (الأنبياء) أكملت ماتقدم . فاذا كانت السور قبلها قد ذكرت ذكر العلوم النباتية والحيوانية وسلسلة المواليد فهذه السورة قد أتت بنظام الأرض نفسها ومن أين اشتقت وأشارت الى أنها فصلت من الشمس كما أوضحناه . فالسور قبلها علمت علم المواليد وهذه أشارت الى اشتقاق السموات والأرض وتبطين القطبين وأن الجبال متصلة بالطبقة الصلبة حافظة للكرة الأرضية النارية أن تتمد فيهلك من عليها وهكذا . هذه هي المناسبة بين هذه السورة والتي قبلها فهي تمة لها . وقد أظهرت أيضا أن العلوم ستجدد في الأزمان المقبلة أى كزماننا هذا وأن الناس سيعلمون غوامض علوم القرآن كما تبين لك ايضاحه هنا اجابة لرسول الله ﷺ إذ قال - رب زدني علما - في آخر سورة (طه) وازدياد علم أمته تبع له وازدياد علمنا يكون بتجدد العلوم على مدى الأزمان كما سيحصل لأمة الاسلام المستقبلية . انتهت الفائدة الأولى

﴿ الفائدة الثانية من اللطيفة الأولى - اقرب للناس حسابهم - ﴾

اعلم انى لما وصلت الى هذا المقام جاءنى ذلك الفاضل وأخذ يحاجنى فقال . ان اقتراب الساعة أمر مشكل

ان هذا القول قيل لآدم وادريس ونوح و ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم وسلم كل هؤلاء يقال لهم اقتربت الساعة ولم تقترب ولم تقم فأين الساعة وانى أقول لك بصريح العبارة أن القيامة بعيدة علينا كما بعدت على من قبلنا . فاذا مضى علينا الآن ألف وثلاثمائة وسبع وأربعون سنة بعد نبوة سيدنا محمد ﷺ ولم تأت القيامة وقد كان الصوفية في الألف الأولى يحسبون حساب القيامة وانها آتية في زمانهم وهكذا من قبلهم ومن بعدهم ولا قيامة الى الآن . وهكذا الأمم قبلنا كانوا يحسبون الى الآن لم تقم القيامة . فما هذا الوعد إذن . فيظهر أن هذه القيامة طويلة المدى بعيدة جدا وهذا البعد يورث التراخي والعامل الحازم لا يصنع يومه للمستقبل البعيد . فاذا ترى . قلت ان القيامة الكبرى لا تكون إلا عند تفكك الكرات الأرضية والشمسية أى ان النظام الشمسى كله يحترق ويذهب ثم يرجع الى المصنع الكبير السماوى ويصنع مرة أخرى ونذهب نحن في عالم آخر . هذا هو عالم القيامة الكبرى . ولكن ليس العذاب قاصرا على القيامة الكبرى فان الدين الاسلامى جعله عند النزول فى القبر . وورد فى الشريعة أن النار يعرضون عليها غدوا وعشيا وهناك أحاديث كثيرة فقال وضع مسألة الحساب فى القبر . فقلت له ان الشريعة أتت بها مهمة لأنها أمور تأتى فى عالم أطف من عالمنا فذكر الشرع عذابا ونعما مجملين وأبان أن الحجاب يكشف ويطلع الانسان على أخلاقه وأعماله بعد الموت وأن الملائكة يسمعون والشياطين يقرنون كل بما يناسبه وذكرنا ونعما وهكذا . قال فهل أتى العلم الحديث من هذا بشئ فى علم الأرواح . قلت اقرأ ﴿ كتاب الأرواح ﴾ الذى ألفته فى هذا واقرأ كتب اخواننا الذين كتبوا فى هذا . قال فاذكر لى قولاً مجملاً فيما قالته الأرواح مع العلم بأن كلامها لم يقم عليه دليل فاذكر بعض ما قرأته من المجلات عن أحوال الأموات مما ذكرته الأرواح والمسلمون فيما بعد يحضرونها و يبحثون الموضوع . فقلت إن الأرواح تقول اننا بعد الموت نعيش على ما كنا عليه بحيث يبقى الانسان بأخلاقه ومعه جميع مواهبه الأخلاقية والعلمية ويوضع فى مركزه المعد له فى الآخرة ويعيش مع من هو مناسب لهم فى الأطوار والأحوال ويجد الانسان جميع أعماله حاضرة عنده فيعذب بها أو ينعم والمرء له ﴿ ثلاث حالات ﴾ حال وطنية . وحال منزلية . وحال شخصية . فقد يكون كاملاً فيها جميعها فيرتقى . وقد يكون ناقصاً فى الأخلاق الشخصية فاضلاً فى الوطنية والمنزلية وبالعكس . فبعد الموت يؤمر أن يكفر عن ذنوبه بأن يعيش مع من ظلمه ويؤدى له كل ما عليه ويكون تحت أمره فى أعمال يرضاها وهذه الأمور لا نذكرها الآن وقد يكون صالحاً فى نفسه نافعا لأهله ولكنه يظلم هو وأتمته قوما آخرين فبعد الموت يعيش عيشة فردية لا ظلم فيها وهكذا حياته مع عشيرته ولكنه هو ومن معه من المشتركين يلزمون بأعمال يقهرون عليها من ظلموهم . ثم إن الأرواح تقول ﴿ إن القصاص عندنا عدل لا عوج فيه وهو من هذا القبيل . وعندهم أن البخيل معذب بماله والحريص مقطوع القلب على أعماله ﴾ وهكذا . فقال صاحبى هذا كلام لست أدري أحق أم باطل فقد يكون هذا من الأرواح أشبه بنصائح اخترعوها لأجل هدايتنا بما يناسب عقولنا فى العصر الحاضر وربما كنت أنت لما نقلتها تركت أشياء تراها غير موافقة لعقائنا فأعرضت عنها وخاطبتنا بما نفهمه . واذن المسألة كلها المخاطبة على مقتضى الافهام سواء أكان المؤلفون أم الأرواح أم الديانات . فقلت له قل ماتشاء فلا ضرر وأن حرص الأرواح التى تسكك الناس وحرص الأنبياء وحرص الحكماء دليل على أن هناك عالماً غير عالمنا نعيش فيه بعد الموت ونجازى . قال فهل تذكر لى شيئاً مما نقلته فى كتاب ﴿ الأرواح ﴾ مما تقوله نفس الأرواح مع الاختصار حتى ان المسلمين يحققونه فى المستقبل وينظرونه بأنفسهم . قلت نعم أذكر لك من صفحة ١٠٥ من كتاب ﴿ الأرواح ﴾ الطبعة الثانية وهاهوذا

﴿ الحديث الحادى عشر مع حذف كثير من الأسئلة الخارجة عن موضوعنا ﴾

روت المجلة الروحانية فى عدد شهر (آب) سنة ١٨٦٠ خبر حوادث من عجة جرت فى مدينة (باريس) شارع

(نويه) والاجوبة التي أعطاها الروح محدثها عند ما استحضرتة إحدى الجماعات الروحانية ما تهر به
(س) . (الى الروح الموكول اليه حراسة الجمعية) . هل من صحة للحوادث التي تمت في شارع (نويه)
(ج) نعم وقد عظمتها مخيلة البعض إما من باب الخوف وإما من باب السخرية . أما محدثها فهو روح
طائش يقصد اللهو وارعاب سكان الناحية

(س) الأرواح تعلق بالأشخاص فقط أم بها وبالأشياء أيضا
(ج) هذا منوط بدرجة ارتقاؤهم فلبعض الأرواح السفلية تعلق شديد بالأشياء الأرضية كالبحيل مثلا
الذي لم يتجرد بعد من الماديات فإنه يلزم الكنز الذي خبأه تحت الأرض ويحافظ عليه

(س) هل للأرواح التائهة أما كن تسرّ بالاقامة بها
(ج) المبدأ واحد أي ان الروح الذي تجرّد من الأرضيات يذهب حيثما تجذبه المحبة . وأما بعض الأرواح
السفلية فستحب أحيانا الاقامة بمكان تسرّ به لداع من الدواعي
(س) هل تألف الأرواح القبور المدفونة فيها أجسادها
(ج) إن الجسد كساء مؤقت فلانكثرث الروح به أكثر من اكثراث السجين بسلاسله انما الشئ
الوحيد الذي يميل الروح له هو ذكر أحبائه له

(س) ألا تسرهم الصلات التي تقام على لحودهم
(ج) ان الصلات استحضار يجذب روح الميت . وكلما كانت الصلات حارة نقية ازداد سروره بها فشهد
القبر يزيد المصلى خشوعا وهيبة كما حفظ أثرا للميت يحرك فيه الذكر والمحبة . وعليه فالفكر هو الذي يفعل
بالروح لا الأشياء المادية وتأثير هذا عائد على الحى أكثر مما على الميت
(س) فعلى هذا المبدأ قد يمكن لبعض الأرواح أن يميلوا بزيادة الى بعض الأماكن
(ج) نعم وقد يدوم مكثهم فيها طالما دواعى الاجتذاب عاملة فيهم
(س) ماتكون هذه الدواعي

(ج) أخصها محبتهم لبعض الأشخاص المترددين الى تلك الأماكن ورغبتهم في مناجاتهم . وان كان
الروح شريرا يقصد الانتقام من عدوّ له مقيم بتلك النواحي ويكون أحيانا مكثه في مكان مخصوص اضطرابا
حكم عليه به قصاصا عن جرم اقترفه في ذاك المكان نفسه حتى تكون خطيئته دائما نصب عينيه فيحصل له
من ذلك عذاب لا يطاق

(س) كثير من أهل الصلاح يكونون مع هذا عرضة لازعاجات الأرواح الشريرة . فما الداعى لذلك
(ج) ان كان هؤلاء حقا صالحين يكون لهم ذلك من باب التجربة لترويض صبرهم وحثهم على التقدّم
في الصلاح ولكن لا تشقوا كثيرا بظواهر الفضيلة ولا تظنوا أن من يكثر من ذكرها هو صاحبها فان من يملكها
حقا ويحملها لا يتكلم عنها

(س) هل نستطيع أن نحضر الروح المسبب الجلبة في شارع (نويه)
(ج) يمكنكم ذلك . انما هذا روح طائش لاتأتيكم أجوبته بفائدة . واليك الأجوبة التي أعطاها
الروح المذكور وقت احضاره . قال ماتقصدون من احضارى . هل تشتهون أن أقذفكم ببعض الحجارة
لأشهد هز يمتكم رغما مما تبدوونه من مظاهر البسالة

(س) حجارتك لاتفرعنا بل نسألك ان كنت حقا تقوى على قذفها
(ج) ربما لا أجسر على ذلك لأن ههنا حارسا جليلا متيقظا عليكم
(س) هل وجدت في شارع (نويه) شخصا تستعين به على الأعمال المكريّة التي أقلقّت بها سكان المنزل

(ج) نعم وجدت آلة نفيسة وصفها لي الجوّ بهدم وجود روح قدير يصدني عن عملي . إني كثير البسط
والانشراح وأحبّ أحيانا أن أتسلى

(س) من هي الآلة التي استعنت بها في عمالك

(ج) هي خادمة . و بعد أسئلة كثيرة سألوها الأسئلة الآتية

(س) كم لك من الزمان وأنت ميت

(ج) خمسون سنة

(س) ماذا كنت في حياتك

(ج) خرقيا لانفع به أجول في هذه النواحي والناس يهزؤون بي لتعلقى بشراب أئينا نوح الأجر

(س) ماذا تعمل الآن وهل تسعى في أمر مستقبلك

(ج) كلا . أنا تائه الآن لأنه ليس من يفكر بي على الأرض ولا من يصلي لأجلي

(س) ماذا كان اسمك في حياتك

(ج) حنين

(س) اننا مستعدون لإسعافك بالصلاة . فقل لنا يا حنين هل سررت باحضارنا لك

(ج) نعم أتم قوم صلحاء محبوا الزهد وقد سررت جدا باستماعكم لي . استودعكم الله

قال شير محمد . ماذا ترى في هذه الحادثة من الجوانب العلمية . قلت يا شير محمد ذكرت بقول الروح
أن الأرواح تألف الأمكنة التي يناجيهم فيها من يحبونهم ما قرأته في كتاب ﴿ المضمون به على غير أهله ﴾
للامام الغزالي قال ﴿ ومن أقبل في الدنيا بهيمته وكنيته على انسان في دار الدنيا فان ذلك الانسان يحسّ
باقبال ذلك المقبل عليه ويخبره بذلك . فمن لم يكن في هذا العالم فهو أولى بالتنبيه وهو مهياً لذلك التنبيه فان
اطلاع من هو خارج عن أحوال العالم على بعض أحوال العالم ممكن كما يطالع في المنام على أحوال من هو
في الآخرة أهو مثاب أم معاقب فان النوم صنو الموت وأخوه فبسبب النوم صرنا مستعدين لمعرفة أحوال لم
نكن مستعدين لها في حال اليقظة فكذلك من وصل الى الدار الآخرة ومات موتاً حقيقياً كان بالاطلاع على
هذا العالم أولى وأحرى . فأما كنية أحوال هذا العالم في جميع الأوقات فلم تكن مندرجة في سلك معرفتهم
كما لم تكن أحوال الماضين حاضرة في معرفتنا في منامنا عند الرؤيا . ولآحاد المعارف معينات ومخصصات منها
همة صاحب الحاجة وهي استيلاء صاحب تلك الروح على صاحب الحاجة وكما تؤثر مشاهدة صورة الحى في حضوره
وخطور نفسه بالبال فكذلك تؤثر مشاهدة ذلك الميت ومشاهدة تربته التي هي حجاب قلبه فان أثر ذلك الميت
في النفس عند غيبته ومشهده ليس كأثره في حال حضوره ومشاهدة قلبه ومشهده . ومن ظنّ أنه قادر على
أن يحضر في نفس ذلك الميت عند غيبته مشهده كما يحضر عند مشاهدة مشهده فذلك ظنّ خطأ فان للمشاهدة
أثراً يينا ليس للغيبة مثله ﴾ انتهى المقصود منه بالحرف الواحد

وانما ذكرت لك ذلك لأريك العجب في توافق أقوال علمائنا لما نطقت به الأرواح على اختلاف مشاربها
ومنازعها واختلاف أقطار احضارها في مشارق الأرض ومغاربها في روسيا وأمريكا وإنجلترا وفرنسا وإسبانيا
حتى أصبح ذلك متواتراً . فانظر كيف وافق قول الامام الغزالي المذكور قول الروح . فشهد القبر يزيد المصلى
خشوعاً وهيبة كما حفظ أثراً للميت يحرك فيه الذكر والمجبة . وعليه فالفكر هو الذي يفعل بالروح لا الأشياء المادية
وتأثير هذا عائد على الحى أكثر مما على الميت وقولها أيضاً أخص دواعي ميل الأرواح الى الأماكن محبتهم
لبعض الأشخاص المترددين على تلك الأماكن وورغبتهم في مناجاتهم وان كان الروح شريراً قصد الانتقام من
عدوّه مقيم بتلك النواحي فتأمل وتعجب

فلما أتممت هذا المقال قال صاحبي قد فهمت أن العقول والديانات متضاربة مع علم الأرواح على أن تنسجazy بعد الموت فعلا وأصبح الآن عندي أشبه بالحقق ولكني أقول أيضا أن هذا العقاب أيضا بعيد وكيف لا يكون بعيدا ونحن نرى أن الناس يعاقبون على ذنوبهم في محاكمهم بعد الجرم واننا نجد الحكومات تساح من غاب عن الوطن مدة معينة اذا كانت عقوبته على جريمة متوسطة . فاذا كان الناس في محاكم الشرق والغرب يراعون اقتراب الذنب من الجريمة فاذن تأخير العقاب الى ما بعد الموت غير كاف في تهذيب النفوس البشرية فقل ماتشاء . ان عذاب القبر وما بعده لا يردع النفوس البشرية كل الردع بل لا يرتدع به إلا أوساط الناس وعذاب الآخرة البعيد يرتدع به الجهال والنساء والأطفال . فأما أرقى الطبقات المتعلمة فليس شيء من ذلك يمتنع لها . ولذلك ترى أكثر الظالم انما يكون من عظماء الأمم والملوك والذين بيدهم الحل والعقد والمجالس النيابية في جميع الأمم . قلت ان العذاب كما جاء في الدين ليس قاصرا على الآخرة والقبر . ان العذاب يحل بالأفراد والأمم من وقت وقوع الجريمة ولكن الناس في الدنيا مساكين لا يشعرون وبعضهم يشعر به . قال فاضرب لي مثلا على شريطة أن تؤيده بالقرآن . فقلت له آتيك بأمثلة وبآيات . مثال ذلك من ظلم الناس بأخذ أموالهم وأصبح مثرى غنيا يشار اليه بالبنان وقد أخذها بسرقة أو بنهب فان هذا ﴿ أولا ﴾ يجد في قلبه حزنا وهو يكتمه وألما لأن النفوس الانسانية لها شعور بما كسبت ولها ميل للعدل فوخز الضمير ملازم لها ولكن يخفى ذلك كثيرا * قال أفلاطون ﴿ إن الظالم معذب بضميره كهذاب المظلوم الذي سلب ماله ﴾ وثانيا ﴿ يرى في الحرص عليه وحقد القلوب وكراهة الناس آلاما ﴾ وثالثا ﴿ النوائب التي تحل بالمال الحرام وبالمال الحلال كلها عذاب لصاحب المال قال تعالى - فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا - فانظر كيف ذكر العذاب في الحياة الدنيا . ناهيك ما ترى من خبز خراب الأمم وزواها في القرآن . فكل هذا عذاب دنيوي . إن الانسان يهذب بالتفريط في أى قوة من قواه الجسمية والعقلية في هذه الدنيا . ان الانسان في الدنيا يرى انه بتقصيره في كسب المعالي ينزل درجات عن غيره وهو في الدنيا انه يحس - بألم في القلب اذا وجد غيره عالما بمسألة هو يجهلها . انه متى أكرم امرا وجد المحبة له جزاء ومتى أهان آخر وجد الكراهة له جزاء . وماترك وقتنا بلا عمل وهو قادر إلا أحسن - بندامة . انه اذا أكل فوق طاقته تجرعه غصص الأمراض . واذا ترك الطعام فلم يأكل أحسن - بألم الجوع . واذا ترك التزوج مثلا أحسن - بألم الشبق . واذا ترك التداوى ازداد به المرض . واذا لم يحسن المعاشرة انصرفت القلوب عنه . إن الميزان منصوب في الدنيا ومنصوب في الآخرة والله هو الممسك بالميزان ونحن الآن نوزن أعمالنا صباح مساء ونحن غافلون ونحس - ببعض العذاب و ببعض الثواب وسنشعر بالباقي بعد فراق هذه الدار . فلما سمع صاحبي ذلك أشرق وجهه واستبشر وقال حقا لقد أزلت الحجاب ونطق بالصواب وأفهممتي قوله تعالى في هذه السورة - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وان كان مثقال حبة من خردل أثينا بها وكفى بنا حاسبين - وانى لا أقول آمنت بل أقول أيقنت أن الحساب واقع الآن ولكنه مغطى علينا وأن ذلك الحساب مستمر بعد الموت ملازم لنا ملازمة الظل للشبح وأيقنت أنه لا فرق بين قوله تعالى - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة - وبين قوله تعالى - وأنبئنا فيها من شيء كل موزون - وقوله - وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - والحساب الآن موجود ولكن نحس منه ببعض الآثار فاذا متنا نطلع على ذلك واضحا جليا - كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا - واذا كنا نجد أن الماء مركب من ذرات الاكسوجين وذرات الادروجين بنسب لا خطأ فيها وان أقل ذرة توضع في الماء من أحدهما خارجة عن الوزن لا يقبلها الماء ولا تدخل فيه . فهذا الميزان المشاهد أمامنا أثره ونقروءه في علم الكيمياء هو بعينه الذي يطلعنا الله عليه بعد الموت وهو الذي نصبه الآن و بعد الآن لوزن أعمالنا فيما حولنا وفيما بعد الموت والحمد لله على هذا العلم الصحيح . انتهى الكلام

على اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية في قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا - ﴾
 ها أنت ذا قد اطلعت على ما أبرزه القرآن قبل مئات السنين من أن السموات والأرض أى الشمس
 والكواكب وماهى فيه من العوالم كانت ملتصمة ففصلها الله تعالى وقلنا إن هذه معجزة لأن هذا العالم لم يعرفه
 الناس إلا فى هذه العصور . ألا ترى أن كثيرا من المفسرين قالوا ان الكفار فى ذلك الوقت ليس لديهم هذا
 العلم فكان جوابهم على ذلك انهم أخبروا به فى نفس هذه الآية فكان الآية تستدل عليهم بنفس ما نزلت
 به وذلك أن هذه الامور لم تخلق وقد أخذ العلماء يؤولون تأويلات شتى لفرط ذكائهم وحرصهم رحيم الله
 وهانحن أولاء نجد هذه العلوم المكنونة المخزونة قد أبرزها الله على أيدي الفرنجة كما نطق القرآن هنا كأنه
 يقول سيري الذين كفروا أن السموات والأرض كانت مرتوقة ففصلنا بينهما فهو وان ذكرها بلفظ الماضى
 فقد قصد منه المستقبل كقوله تعالى - أتى أمر الله - وهذه معجزة تامة للقرآن وعجيبة من أعجب ما يسهه الناس
 فى هذه الحياة الدنيا . ولذلك تجد نفس هذه المسألة أصبحت عقيدة فى جميع المدارس شرقا وغربا فانهم
 يقولون للتلميذ ان الأرض جزء من الشمس انفصلت منها وهى تدور حولها . هذه العلوم أصبحت عقائد
 للذين كفروا وللذين آمنوا . هاهوذا ربنا يقول لنا . لقد فهم الذين كفروا علوما فهلا آمنوا بي لأن
 هذه العلوم تدل على عظمتى ومعلمتى وابداعى وجمالى واحكامى فى عملى لأننى هكذا خلقت الكائنات وربيتها
 طبقا عن طبق باعترافهم وجعلت الماء لحياة الحيوان والحيال لحفظ الأرض من التهووج والضياع فى الخلاء الذى
 لا يتناهى

﴿ خطاب لعلماء الاسلام ﴾

أيها العلماء . لا عطر بعد عروس ولا خبأ بعد بوس . قد أعذر من أنذر . هل بعد ما بين لكم
 الحق ورأيتم كيف رضى الله العلوم متى كانت موافقة للعقل وحض الناس عليها . هل بعد هذا تتجافون عن
 النظر لمجائب ربكم . كفى يا أمة الاسلام . أيها الذكى القارىء لهذا التفسير . اسمع منى وتأمل ما أقول
 قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى - واخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه -
 فقال ﷺ ما علم الله عالماعلا إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على الأنبياء - لتبيننه للناس ولا تكتمونه - اه
 هذا قوله ﷺ أخذ علينا العهد كما أخذ على الأنبياء . ان الأنبياء اليوم عند ربهم ونحن سكان الأرض
 الآن مأخوذة علينا العهود والعهد تابع لنفس العلم . فأنت أيها الذكى مسؤل عن هذه الأمة وعمن حولك
 على مقدار طاقتك . هل فى شرعة الانصاف أن تكون أمة هذا كتابها أجهل الأمم به وبالعلوم التى أنزلها
 الله . هل من جادة الحق وطريق الصواب أن الله يقول - ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معاش
 قليلا ما تشكرون - ويصبح المخاطبون بهذا القول أجهل الأمم بهذه الأرض وبما فيها . يقول الله ان
 الأرض التى جعلت لكم فيها معاش محل شكركم وأتم لا تشكرون إلا قليلا ولا يكون الشكر إلا بالتذكر
 والتفكر أولا والعمل باليد واللسان ثانيا . هأنت ذا عرفت وأنت مسؤل بين يدي الله فلتكن أنت العامل
 لأمتك الاسلامية . أنها فى حاجة الى النصير والمعين فأذع هذا القول وأمثاله مما يفتح به عليك مادمات من
 الصادقين الموقنين

﴿ اعتراض على المؤاف وسؤال وتبصرة ﴾

حينئذ قال لى ذلك العالم صديق . إذن أنت تريد أن تصوّرنا نحن العلماء بصورة المقصرين . فقلت له
 إن التقصير على مقدار العلم ومادام الناس لا يعلّمون فماذا يفعلون ولا يعلم إلا اذا تعلم . فأنا أطلب من العلماء
 أن يقرؤا العلوم ويفهموا الشبان أن الله خلق الأرض والسماء لدراستهم لأنه كما جعلها معاش جعلها دروسا
 أى محل دراسة فهى كتاب مسطور فانه قال فى هذه السورة - وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم عن آياتها

معرضون - جعلها آيات كما جعل في القرآن آيات . وآيات القرآن تطلب منا آيات العوالم المحيطة بنا . قال هأنذا ذا ذكرت عقاب الله للناس على الأرض . فإذا عوقب به المسلمون اليوم . قلت المسلمون عوقبوا باذلال الفرنجة لهم . فقال وبماذا أفاد العقاب . قلت أفاد كثيرا ونجح نجاحا باهرا . ألم ترالى أمم الترك كيف استقلت وصلح حالها وأمة الأفغان كذلك وترى الأمم التركية تتجاذب وتتحذو وهكذا . أما أمة العرب فانها الى الآن تذوق العذاب . قال أوضح المقام . قلت انظر الى أمريكا وهي من أمم مختلفة أصبحت أمة واحدة تربو على مائة مليون وهي مكوّنة من عشرات الممالك . انظر الى ألمانيا بلغت نحو (٧٠) مليونا وهي ممالك مختلفة صارت مملكة واحدة . انظر الى انكرا كذلك . انظر الى غيرها وغيرها ثم انظر الى أمة العرب كمصر وتونس والجزائر ومراكش وبلاد الشام والعراق وبلاد الحجاز هؤلاء كلهم عرب . فانظر ماذا أصابهم فتحوا البلاد قديما ثم عاشوا فيها وخضعوا لأمم غيرهم فأصبح الشامي لا يفهم المصري إلا قليلا والعراقي لا يفهم المغربي في تونس إلا قليلا ولا يمكنهم أن يجعلوا لهم وحدة . هكذا نرى الأقطار الحجازية واليمينية في جزيرة العرب التي هي منشأ العلم والدين لم تتحد بمالكها بل هم أعداء مع أنهم لا يبلغون عشر الممالك المتحدة . الحق والحق أقول ان الله لا يأذن ببقاء أمة في الأرض ضالة جاهلة . إن الله أذن بارتقاء الانسان فن ارتقى أبقاه ومن لم يرتق أقصاه . ان الله أعطى الترك نصيبا من العقل فعملوا بهذه النصيحة . أما العرب فانهم لا يزالون جاهلين خامدين وستعلمهم الحوادث في المستقبل الاتحاد وتنشأ سكة حديد من مراكش الى الجزائر وتونس وطرابلس ومصر والشام والعراق مخترقة الحجاز ويكونون دولة بينها وبين الأفغان والترك معاهدة ومع الفرس . هذا هو اليوم الذي يقال فيه ان أمة محمد ﷺ قامت بما عاينها . هذا هو اليوم الموعود للمسلمين . أما هذه الحياة حياة الغباوة والكسل والجهالة - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فليعرف كل قوم وطنهم ثم جنسهم ثم الجامعة العاقبة ولكن أبناء مصر الآن وأبناء العرب لا يعلمون شيئا من هذا فان الأمير عبد الكريم القائم الآن في مراكش يدافع عن بلاده ضد أسبانيا لم يساعده اخوانه في مصر من العرب ولم يجيبوا نداءه بالمساعدة المالية فضلا عن الطبية والحربية . فالجهل مخيم ولكن الله يريد ازالته - ولتعلمن نبأه بعد حين - . إن الله لا يبق إلا الأصلح في هذا الوجود والله هو الولي الحميد

وكيف يدخل الناس الجنة ويقال انهم على سرر متقابلين أو ينزع ما في صدورهم من غل وهم لم يحوموا حول هذا في الدنيا . لكل عمل في الآخرة أس في الدنيا فأين الأس هنا . ان كل عمل يعمل المرء يرصد له في حسابه حتى الحركة والخطوة والحكمة وهذا يسجل له في أعضائه وحركاته المستقبلية ويكون كل عمل مبدءا لما بعده ويصبح سجية راسخة صالحة أو طالحة . فهذا نوع من الجزاء للفرد بحيث لا يعمل عملا صغيرا أو كبيرا ولا يفكر فكريا كذلك إلا كان له أثر في أعماله في الحياة الدنيا شاء أم أبى . هكذا الأمم فكل جهل وكسل في الأمة يضعف أعمالها وأملها ويؤخرها وتصبح فريسة لغيرها . فأين الاتحاد في الاسلام ولم اتحد أهل أوروبا وهم لا يتحدون . أفلا يقرؤن - ونزعنا ما في صدورهم من غل - اخوانا - في الآخرة ولا بد من مقدمة ذلك في الدنيا أفلا يقرؤن - يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا - فأين التعارف وقد تعارف الألمان والطيالان والأمريكان

﴿ جوهره في قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون -

مع قوله تعالى - ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عاقلين - الى قوله تعالى - فجعلناهم

الأخسرين - وتبين التماثيل التي عكفوا عليها وكسرهما الخليل عليه السلام ﴾

اعلم أن هذه الآية أيضا من المعجزات القرآنية . ذلك لأن الكشف الحديث أظهر أن كل دين كان في أصله دين توحيد . وأذكر لك بما تقدم في سورة ﴿ آل عمران ﴾ من أن كتاب ﴿ الفيدا ﴾ الذي هو أصل

دين (البراهمة) قال بالتوحيد وهكذا دين (خريستا) قبل المسيح بنحو ٨٠٠ سنة و (بوذا) بعده سنة ٦٠٠ ق م ودين قدماء المصريين و بيان رڤيا (هرمس) التي صرح فيها بالتوحيد تشريحا واضحا وهكذا دين (يو) الكبير بالمسيح ودين (ليونسو) بعده بالمسيح أيضا . هذه هي الديانات المنتشرة اليوم في الأرض وأصلها التوحيد . وقد تقدم أيضا نحو هذا في سورة (ابراهيم) في المجلد السابع من أن علماء الهند ومصر وحدوا سرا وأشركوا جهورا لاضلال العامة ولتبقى لهم السيادة عليهم والتثليث عند هذه الأمم جاء بعد التوحيد . هذا هو ما تقدم ولكني الآن أريد أن أضيف الى ذلك جالا في العلم وحكمة ونورا أشرق على أهل الأرض بالكشف الحديث . ذلك الكشف الذي أيد هذه المسألة تأييدا أتم

(١) فأوسع القول الآن في دين قدماء المصريين لفوائد لم تكن ذكرت من قبل

(٢) وأذكر دين الفرس القدماء وأبين أن أصل هذا أيضا التوحيد

(٣) وأن الاسلام جاء لايضاح الحقيقة التي غطاها المضلون من أهل الديانات فهي (ثلاثة فصول)

﴿ الفصل الأول في دين قدماء المصريين ﴾

قد أظهر الكشف الذي ذكره (ولكنسن) البعثة الانجليزية ثلاثة وسبعين إلهًا وإلهة وقال انهم لم ينوا عداهم . وورد في كتابة مصرية لرعمسيس الثاني العبارة الآتية وهي ﴿ الآلهة الألف أي الآلهة والإلهات الذين في مصر ﴾ وجعلها هيرودوتس (ثلاث رتب) ٨ منها في المرتبة الأولى (١٣) في الثانية والباقية في الثالثة . ومن عجب أن هذه الأمة كانت تجمع بين المتناقضين العقل الكبير والسخافة ففيهم انحطاط وارتفاع في الامور العقلية معا . فأما السخافة فهي الظاهرة للعامة . وأما سمو الفكر فهي عند الخاصة الذين كانوا يعتقدون إلهًا واحدا

ثم انه يؤخذ مما يقوله (برتش) دليل المتحف المصري ومن كتاب (موقع مصر) لبنسن المجلد الخامس ومن كتاب (مصر في الأزمنة القديمة) لبرتش و (ولكنسن) و (رولنسن) قد أخذ من مجموع كلامهم ما يأتي انهم يقولون ﴿ الخالق الحق للسموات والأرض لم يخلقه أحد الواجب الوجود لنفسه الكائن منذ الأزل الروح الطاهر الكامل في جميع أوصافه الكلي الحكمة والقدرة والقداسة ﴾ وهذا الإله لم يصنعوا له رسما ولم يكن له اسم عندهم ولا يسمونه التلفظ باسمه . ويقولون إن كل ما سواه من الآلهة ليس إلا صفة له أوقسا من الطبيعة التي خلقتها وكانوا يقولون ان العبادة للآلهة الصغيرة هي لله أي - ما عبيدهم إلا ليقر بونا لله زاني - واذا كان الله لايجوز التلفظ باسمه فوجب أن تقدم للآلهة الصغيرة لأن الله أكبر من أن نعبده نحن

أقول إن ذلك أشبه بما يصنعه الناس اليوم إذ يخاطبون الوزير أو الأمير بقولهم حضرتك وسعادتك وجلالة الملك وعظمة السلطان وهذا من التغالى في العظمة . فإذا كان الانسان اعتاد التغالى في عظمة المخلوق فها هو بالأولى لم يعرف بأي طريق يعظم الله إلا بترك اسمه ونسيانه وعبادة مخلوقه . ولما كانت الآلهة الصغيرة المعروفة عند العامة ليست مقصودة لذاتها بل هي رمز لمخالقتها . أجازوا أن يسمي الواحد من هذه الآلهة باسم الإله الآخر منها لأنها مرجعها كلها الى الإله الأول . هذا في العقيدة القلبية . أما اليوم الآخرة قد كان معروفا عند العامة والخاصة كانوا يعتقدون بخلود النفس ومتى فارقت الجسد دخلت دار الحق وحوكت في حضرة (أوسيريس) والاثنين والأربعين قاضيا الذين معه فيأتي (انويس) بن (أوسيريس) بميزان يضع في ناحية منه تمثال الحق وفي السكفة الأخرى إناء فيه حسنة الميت . فإذا رجحت الحسنات على التمثال أبيح للنفس أن تدخل قارب الشمس وقادتها الأرواح الصالحة الى الفردوس ومساكن الأبرار وان لم ترجح حكم عليها أن تتقمص في أجساد الحيوانات كما تقدم في أقوال (طيموس) في محاوراته مع (سقراط) في سورة النحل فهناك يقول بهذا فقوله نفسه كما تقول اليهود . إذن هذه عقيدة أهل الهند ومصر واليونان الدنسة والمدة التي تنضبها

في تلك التقمصات تتوقف على مقدار اجتهداها في التطهير فان لم تتطهر في تقمصها حكم عليها بالاعدام . فأما النفس الصالحة فتطهر من سيئاتها بالنار المطهرة وتقيم مع (أوسيريس) ثلاثة آلاف سنة ثم تعود الى الأرض وتدخل الجسد الذي خرجت منه فيقوم من الأموات ويمش كما عاش أولاً ويتكرر عليه البعث والموت حتى يبلغ السعادة العظمى إذ ترجع نفسه الى النور الالهى الذى صدر منه وهناك كمال السعادة . انتهى

هذه هي الديانة القديمة عند قدماء المصريين . هذا الدين كان في أول أسره حقا كالاسلام ولكن هذه الخرافات التي جاءت لهم من دين البراهمة بالهند قبل المسيح بأربعة آلاف وثمانمائة سنة هي التي أوقعتهم في خرافات أشد من غيرهم فهم ظنوا أن الروح ترجع الى هذا الجسم فخطوه وأبقوه لهذه العقيدة . فأما القضاة وأسماء الآلهة ونحوها فهي كلها ضرب أمثال للعامة

﴿ الفصل الثاني في ذكر دين الفرس القدماء ﴾

اعلم أن (الآريين) كانوا يسكنون قديما أواسط آسيا شرقي بحر قزوين والجزء الشمالى من (هندكوش) وقد تفرع من هذا الأصل (السلتيون) فرحوا الى أوروبا من طريق بلاد الهند والصغرى . وارتحل بعدهم أسلاف ايطاليا واليونانيون والتوتونيون فبهض هؤلاء رحلوا الى أوروبا في الطريق بين بحر قزوين والبحر الاسود ومابقى من ذلك الأصل ذهب منهم قسم الى بلاد الهند جنوبا وقسم ذهب الى بلخ وسمرقند وقسم ذهب الى بلاد الفرس . فهؤلاء هم قدماء الفرس . فهم إذن فرع من ذلك الأصل الآرى وهم اخوة أهل الهند وأوروبا فقد كانت أصولهم جميعا تتكلم بلغة واحدة وتدين بدين واحد وليس منهم (الترك والمجر وأهل فنلند ولا بلانده) فهؤلاء القدماء لما استقرّ قرارهم بجبهات ايران تفرقت عقائدهم وآلهتهم بأسباب عارضة فصار ذلك التفرق في العقائد بابا يجرّ الى الحرب والضرب والعداوات والشحناء فظهر بينهم رجل عظيم يسمى (زردشت) . وقال أبو القاسم منصور بن نضر الدين أحمد الفردوسى الطوسى الشاعر المولود بقرب طوس حوالى سنة ٣٣٠ للهجرة (في كتابه ﴿ الشاه نامه ﴾ الذى يبلغ ستين ألف بيت وقد ألفه في مدة ٣٠ سنة وقد فضله المتأخرون على كل تاريخ منظوم) انه ظهر ببلخ في عهد الملك (كاي مستش) رجل طاهر اسمه (زردشت) بيده إناء فيه نار بلادخان ولاوقود ولابخور وقال للملك اننى نبي مرسل اليك لأريك سبيل الله وهذه النار التي بيدي من الفردوس أعطاها الله نفسه وقال لي خذها فان فيها صورة السماء والأرض . خذ مني الآن الدين الحق واستتر به وازدر بالدنيا وكان مع النبي كتب قال ان الله كتبها وهي (الاستاوند) ولقد ولد (زردشت) بالرى على مقربة من طهران (كما تقدمت الإشارة اليه في سورة طه) عند قوله تعالى - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - بمناسبة تكاثر الذرية في الحيوان الضار هناك) في المائة السادسة قبل المسيح كما يقوله الفرس الآن أوفى جوار بلخ في المائة الثانية عشرة قبل المسيح على أقوال المحققين من الفرنجة أى قبل وصول قدماء الفرس الى ايران ولقد قبل الفرس دعوته فانتفخوا بها ولت شمشهم وبقيت تلك الديانة قائمة الى انقضاء أسرة بنى (ساسان) في خلافة عمر رضى الله عنه سنة ٦٥١ م ودخل القوم دين الاسلام إلا شريحة قليلة حافظت على ذلك الدين الى الآن وهم قليل جدا ببلاد الفرس ونحو سبعين ألفا ببلاد الهند . ولقد قلنا في سورة (طه) أيضا ان الله عز وجل عنده ﴿ قانونان ﴾ لا بد منهما الموت والحياة والشر والخير كما في القرآن سواء بسواء . ولقد حرم القوم عبادة الأصنام وأيقنوا بالخير والشر أنهما من الله وأن كلا منهما يلزم الآخر من نور وظامة وغنى وفقير وحق وباطل وهكذا والأول (أهورامزدا) ثم صار (هرمز) والثانى (أنغرومانيوس) ثم صار (أهرمان) فهذه التماثيل أعطيت للقوم قبل رحيلهم الى ايران . ولما سلاوا ساحة (ايران) وخالطوا المجوس أصحاب البلاد اقتبسوا كثيرا من دينهم وعوائدهم . فبعد أن كان (أهرمان) و(هرمز) عمليين من أعمال الله جعلواهما إلهين مستقلين بينهما حروب وانفال . فهذا يرسل القمح والجوع

وهذا يعانده فيأتي بالخصب والشبع ولكل منهما أنصار وأنصار (هرمز) ست (١) العقل التام (٢) الاستقامة (٣) الحكم التام (٤) العبادة والطهارة (٥) الصحة (٦) الخلود

وهم يعتقدون أن الانسان من مخلوقات (هرمز) إله الخير واذن عليه أن يعصى إله الشر واذن يتصف
 ﴿ بأربع فضائل ﴾ التقوى • الطهارة • الاجتهاد • الصدق • فالأول الاعتراف بأن (هرمز) الإله الحق
 واكرام الملائكة بالصلوات والتسبيحات والطهارة للداومة على الفرائض الدينية والتنزه في الفكر والقول
 والفعل لأن (هرمز) طاهر ورب الطهارة فليكن أتباعه طاهرين • والاجتهاد يرجع الى حث الأرض
 واستئصال الشوك منها • والصدق أهم الفضائل عندهم * وروى (هيروودوتس) أن صبيان الفرس يمتنون
 على ركوب الخيل وأن يوتروا الفوس وأن يتكلموا الصدق والكذب عندهم شرّ الرذائل وأسوؤها • وكانوا
 يعتقدون الخلود كالمصريين فيما سبق واليونانيين وأهل الهند • ويقولون ان نفوس الصالحين والطالحين تمرّ
 بعد الموت على الصراط وهو جسر ضيق في طريق الجنة وهو من فوق جهنم • فأما نفوس الأخيار فانها تعبر
 عليه سالمة وتعينها الملائكة لاسما رئيسها (سروش) والدعوات التي يدعوها أصحابها الذين على الأرض • فأما
 نفوس الأشرار فانها تسقط في الهاوية • ومتى وصلت نفس الصالح الى الفردوس حياها العقل الصالح والملائكة
 يقولون طوبى لك أيها النفس المقبلة فلك الخلود ونفوس الأشرار تقيم في جهنم وهم يعتقدون الى الآن يوم
 القيامة وحشر الأجساد وكل ذلك بقي في الدين بعد امتزاج (الزردشتية بالديانة المجوسية) والمجوس أصحاب البلاد
 الذين اختلط بهم الفرس كانوا يكرمون النار والهواء والماء والتراب ويحرسون النار المقدسة على مذابحهم
 معتقدين أن أصلها من السماء وانهم يجب عليهم أن يحرسوا عليها حتى لا تنطفئ • أقول من العجب أن هذا
 القول في حقيقته رمز للعلوم والدين • فالدين من السماء وهو النار والنور الحال في القلوب فتجب المحافظة عليه
 فلمعل ذلك رمز للعاني العلمية فتبقى مابقيت الرسوم الظاهرة وهناك مناسبة بين الحقيقة والمجاز إذ العلم نور
 والنور يصاحب النار أو الحرارة • ولايجرؤن على تدنيس الأنهار ولو بغسل الأيدي • وهذه العقائد دخلت تدريجا
 في دين (زردشت) حتى ان الفرس بعد ذلك كانوا يطعمون موتاهم لطير السماء ووحش القفار كالمجوس لئلا
 يدينوا النار اذا أحرقوهم بها والأرض اذا واروهم فيها والماء اذا طرحوهم فيه والهواء اذا وضعوهم في تابوت
 فصعدت رائحتهم اليه

وهالك ﴿نبذتين﴾ نبذة من كتاب (الاستاوزند) المذكور أي الماتن والشرح وباللغات الافرنجية (الزنداڤستا)
 وهو فيه ألف ألف بيت من الشعر نظمه (زردشت) وشرحه من خلفه وفقد أكثره أيام الاسكندر ثم جمع ما بقي
 منه الأكاسرة بنو ساسان • ونبذة في قانون الايمان بالله

﴿النبذة الأولى﴾ أقدم التحيات لسيدى ومولاي العظيم (أهورمزدا) وأسألك أيها السيد العظيم أن
 تغفر لي خطيئتي يوم الدين وتقدرني على أن أقوم بشعائر الدين • إن في الوجود ﴿روحين﴾ روحا شريرة
 وروحا فاضلة وللأولى الشرور وللثانية الفضائل والخيرات • فاخترت أنت ياقدوس الخير ونبذت الشر وأهل
 الشر قد اتفقوا عليه فكنت أنت غالبهم فأتت الأرض بالشوك والحسك بسبب شرهم تأتي أنت بالنعم
 في الأرض وسوف يأتي يوم الحساب ويجازى كل بما عمل

﴿النبذة الثانية قانون الايمان بالله﴾ نؤمن بالله واحد خالق السموات والأرض والملائكة والشمس
 والقمر والنجوم والنار والماء وكل شيء • إياه نعبد وله نسجد وبه نستعين • إلهنا لاوجه له ولاشكل ولا له
 مكان محدود ولا نستطيع وصف مجده ولا ندرك عقولنا كنهه • له ألف اسم واسم ولكن اسمه الأول (هرمز)
 أي الروح الحكيم • ومتى عبيدنا نلتفت الى بعض خلائقه كالشمس والنار والماء والقمر • وقد عامنا نبينا
 (زردشت) أن الله واحد وهو نبيه وأن نؤمن (بالاوستا) وبوجود الله وأن نسلم لمشيئته ونطيع أوامره ونعمل

الأعمال الصالحة ونقول الأقوال الحسنة ونفكر الأفكار الطاهرة ونصلي خمساً كل يوم ونؤمن بالحساب وبأنه يكون في اليوم الرابع بعد الموت ونرجو السماء ونخاف جهنم ونؤمن بيوم القيامة . انتهى

ها أنت ذا أيها المليب الذكي قد قرأت دين قدماء المصريين ودين المجوس ودين الفرس فكانت هذه الديانات الثلاث مثل غيرها مما ذكرناه في سورة (ابراهيم) و (آل عمران) كما قدمنا جميعها ناطقات بلسان واحد أنه ﴿ لا إله إلا الله ﴾ وانما ذكرت لك ذلك بنصوصه وأطلت فيه بعض الاطلاة ﴿ لفرضين شريفيين ﴾ الغرض الأول ﴿ أن تطلع على ديانات الأمم فيحصل لك اليقين بالاسلام من طريق الديانات لأنها كالاسلام من حيث وحدانية الله والخلود بعد الموت والجنة والنار ولا عبرة ببعض التطرف في تلك الديانات ﴾ (الغرض الثاني) ﴿ أن تفهم الآية التي نحن بصدددها . فالله يقول فيها إن الرسل الذين أرسلوا قبلك يا محمد لم يدعوا إلا إلى إله واحد . أليس ذلك معجزة وأي معجزة ثم ان تطابق الأقوال واتخاذها في جميع الديانات طريقاً واحداً يهدا جميعاً من أكثر الأمم وهذا مما يزيد اليقين ويقوى العقائد ويقلل الزيغ عند الذين لا بصيرة لديهم ولا قوة بها يدركون الحق . واعلم أن مثل هذا الانسان على الأرض في دينه كمثله في أمر طعامه . فكما ان في الطعام أنواعاً وأجناساً هكذا في الديانات والامور العقلية ألواناً وأجناساً وكما أن الانسان قديماً وحديثاً قد غش في الأطعمة كما شرحت لك في سورة (الحجر) عند ذكر الملائكة وآدم هكذا غش في الديانات . فتري هناك ما نقلته عن الأطباء في مصر وفي أوروبا فقد جاهدوا بأن الناس غشوا في الدقيق والخبز والبن الأخضر والبن المصحون والبن وكل سائل كلزيت وكل زجاجات المقفات بالمياه الغازية . فكل هذه دخلها الغش . فلا زيت ولا سمن ولا بن ولا خبز إلا فيها غش . فالبن يدخلون فيه الطين والبن يدخلون فيه ماء قدراً فيأني بالأمراض العفنة أقول . فكما غش الناس في طعامهم غشوا في دينهم وفي علمهم كما علمت في دين قدماء المصريين وفي دين (زردهشت) الذي دخله التعدد في الله بعد الوحدانية . وتري الناس على الأرض هذا دأبهم وهذا كله من ضعف استعداد سكان هذا الكوكب الأرضي فان السكالك قليل فيه ولا يكاد دين ينزل إلى الأرض حتى يختلط بطينها ووحالها ويصبح أشبه بأراء أهلها الخاطئة . وان تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وان هم إلا يخرصون . وتري الناس سكارى وما هم بسكارى . ولكن الجهل شديد إن هذا الانسان يريد تعظيم الاله . فإذا يفعل . يتجاوز الحد فيقول أنا لا أذكر اسمه تعظيماً له فيقع في عبادة المخلوقات كما عرفت في ديانة الفرس وديانة قدماء المصريين والشئ اذا زاد عن حده انقلب إلى ضده والمسلمون لما طال عليهم الأمد أرادوا تعظيم الله تعظيماً تاماً فتقربوا إليه سبحانه بترك العلوم الطبيعية وعدوها كفراً وهذا من شدة عنايتهم بتعظيم الله فهم لشغفهم بتعظيمه نهوا عن النظر في صنعته كما تقدم عن الأمم السابقة إذ لا يذكرون اسمه اعظاماً له بل يذكرون اسم مخلوقاته كما نسمع أن أهل اليابان كانوا يعظمون الميكادو فلا يرون وجهه . وكما نسمع عن بعض أتباع شيخ عظيم من المسلمين بشمال أفريقيا . فأهل البلاد محرم عليهم النظر إلى وجهه . إن الانسان لظالم كفار . إنه كان ظالماً جهولاً .

فلما سمع صاحب ذلك قال إن في معرفة آراء الأمم السابقة لحكمة ونورا وهدى وأن ذلك يفيدنا معنى الآية التي نحن بصدددها . حقا ان المسلمين عليهم أن يقرأوا علوم الأمم وتاريخهم . يقول الله في الآية إن كل الأنبياء كانوا يقولون بالله واحد وهذا أمر سمعي ولا يكون السمعى بالعقل إلا بالاطلاع وهذا هو اليقين واليقين أفضل من الايمان . ولا جرم أن ازدياد العلم به تزداد المدنية وترقى الأمم . فبينما هم يحققون في أمر آية أو عقيدة اذا هم ارتقوا في أمورهم المادية والمعنوية . ثم قال واذا كان الأمر كذلك فاني أقول لقد ذكرت أن في الهند كتاب (الفيدا) ثم كان (خريستا العظيم) ثم (بودا) وفي الصين كان أولاً (يوالكبير) ثم (ليونسو) بعده وأن دين الجميع التوحيد فأرجو أن تذكر آخر دين بالصين لأن ديانات أهل الهند قد شرحت سابقاً في هذا

التفسير وكذلك دين أهل (بابل) . فقلت أما آخريدين في الصين فهودين (كنفوشيوس) هوفيلسوف الصين صاحب المؤلفات الكثيرة يقرّ بفضل أهل الصين كلهم . ولد سنة ٥٥٠ قبل الميلاد وزمانه كان يقرب من زمان (بوذا) بالهند وكان والده من أسرة شريفة حاكماً على بلده وتوفي وابنه صغير وتعلم علوم بلاده وعين معاوناً في وزارة المالية وسنه ١٧ سنة ثم ترك الحكومة ثم رجع قاضياً فوزيراً ثم ترك المنصب إذ وجد أن الشعب لا يرتقي إلا بالتعليم فأخذ يحجوب البلاد ويعلم الجاهل ويرشد الضال والناس ما بين مهين له ومكرم وهو يقول لا أهتم بإيذاء الناس مادمت أسمى في رقيهم . وكتب في الفلسفة واللغة الصينية والعلوم القديمة وتاريخ بلاده وتقاطرت إليه الناس من كل حذب ينساون . وقد كانت البلاد تحت حكم ظلمة مرتشين يلقون بين الناس العداوة والبغضاء ليعتق لهم السلطان عابهم فأخذ يذم فعلهم تارة وينصحهم أخرى فأصلح حال أكثرهم . ويقال أنه لولا مؤلفاته لم يعرف الناس عن تاريخ بلاده شيئاً ومات سنة ٤٦٨ ق.م وكان تلاميذه ثلاثة آلاف تلميذ أشهرهم (٧٣) اشتهروا بحبه العظيم له ويعتبر الصينيون اليوم علومه وآراءه واسمه . ولا يرتقي الرجل عندهم إن لم يكن أتقن تعاليمه واشتهر بها . وذريته اليوم يعتنون أشرف بلادهم وكان في تعاليمه يضرب الأمثال بما حوله كما كان يضربها المسيح . فمن أقواله أنه مرة بساقية فقال لأصحابه ^١ الماء حكمة الناس فأفيضوا من علمكم على الناس كما يفيض هذا الماء فيهود عليكم بالنفع وينقى سيرتكم كما ينقى الماء ولا يفنى ^٢ . ورأى صائداً معه طيور فقال له مالي لأرى معك طيوراً كبيرة فأجابه إن الكبيرة تعرف الشرك فتنجو منه أما الصغيرة وما يتبعها من الكبار فانها تقع فيه فقال لتلاميذه هكذا الناس فمن اتبع نصيحة الشيوخ نجح ومن اتبع الجهال وصغار الأحلام والشبان هلك . انتهى

أما دين (بابل) الذي سألت عنه فاعلم أن الآثار التي عثر الناس عليها اليوم قد أثبتت ديانة هؤلاء أكثر مما أثبتت التوراة فكان رأس آلهة الآشوريين (آشور) ورأس آلهة البابليين (إل) وبه سميت مدينتهم فهي (باب إل) أو (باب الاله) إذن دين الآشوريين التوحيد ودين البابليين التوحيد لأنهم مهما نصبوا من التماثيل والأصنام فقد عبد كل منهما إلهاً واحداً وهو الرئيس كما عبد (كونفسيرس) في الصين إلهاً واحداً كما عبده (النبيان) قبله بها فهم كأهل الهند عندهم إله واحد ولكن عند العامة أظهروا التعدد وهكذا قدماء المصريين . إذن الأمم القديمة كلها متشابهة توحيد وتعدد في آن واحد . وبعد الاله آشور الذي هو رئيس الآلهة عند الآشوريين ^٣ ثلاثة آلهة وهم (أنو) و (بيل) و (ايا) وهذا مثلث الآشوريين وبعدها المثلث مثلث آخر وهو (الاله سن القمر) و (الاله شمس الشمس) و (الاله أفا) أو (قل) أو (جم) أي إله الهواء وهكذا آلهة وراء آلهة . ولهم اعتقاد بالآخرة مثل بقية الأمم . وهكذا كان المصريون يعتقدون تثليث الاله فكل جماعة كانوا يعبدون مثلثاً غير الآخرين . فالتوحيد والتثليث إذن في الهند وبابل ومصر على حد سواء . وأذكرك أيها الذكي بما مرّ في آخر سورة (المائدة) إذ نقلت لك هناك صفحات كلها منقولة من نفس علوم أهل الهند أي أن عشرات الآيات من الأناجيل الأربعة نقلت بنصها وفصها مما كتب على (بوذا) وما كتب على (خريستا) انظره هناك فإن الأمر عجب وأعجب من هذه الانسانية المخترقة المحرقة الطفلة فما على الانسان إلا أن يأتي بضلالة فتزرع في الأرض فلا يخرجها علم ولا حكمة ولا صدق ولا دين بل تبقى ثابتة مادام لها أنصارياً كلون منها الخير . بهذا تعلم أن تثليث المسيحيين لا فرق بينه وبين تثليث المصريين والبابليين وأهل الهند . وأذكرك بما تقدم في سورة (مريم) عند قوله تعالى - فاختلف الأحزاب من بينهم - فقد ذكرت هناك الرواية التي تشبه الرواية المنقولة عن المسيح حرفاً بحرف نقلتها هناك من كتاب (اللورد هيدلي) رئيس الجمعية البريطانية الإسلامية . فهناك ما كتب في اللوحين البابليين التابعين لمجموعة السجلات المكتوبة بالخط الآشوري التي كشفت بواسطة الحفارين الألمانين سنة ١٩٠٣ سنة ١٩٠٤ في (كاله سبرجات) قاعدة

الآشوريين القدماء وهما يتبعان مكتبة الآشوريين التي أنشئت في القرن التاسع قبل الميلاد. وقيل ذلك وهما مع ذلك صورتان طبق الأصل . ففي تلك الرواية ترى رواية الأناجيل نفسها كما ترى روايات دين الطنود وملخص ماضى أن هذا النوع الانساني فيه ﴿ طبعان ثابتان ﴾ الأول ﴿ انه كله متدين معتقد باله وآخره وموحد ﴾ الثاني ﴿ انه لا يصبر على التوحيد بل يثلاث ويكثر الآلهة التي قد تصل الى ألف أو ألوف . هذان طبعان في الانسان لا يفترقان مادام على هذه الأرض فهو متدين بالطبع مشرك بالعادة وهذا نفسه برهان على الله واليوم الآخر لأن ما كان ملازما للطبيعة فهو حق كالغذاء وعموم حب التزوج وهكذا والله يعلم وأنتم لاتعلمون والحمد لله رب العالمين . كتب يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩٢٨ م

بعد أن أنمت هذا المقال حضر ذلك الصديق العالم وقال لى إن هذا القام جليل جميل ولكن يحتاج الى الايضاح فقلت له توضيح الواضحات من المشكلات . قال لست أريد أن ماضى ليس واضحا بل أريد أن نزج في بحر النور العلى ونقتبس من هذه الآثار والأخبار التي وردت عن الأمم السابقة ما ينفعنا في عصرنا . فقلت سل ماتشاء . فقال أرجو ايضاح هذا التثليث عند القوم فلئن عرفنا أن هناك مثلثا عند الآشوريين والبابليين وهم الآلهة العظام عندهم ومثلثا أقل منه للقمر والشمس والهواء . لم نعرف أهؤلاء الآلهة عندهم زوجات أم لا ، فقلت لهؤلاء الآلهة الست ست إلهات زوجات للتثليث ولكن (آشور) و (إل) لم يتزوجا فقال وهل من آلهة بعد ذلك مشهورين . فقلت خمسة (زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد) فهؤلاء خمسة آلهة ولكل درجة عندهم وهذه أوصافهم

(١) زحل الجبار المحارب الظافر قاهر العصاة الرب القدير قاهر الخارجين وهو معظم عند الآشوريين وأكثر البابليين وله صورة ثور ورأس انسان وجناحا طائر

(٢) المشتري معظم عند البابليين وهو عندهم الرب العظيم والملك وملك الآلهة والاله المجيد والقاضى القديم وقاضى الآلهة وبكر السماء ورب الحروب وملك السماء ورب الأبدية العظيم ورب السكائن ورئيس الآلهة وإله الآلهة

(٣) المريخ إله الحرب والصيد الرجل العظيم البطل القدير ملك الحرب المهلك جبار الآلهة وله صورة أسد ورأس انسان وجناحا طائر

(٤) الزهرة ماسكة الحب والجمال وكانوا يعبدونها عبادة خاصة فاحشة كما كانت تعبد عند الفينيقيين واليونان والرومان ويجعلها هؤلاء أيضا إلهة الحرب ويقرنونها مع آشور ورئيسة السماء وملسكة الآلهة والآلهات (٥) عطارد . إله الحكمة والفهم والتعليم ورسول الآلهة وتارة يقولون رب الأبواب الذى لا مثيل له فى القدرة حارس السموات والأرض الذى يسلم الملوك صولجان الملك

ثم انهم يصنعون أصناما من الحجارة والمعادن فيكون البدن بدن حيوان له رأس انسان وجناحا طائر ويعبدونها فى معابد خاصة وينشدون الأناشيد ويذبحون الذبائح ويقرَّبون القرابين . ومما يتبع ذلك انهم يقولون ﴿ آيتها النار الرببة العظيمة المتعالية فوق كل شئ . أنت سابكة النحاس والرصاص . أنت ممحصنة الذهب والفضة وكان كل يوم من أيام السنة عيد لاله أو أكثر من آلهتهم ويعتقدون اليوم الآخر ويصلون على موتاهم . هذا ملخص ما عند القوم . فقال كيف يقع العقلاء فى هذه الجهالة الظاهرة البطلان وكيف يكون المريخ والمشتري وأمثالها آلهة ثم ما هذه المبالغات واذا كانت الأمم القديمة كلها على هذا المنوال مخرفين ضالين فكيف كانوا منبع الحكمة . إن الحكمة ظهرت عند جميع هذه الأمم فكيف تجتمع الخرافات والحكمة . واذا كان دين الاسلام قد خلا من هذه الشوائب فلماذا لم نرفيه حكماء أشبه بمن مضوا فى الأمم فهل الخرافات تكون سببا فى الحكمة والقبول الحق يتبعه قوم يقل الحكماء بينهم . إن هذا لعجب عجاب

فقلت هوّن عليك يا صاح . اعلم أن الله عز وجل مشرق نوره على جميع الأمم قديمها وحديثها وهو القائل - وإن من أمة إلا خلا فيها نذير - والقائل - ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة - فهو سبحانه لم يذر أمة من الأمم السابقة إلا وأرسل لها هداة وهذا المقام يحتاج الى مقدمة فأقول

إن الله عز وجل هو الذي بث الحيوانات في البحر والتراب وفوق الأرض وفي الهواء وهو الذي نظم تلك الممالك وأودع فيها غرائز فهي بذلك حافظات لنظامها قائمات بأمر ذريتها مادام الفرقدان وطلع النيران ولكن انظر ماذا فعل . أعطى كل نوع من أنواع الحيوان فطرا وغرائز تخالف بقية الحيوان . فهل فطرة النمر كفطرة الغزال . قال لا . قلت فهذه فطر مختلفات . مثلا ترى أصواتها لا تشابه بينها . فكل نوع صوته ونغمته تخالف النوع الآخر والنوع الواحد من الشرق لا يخالف في صوته ما عاش منه في الغرب فصوت الغربان والكراكى وأبى قردان في الشرق هو صوت الغربان والكراكى وأبى قردان في الغرب لا اختلاف بينهما . أما هذا الانسان فأمره عجب . أعطى عقلا وأعطى حرية يتصرف في الكلام كما يشاء . فلما استقل عقله قدر على التصرف . فإذا فعل . سار على ناموس الوجود . ومعنى هذا أن هذا الوجود فطر على الاختلاف والتنويع . فكما نوع الله أصوات الحيوان باختلاف الأنواع أخذ هذا الانسان ينوع أصواته كما فعل الله في حيوانه فجعل الانسان نفسه كأنه أنواع لانوع واحد . فترى اللغات الأصلية الثلاثة وهي (الآرية والطورانية والسامية) تختلف عن بعضها اختلافا بيذا وكل لغة لها فروع كثيرة . فإذا رأيت الآريين يتكلمون بالسكسكريتية وبالفارسية وبكثير من لغات أوروبا ترى الطورانيين يتكلمون باللغة التركية والقازانية وغيرها وترى الساميين يتكلمون بالعربية والعبرية والحبشية وما شاكلها . فإذا أصبح التركي والفارسي والعربي في لغاتهم أشبه بالكركي والبازي والسنور مختلفي الأصوات مختلفي اللغات ذلك لأن الله من عادته أن لا يكرر في الخلق أي انه دائما ينوع مخلوقاته . هكذا الانسان لما أعطى قوة وتلك القوة من عند المبدع الحكيم نوع كما نوع المعطي القادر . فكما نوع الله في أصوات الحيوان نوع الانسان الذي هو خليفته في صوت نفسه فحدثت اللغات ولكل لغة لهجات . وكما نوع الله في الغرائز الحيوانية نوع الانسان في الديانات

فهذا المثل ضربته لك أيها الفاضل لتقيس عليه . وقد قلنا ان الله لم يذر أمة إلا وأرسل لها رسولا والمجددون في كل دين هم قائمون مقام الرسل . فهذه الديانات تنوعت على حسب ما طبع عليه الانسان من التنويع في عادته وأطواره . ثم ان كل دين ينزل لأهل الأرض كما قدّمنا يكون بالتوحيد وهذا التوحيد سار في جميع الكائنات والله لم يره أحد فإذا فكّر العقلاء لم يجدوا إلا جلال هذا الوجود فيتفنون في وصف جلال العوالم ويشقون الصانع بنظرهم الى الصنعة والدين اذا لم يكن مستندا الى هذه العوالم الطبيعية لم يدم . ان الله لم يره الناس ولكنهم رأوا جلالا باهرا وحسنا ظاهرا وبهجة وكالا فهذا الجلال يسوقهم الى أن تهرع عقولهم الى مبدع العالم

ولاجرم أن زحل والمشتري وأمثالها ذات جلال باهر وحسن ظاهر فهذه السيارات وكذلك الشمس والقمر والنجوم الثوابت هي المزرعة العالمة التي بها يعشق الناس خالقهم ويرتقون في صناعاتهم الدنيوية . وحتى مضت الأيام والسنون أصبح ما كان بهجة الجلال وبابا للعلم وسلمة للمعرفة حجابا على العقول ومانعا يمنع من الوصول وذلك بالاطناب في مدح هذه الدلائل والتغالي في وصفها جيلا بعد جيل فيتنزل هذا الدين الى السفاسف ويجعل الناس هذه الكواكب كأنها آلهة صغرى تقرب الى الإله الأكبر ثم اذا تهادى الزمان انحطوا الى عبادة التماثيل التي تمثل هؤلاء المعبودين من الكواكب . والدليل على ذلك أن الأوصاف المتقدمة تخول لكل كوكب فيها انه رئيس الآلهة فتراهم يقولون في أكثرها انه رب الآلهة وهذا مبالغة كمالها الشعراء في

كل عصر إذ يصفون وصفا كاذبا من كثرة المبالغة . وقصارى الأمر وجاداه أن هؤلاء الصابئين كانوا أولا يعبدون الله ولله ملائكة والملائكة موكلون بالسكواكب فالله هو المعبود والملائكة يعمدون بأمره والسكواكب كأنها أجسام تلك الأرواح فعبادة الملك يتقربون بها الى الله والسكواكب حجابيه أوجسسه أو نحى ذلك فهو رمزها والتمثيل في الأرض مذكرات بالسكواكب اذا غابت عنهم . إذن العبادة في نظرهم كلها راجعات الى الله كما قال تعالى - ما نعبدهم إلا ليقربونا الى الله زافى - فاذا عبدوا زحلا أو المشتري فقد أرادوا بذلك انهما ملكان ثم اعتبروا السكواكبين ثم التماثيل

﴿ ضرب مثل ﴾

وممثل الديانات إلا كمثل الناس على الأرض . يكون المرء طفلا فصبيا فراهقا ففتى وشابا فبالغا أشده فكها فلا فشيخا فهرما فميتا . هكذا الدين يكون أولا قولا على لسان رسول فيبلغه فينشر في الأمم فيرتقون به ثم يأخذ في الاضمحلال شيئا فشيئا حتى لا يصلح للأهم فيزول من الوجود أو ينكمش في جملة شحوقين وجل الله أن يبقى في الأرض مالا فائدة فيسه . فهذه الديانات وهي قائمة في الأرض كانت يتبعها علوم وحكم وأخلاق ومواعظ . كل هذه تغلب على الخرافات فلا يكون لها أثر ولكن بتمادي الزمان تزداد الخرافات فتغلب على جوهر الدين فلا يبقى صالحا لحياة الأمم فيزول من الوجود وتلك الديانات لم تزل من الأمم إلا حين ضاعت ثمرتها وزهبت جدتها وفارقت الصواب . واعلم أن أهل كل دين يظنون انهم على الحق وسواهم على ضلال ونحن المسلمين اليوم نظن أن تلك الأمم لم يكن لهم من الهدى نصيب وهذا حق من وجه ولكن من وجه آخر باطل لأنهم لو جردوا من كل حكمة في الدين ما بقي ذلك الدين فكانت لهم شرائع وقوانين وعلوم تربو على تلك الخرافات فيعيش بالدين الناس بسلام

فلما سمع صاحبي ذلك قال الحمد لله ديننا برىء مما وقعت فيه الأمم السابقة . فقلت ان ديننا وقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة حذو القذة بالقذة كما روى ﴿ لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا سحر ضب لدخلتموه ﴾ . فقال وكيف ذلك . قلت ما الذي ضر الناس من عبادة السكواكب . قال تفرق الوجهة فلا يدري الناس من المعبود حينئذ يضيع الوقت سدى ويتفرق الناس شيئا ويذوق بعضهم بأس بعض وتتحلل الرابطة . فقلت هذا وان لم يحصل بنفسه قد حصل نظيره في بلاد الاسلام وذلك في رجال العلم ورجال التصوف والكتب الموروثة عن المتقدمين أما رجال العلم والكتب فانك ترى أنباع الحنفي والشافعي وابن حنبل والاسام زيد وهكذا الشيعة وجميع الفرق المبتدعة في أهم الاسلام لكل وجهة هو مواليها ف هؤلاء جميعا يقرؤون العلم الموروث عن الشافعي وأبي حنيفة الخ ولكن لا يجوز لهم أن ينظروا في كتاب الله ولا سير الصحابة ولا التابعين إلا نظرا تابعا لأولئك الأئمة ، وايضا المقام أن الله أنزل القرآن على النبي ﷺ فقام به الصحابة والتابعون ثم قام الأئمة واجتهدوا ثم المجتهد منهم له أتباع وهؤلاء الأتباع ألفوا كتباً وبعدهم مؤلفون وراء مؤلفين . فالطالب في زماننا يقرأ في مذهب الشافعي مثلا الكتب المقررة في الأزهر كالمهج ولا يزيد عليه مع ان المهج من المنهاج والمنهاج مشتق من كتاب من كتب الامام الغزالي في مذهب الشافعي فكل متأخر لا يجزئ أن يقرأ كتب أحد إلا الطبقة القريبة منه ويفهمه شيوخته انه ليس أهلا للطبقة العليا فاذا لم يكن أهلا لكتب الغزالي كالوسيط والبسيط والوجيز فن باب أولى ليس أهلا لكتاب الأم للشافعي ومن باب أولى ليس أهلا للترجيح في أحاديث البخاري ومن باب أولى ليس من رجال فهم كلام الله تعالى لأنه مفروض أن قوته حكم عليها ألا تتناول الى ذلك ، وبناء عليه تنازل العلم وانحصر في علوم المتأخرين مع تعظيم المتقدمين فالقرآن معظم والحديث محترم والشافعي وأصحاب الشافعي والامام النووي والرملي وابن حجر ولكن كتب هؤلاء أكبر من أن يدرسها الانسان وهذا كله حاصل عند المتعلمين في أكثر ديار الاسلام وقد فرض

الناس أن الدين كله فيها مع أن هذه المذاهب ليس فيها إلا أسوال عارضة للإنسانية وليست كل الدين بل هي حاشية من حواشيه أو سياج لروضته . فعمل الفقه الذي أسمعتك وصفه وأن الطالب في زماننا ليس أهلا لإلقاء كتب المتأخرين من المؤلفين فيه ليس له حظ من الدين إلا أنه سياج له والدين روضة ذات أشجار وثمار والأشجار هي المعارف العلوية والقلبية والثمار هي الأخلاق والمودات والمحبات وورق الأمم وكل ذلك لا يتم إلا بالسياج الذي سميناه فقها . فإذا كانت هذه حال دين الاسلام وأن أصوله تركت وهي الأخلاق والعلوم التي ملأت الدنيا وأن سياج الدين أيضا لم يأخذ الناس منه إلا بشذرات وحرموا من الأصل . أقول إذا كان هذا شأن دين الاسلام أفلسنا نقول أن هذا تنزل وسقوط في هاوية كسقوط الآشوريين والبابليين في أصول الدين إذ عبدوا الكواكب والتمائيل ونسوا الأصل فلكل منا ومن تلك الأمم وجهة هو مواليها فهم سقطوا من جهة الأصول ونحن هوينا من جهة الفروع والفرق بيننا وبينهم أن سقوطنا يمكن تداركه أما سقوطهم فلا وعلى ذلك حل الاسلام محل أديان تلك الأمم وديننا ليس يعوزه شيء إلا أن نرقي الأمة إلى القرآن ونقول لهم ما قلناه في هذا التفسير الذي رجع بالأمة إلى ما كان عليه الصدر الأول ولكن بطريق يناسب العصر الحاضر فهذا فرق ما بيننا وبينهم . القرآن باق ولولا القرآن لاضمححل الدين ولم تقم له قائمة فهذا القرآن فيه اصلاح الأمة وأصلاحها بالعلم والعلم هو ملاك الأمر . هذا ما نقوله في رجال العلم . أما رجال التصوف فحدث ولا حرج فقد اتخذ كل منهم له طريقة تخالف الآخر ليميز أصحابه عن غيرهم ثم يرى أتباعه أنه خير من غيره مع احترام الباقين ويجعل لهم ذكرا خاصا وأورادا وآيات من القرآن ويصرفهم عن بقية الدين وعن فهم القرآن وعن سائر العلوم واني أعلم أن بعض رجال الصوفية في زماننا قد أمسوا تلاميذهم أن يذكروا اسمه مائة ألف كما يذكرون الله ولقد تغالى أهل كل طريق في شيوخهم وبالغوا في تعظيمهم بل إن بعضهم قد حرم على أتباعه أن يروا وجهه ويذكرون في مناقبهم مآثر وخوارق كما نسمع من أصحاب الدسوقي والرفاعي والسيد أحمد البدوي . فهؤلاء الشيوخ كانوا قوما صالحين ولكن أتباعهم أسندوا إليهم من الأعمال ما لا يسند إلى الله أو إلى الأنبياء فتأهت العقول وضلت أفلا ترى أن أولئك الشيوخ فعل معهم أتباعهم ما فعله الصابئة مع الكواكب التي هي مقام الملائكة ومقرتهم ثم التماثيل . الله أكبر . لقد رصف كل من زحل والمشتري والزهرة الخ بما رصف به الله فكل من تلك الكواكب وصف بأنه رب الأرض باب وقاهر وهكذا وقال الجهمية من المسلمين في شيوخهم من التعظيم ما يضاهاه وصف الله القدير كأن يقولوا هو يحيي الموتى بدعوته ونحو ذلك وهذا مشهور معلوم فكيف يرجع للقرآن هؤلاء وكيف يعرفون أوصاف النبي ، ذلك النبي الذي لم يحي ميتا أما شيعته فقد كان على هذا المقام العظيم . إن المسلمين تفرقوا بتفرق قلوبهم وتفرق قلوبهم ناجم من جهلهم وجهلهم بسقوط المهتم في التعليم وجهل الأصول والأخذ بأذنان الدين وترك رأس الأمور والنفس والتدليس من المتصوفة . فحسن وإن لم يكن عمادنا كفرا في الاسلام فهو سقوط المهتم الأمم . وقد للنتيجة التي أدت إليها نزل الآشوريين والبابليين في عباداتهم والباب الذي وجناه لارتقاء الأمم الاسلامية اليوم أصبح والحمد لله فتوحا على مصراتيه وذلك بأمثل هذا التفسير انظر ما تقدم في آل عمران . عند قوله تعالى . ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله . الخ فهذا المقام هناك موضح غاية الايضاح . ففيه ذكر المغرورين من أمة الاسلام وما نتيجة الغرور وأنواعه وما السبيل إلى رقي الأمم الاسلامية

فاما سمع صاحبي ذلك قال حيا الله السلم فوالله ، كان لي بهجس بخاطري أن تكون هناك موازنة بين عبادة الكواكب وبين التغالى في الشيوخ . فقلت ان الأمر فوق ذلك . فقال زدني إذن . فقلت إن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يقرؤون القرآن لغرض ويتسامرون العلم لغرض والغرضان شريفان . قرؤا القرآن لينظموها أرض الله ويرقوا الشعوب . وتعلموا العلم وأخذوا عن الشيوخ ليكونوا قادة وسادة وعمالا

نافعين لنوع الانسان . أما الأهم الإسلامية المتأخرة فان بعض حفاظ القرآن لا يقصدون منه إلا ﴿أمرين﴾ الأول أن يكون حرفة يعيش بها بين الناس ﴿الثاني﴾ أن يقرأ القرآن لأجل لفظه لا لأجل معناه . وقدر نسخ في عقول الكافة أن القرآن بدوت معنى كاف . قد زاد في الطين بلة قوم نقلاوا علوم الصابئة ومنجوها بالقرآن وصار هذا الكتاب يقصد لجلب الرزق ودفع الأذى ومنع الأعداء وهكذا . وكما يقصدون من القرآن يقصدون من الشيوخ . فاذا كان المتقدمون يتعلمون من الشيوخ العلم لذات العلم صار المتأخرون لاسيما تلاميذ الصوفية يعتقدون فيهم انهم هم الذين يقربونهم الى ربهم بهمهمهم مع ان القرآن لمعناه والعمل به والشيوخ ليسوا مقصودين لشفاعتهم عند الله بل لترقية العقول وحث التلاميذ على الاجتهاد والعمل ومساعدة الناس وهذا وحده هو الذي يرقى المرء في الدنيا والآخرة ويجعل المرء مستعدا لشفاعة نبيه ﷺ فكما كان الصابئة في بلاد بابل وآشور يعبدون أولا إلهها واحدا وهو الذي سموه رئيس الآلهة فيما بعد أسندوا بعد ذلك في عبادة مخلوقاته من الكواكب وغيرها . فبعد أن كان المقصد من الكوكب أن يعرف جمال الله به وحكمته وعظمته صار نفس الكوكب إلهها صغيرا متصرفا وبمثل هذا يقال في الشيوخ وفي الأوراد وفي قراءة القرآن . فبعد أن كان هؤلاء جميعا لارتقاء الانسانية انخفضت القوى فصارت قراءة القرآن والأخزاب واتباع شيوخ الصوفية يقصد منه عند صغار العقول طلب الدنيا أو الاتسكال على ما ذكرناه في النجاة يوم القيامة وما نجا الانسان إلا بعمله هو في الحياة الدنيا علما وعملا وأخلاقا . فقال إن قولك ان المسلمين مزجوا دين الصابئة بالاسلام لم أفهم مرادك منه . فقلت إن أكثر أهل العلم في بلاد الاسلام تقع في أيديهم كتب جعلت لجلب الرزق والمنافع الدنيوية وقد جعل القرآن فيها وسيلة لسعادة الحياة الدنيا ولكن بطريق تخالف طريق الصحابة فالصحابه والتابعون اتبعوا سنن الله في تحصيل الرزق بالعمل في الأرض أو بالتجارة أو بالجهاد . أما المتأخرون فبعضهم جعل قراءة القرآن وحدها سببا لجلب الرزق لا العمل بمعناه في أمور الحياة فترى كتاب البوني المسمى ﴿شمس المعارف الكبرى﴾ يطبع منه ما لا يطبع من هذا التفسير وغيره آلاف وآلاف ويباع وفيه فوائد تكتب إما بأرقام عددية وأوافق وأما برياضة وبخوار وتقرأ الآيات مع ذلك على طهارة وأما بتعيين ساعات للكوكب كزحل والمشتري والمريخ الى آخره وكل ذلك منقول حرفيا عن الصابئين أهل بابل الذين جعلوا هم والمصريون وأهل الهند للكواكب أوقافا وأعدادا خاصة منظمة ترجع في أصولها الى علم (الارتماطيقي) الذي ذكرته سابقا في هذا التفسير وألف فيه أستاذنا المرحوم علي باشا مبارك بعنوان ﴿خواص الأعداد﴾ فهذا العلم الذي هو أصل علم الحساب ظهرت فيه عند تلك الأمم عجائب لا محل لذكرها تأخذ باللب . فهذه العجائب استعملها البابليون والآشوريون الى آخره لجلب الرزق والتقرب من الكوكب إذ لكل كوكب مربع خاص . فاذا كان الله له عدد (١) فالمادة لها عدد (٢) ومربعه (٤) أما مربع (١) فهو الواحد اشارة الى أن وحدة الله عندهم مقدسة ولزحل (٣) مضروبا في (٣) يساوي (٩) والمشتري المربع (٤ في ٤) يساوي ١٦ وللمريخ (٥ في ٥) يساوي (٢٥) مربعها وللشمس (٦ في ٦) يساوي (٣٦) وللزهرة (٧ في ٧) يساوي (٤٩) ولعطارد (٨ في ٨) يساوي (٦٤) وللكوكب القمر (٩ في ٩) يساوي (٨١)

ومعنى هذا انهم يرسمون مربعات اما (٩) للأول واما (١٦) للثاني واما (٢٥) للثالث وهكذا ولولا خيفة التطويل والخروج عن المقصد لرسمت هذه المربعات وأريتكم حسابها فتعرف كيف تكون الأعداد في هذه المربعات من (١) الى (٩) في الأول ومن (١) الى (١٦) في الثاني ومن (١) الى (٢٥) في الثالث بهيئة منظمة فتعجب غاية التعجب ومتى وقع هذا الوفق في يد الطالب أيقن أن فيه سرا عجبيا واذن يتقرب به الى الكوكب الخاص به لأجل ما فيه من سحر النفس ودهشتها به وبدقة حسابه . هذا فعل الأمم القديمة الذين جعلوا فن خواص الأعداد المقصود به استخراج علوم الأعداد المتفرعة عليه كلها كما قدمناه في آية الميراث في سورة

(النساء) بابا جلب الرزق بالتقرب للكوكب وقلدهم في ذلك المسلمون المتأخرون فجعلوا نفس هذه الأوفق مع جهلهم حسابها ونظامها بابا جلب الرزق بالآيات القرآنية بدل الكواكب السبعة بل منهم من أدخل الكواكب مع القرآن والرياضات والخواص وهكذا وساعات الأيام الخاصة بالكواكب . فقال في أى كتب قرأت هذا وهل تسمعون نقلا عن عالم اسلامي قال هذا حتى يكون لهذا القول أثره في أهم الاسلام بعدنا لأن هذا التفسير من الكتب التي تناولتها الأيدي في بلاد الاسلام فاذا وفيت المقام بمثل ما طلبت منكم الآن كان ذلك خيرا وأبقى فقلت ان العلامة ابن خلدون في مقدمته تحت عنوان ﴿ علوم السحر والطلسمات ﴾ قد أوضح الفرق بين السحر والطلسمات وأن هذه العلوم مهجورة عند الشرائع وانها كانت علوم النبط والسكندانيين والمصريين وأهل بابل والسرانيين وأن الذي ترجم لنا من تلك الأهم قليل مثل (الفلاحة النبطية) من أوضاع أهل بابل ومثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم الهندي في صور الدرج والكواكب . ثم قال إن جابر ابن حيان من كبير السحرة المسلمين ألف في هذا وجاء بعده مسلمة بن أحمد المجريطي امام أهل الأندلس في التعاليم والسحر وأطال في ذلك بما يخرج بنا عن موضوعنا لو كتبناه الى أن ذكر تحت عنوان ﴿ أسرار الحروف ﴾ ما ملخصه ﴿ إن الذين يذكرون أسماء الله لأجل المنافع الدنيوية يمزجون قوى الكلمات والأسماء بقوى الكواكب فيعين لذكر الأسماء الحسنى أو ما يرسم من أوقافها . وهكذا لسائر الأسماء أوقاتا تكون من حظوظ الكوكب الذي يناسب ذلك الاسم كما فعل البونى في كتابه الذى سماه الأنماط ﴾

وذكر أيضا انهم قسموا الكواكب على هذه العوالم من جواهر واعراض وهكذا الحروف والأسماء أيضا مقسمة عليها الكواكب كما قسمت على عوالم المادة . قال وينون على ذلك مباني غريبة منكورة من تقسيم سور القرآن وآيه على هذا النحو كما فعله مسلمة المجريطي في الغاية . والظاهر من حال البونى في انماطه انه اعتبر طريقهم فان تلك الانماط اذا تصفحتها وتصفحت الدعوات التي تضمنتها وتقسيمها على ساعات الكواكب السبعة ثم وقفت على الغاية وتصفحت قيامات الكواكب التي فيها وهى الدعوات التي تختص بكل كوكب يسمونها ﴿ قيامات الكواكب ﴾ أى الدعوة التي يقام لها بها . اذا فعلت ذلك عرفت أحد أمرين اما انه من مادتها واما أن ذلك أهم أوجه التناسب الذى كان في أصل الابداع وبرزخ العلم انتهى بتصرف يسير جدا للفهم

فلما سمع صاحبي ذلك قال يا عجب كل العجب . إذن تنزل المسلمين وسقوطهم الى الهلالية كان مسبقا بالأهم التي هوت مثلنا . إذن تلك الأهم استعملت أمثال الحساب الذى خلق لرقى الأهم بابا وسما للاستجداء من الكوكب وقد قلدهم المسلمون في ذلك وصاروا كالصائبة ومزجوا القرآن بعلم الصائبين والذى تبين لى من هذا القول أن سقوط الأهم وانحطاط أخلاقها جار على سنين واحد قديما وحديثا . فهذه الآيات القرآنية لرقى المسلمين وتلك الكواكب عند الصائبين لمعرفة حسابها والانتفاع به في أمور الحياة ولمعرفة جلال الله والغرام به فانحطت تلك الأهم انحطاطا أنقذهم منه الاسلام وصاروا يبتهلون الى نفس الكوكب . فهكذا نحن جاء القرآن لرقى العقول والأعمال والمدن والأهم فصار يقرأ للتضرع وترك المواعب العقلية والجسمية كما فعل الصائبون حذوا القذة بالقذة وهذا انحطاط وموت عاجل وهذا داء قد فشا في الأهم الاسلامية . وأرى من مجموع مذاكراتنا في هذا المقام وغيره أن الذى يخرج المسلمين من هذه الدرجة المنحطة ﴿ أمران * الأول ﴾ دراسة أمثال هذا التفسير وتأليف كتب مثله مختلفة ليتعقل المسلمون ﴿ الثانى ﴾ ان يجد كل قطر من أقطار الاسلام في تقليل الفقر المدقع عن الأمة وذلك بأن يخصصوا جميع أفراد الشعب ويعرفوا صناعة كل منهم فلا يتركون قادرا على العمل إلا الزموا به وأتوا له بعمل . فهذا العمل للفقراء يغنيهم ويلهمهم عن الاستعانة بهذه الكتب المنتشرة في أقطار الاسلام ويصبح هؤلاء العاطلون نافعين للمسلمين . فقلت أنا أوافق عليه وأزيد أن الزكاة الواجبة

شرعا يعطى منها للباطنيين الذين لا يقدرّون على العمل ما يستحقّونهم والباقي يجعل لشراء آلات للعمل أو تمهيد أرض لأصحاب الأعمال الذين لا يجدون وسيلة لعمل يعيشون به . فقال الحمد لله إن هذا المقام قد استوفينا القول فيه ولكنى أرى أن حساب الاوفاق المتقدّم ذكره يقرؤه القارئ فلا يعقله . وإذا كان الامام الغزالي فى بعض كتبه وهو يردّ على علماء الباطنية فى زمانه وقد أنكر بعضهم فائدة الصلاة يحتج عليهم بالوفق المثلث الذى ذكرته أنت انه لرحل ويقول أتمّ تعتقدون فى هذا الوفق الذى ترون انه اذا وضع على هيئة خاصة يؤثر فى تسهيل الوضع للعامل فتكليف لا تعتقدون أن يكون بين الصلاة وبين الثواب فى الآخرة مناسبة كالمناسبة التى بين الوفق المثلث وتسهيل الوضع . أقول ان الامام الغزالي كما قال هذا رسم الوفق المثلث لكى يفهمه القارئ فأرى أن ترسم لنا وفقا آخر حتى يعرف القارئ كيف كانت الاوفاق عند البابليين وجميع الأمم الوثنية وكيف انحطوا بها وكيف قلدهم المسلمون وكيف انحطوا كمن سبقهم من الأمم . فقلت ان سؤالك هذا فتح لى بابا ما كان ليخطر لى . ذلك انك ذكرت الباطنية فى زمان الغزالي وذكرت الوفق المثلث وهذا يذكرنى أن هؤلاء الباطنية فى زمانه نقلا علوم تلك الأمم وأدخلوها فى الاسلام كما ذكره ابن خلدون فيما تقدّم آنفا وأما الوفق الذى طلبته فأنا أثبت لك أحد الاوفاق ليهدأ خاطرك وتعلم أن (علم الارتماطيقى) أو (علم خواص الأعداد) قد استعملته الأمم المسلمة وغير المسلمة فى غير ماوضع له وتنزلوا به عن المعالى فلاذكرك لك الشكل الخمس مما ذكرته فى كتابى ﴿ فى الفلسفة ﴾ نقلا عن كتاب أستاذى المرحوم على باشا مبارك وهذا صورته

١١	٢٤	٧	٢٠	٣
٤	١٢	٢٥	٨	١٦
١٧	٥	١٣	٢١	٩
١٠	١٨	١	١٤	٢٢
٢٣	٦	١٩	٢	١٥

فالصف الأفقى والصف الرأسى والقطران كلها متساويات اذا جمعناها . فكل صف منها (٦٥) وهكذا القطران . فهنا حصل التساوى فى (١٢) صف كل واحد منها (٦٥)

هذا هو الوفق الخمس من الاوفاق التى كانت فى علم خواص الأعداد الذى هو أصل العلوم الرياضية والعلوم

الرياضية بها تحلّ مشكلات العلوم الطبيعية وترتقى المدنية فجعله هو وأمثاله للاستجداء من السكواكب أو أوبات القرآن فصار الدين بابا للذلة والمسكنة والجهالة وقد اتضح هذا المقام والحمد لله رب العالمين

﴿ جوهره فى قوله تعالى - ونبأكم بالشر والخير فتنة - الخ ﴾

اعلم أن الخير مقرون بالشر وليس لأهل الأرض علم بهواقب الامور فربّ شرفى نظرهم كان خيرا كثيرا فهنا حروب كثيرة وزلازل وجذب وما أشبه ذلك فى الأرض . يعيش الناس ويموتون وأكثرهم لا يعلمون ذلك فلا ضرب لك مثلا واحدا لشرفى نظر جميع الأمم ولسكنه فى الحقيقة خير . هالك مسألة القطن نحن فى مصر نزرعه ونزرعه كثير من أهل الأرض وأهمهم أهل الممالك المتحدة . ولعمري ليس للقطن من فائدة إلا الزيت والملابس والزينة . إن قطن بلادنا يخرج نوعا يسمى (السيكلاريدس) يستخرج الانجليز فى معاملهم منه ما يشبه الحرير ويبيعونه بأعلى الأثمان . فالقطن فى الحقيقة ليس من ضروريات هذه الدنيا بل هو أشبه بالحاجيات أو بالزينة . ففى الأرض جلود الأنعام وصوف الغنم ووبر الجبال ولذلك تجد عرب البادية يكتفون غالبا بالأصواف عن القطن . إذن الناس محتاجون الى القطن لأنه ضرورى كالغذاء والماء والهواء . إذن يكون ظهور القطن فى أرضنا بقدر فليس يجب أن يكون عاما كهموم القمح . فتعجب من صنع الله الذى أرانا حكمته فى ذلك . وبيانه انه قد جاء فى كتاب ﴿ الجغرافية الحديثة ﴾ ماملخصه أن أن مساحة الأرض التى تزرع قطنا فى الولايات المتحدة (٧٠٠) ألف ميل مربع وهى تنتج (٧٨) مليون قنطار فيصنع منها $\frac{2}{3}$ فى مغازل (نيوانجلند) وتجرى الآن تجارب لانماء القطن الملون وتكاد تنجح . فهم

يطعمون القطن الأمريكى بالمصرى فينتج (تسكانى) وبالبيروى فينتج أحرقاتيا وبالصينى فينتج أصفر وبالهندي فينتج أزرق وبالكاروليني فينتج أخضر وتطعم الأمريكى الجنوبي بالمكسيكى ينتج أسود ولا بد أن تحدث هذه التجارب انقلابا عظيما فى الصناعة

هذا هو الخير المنتظر من القطن فى الولايات المتحدة . أما الشر المنتظر منه فهو أن هناك اقليم القطن الواقع جنوب خط (٣٨) درجة من خطوط العرض وشرق خط (١٠٠) درجة من خطوط الطول الغربية الذى يشمل جزءا كبيرا من ولايات المحيط الاطلانطىكى الجنوبية . فهذا الاقليم فيه أراض واسعة لزراعة القطن وأهل البلاد يبيعونه ويشتررون بثمنه ما يحتاجون اليه وقد استعملوا السماد لانماء القطن . ولقد ضعفت الأرض كثيرا مع هذا التسميد المتكرر بتكرار زراعة القطن وكثرة الحيل المستنبطة لتقوية الأرض . هنالك عرفت الحكومة أنه لا بد من تنوع الزراعة فى البلاد وقام الخطباء ونصحوا الفلاحين ولسكن لم يجد نصيح الحكومة ولا خطب الخطباء . ذلك لأن غير القطن من الغلات كالخنازير والفول والشوفان لا يسهل بيعه أو رهنه بخلاف القطن . أتدري ماذا حصل بعد ذلك . أرسل الله لهم خطباء من عنده فعلموهم كيف يزرعون . أولئك الخطباء هم دود القطن . ذلك دود اللوز الذى هجم بجموعه على القطن فى اقليم (تسكاس) سنة ١٨٩٢ وظل الدود يفتك وينتشر ثلاث سنين ولم يقدر العلماء على صدّه أو تقليل ضرره والى الآن لم يجد الناس سبيلا لإبادة هذه الجنود المجندة . فإذا حصل بعد ذلك . حصل المقصود وهو أن القوم قللوا زراعة القطن فزرعوا الشوفان والبطاطس والبطاطة وربوا المواشى والخنازير وزيدت الخضر وصدرت للأسواق الشمالية وزاد ذلك أثناء الحرب الاوروبية . إذن السودة أحدثت انقلابا زراعيّا فاق ما أحدثته فصاحة الخطباء والحرب الأهلية من قبل ذلك . تلك الحرب التى منعت استعباد السود الذين كانوا وحدهم يقومون بزراعة وبعد الحرب مازالوا يزرعون القطن بطريق الإيجار . فحرير الرقيق لم يقلل زراعة القطن وهكذا الخطباء . وانما الذى أتى بالفرج والعلم هى السودة التى علمتهم - فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون - نسبحك يا الله لأنك تفعل معنا ما فعلته مع الولايات المتحدة . نجهل كل شئ فترسل الشر ليكون الخير . هذا معنى قوله تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون - انتهى القسم الأول

(القسم الثانى)

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ * وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ * وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِذْ أَكْبَرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ

إِبْرَاهِيمُ * قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ * قَالُوا إِنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا
 يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ * فَرَجَعُوا إِلَى
 أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ * ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ
 يَنْطِقُونَ * قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أَفِ لَكُمْ
 وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * قَالُوا سِحْرٌ قَوِيٌّ وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ
 الْأَخْسَرِينَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ * وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ
 الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ * وَلُوطًا إِتَيْنَاهُ حُكْمًا وَدَلَّمَا وَنَجَّيْنَاهُ
 مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا
 إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ
 الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ
 أَجْمَعِينَ * وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ
 شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ
 وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ * وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ
 شَاكِرُونَ * وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ حَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَالِمِينَ * وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ
 * وَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا
 مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ
 وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ * وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ *
 وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ
 سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ *

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ
يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا
خَاشِعِينَ * وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ *
إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا
رَاجِعُونَ * فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ *
وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنْهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ
مِنْ كُلِّ صَنْدُبِ يَنْسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا
يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ * إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
خَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ * لَوْ كَانَ هُوَ إِلَّا إِلَهًا مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ *
لَهُمْ فِيهَا زَوْجُهُمْ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا
مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَرَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ
الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ
كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ * وَلَقَدْ
كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ * إِنَّ فِي هَذَا
لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ * وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ * قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ
إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ إِيذَانُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِيَ أَقْرَبُ
أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ * إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ * وَإِنْ أُدْرِيَ لَعَلَّهُ
فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ *

(التفسير اللفظي)

(ذكر سيدنا موسى عليه السلام)

قال تعالى (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضيياء وذكرنا للمتقين) فهذه ثلاثة أوصاف للتوراة
يفرق بين الحق والباطل ويستضاء به في المشكلات وهو تذكرة وموعظة ثم وصف المتقين فقال (الذين يخشون
ربهم بالغيب) حال (وهم من الساعة مشفقون) خائفون (وهذا ذكر) القرآن (مبارك) كثير خيره
(أنزلناه) على محمد ﷺ (أفأنتم له منكرون) استفهام توبيخ

﴿ ذكر سيدنا ابراهيم عليه السلام ﴾

قال تعالى (ولقد آتينا ابراهيم رشده) الاهتداء والصلاح (من قبل) من قبل موسى وهرون (وكنا به عالمين) بأنه أهل لذلك آتيناه ذلك (إذ قال لأبيه) آزر (وقومه) نمرود بن كنعان وأصحابه (ما هذه التماثيل) على صورة السباع والطيور والانسان وفي هذا تجاهل لها تحقيرا مع علمه بتعظيمهم لها (التي أنتم لها عاكفون) أي لأجل عبادتها مقيمون فحجزوا عن إقامة الدليل على صحة ألوهيتها واستحقاق عبادتها و﴿ قالوا وجدنا آبائنا لها عابدين ﴾ فقلدناهم (قال) ابراهيم (لقد كنتم أنتم وآبائكم في ضلال مبين) فالقلدون والمقلدون معا منخرطون في سلك ضلال ظاهر (قالوا أجبنا بالحق) بالجد (أم أنت من اللاعبين) أي أجاد أنت فيما تقول أم لا لعب فأضرب عن قولهم قائلا انه جاد و﴿ قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن ﴾ خلقهن . يقول التحليل كيف قلتم الآباء وتركتم عقولكم والعقول بنظرها الثاقب فيما خلق الله من السموات والأرض تعرف صانعها فالتة نقش وصور وزروق صوراً في السموات والأرض لا تهد وما أصنامكم إلا تماثيل صنعتهموها وهذه الحجة على النظام الذي جاء في قصة موسى وقد تقام في سورة ﴿ طه ﴾ وأن ماعداً دلائل العقل ملغى فالتقليد هنا والدلائل التي تقام بخوارق العادات لاحجة تقام بها إلا زمناً قليلاً ولذلك ابتداء بذكر قصة موسى تنبيهاً على الحجة العقلية التي استنتجت من قصته وأنبهها بهذه القصة وفيها نفس حجة العقل وأن النظر في السموات والأرض هو المسعد للأهم فلا تقليد ولا خوارق عادات ولا نحوها (وأنا على ذلكم) المذكور من التوحيد المبني على العقل والنظر في العوالم العالوية والسفلية (من الشاهدين) من المتحققين والمبرهنيين فاني نظرت الكوكب والقمر والشمس واحداً بعد الآخر فوجدتها لا تصلح للعبادة ثم عرفت أن العبادة لا تصح للأصنام لأنها أقل من الأجرام العالوية ولا هذه الكواكب كلها فرجعت الى الله كما في سورة ﴿ الأنعام ﴾ ... إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً ... الخ فهذه أيضاً مما يدعو المسلمين أن يترفعوا عن الجاهالة وينظروا في العوالم العالوية والسفلية ويتعاملوا علومها فقد غلبتهم الفرنجة . وقد قدمنا أن الإيمان ليس مسألة معينة بل هو كالغنى والقدرة وكالماء قليلاً ماء وكثيره ماء . فلا غتراف من بحر العلوم العالوية والسفلية أوسع نطاقاً فتسكون القلوب أوسع حكمة وأوفى وأعلى وأبهج اشراقاً وأصح مدنية وأكثر غنى وثررة وقوة . ولما كان الأنبياء قد أخذ عليهم الميثاق أن يعلموا أمهم ويرشدوهم قال (ونال الله لأكيدين أصنامكم) أي لأجنتهم في كسرهما (بعد أن تولوا) عنها (مدبرين) الى عيبتكم وكان ذلك القول في سره (فجعلهم جذاذاً) بضم الحيم وكسرهما جمع جذاذة كزجاجة وزجاج على الأول أي قطعاً وجمع جذيد خفيف وخفاف على الثاني وجذيد فمعنى بل بمعنى مفعول أي مقطوع (إلا كبيراً لهم) للأصنام فكسرها كلها بالفأس في يده إلا كبيرها فعلق الفأس في عنقه (لعلهم اليه) الى الكبير (يرجعون) فيسألونه عن كسرها فيتبين لهم عجزه (قالوا) أي الكفار حين رجعوا من عيبتهم (من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين) أي لشديد الظلم لجراسته على الآلهة المعظمة عندنا (قالوا) قال رجل منهم (سمعتنا فتذكرهم) بالغيب والسب ويمد بالكسر (يقال له ابراهيم) أي هو ابراهيم (قالوا فأتوا به على أعين الناس) أي جئوا به ظاهراً برأى من الناس وانما قاله نمرود (لعلهم يشهدون) عليه بأنه الذي فعل ذلك لأنهم يكرهون أن يحكموا عليه بغيرينة (قالوا) له (مأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم * قال) ابراهيم (بل فعله كبيرهم هذا) لأنه غضب إذ تعبدون معه هذه الصغار وهو أكبر منها فكسرها وذلك ليقم الحجة عليهم (فاسألوهم إن كانوا ينطقون) حتى يخبروا بمن فعل ذلك بهم * وفي حديث البخاري ومسلم وغيرهما ملخصاً أن ابراهيم كذب ثلاث كذبات * منها اثنتان في ذات الله قوله - إني سقيم - وقوله - بل فعله كبيرهم هذا - وقوله لسارة هذه أختي * وقد قال العلماء في قوله - بل فعله كبيرهم هذا - قيل على سبيل التبكيت والاستهزاء فهو نفي للفعل بطريق ينفي إلهيته بما هو أبلغ

وقوله - إني سقيم - أي ان قلبي مفتّم بكفركم أو اني سأسقم وقوله في سارة هذه أختي أي في الدين فهذه أشبه بالمهاريض والمهاريض صورتها صورة الكذب وباطنها حقائق وسماها رسول الله ﷺ كذبات بحسب ظاهرها * وفي حديث الشفاعة ان ابراهيم أشفق منها بمؤاخذته بها وهذا من المبالغة في محاذرة الأنبياء من الكذب فاشفقوا مما يشبهه تعلمنا ان نكون صادقين لأن الكاذب لا يصدق الناس فكيف يعلمهم وكيف يثقون به فلاشفاعة لعالم كاذب لأنه لا يسمع علمه في الدنيا (فرجعوا الى أنفسهم) وراجعوا عقولهم (فقالوا) فقال بعضهم لبعض (إنكم أنتم الظالمون) بعبادة من لا ينطق . ومن عادة المقلدين أنهم يعلمون ثم تغلب عليهم العادة بالتقليد (ثم نكسوا على رؤسهم) انقلبوا الى المجادلة . يقال نكسته قلبته فجعلت أعلاه أسفله فهو لا يستقاموا حين أقرّوا بأنهم ظالمون ثم انقلبوا عن تلك الحالة رأسا على عقب مكابرين وقالوا (لقد علمت ما هؤلاء ينطقون) فكيف تأمر بسؤالها والجلّة سدت مسد مفعولى علمت (قال) محتجا (أفتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا) أي شيئا من النفع (ولا يضركم) أف لكم ولما تعبدون من دون الله) أف صوت يدل على التضجر أي قبحا ونقما واللام للتبيين (أفلا تعقلون) قبح صنعمكم (قالوا) لما عجزوا عن الحجّة (حرّقوه وانصروا آلهتكم) بالانتقام لها (إن كنتم فاعلين) ناصرين لها نصرا مؤزرا . والذي أشار باحراقه نمرود أورجل آخر من أكراد فارس فخبسوا ابراهيم ثم بنوا بيتا وجعلوا خشبا وأشعاه ناراكاد طير الجوّ أن يحترق من لهبها ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغاولا فرموا به وهو يقول ﴿حسبي الله ونعم الوكيل﴾ وقال له جبريل هل لك حاجة قال أما إليك فلا قال فسل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وما أحرقت النار إلا وثاقه وجعل الله الحظيرة روضة فاطاع عليه نمرود من الصرح فذبح أربعة آلاف بقرة تقرّبا الى إله ابراهيم وكف عن ابراهيم وأذاه . وهناك رأى آخر وهو أن النار كانت باقية على حالها ولكن لم تؤثر في ابراهيم وهذا قوله تعالى (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما) ذات برد وسلام أي ابردى بردا غير ضار (على ابراهيم * وأرادوا به كيدا) مكرا في اضراره (جعلناهم الأخصرين) أخسر من كل خاسر (ونجيناه ولو طأ الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) أي من العراق الى الشام المباركة بالشجر والأشجار الكثيرة والأنهار والأنبياء وهكذا (ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة) أي زيادة لأنه سأل الله اسحق فأعطاه اسحق وزاده يعقوب (وكلا جعلنا صالحين) أي كلا من الأربعة وفقناه للصالح (وجعلناهم أئمة) يقتدى بهم (يهودون) الناس الى الحق (بأمرنا) لهم بذلك (وأوحينا اليهم فعل الخيرات) العمل بالشرائع (وإقام الصلاة) المحافظة عليها (وايتاء الزكاة) الواجبة والصلاة لتعظيم الله والزكاة للشفقة على الخلق وهما إشارة للصلاة بين العبد وربّه وبينه وبين خلقه فيكون الانسان إذ ذاك خليفة له (وكانوا لنا عابدين) موحدين مخلصين . هذه هي قصة ابراهيم ومعه اسحق ويعقوب من ذريته أما لوط فسيأتي الكلام عليه وفي هذه لطائف

﴿اللطيفة الأولى في قوله تعالى - بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن﴾

وأنا على ذلكم من الشاهدين - ﴿

اعلم أن هذا الدرس هو عين الذي ألقاه موسى على فرعون إذ قال له ردّا على طلب معرفة الله تعالى ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه - الخ ان الله ما أنزل هذا في القرآن لمجرد المحادثة معنا وكرر ذلك واتحد الأنبياء في التعليم بحيث ترى موسى وترى ابراهيم اتفقا على تعليم واحد . فموسى يقول انظروا الأرض والماء والنبات . وابراهيم يقول كذلك وهذا لم ينزل في القرآن لأحد إلا لنا الآن ولا ينطق به إلا لأجلنا فإذا متنا خوطب به من بعدنا . فياحسرة على العلماء اذا لم يوقظوا الشعوب الاسلامية . وياحسرة على أمة سيدنا محمد ﷺ اذا نامت عيونها وظهرت عيوبها . أجبوا داعي الله أيها المسلمون . انظروا دعاكم الله على لسان موسى وعلى لسان ابراهيم لتفكروا في العالم . إن دين الاسلام هو هذا . دين الاسلام هو الذي يدعو الى العلوم

العقلية والفكرية والا فلماذا يكرر هذا . ولماذا نرى ابراهيم ينظر في النجم والقمر والشمس ثم يوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض ثم يقول - وأنا على ذلكم من الشاهدين -

إن دروس ابراهيم الخليل ترجع الى دروس العلوم الطبيعية والرياضية ثم الانتهاء الى ما وراء الطبيعة لأنه درس الكواكب من أدناها الى أعلاها . وهذا هو علم الفلك ولا يكون إلا بالرياضيات ومن درس النجوم فلا بد أن يعرف الطبيعة لأنها مركبة من عناصر تعرف بالطبيعة والكيمياء وبتقدير المسلمين في ذلك أذلتهم أوروبا . ومتى قرؤا فسكروا . ومتى فسكروا ارتقوا وطردها أوروبا من الشرق . يارب ألهم أممتنا الحكمة والعلم ورقهم - إنك أنت السميع العليم -

أليس من عجب أن المسلم في كل صلاة من صلواته يبتدئ قائلا - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - وذلك اتباع للخليل عليه السلام . ثم نراه لا يفكر في علوم السموات والأرض حتى في علم التوحيد يمر عليها كأنها ليست من دينه وبذلك وحده سبقتنا أوروبا فان العلم يورث حب الطبيعة وحب الأمة وحب النظام وحب العشيرة وحب الوطن . ومتى انفتح باب الحب فحدث ولا حرج . ولسكن المسلم الغافل أقفل أمامه باب الحب فلا يهشق العلوم ولا يحب الله . انتهت اللطيفة الأولى

﴿ اللطيفة الثانية ﴾

جاء في حديث البخاري عن ابن عباس أن قوله تعالى - حسبنا الله ونعم الوكيل - قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى في النار وقالها سيدنا محمد ﷺ في آية - الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم - الى قوله - ونعم الوكيل - وهذا يفيدنا أن الذين ينقذون الأمم من الهلاك يكونون متوكلين على الله تعالى وهذا التوكل أحد ﴿ قسمين ﴾ القسم الأول ﴿ التوكل بالقلب مع القيام بالأسباب ﴾ الثاني ﴿ انه اذا وقع فيما لا يقدر على دفعه فليسلم أمره لله تسليما تاما . انتهت اللطيفة الثانية

﴿ اللطيفة الثالثة ﴾

إن ابراهيم كسر الأصنام وهكذا سيدنا محمد ﷺ وهذان قدوتنا . فعلى علماء الاسلام وعليك أيها الذكي أن تكسر بقلمك ولسانك كل ما تراه معطلا لرقى الأمة الاسلامية . أليس من العار علينا أن نذر الأمة جاهلة فلا نرشدها . ليسمع الناس قولك أيها الذكي . قل لهم في مشارق الأرض ومغاربها الى متى تنامون . ان عبادة الأصنام تحصر الفكر فيها فتصدّه عن جلال السموات والأرض . إن عباد الأصنام لم يقولوا شيئا سوى انهم يعبدونها لتقرّبهم الى الله زلفى ولكن هذه الأصنام حجاب بينهم وبين جلال الله في الأرض وفي السماء . فليفهم المسلمون أن انحصار عقولهم في علوم خاصة وحجابها عن السموات والأرض سيئة من سيئات التعطيل ان هذه ظلمة من الظلمات التي حجب شمس الاسلام . حرام أن ينام المسلمون عن جلال الله ومعرفة كماله حرام أن يقف المسلمون مكتوفي الأيدي وأوروبا برعت فيما قاله الخليل - بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن - ثم أخذ يكسر الأصنام التي عاقت القوم عن هذه العلوم . فأفّ لأمة تقعد عن دراسة العلوم الشرقية والعلوم الغربية من جميع الأنواع . يا قوم إن الوقت جدّ وقد - أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة - انتهت اللطيفة الثالثة

﴿ اللطيفة الرابعة في قوله تعالى - قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم - ﴾

هذه من خوارق العادات وقد جاءت بعد قصة موسى سابقا وقصة موسى قد شرح فيها خوارق العادات شرحا وافيا . إن خوارق العادات استبدلت في القرآن بالعلوم العقلية كما رأيت في سورة (طه) ولتعلم أن المسلم اذا عمل عملا صالحا ولأجل تلك الطاعة ألقى في النار فان النار لن تكون بردا وسلاما عليه بل يحرق بها . ففرق بين المسلم الذي جاء القرآن لتذكيره وبين ابراهيم . فابراهيم صارت النار عليه بردا

ونحن لا تكون علينا بردا ولكن أنزلها الله لترينا عجبا . ترينا أن الآلام في طريق المحامد وضياع العمر وازهاق الروح إذا كان ذلك لاقامة مجد الأمة واسعادها سعادة هي كل السعادات . ابراهيم عليه السلام جاهد لنشر الدين فلجاهد نحن . فإذا متنا أو قتلنا أو نصرنا فالله واحد بل نحن ننال إحدى الحسنين . أما الحياة أعزاء وأما الموت أعزاء فحسن في الدارين بالفضيلة والجهاد أعزاء فيكون كل ما يصيبنا في سبيل المجد عزا وشرفا . فحسن إذن تكون النار التي يسببها الألم بردا وسلاما علينا . وقد وعد الله المجاهدين فوزا والفوز بموتهم كالفوز بنصرهم والله لا معنى لحياتنا إلا لرفع شأن أئمتنا والقيام بما خلقنا له . ثم إن القائم بالخير يجد في نفسه سلوى عند المصائب تخففها ويأمل في نفسه آمالا ترفع نفسه والمصائب في سبيل الواجب ترفع النفس . انتهت اللطيفة

الرابعة ﴿ الكلام على قصة لوط عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) آيتنا (لوطا آتيناها حكما) حكمة ونبوة وفصلا بين الخصوم (وعلمنا) بما ينبغي أن يعلمه الأنبياء (ونجيناها من القرية) سدوم (التي كانت تعمل الخبائث) أي اللواط (إنهم كانوا قوم سوء فاسقين) هذا تعليل (وأدخلناه في رحمتنا) في أهل رحمتنا (إنه من الصالحين) الذين سبقت لهم منا الحسنى ﴿ لطيفة ﴾

هذه القصة ترينا أن الصبر دائما يتبعه النصر والفوز . صبر ابراهيم فصارت النار عليه بردا وسلاما وصبر لوط فنجاه الله من القرية الفاسقة لأنه من الصالحين فجعل النجاة والادخال في الرحمة لصاحبه . وهذا معقول لأن الله يميز الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض والطيب بعضه على بعض

﴿ قصة نوح عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) اذكر (نوحا إذ نادى من قبل) إذ دعا الله على قومه بالهلاك من قبل المذكورين (فاستجبنا له) دعاءه (فنجيناها وأهلها من الكرب العظيم) من الطوفان أو أذى قومه والكرب هو الغم الشديد (ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا) إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين (وإنما كانوا قوم سوء ﴿ لأمرين ﴾ التكذيب بالحق والانهماك في الشر

﴿ لطيفة ﴾

هذه القصة قدوة لنا . إن الإنسان إذا عمل ما قدر عليه وأخذ بالأسباب ولم يظلم غيره وإنما قصد النفع العام بعقل ثم رأى أنه يهان ودعا الله فإن الله يستجيب له . وهذه المسائل لا تصبح يقينا عندك إلا إذا جربتها أما أنا فاني جربت منها كثيرا لاسيما في أثناء تأليف هذا التفسير فقد رأيت عجائب وغرائب لا محل لذكرها

﴿ قصة داود وسليمان عليهما السلام ﴾

(١) جاء في بعض الأحاديث عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن أحدهما فقالت لصاحبتها انما ذهب بابنك وقالت الأخرى انما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى فخرجا على سليمان بن داود فأخبرته فقال اتتوني بسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنها فقضى به للصغرى . أخرجاه في الصحيحين

(٢) وورد أيضا أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم فقال صاحب الزرع ان غنم هذا دخلت زرعى ليلا فوقعت فيه فأفسدته فلم تبقى منه شيئا فأعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فورا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لتقضيت بغير هذا أو قال غير هذا أرفق بالفريقين فأخبر بذلك داود فدعاه وقال كيف تقضى قال أدفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدها ونسلها وصوفها ومنافعها ويزرع صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل دفع إلى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك وكان سليمان ابن إحدى عشرة سنة

وحكم داود وسليمان كان باجتهاد * حكم الاسلام في هذه المسألة . أما مذهب الشافعي فانه يوجب ضمان المتلف بالليل في هذه المسألة إذ المعتاد ضبط الدواب ليلا وهكذا قضى النبي ﷺ لما دخلت ناقة البراء حائطا وأفسدته فقال على أهل الأموال حفظها بالنهار وعلى أهل الماشية حفظها بالليل . وأما مذهب أبي حنيفة فانه يقول لاضمان إلا أن يكون مع الدابة صاحبها ليلا كان أو نهارا مستدلا بقوله ﷺ ﴿ جرح الجماء جبار ﴾

﴿ فصل في حكم الاجتهاد ﴾

في حديث البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله ﷺ ﴿ اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران واذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر ﴾ فالجتهاد مصيبا كان أو مخطئا له أجر

﴿ وجه نظر داود وسليمان عليهما السلام ﴾

إن داود قدّر الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان الواجب قيمة مثل الحرث فسلم الغنم الى المجنى عليه . وسليمان عليه السلام أوجب مقابلة الاصول بالاصول والزوائد بالزوائد وربما كانت منافع الغنم تلك السنة موازية لمنافع الحرث فحكم بها وهذا قوله تعالى (وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث) في الزرع * ويقال انه كرم تدلت عناقيده (إذ نفشت فيه غنم القوم) رعته ليلا (وكنا لحكمهم) لحكم الحاكمين والمتحاكمين اليهما (شاهدين) عالمين (ففهمناها) أى الحكومة (سليمان وكلا) أى داود وسليمان (أتينا حكما وعلمنا) واستدل بعض العلماء بهذه الآية على أن كل مجتهد مصيب وهذا قول أصحاب الرأي . وقال آخرون ليس كل مجتهد مصيبا فالحق مع واحد لا بعينه وأجر المخطئ ليس على خطئه ولكن على اجتهاده

ولما وصف داود وسليمان في طريق حكمهما أخذ يصفهما فيما أنعم عليهما بغير ذلك فذكر سبحانه أن داود أنعم عليه ﴿ بنعمتين ﴾ تسبيح الجبال والطيور معه أى سار وتعليمه صنعة الدروع لتكون صيانة للناس في الحرب . فأما سليمان فسخر له ألطف الأجسام الطبيعية في مقابلة التسبيح هناك وأخبثها وهي شياطين الجن والانس في مقابلة الدروع التي تقى من الأعداء

﴿ نعم الله على داود عليه السلام ﴾

قال تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن) يقدرن الله بلسان الخيال بحيث تمثل له مسبحة فتكون أملاك لوجدانه وجميع مشاعره فيستغرق في التسبيح (والطير) عطف على الجبال أو مفعول معه (وكنا فاعلين) لأمثاله ذلك فليس ببدع منا ذلك وان كنتم أنتم منه تعجبون فان المستغرقين في التسبيح والتقديس يحصل لهم من الانس بالله ما يجعل العالم في نظرهم مسبحا وكأن العوالم تنطق لهم به بلسان أفصح من لسان المقال وليس يدرك هذا أحد إلا بوجدانه (وعلمناه صنعة لبوس) عمل الدروع وقد كانت صفائح جفعلها حلقا وسردها وقوله (لكم) صفة لللبوس ثم أبدل منه قوله (لتحصنكم من بأسكم) أى ليحصنكم داود من حرب عدوكم أولت حصنكم اللبوس على تأويل الدرع (فهل أنتم شاكرون) أمر في صورة استفهام للبالغ في التقرير

﴿ نعم الله على سليمان عليه السلام ﴾

قال تعالى (و) سخرنا (لسليمان الريح) حال كونها عاصفة شديدة الهبوب وفي آية أخرى .. رخاء - أى لينة فكانت كما يريد عاصفة أورخاء (تجرى بأمره الى الأرض التي باركنا فيها) يعنى الى الشام وكانت تجرى بسليمان وأصحابه رواحا بعد ما سارت منه بكرة (وكنا بكل شئ عالمين) أى بصحة التدبير فيه فنجره على ما تقتضيه الحكمة وانا نعلم أن سليمان سيعرف نعمتنا ويشكرنا عليها (ومن الشياطين) أى وسخرنا منهم (من يغوصون له) في البحار ويستخرجون الدر والمرجان وما يكون فيها (ويعملون عملا دون ذلك) أى دون الغوص كبناء المحاريب والتمائيل والقصور والقصور والجفان (وكنا لهم حافظين) أن يزيفوا عن أمره

﴿ لطيفة • سؤال ﴾

قال لي فاضل مافائدة هذه القصص في كتاب الله تعالى وقد حوّل الله سليمان ملكا لا يبلغه أحد من العالمين • وإذا كان قصص الأنبياء للاقتداء فأين الاقتداء هنا ونحن نسمع أن الشياطين تغوص في البحر وتصنع المحاريب والمناثيل ونسمع تسخير الحديد كتسخير الهواء ونحن لا قدرة لنا على هذا

﴿ الجواب ﴾

اعلم أن الله قد أعطى داود ﴿ خصلتين * الأولى ﴾ حب وشوق وإخلاص لله وذكر يجعل ماحوله كأنه يسبح ويرى الطير والجبال تسبح بلسان حالها • ويرى في حفيف الأشجار وهبوب الرياح وطنين الذباب وحركات الماء أصواتا تسكاد تسحره وتشجيه وتهز أعصابه وكأنما الأطيوار على الأشجار مفرّجات فرحات في السمات وكأن هاتيك المفرّجات خطباء على منابر القلوب أو أوتار تحرك النفوس وتثير الوجدان وتبعث في القلب أثرا وفي العقل حكما وفي الفؤاد بهرا • فاذ ذاك يرى الناصر أو المفكر المعتمد الدارس للعلوم كأن الجوّ كما خطرات أفكار وحركات أسرار ومحاسن أنس وجور وذكر وسرور ﴿ الخصلة الثانية ﴾ انه أعطى صنعة الدروع لتقي المجاهدين مصارع المقاتلين ومقاتل المحاربين • فعلى هذا صار داود روحانيا جسمانيا وسماويا أرضيا فلم يصده ذكر الله عن نظام الحروب ودفع الأعداء ولا الانهماك في الحرب عن ذكر الله وتسبيح الطير والجبال • هاتان الخصلتان يجب أن يزدان بهما المسلمون • فعلى طلاب العلم أن يقوموا بالصلاة خاشعين وبالتسبيح مخبتين وأن يكونوا على علم بنظام الحروب والضرب والكر والفر • ان علماء الدين يجب عليهم أن يكونوا قد تعلموا الصناعة الحربية وليكن منهم قواد ماهرون وأيّ فرق بين قائد الجيش وقاضي النفقات النسائية بل قائد الجيش أعلى وأوفق لحفظ الأمة • والأمة قد تركت الجهاد ظهريا • حرام أن ينام المسلمون وأن يقتصروا على عبادة المساجد فهناك عبادة السيوف والرماح والمدافع والعقاقير السامة والمعمية والقنائل فليعرفوها وليدرسوها • ومن عجب أن يقول الله - وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون - • طلب منا الله شكر النعمة وكيف نشكر نعمة يا الله فقدناها وما عرفناها بل عرفتها ألمانيا واليابان وانكلترا وفرنسا أما نحن فانا بها جاهلون • ألا فليشكر الله المسلمون بتعلم علوم الحرب كلها من طيارات وأساطيل وليقوموا بحفظ ديارهم • هذا هو الشكر الحقيقي للنعمة • أما التفرّج على أساطيل الأمم والتلهي بحفظ آيات القرآن فذلك لا يبدى ولا يعيد ولا ينفع شروى نقي

﴿ مواهب سليمان عليه السلام ﴾

أما سليمان عليه السلام فإن الله تعالى وهبه أن يسخر الشياطين لبناء المحاريب وأمثالها • وهبه الريح فكانت تسير به مسيرة شهر في الروحة وشهر في القادوة • وهل كان سليمان وجيشه على خشب منظم يجلس عليه هو وجنده فتدخل الريح تحت الخشب فتحتمله • أم ذلك كان بساطا وهو فرسخ في فرسخ منسوجا من ذهب وحرير وله في وسطه منبر وحوله منابر من ذهب وفضة وغيرها والناس عليها بحسب مراتبهم ويكون هو وجيشه عليه ويغدو إلى بابل وإلى أرض الترك وأرض الصين وأنه سار إلى أرض السند ومكران وفارس • كل ذلك لاعلم للناس به وإنما رواه الرواة عن بني إسرائيل والقرآن ليس فيه إلا ما سمعت فلا تثق بشئ ليس متواترا • فكل ما في الأمر انه سخرت له الريح على ما رسمه الله في القرآن وسخرت له الشياطين تصنع له العجائب

﴿ انظر الذي يهمننا من هذا ﴾

يهمننا من هذا أن الله يقول للمسلمين • انظروا نبي سليمان سخرت له الريح ولا تسخرها لأحد من بعده بطريق المعجزة لأن هذا خاص بسليمان وحرّمته على من بعده وإنما حرّمته لأنّي قدّمت لكم في سورة (طه) أن خوارق العادات لا ترقى الأمم ولا تثبت إيمانهم فأنا إنما أرقى الأمم بأعمالها لا بظهور الخوارق فيها

فآتاني في السكون من هذا النظام العجيب . فاذا كان ذلك عملي في أرضي وقد قلت لكم ان الريح ستخرج
لسامان فكل ما يسخر ممكن الوقوع لأن المستحيل لا وجود له واذا أمكن الحصول أمكن التحصيل فالعقول
الإنسانية يجب عليها البحث . فليبحث أبناء آدم في الهواء هل يمكن تسخيرهم بعقولهم وصناعاتهم بحيث لا يكون
معجزة بل علما وصناعة . أما ألمانيا وأوروبا فقد عرفوا بعضه واستخرجوا من الهواء (النترات) فأصبحت
ذات عمل كبير في الحرب العظمى ولما انتهت حوّلوا المصانع الحربية التي قوامها على المواد المستخرجة من الهواء
الى موادّ أزوتية نافعة في تسميد الزرع وهناك نحو سبع مصانع في ألمانيا كل مصنع فيه (٣٠٠) تانقونا لمخابرة
الناس وبيع هذا السماد العجيب . وهكذا سخر الهواء لحمل الطائرات للتجارات وللحرب وللسفر وللبريد .
فالناس بهذا فتح الله لهم في القرآن باب الرزق من الهواء بطريق الصناعة لا بطريق المعجزة الخاصة بالأنبياء فقام
المسلمون وقام بهذا العمل أهل أوروبا وهم لم يستنتجوها إلا من عقولهم وآرائهم واجتهادهم

(تنظيم الدولة)

وأما تسخير الشياطين في عمل المحارب فان هذا فرع مما قدمناه في سورة (البقرة) إذ وضع هناك أن
الأمّة عليها أن تقسم العمل على أفراد الشعب والأعمال جميعها فرض كفاية ويعطى لذوى العقول الضعيفة
والأجسام الغليظة الأعمال المذكورة من غوص البحار وبناء القصور

(عجائب هذا المقام)

فهذا يأمر الله المسامنين أن ينظروا في ألطف أجزاء الطبيعة كالهواء والى أصلها كالخديد والى أشق الأعمال
الجسمية كعمل المحارب والى أطفها وأشرفها كأعمال الملوك

(المباني العظيمة في الدول)

وللباني العظيمة في الدولة فوائد تنوير الأذهان وتعليم الأطفال وإيجاد أشكال عجيبة تكون ماثلة أمام
المتعلمين ترفع من أقدارهم وترهم الجمال والبهجة وهذه إحدى طرق ارتقاء العقول

(الجوهر والدّر والعسل والحرير)

وقد ذكر الغواصين المستخرجين الدّر والمرجان . يذكر المسلمين بما يجب عليهم فهذه من إحدى
الصناعات الواجبة وجوبا كفايا . اذا ترك الناس ما خلق الله لهم وأعرضوا عما في البرّ من العجائب وما في
البحر من الدّر والمرجان أعرض الله عنهم وسلط عليهم من يأخذ الأرض منهم ويستولى عليها لأن الله خلق
الدّر والمرجان لينتفع بهما عباده وخلق ما في الأرض وسخره لهم فاذا أعرضوا عنه عاقبهم بأن يستحوذوا على
أرضهم غيرهم هكذا فعل سبحانه ببعض المسلمين وسينجلي الافرنج عنهم حينما يستيقظون . وان أمثال الدّر
والمرجان بهجة وجمال تولى العقول بهجة وتصلقها اذا تأملتها وتفكرت فيها . إن الله خلق الدّم المطعومات
من حشرة وأنهم وأشرف الملبوسات من دودة وأجلّ الخلى وأجلها من الصدقة . فالأولى النحلة والثانية دودة
الحرير والثالثة الصدقة التي تكونت فيها الحرارى في البحار وهذا تقدم في سورة الكهف موضعا عند ذكر الحرير

(ذكر قصة أيوب عليه السلام)

قال تعالى (و) اذكر (أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضرّ) أى دعا بأنى مسنى الضرّ بالضم الضرر
في النفس وبالفتح الضرّ في كل شئ (وأنت أرحم الراحمين) وصف نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية
الرحمة ولم يصرّح بالمطلوب فكأنه يقول أنا أهل أن أرحم وأنت أهل الرحمة والإحسان * يقال انه انما شكّا
تلذذا بالنجوى ولم يشكّ تضررا بالشكوى منه فالشكاية اليه غاية القرب والشكاية منه غاية البعد وهذا الأسلوب
من الطلب ألطف ما يكون في السؤال . يقال ان أباه كان من أولاد عيص بن اسحق وأمه من ولد لوط
ابن هاران وقد اصطفاها الله للنبوّة وكان له في أرض خوارزم مع أرض الشام وما بينهما مال كثير وولد فابتلاه

الله بهلاك أولاده بهدم بيته عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه مدة والاختلاف فيها عظيم من (٧) ساعات الى (١٨) سنة فلاتاثل في ذكره * روى أن أمراءه ماخير بنت ميسا بن يوسف قالت له يوما لودعوت الله فقال كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال أستحي من الله أن أدعوه ما بلغت مدة بلائي مدة رخائي (فاستجبنا له) أجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) فكشفنا ضره (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) بأن ولد له ضعف ما كان * ويقال أنه أحيا له أبناؤه وهؤلاء رزقوا مثلهم * فأما كشف الضر فذلك أنه قال له تعالى - اركض برجلك - فركض برجله فنبعت عين ماء فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم أمره أن يضرب برجله الأرض صرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فأمره أن يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان بباطنه فصار كأصح مما كان وقوله (رجة من عندنا) مفعول لأجله أي رجة لأيوب (وذكرى للعابدين) أي تذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كصبره فيثابروا كشوابه * اه

﴿ لطيفة ﴾

انظر في ترتيب القرآن واطفه كيف ذكر قصة أيوب التي فيها الصبر على البلاء عقب قصة سليمان التي هي شكر على النعماء * فداود وسليمان شاكران للنعم المتردقة وأيوب صابر للنقم النازلة فأزيلت عنه * قصتان ذكرهما الله إحداهما للشكر والثانية للصبر * إن الانسان لا يخاو من صبر ومن شكر فصبر على مكروه وشكر على محبوب فالمحبوب ذكرنا به داود وسليمان والمكروه ذكرنا به أيوب وترى الله يقول - إن في ذلك لآيات لكل صابر شكور - فهذا هو الصبار وهذا هو الشكور * ما أعجب هذا الترتيب * إن الله ينزل البلاء وينزل النعماء للترتبة * ألا أذكرك بما ذكرته لك في سورة (البقرة) من ﴿ اغز قابس ﴾ والآيات التي جاءت في هذا المعنى - وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة - الخ

ألا تعجب معي كيف يذكر القول هناك تصريحاً وهنا تلويحاً * إن الأمم لا ترقى بالنعماء وحدها * كتب (سقراط) الفيلسوف لتلميذه (اسكندر المقدوني) لما ملك بلاد فارس واستحكم أمره واستشاره ماذا يفعل بالملك وكيف يسوس الرعية فقال ﴿ لا تدع الرعية في هوا ولعب ولا تسلط عليهم النعمة وحدها فيهلكوا * إن الأمم تقدر على تحمل المشاق والمتاعب كالحروب والأعمال العظيمة والشغل الشاغل ولكنها لا تتحمل النعم وترادف العطايا فما أهلك الأمم إلا رخاؤهم ولا أبقى ملكهم إلا حذرهم وبلاؤهم ﴾ اه

ويقال ﴿ إذا رأيت أمة خاملة فسلط عليها ضرب الرزايا والمحن فانها تستيقظ من غفلتها وتقوم من رقدها ﴾ إن الأمم أيام حربها تعثر بها حال تستخرج علم العليم وكرم الكريم وموهبة الذكي وتحدث في النفوس حالاً عجيباً كأنها استخرجت بالكهرباء أوداسكت بالمغناطيس اذا حنى الوطيس وهذا من بدائع القرآن وعجائب الفرقان * ثم اذا قرأت الشعر العربي رأيت هذه المعاني كثيرة فيه * قال أبو تمام

ملك يرى شرف المتاعب راحة * وبعد راحات الفراغ متاعبا

فيأيتها الذكي اعلم انك اذا كنت ساعياً في الأعمال النافعة مخلصاً لأمتك ولربك فان الله يخلصك من كل شدة ولا تعرف هذا إلا بالتجربة بفرب أمثال هذه القصص وبها تعرف كيف يكون الايمان

﴿ ويلحق بأيوب اسماعيل وادريس وذوالكفل ﴾

قال تعالى (و) اذكر (اسماعيل وادريس وذوالكفل) سمي به لأنه ذوالحظ من الله والكفل الحظ (كل من الصابرين) أما اسماعيل فقد صبر على الذبح * وأما ادريس وهو اخنوخ فانه كان خياطاً وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس الخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار * وقد تقدم انه هو الذي كان يعظمه المصريون ﴿ انظره في سورة مريم ﴾ وهو نفس ﴿ ازوريس ﴾ وأما ذوالكفل الذي اختلف العلماء من هو فقد تكفل انه يصلي الليل ولا يفترو ويصوم النهار ولا يفطر ويقضى

بين الناس ولا يفض بشكر الله له ونباه فسمى ذا الكفل وهذا صبر عظيم . فهؤلاء الثلاثة صبروا على مشاق التكليف وشدائد العبادة كما صبر أيوب على البلاء . فهاهو ذا ذكر النعمة بـداود وسليمان والصبر على البلاء بأيوب وعلى التكليف والعبادة بالثلاثة بعده (وأدخلناهم في رحمتنا) نعمة الآخرة (إنهم من الصالحين) الكاملين في الصلاح

﴿ قصة ذي النون ﴾

بعد أن ذكر الله الشاكرين ثم الصابرين بجميع أنواع الصبر أتبعهم بذكر ذي النون الذي لم يصبر كصبر هؤلاء على ما ابتلى به فقال (وذا النون) وصاحب الحوت يونس بن متى أي ذكره (إذ ذهب مغاضبا) لقومه ومعنى مغاضبته لقومه أنه أغضبهم بفراقه وفعل غاضب للمغالبة مبالغته في أنه أغضبهم بالمهاجرة من ديارهم ذلك إنهم لما تمادوا في تكذيبه وعندهم بالعذاب فلم يأتهم العذاب لأنهم تابوا فكروه أن يكون بين ظهرائي قوم يتبرأوا عليّ الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رفع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وأنه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وبحث عنه قومه فلم يجدوه لأنه نزل إلى سفينة في البحر هاربا فأخرجه الله من أولى العزم وقال لنبيه محمد ﷺ - فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل - وقال - ولا تكن كصاحب الحوت - ذلك أن ذا النون انطلق إلى السفينة فثقلت بمن فيها وأشرفت على الغرق فعمل أهلها قرعة فخرجت على يونس ليرمي في البحر لتخفيف الحمل فقاذف بنفسه في البحر فالتقمه الحوت مدة اختلف فيها من أربع ساعات إلى (٧) أيام . يقول الله انه ذهب مغضبا قومه لأنهم خافوا حقوق العذاب بهم حين تركهم (فظن أن لن نقدر عليه) أي لن نقضى عليه بالعقوبة مأخوذ من القدر * وقرئ - نقدر - مثقلا بمعناه أي لن نصيق عليه (فننادى في الظلمات) الثلاث بطن الحوت والبحر والليل (أن لا إله إلا أنت) أي بأنه لا إله إلا أنت (سبحانك) من أن يمجّزك شيء (إني كنت من الظالمين) لنفسه بالمبادرة إلى المهاجرة * وفي الحديث ﴿ ما من مكروب يدعو بهذا إلا استجيب له ﴾ (فاستجبنا له ونجينا من الغم) بأن قذفه الحوت إلى الساحل بعد أربع ساعات كان في بطنه فيها وقيل ثلاثة أيام وقيل سبعة . والنغم غم الانتقام وغم الخطيئة (وكذلك أنجى المؤمنين) إذا دعونا لتفريج غمومهم وذلك لا تعرفه إلا إذا جرّته بنفسك

﴿ لطيفة ﴾

انظر كيف كان هذا الترتيب العجيب . ذكر أهل الشكر . فأهل الصبر . فالذي ليس بصابر

﴿ قصة زكريا ويحيى عليهما السلام ﴾

قال تعالى (و) اذكر يا محمد (زكريا إذ نادى ربه) دعاه فقال (رب لا تدركني فردا) لا تتركني وحيدا بلامعين (وأنت خير الوارثين) فان لم ترزقني من يرثي فلا أبالي به (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه) أي أصلحناها للولادة بعد عقربها وهكذا كانت حردة على زكريا فأصلحنا أخلاقها له لتحسن عشرته ثم علل ما تقدم كاه من اكرام هؤلاء الأنبياء المذكورين بهذه السورة فقال (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات) يبادرون إلى الطاعات ومنهم زكريا ويحيى (ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) فهم مع طاعتهم يفزعون إلى الله رغبة في ثوابه ورهبة من عقوبته ويخشعون له أي يخافون خوفا ملازما للقلوب فلا ينبسطون في الأمور حذرا من الوقوع في الإثم . فهؤلاء الأنبياء عليهم السلام بطاعتهم وفزعهم في حالى الرغبة والرغبة إلى الله وخشوعهم له . كل ذلك جعلهم أهلا للعطايا التي تقدمت

﴿ قصة السيدة مريم وابنها عيسى عليهما السلام ﴾

قال تعالى (و) اذكر يا محمد (التي أحصنت فرجها) من الحلال والحرام يعنى مريم (ففنفخنا فيها من روحنا) أي أمرنا جبريل فننفخ في جيب درعها فخلقنا المسيح في بطنها بذلك النفخ . ويصح أن يقال

أجرينا فيها روح المسيح وأضافه إليه تشريفا فان الروح من أمر الله (وجعلناها وابنها) أى قصتهما أوحاها (آية للعالمين) فان المتأمل لقصتهما يتحقق بها كمال قدرة الله تعالى . ثم ان نتيجة السير المتقدمة في هذه السورة هي ما يأتي

- (١) التذكير بالعلوم العقلية في قصة ابراهيم وموسى وأن المعول عليها
- (٢) ازالة الضلالات العائقة عنها وذلك كتفسير الأصنام المذكور ويناسبه تفسير قيود الجهل في أمة الاسلام
- (٣) قيام الأمم بالأعمال العظيمة كالأبنية المشيدة واستخدام قوى الطبيعة من أصلب الأشياء كالحديد الى أطفها كالهواء وقيام الأمة كلها بالأعمال من أعلاها كالأنبياء الى أدناها كالجهال وشرطيين الانس والجن وأن لا يمنع الصلاح القلبي العمل الجسمي
- (٤) وأن تتحلى الأمة بالصبر اقتداء بأيوب عليه السلام حتى يتموا أمورهم ولا يكونوا غير صابرين كذى النون عليه السلام

(٥) وأن تكون الأمة واثقة بالفرج خاشعة لله راجية منه بما قدمت من الأعمال الصالحة كزكريا ومريم (٦) وأن يكون في عالمها وخاصتها العفة والوقوف في الشهوات عند حد لأن العفة ممدوحة كما مدحت مريم هذا هو المقصود من ذكر هذه القصص . علم وصبر وشكر على النعمة أى قولاً وعملاً وعفة وإخلاص واستخدام جميع ما خلقه الله في الأرض للمنافع العامة . وهنا (سؤال) قال لى قائل . لقد اقتنعنا أن نشغل أمتنا كلها في الأعمال النافعة . في العلم وفي الصناعات ونجتهد في بلوغ المآرب وجميع أعمال الحياة لاصلاح الأحوال . فن أين لنا استخدام الجن كسليمان . فقلت له نظير الجن أى النفوس الشريرة عندنا صغار العقول وأهل الشر من النوع الانسان هم الذين نتخذهم عوناً على الأعمال العظيمة وذلك في كل الأمم . أما الجن وهم النفوس الشريرة فاعلم انه قد جاء في علم الأرواح أن الأرواح الكبيرة في هذه الأيام تستخدم الأرواح التي ماتت وهي لا تزال متعلقة بعالمنا الأرضي في أعمال صغيرة لا تقدر تلك الأرواح العالية على مزاولتها كما نستعمل نحن العتالين والشيالين للأعمال التي يعجز عنها المفكرون منا . فاذا طلب من تلك الأرواح العالية شئ من الأعمال التي هي أقرب الى المادية قهرت تلك الأرواح العالية تلك الأرواح المادية على عملها . فهذا من علم الأرواح الذي ملأ أوروبا كما قدمنا في هذا التفسير . عجيب جداً . وكيف يحى في القرآن أن سليمان سخر الجن وبجى العلم الحديث فيقول بهذا المعنى لكن على هيئة أخرى و بطريق غير ماذكر لسليمان مما يدلنا أن العالم سلسلة واحدة متحدة منتظمة وأن ماهناك من هنا وأن الآخرة والأولى أمران متتابعان متشابهان فقال من أين لنا صدق الأرواح وعالمها . قلت المقام ليس في صدقها وكذبها انما أنت أثبت بشبهة على الدين وان ماجاء فيه لا تجده له مساعداً أقول لك كما ان العلم الحديث أرانا كيف استخدم الناس الهواء لحل ألقائهم ولصنع الأسمدة وإجادة الآلات الحربية أرانا من جهة أخرى أن الأرواح الشريرة تستخدمها من هي أعلى منها ويكون ذكر هذا لسليمان فتحة لباب البحث . فعلى المسلمين أن يدرسوا هذا العلم لأن الدين يطلبه . بإقامة الأمة لامفر من دراسة العلوم كلها شرقيها وغربيها لامفر منها هاهوذا ديننا هاهوذا . انظروا كيف ذكر في سورة (طه) الوجه والسبب في كون خوارق العادات لا ترقى أمة ولانكون سببا في بقاء الايمان (وملخص ذلك) أن تهرع الناس الى العلوم العقلية ثم جاء في سورة (الأنبياء) فأتى العلوم الطبيعية بذكر منافعها وأصولها وهي السموات والأرض وأنهما صارا متميزين بعد الاتحاد ثم تعالى فوق ذلك بذكر قصص الأنبياء ليرينا العلم بقصة ابراهيم والملك بقصة داود وسليمان والصبر بالأنبياء بعده والعفة بذكر مريم وابنها . والقصص مرتبة ترتيباً عجيباً . فوسى لتبيان ماجاء في خوارق العادات وعدم الاتكال عليه و ابراهيم للعلوم وتقوية

القوة العقلية فالملك فالصبر وختم ذلك كله بالعفة . فالقوة العقلية مقدمة ثم انتهى ذلك بالعفة التي هي اصلاح للقوة الشهوية . فالقوة العقلية تحثها القوة الغضبية والشجاعة التي أشار لها بتكسير الأصنام ثم العفة الخ . فتعجب من ترتيب في ديننا لترقية عقولنا . قوموا أيها العقلاء ويا أيها الأصمراء لترقية الشعب وأفهموه كل علم وكل صناعة . إن المسلمين مطالبون بالعلم الذي أنزل على الأنبياء وانتهاج خطة الكمال

﴿ نتائج القصص المذكورة لأمة الاسلام ﴾

قال تعالى (إن هذه أمتكم أمة واحدة) يقول الله إن هذه الملة الاسلامية ملتكم حال كونها متوحدة غير متفرقة . وإذا كانت هذه ملتكم فعليكم أن لا تنحرفوا عنها وهي في حال يشار إليها فيها بأنها ملة واحدة غير مختلفة ولا متفرقة . وملخص ذلك طلب الاتحاد من أمة الاسلام (وأنا ربكم) لا إله غيري (رفاعبدون) لا غير أي فليكن اتحاد في النظام العام للأمة واتحاد في عبادتي . يقول الله هاتم أولاء أيها المسلمون قرأتم قصص الأنبياء وعلومهم ورأيتم مشاربهم ودروسهم وقد شرحتها لكم لكيما تنهجوا جميع المناهج التي نهجوها فتعلمون علوم الطبيعة والفلك كما أشار لذلك ابراهيم ولا تركزوا الى خوارق العادات كما يدل عليه قصص موسى ولا تدعوا نظام السولة كما كان داود وسليمان ولا تذروا الصبر في جميع الأعمال وفي ترك المعاصي كأيوب ومن بعده وأن تكونوا أعفاء وهذه مزايا الأنبياء متفرقة جمعها لكم في هذه السورة وجعلتكم أمة واحدة فإياكم أن تفرقوا (وتقطعوا أمرهم بينهم) أي وتقطعتم التفت عن الخطاب الى الغيبة كأنه ينقل عن الأمة الاسلامية ما أفسدوه الى آخرين ويقبح فعلهم ويقول لهم ألا ترون الى عظيم ما ارتكب هؤلاء المسلمون من الإثم . انظروا كيف غفلوا عن اتحاد هذه الملة وتفرقوا شيعا وذاق بعضهم بأس بعض وجعلوا الدين قطعا فيما بينهم كما تتوزع الجماعة الشيء ويقتسمونه فيصير لهذا نصيب ولذا نصيب (كلنا راجعون) فجازيهم على تفرقهم وهذا اخبار بالغيب لما سيحصل في هذه الأمة الاسلامية وقد حصل فعلا وافترقت سياسة واجتماعا وفرق بينها ببعض رؤساء الدين وقد أعرض الله عن هؤلاء المختلفين وقطعهم بين الأمم كما قطعوا أمرهم بينهم واقتسموه . فقوم نظروا الى العبادات وقوم الى الصبر وقوم الى العفة وقوم أنكروا ذلك بقلوبهم . يقول الله هنا . كلا . خذوا علوم هذه السورة كلها واعملوا بها . فلتكونوا على دين ابراهيم علوما ومعارف وازالة للنكر وعلى دين داود وسليمان صناعات وملكاً وعلى دين أيوب ومن معه صبرا . فأما أخذكم أيها المسلمون ببعض الدين علما أو عملا فهذا تقطيع لما جعلناه في هذه السورة ولذلك أعرض عنهم فلم يخاطبهم وقال - وتقطعوا أمرهم بينهم -

هذا هو الحاصل الآن في أمة الاسلام . أعرضت عن العلوم الطبيعية والفلكية وقد أحبها ابراهيم وأعرضت عن نظام الممالك وقد أحبها سليمان وأعرضت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد أحبها ابراهيم وغيره لذلك أعرض الله عنهم ولم يخاطبهم ووبخنا ولذلك قطعنا بين الأمم كما قطعنا ديننا قطعا لكل جماعة منا قطعة يقول الله . أموا الدين كله على حسب ما في هذه السورة والأهلكتكم بتوزيعكم بين الأمم كما قطعتم ديني وقد ذكر قطع بلفظ الماضي لبيان أنه محقق وقد تم هذا وهذه من إحدى معجزات الاسلام

﴿ نظرة ﴾

يا أمة الاسلام . هل من مدكر . هل من متفكر . انظروا كيف يعبر بلفظ قطعنا وهي فعل ماض تدل على التحقق في المستقبل من باب المجاز بالاستعارة كقوله - أتى أمر الله - . انظروا كيف تم هذا . انظروا كيف عبر بتقطعوا أمرهم بينهم أي اقتسموه بحيث أخذ كل جماعة منه شيء . انظروا كيف تم ذلك فعلا . انظروا كيف قطعنا الأمم واقتسمنا العلوم والمعارف بيننا فكل أخذ ببعض وترك بعضا . انظروا كيف كان هذا إشارة منه تعالى الى أن هذا التقطيع يلزمه تقطيعنا وتقسيمنا بين الدول . نعم القرآن لم يذكره ولكنه يفهم ضمنا لأنه فيما سيأتي يقول - ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها

عبادى الصالحون - وسترى تفسيرها . فأنه يقول لنا تقطعتم وتوزعتم واقتسمتم الدين فكل أخذ بقطعة ومن أخذ ببعض القطع فهو ناقص والناقص ليس صالحا لهارة الأرض . فإذن لابد أن أرسل أمما أخرى تشارككم لتكمل النقص فان كنتم جهالا بالعالم جؤاهم وعمرؤا أرضكم وشاركوكم وان كنتم ناقصين في ازالة المنكر أرسلتهم ليدرّبوكم . فاذن هذه الآية قد ذكرت استعمار أوروبا لبلاد الاسلام بانضمام الآية الآتية اليها وذكر التقطيع اشارة الى تقطيع دولنا بين دول أوروبا وتقسيمها لنا وكأن الله سبحانه وتعالى أبقى ممالكنا تحت أيديهم حتى تظهر معجزة هذه الآيات وينشر هذا التفسير وأمثاله وتظهر المعجزة الدينية ثم يخرج المسلمين من ضيقهم وتبقى هذه الذكرى ماثلة عند الأجيال المقبلة وتصبح الأمم الاسلامية المستقبلية رشيدة بالاختبارات التى حصلت عليها ويكون تمامها إن شاء الله معرفة الناس هذه العلوم وتحصل حركة كبرى لامرء لها وسيرها المسلمين جميعا بعد انتشار هذا التفسير وأمثاله وستكون أمة لانظير لها فى الأمم كما سيأتى فى آخر السورة شرحه ﴿ افتراق الأمة الاسلامية فرقا تبلغ نيفا وسبعين فرقة ﴾

قد ذكر المفسرون فى هذا المقام قوله ﷺ ﴿ تفرقت بنو اسرائيل على إحدى وسبعين فرقة فهلك سبعون وخلصت فرقة وان أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة فهلك إحدى وسبعون فرقة وتخلص فرقة واحدة قالوا يارسول الله من تلك الفرقة الناجية قال الجماعة الجاعة ﴾ والمراد بالجماعة هم المتمسكون بعلوم هذه السورة فيحفظون كيان دولتهم ويكونون علماء بجميع الفنون والصناعات ويقتسمون جميع أعمال الحياة بينهم ملكا وعلماء وصناعة كما تقدم . وقد طعن قوم فى صحة هذا الخبر لأن الأمة لم تفرق فى أصول الدين بهذا المقدار . وقد روى ضد هذا أيضا ﴿ وهوانها كلها ناجية إلا فرقة واحدة ﴾ وعلى كل حال الآية باقية وعلمها قد اتضح الآن وأن أمة الاسلام التى اختلفت فى أعمالها لاسعادة لها إلا اذا بذلت الجهد فى الارتقاء كره أخرى والافبالله كيف يقول الله لنا انه علم داود صنعة السروع لعنا نشكره فأين شكر الله الآن ونحن أجهل الأمم بعلوم الحرب واتقانها وقد سبقتنا أوروبا بها . رحاك يا الله . رحاك يا الله . أمة دينها يحرم عليها الحرب تنبغ فيه وهم أمم النصرى وأمة ينص دينها على أن الله مشكور على تعليمهم الحرب فتجهل أسبابه . رحاك اللهم . أمة الاسلام نامت ونامت فعلمها اللهم - إنك أنت السميع العليم -

﴿ فتح باب الرجاء لأمة الاسلام ﴾

لما ذكر الله افتراق الأمة وأنه واقع لاحالة وأن تعاليم الأنبياء السابقة سيقصرون فيها وأنه يلزم ذلك أن تقتسمهم الأمم أردفه بفتح باب الرجاء فقال (فن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون) أى فلا تضيق لسعيه وإنا لسعيه مثبتون فى صحيفة عمله لانضيجه بوجه ما فيقبل الله توبة الأفراد وتوبة الأمم . فأمة الاسلام متسع أمامها باب الفرج فلا يأس من رحمة الله

﴿ جوهره فى قوله تعالى - والى أحصنت فرجها فنفضنا فيه من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين -

الى قوله تعالى - إن هذه أمتكم أمة واحدة - الى قوله - كل الينا راجعون - ﴾

اعلم أن أرضنا التى نساكنها تبين اليوم فى علم الفلك انها كالعدم وبيانه أنهم أثبتوا حديثا أن الفضاء فيه أجرام عظيمة هى الكواكب والمجرات فكل مجرة مركبة من مئات الملايين من الكواكب ومجرتنا التى منها شمسنا فيها نجوم نسبة شمسنا اليها ضئيلة جدا حتى ان الجوزاء حجمها أكبر من حجم الشمس ٣٥ مليون مرة . قالوا ولو أن أرضنا صغرناها حتى صار حجمها كحجم الجواهر الفرد (ومعلوم انه لا يرى) لصار حجم الكون الذى يرى بالتلسكوب مثل حجم الأرض الحالى ولصار حجم الكون كله على ما يقضى به مذهب (أينشتين) ألف مليون أرض منتشرة حولها فى الفضاء . إذن أرضنا على مقتضى تقريب هؤلاء العلماء عالم لا قيمة له صغير جدا وعلى قدر صغره يكون قدر سكانه وأخلاقهم ، وأشار الله لذلك بقوله - لقد كفر الذين قالوا إن الله

هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعها والله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير -

فانظر لجهل هذا الانسان الذي أظهره العلم الحديث وأشار له القرآن وأعجب لنظام الآية في سورة (المائدة) حكم الله بكفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم . لماذا كفروا . لأن الأرض ومن عليها لقيمة لهم بالنسبة لمخلوقاتنا فانا قادر أن أهلك هذا الاله الذي ادعيتموه وأهلك أمه وأهلك من في الأرض جميعها . فيقال ولماذا هذا . فيقول وكيف أبالي بهؤلاء وأرضكم بالنسبة لمخلوقاتى أشبه بالمعدوم . فكيف أتخذ ولداً لي في عالم لاقيمة له . ألم تروا انى أملك السموات والأرض وأنا على كل شيء قدير . فاذا كانت أرضكم أصبحت بالنسبة للعوالم أشبه بالجواهر الفرد بالنسبة لألف مليون أرض فقد انقلب الوضع فبعه ما أن كان أهل الأرض مغترين بأرضهم ظانين هذه السكواكب كلها ماهي إلا سرج وضعت في السموات لتضيء لأهل الأرض أصبحت الأرض اليوم ملء حقة بالعدم وسكانها أضعف منها وأقل حيلة . إذن سكان هذه الأرض قد اغتروا بأنفسهم حين جعلوا لله ولداً في أرضهم الفانيصة الضعيفة المعدومة في جانب مخلوقاتى . هذا كله يفهم من قوله - والله ملك السموات والأرض - الخ . يقول الله هنا ان المسيح ابن مريم وأمه جعلناهما آية للعالمين لا انه إله ومن هي أمه ومن هم أهل الأرض حتى يكون لى ابن فيهم . ولما كانت قصة مريم وعيسى آخر أنباء الأنبياء في هذه السورة خاطب الله جميع الأمم شرقاً وغرباً فقال أيها الناس إن هذه الملة واحدة فان جميع الأنبياء انما جاؤا بالتوحيد فلم تفرقون ثم أتبعه بما يدل على حقارة الأرض ومن عليها كما جاء في حكاية عيسى سواء بسواء . فهناك يقول انه لا أحد يقدر أن يدفع الاهلاك عن الأرض ومن عليها . وهنا يقول أيها الناس أمتكم واحدة فلم تختلفتم ان محمداً وموسى وعيسى ومن قبلهم من أنبياء جميع الأمم كلمتهم واحدة نزولوا لاجتماع الكلمة فترققتم أنتم وانما تفرق الناس لأن عالم الأرض عالم متأخر . فاستعداد أهل الأرض ضعيف لا يقوى على الاتحاد من أول وهلة فقد استبان ضعف أهل الأرض التي نسكنها بقراءة علم الفلك الحديث وبه استبان علما لماذا لا يبالي الله باهلاكم جميعاً واستبان أيضاً . لماذا تفرقوا مع أن الدين واحد فالأنبياء كلهم جاؤا لمقصد واحد وهو اتحاد الأمم ولكن الناس لجهلهم قلبوا الوضع فجعلوا سبب الاتحاد سبباً في الخلاف ثم هددهم بقوله - كل الينا راجعون -

الله عز وجل نادى جميع الأمم على لسان نبينا محمد ﷺ قائلاً لهم إن أمتكم واحدة . وفي هذا النداء رائحة اتحاد الأمم وربما يتم هذا أو ما يقرب منه فان لم يتحدوا على دين واحد فليتحدا على المسالمة والمسالمة العامة من مطالب الاسلام بل أهم مطالبه . ولقد ألفت لذلك كتاب ﴿أين الانسان﴾ الذي ذكرته كثيراً في هذا التفسير وخصه أهل أوروبا وستقرأ ذلك التلخيص في الأجزاء الأخيرة من هذا التفسير . ومقتضاه أن كل أمة تعلم الرجال والنساء على حد سواء وتستخرج ما كمن في الأرض ومن عندهم أرض لا عامل فيها يجب عليهم أن يقبلوا في أرضهم من يعمل فيها ويكون هذا فرضاً لازماً على الأمم وهكذا مما ستقرؤه . وهذه الأمنية تدور على الألسنة في كل زمان ومكان ومنها ما جاء في الأخبار العامة يوم الأربعاء ٨ أغسطس سنة ١٩٣٨ وهذا نصه

﴿افتتح المؤتمر الاشتراكي الأممي أمس الأول في بروكسل بحضور ستائة مندوب يمثلون (٣٤) أمة من الأمم الغربية والشرقية . واذا عرفنا أن الأحزاب الاشتراكية بلغت من القوة درجة استطاعت معها أن تتولى زمام الحكم في بعض الدول كالمانيا وسكندنيافيا وأن تؤلف معارضة قوية في البعض الآخر كفرنسا وانجلترا أدركنا ما سيكون لمقررات المؤتمر الذي تعقده الآن في عاصمة البلجيكيك من التأثير العظيم في سياسة العالم . ويؤخذ من خطبة الافتتاح التي ألقاها السر (أرنور هندرسون) أن الاشتراكية الدولية عيل صبرها من تردد جمعية

الأمم وتذبذبها وانها تنوى احراج مركزها في اجتماعها المقبل وحملها على تحديد خطتها تحديدا صريحا يهزّ الآمال المعقودة عليها أو يفقدها الثقة التي وضعها البشر فيها . ولاريب في أن مندوبي معظم شعوب العالم ولاسيما الشعوب الصغيرة في هذه الجمعية غير مرتاحين الى أعمالها يتدصرون في سرهم من ضعفها واستكانتها ومن سيطرة المجلس عليها سيطرة جعلها آلة في يد الدول العظمى . وقد بدأ هذا التدمير يظهر منذ الاجتماع السابق ولايبعد أن يتحوّل الى انفجار شديد في الاجتماع المقبل خصوصا اذا اتخذ المؤتمر الاشتراكي الحالي قرارات حاسمة في الموضوع .

ومما قاله الميسو (فندر فلد) الوزير البلجيكي السابق في أول جلسة عقدها هذا المؤتمر الاشتراكية الدولية يجب أن توجه أنظارها الآن الى (آسيا) و (افريقية) حيث يعمل الرأسماليون على استنزاف دم الوطنيين وهي كلمة خطيرة لايسع حكومات الاستعمار اهمالها أو سد الأذان عن سماعها لأنها صدى ذلك الصوت الهائل الصادر من أعماق الشرق منذرا العالم بسوء المصير . وقد كان أحرار الغرب وفي مقدمتهم الاشتراكيون أول من أدرك خطورة الحالة وسعى الى معالجتها ودرء أخطارها . ولكن الجشع الاستعماري الذي أصبح طبيعة ثانية للشعوب القوية حال دون نجاحهم في الماضي . أما الآن وقد لمس الغرب الحقيقة بيديه ورآها بعيني رأسه سواء في تركيا وإيران أو في الصين وبلاد الأفغان فلم يبق له مناص من الاذعان لصوت الحق تأمينا لمصالحه ودرأ للأخطار التي تهدده وقد تناول برنامج المؤتمر المنعقد الآن في بروكسل هذا الموضوع فقسم الشعوب الشرقية الى ثلاثة أقسام وهي

(١) الشعوب التي هي جديرة بالاستقلال التام ويجب أن تتمتع به في الحال وبينها الصين ومصر وسورية والعراق
(٢) الشعوب التي تصير كفؤا لإدارة شؤونها بنفسها بعد تمرّن قصير وهذه الشعوب يجب أن تساعد الدولة على ذلك وفقا للقواعد التي سيقتررها المؤتمر الاشتراكي بحيث تصبح بعد مدة قليلة أهلا للتمتع باستقلالها التام

(٣) الشعوب التي لاينتظر أن تبلغ قريبا الى درجة تؤهلها لإدارة شؤونها بنفسها كبعض الشعوب الافريقية وسينظر المؤتمر في شأنها ويقرر التدابير التي يراها ضرورية لصيانتها من عبث الدول الاستعمارية ومن سوء استعمال سلطتها وقوتها . وقد وافقت اللجنة التحضيرية للمؤتمر الاشتراكي الأممي التي عقدت في بروكسل في شهر يونيو الماضي على قبول مندوبي هذه الشعوب في المؤتمر ضيوفا وخبراء للوقوف على آرائهم في شؤون بلادهم وسماع مطالبهم ونيل موافقتهم على القرارات التي تتخذ ويكون لها صلة بشعوبهم . وسيعهد في تنفيذ هذه القرارات الى الأحزاب الاشتراكية في مختلف البلدان . فالبلاد التي يسيطر الاشتراكيون على حكومتها تدعى الى تنفيذ مقررات المؤتمر في الحال . أما البلاد التي يكون فيها الاشتراكيون في جانب المعارضة فيجب استعمال جميع الطرق للتأثير في حكومتها وحملها على تنفيذ هذه القرارات في أقرب وقت ممكن بالتعاون مع جمعية الأمم ومع جميع الأحزاب الاشتراكية في العالم . وهكذا تقف الاشتراكية الدولية موقفا صريحا بازاء الاستعمار أساسه المنطق والعدل فتكافئه في البلاد التي نعتها جديرة بالاستقلال التام وتحاول تقييده في البلاد التي لم تبلغ درجة من الرشد السياسي تؤهلها الى هذا الاستقلال وتحاول اصلاح وتخفيف أضراره في البلدان التي لاتزال متأخرة في مضمار الحضارة والرفان . وهذه خطوة واسعة تخطوها الاشتراكية الدولية الآن في سبيل سلم البشر وراحتهم وطمأنينتهم وقد راعت فيها المنطق كما راعت مصالح الشعوب الحاكمة والمحكومة فلم تلجأ الى التطرف في مطالبها شأن بعض الأحزاب المتطرفة ولم تقل بقول الرجعيين والرأسماليين الذين يجدون باستعباد الشعوب لذة تنسيهم الأخطار التي تهددهم من جراء هذا الاستعباد بل تقدمت بمطالب معقولة يقرها

جميع الأحرار وأنصار الحق والعدل من كل حزب وفي كل بلاد . فعمسى أن تكون هذه الخطوة مقدمة لتسوية العلاقات بين الشرق والغرب على أساس ثابت وطيد الأركان وأن تتلوها خطوات أخرى من جانب الحكومات المختلفة تؤدى الى تعزيز السلم وتكون فاتحة عصر جديد يسوده الأمن والرخاء في ظل العدل المنظم ﴿ اه
هذا ماوصل اليه الاشتراكيون أثناء طبع هذا التفسير . ولا يدري إلا الله ماذا يفعل هذا الانسان الذي سماه الله - ظاوما جهولا - وقال في حقه - قتل الانسان ما أ كفرة -

ومن عجب أن كلام الاشتراكيين المذكور هنا في الأمم المتوحشة قد اقترب بهض الاقتراب مما ذكرته في ذلك التفسير فاني رأيت أن المتوحشين كما أشرت اليه في أول سورة (طه) يستحيل عليهم في رقيهم بأقرب الأمم اليهم ، فأهل مصر وأهل السودان المصري هم الذين يكونون سببا في رقي أقرب البلاد اليهم من أهل افريقيا وهكذا . وقصارى الأمر وحجاده أن هذا العالم جميل تام ولكن أهل الأرض من العوالم المتأخرة فهم أقرب الى النقص لا الى الكمال ولكنى أرجو أن تكون الحركة الجديدة في العالم مبشرة بالاتحاد كما يشتم من قوله تعالى - إن هذه أمتكم أمة واحدة -

﴿ زيادة ايضاح لهذا المقام ﴾

يقول الله هنا - وأنا ربكم فاعبدون - ويقول في ﴿ آل عمران ﴾ على لسان عيسى ابن مريم - ان الله هوربى وربكم فاعبدوه - ويقول المفسرون هناك ان هذه الآية قد جمعت كل دين فى الأرض لأن الدين انما هو علم وعمل والعلم يرجع الى ربى وربكم والعمل يرجع الى العبادة فى قوله - فاعبدوه - وهذا تقدم هناك ولكن هنا جاء بالآية موجزة لعل لسان عيسى ولاعلى لسان غيره بل أرسلها الله من تلقاء نفسه لأن المقام هناك فى عيسى جاء القول على لسانه . أما المقام هنا فهو فى الأنبياء المذكورين هنا فلذلك خاطب الله الأمم كلها هنا بنفسه . يخاطب الله الأمم كلها جيلا بعد جيل . يخاطب الله أهل آسيا وافريقيا وأوروبا وأمريكا والاقيانوسية وسكان الجزائر فى البحار بقول موجز . يخاطبهم جميعا بهذه الآية الموجزة والموجز دائما كلام الملوك فما بالك بملك الملوك بخلاف هذه الآية نفسها على لسان عيسى فهى ليست فى ايجاز هذه الآية لأنها على لسان عبد من عباده وهو عيسى . يقول الله هنا - وأنا ربكم - أى أنا الربى لكم والترية ظاهرة فى قوله تعالى - الحمد لله رب العالمين - وليست تعرف هذه الآية إلا بما عرف به القسم الأول من الفاتحة فافقراء هناك . لعمري كيف يعقل الناس تربية الله للعالمين ورحمته لهم من غير دراسة العوالم العلوية والسفلية وملاحظة التربية على وجه أخص فى عوالم النبات والحيوان كما تقدم فى سورة (الفاتحة) وفى سور أخرى لاسيما ما تقدم قريبا فى سورة (طه) عند قوله تعالى - الذى أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - فانه تقدم هنا ماظهر من الفرق بين جنين السمك وجنين المرأة وجنين الدجاجة وجنين دود القز وجنين حشرة أبى دقيق وكيف رأينا من هذه الأجنة غزالا نساجا ومغتذيا بالدم أو بمادة زلالية أو غير زلالية حفظت له كفاى الحيوانات اللبونية والدجاج والسمك - إن ربى لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم - هكذا لابد من معرفة عوالم السموات وكيف ربيت فى عصور قديمة وماتراه فى سور كثيرة كيونس والأنعام . وهكذا ترى بعض الحيوانات والحشرات فى سورة (النحل) وفى (هود) وفى (مريم) وغيرها . كل هذا لابد منه لمعرفة قوله تعالى - وأنا ربكم - وقوله - فاعبدون - راجع للقسم الثانى من (الفاتحة) من اننا نعبد ونستعين به ونطلب منه الهداية للصراط المستقيم صراط المنعم عليهم . فاذا كان الله بهذه الصفات من التربية والرحمة فعلى هذا النوع الانسانى أن يعاون بعضه بعضا فى تربية المجموع وهذا النوع الانسانى لم يظهر منه الاخلاص العام والصدق فى المنفعة العمومية لساثر الناس نعى الله على الناس تقاطعهم . يقول أنا ربيتكم ورحمتكم . أضأت شمسى وقرى لأنير سبلكم وخلقته بحارا وأهرا وجبالا ومزارع ودواب . كل ذلك لتريتكم ولكنكم أنتم أيها الناس تجهلون قدرى - وما

قدروا الله حق قدره - ولو كنتم تعلمون قدرى اسكان بعضكم لبعض في الشرق والغرب ظهيرا . لذلك كان على أن أقول - وقانوا في سبيل الله الذين يقاثلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين -

إن هذا النوع الانساني لن يكون قائما بأمرى إلا اذا تعاون جميع الناس في الأرض شرقا وغربا وعلى المسلمين حاملي هذا الكتاب أن يكون أول الأمم قوّة وبأسا ثم هم الذين يقومون ببث فكرة التعاون العام بين الأمم . فإن لم تقم الناس بحق الربوبية حقت عليهم كلمتنا وهى - وتقطعوا أمرهم بينهم كل إلينا راجعون - وهؤلاء يرجعون إلينا غير كامل أكثرهم بل هم جاهلون غافلون . انتهى يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٢٨ م ﴿ خاتمة الأمم . قيام الساعة ﴾

ولما كانت أمة الاسلام وغيرها خاتمتها قيام الساعة وخراب الأرض أردفه بقوله (وحرام) وواجب (على قرية أهلكتها) صفة لقرية (أنهم لا يرجعون) أى واجب على كل أمة أهلكتها عدم رجوعهم الى الحياة أو بمنوع على قرية أهلكتها أنهم يرجعون بزيادة لا . وكلا المعنيين مقبول لأن حراما جاء بمعنى الواجب واستعمال الشئ في ضده مجازا مقبول في كلام العرب * قالت الخنساء

وان حراما لا أرى الدهر باكيا * على شجرة الا بكيت على عمرو

فحرام بمعنى واجب في البيت وزيادة لا كثيرة في القرآن وغيره وكلاهما يفيد أن من هلكوا لا يرجعون الى الدنيا قطعا . ثم بين نهاية الوقت الذى فيه يمتنع الرجوع للحياة فقال (حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج) أى يستمر الامتناع من الرجوع أو وجوب عدم الرجوع الى ظهور أمارات الساعة وقيامها وحتى هذه هى التى تحكى بهدها الجبل وقوله (وهم من كل حذب) نشز من الأرض أو - جدث - فى قراءة أخرى أى قبر (ينسلون) يسرعون النزول من الآكام والتلال . يقول الله لا تزال حياة الناس الذين ماتوا وهلكوا ممتنعة فلا يرجعون حتى تقوم الساعة وتظهر أماراتها والناس من كل حذب ينسلون (واقترب الوعد الحق) وهو القيامة (فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا) والفاء هى واذا التى للفاجأة تظاهرتا على ربط الجواب بالشرط والجواب قوله - هى شاخصة - الخ وهى ضمير القصة . المعنى أن الناس لا يرجعون للحياة حتى تزلزل الأرض زلزالها وتختلط الأمم ويختل نظام الأرض فتموج الأمم بعضها فى بعض بتفرق أجزاءها لافرق بين يأجوج ومأجوج وغيرهما . فاذن ذكر يأجوج ومأجوج رمز لاختلال الأرض وخرابها كأنه قيل اذا اختلطت الناس وماجت لخراب الأرض - واقترب الوعد الحق - هناك تشخص أبصار الذين كفروا إذ يقومون من قبورهم أى ترتفع أجفانها فلانكاد تطرف من هول ما هم فيه يقولون (ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا) لم نعلم انه حق (بل كنا ظالمين) لأنفسنا بالاخلاق بالنظر وعدم الاعتداد بالنذر . فالقصد من فتح يأجوج الرمز لخراب الأرض وقد قدمنا فى سورة الكهف من هم يأجوج ومأجوج وأين مساكنهم . وعليه يكون القصد هنا اختلال حال الأرض وخرابها كما كان يختل بهم نظام الأمم حين يخرجون عليها كما تقدم فى سورة الكهف وهناك مقال واسع مستوفى فلانعيده هنا

﴿ خطاب الله للكفار وتذكيرهم بما يكون يوم القيامة ﴾

قال تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله) من الأصنام وابليس وأعوانه الذين أطعتموهم (حصب جهنم) حطبها وقرىء - حطب - (أتم لها واردون) داخلون فيها * فقال ابن الزبيرى أليس اليهود عبدوا عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنومليح عبدوا الملائكة فقال عليه الصلاة والسلام بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك فنزل - إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى - الآية (لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها) لأن الذى يعذب لا يكون إلها (وكل فيها خالدون) لاخلص لهم (لهم فيها زفير) أنين وتنفس شديد (وهم فيها لا يسمعون) من الهول وشدة العذاب ولا يسمعون ما يسرهم (إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى) الخصلة الحسنى

وهي السعادة والتوفيق والبشرى بالجنة (أولئك عنها مبعدون) لأنهم يرفعون الى أعلى عليين والذين سبقت لهم الحسنى أعم من المسيح وعزير وغيرهما من المؤمنين (لا يسمعون حسيسها) صوتها وحركة لها إذا نزلوا منازلهم في الجنة (وهم في ما اشتبهت أنفسهم) من النعيم والكرامة (خالدون) مقيمون (لا يحزنهم الفزع الأكبر) النفخة الأخيرة (وتتلقاهم الملائكة) تستقبلهم على أبواب الجنة يهنئونهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) في الدنيا . يقول الله وتتلقاهم الملائكة (يوم تطوى السماء) طيا (كطى السجل) أى الطومار وهي ما يكتب فيه السكائب (للكتب) أى للعاني الكثيرة المكتوبة فيه . يقول الله يوم تطوى السماء فنجعلها ممحوة الرسوم ذاهبة الأثر مكورة النجوم بحيث نرتق فتقها فكما فتقنا الأرض منها نرتقها ونجعل العالم المشاهد محولا مغيرا ثم ندخل تلك الآثار في حال جديدة فنخلق أرضا جديدة وكواكب أخرى بعد حين وهكذا نخلقكم كذلك للحشر كي تحاسبوا فنحن نرجع الناس للحياة ونغير طراز هذه الدنيا فنجعلها عالما جديدا غير هذا كما نحشركم في حال أخرى غير هذه الحال وهذا قوله (كما بدأنا أول خلق نعيده) فكما خلقناه أولا نعيده فنعيد الناس ونعيد هذه العوالم في حال أخرى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات - راجع للثاني - وبرزوا لله الواحد القهار - راجع للأول . فتعجب كيف تطابق القرآن في الموضوعين وكانت تلك الآية تفسيرا لهذه (وعدا علينا) مصدر مؤكد لما قبله (إنا كنا فاعلين) ذلك لاحتمال هذه هي قصة الانسان في حشره وقصة عالمنا يوم نحشرنا

﴿ لطيفة ﴾

من العجائب أن الله في أواخر هذه السورة يذكر لنا أن السموات والأرض يعيدها كما بدأها وفي أول السورة أرانا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقهما . ومن أبداع ما يراه العلم الحديث أن علماء العصر الحاضر يقولون ﴿ الدليل على أن الأرض كانت كرة واحدة مع الشمس وأن الأرض وجميع السيارات قد فصلت من الشمس . انهم يرون بالآلات الفلكية والمناظير المقربة أن هناك ستين ألف كوكب تتكون وهي في حالها الفطرى الأولى بصورة نارية فبعضها لا يزال في أول التكوين وبعضها قارب أن يتم نظامه . انظره في كتاب ﴿ قراءة الدنيا الواسعة ﴾ في علم الجغرافيا باللغة الانجليزية في أوائل الكتاب . وأيضا لرزحل حلقات حوله مضيآت متأهبات للانفصال منه كما انفصل القمر عن الأرض . وقد تقدم رسمه في سورة الأنعام ﴾ هذه هي العجائب التي كشفها العلم الحديث فلنفسر بها القرآن ولنقل هذه معجزة أخرى . قد ذكر الله في أوائل السورة أن الشمس كانت مع الأرض فيزهما وهاهوذا هنا يقول سأعيد العالم لحاله الأولى فيعيد الشمس والكواكب بعد رجوعها للحال الأولى فيجعلها كما هي الآن أيضا ويجعلنا في حياة جديدة في عالم الآخرة في جنة أوانار وهذه معجزات عجيبة للقرآن . فانظر كيف ذكر العالم الحيوانى والنباتى وغيرهما في سورة (الحجر) كما قدمنا مرارا وفي سورة (النحل) مرتين الى أن وصل الى سورة (الأنبياء) فذكر منشأ العالم ثم هاهوذا يفهمنا كيف يرجعه . إن هذا هو منطوق العلوم التي عرفها الناس . فلتعجب معى ولتقرأ كل علم وكل صناعة . ومعناه أن الأمة تجتهد في جميع العلوم والصناعات وكل طائفة تقوم بأحدها والله هو الولي الجيد ﴿ زيادة ايضاح لقوله تعالى - كطى السجل للكتب - أيضا ﴾

ليت شعري لم اختير التعبير بهذا التشبيه . نعم اختير ذلك لما فيه من اليجاز العجيب المشتمل على معنى كبير . ألم تر الى ما ذكرته لك من أن السموات والأرض ترجع الى حال أخرى لطيفة جدا تدق عن الابصار وتدخل في معمل الطبيعة حتى تكون مغمورة فيها تأثرة بين أجزائها في وسط العالم اللطيف الذي يسمى الأثير وهومادة ألطف من النور وجميع العوالم مغمورة في بحرها اللجى . فاذا رجعت هذه العوالم لذلك العالم طويت صورها وخفيت رسومها ولم يظهر مانرى من جبال وكال وعمل وصور وعجائب بل يكون كما فيكون

النار في الأحجار والكهرباء في المواد المحسوسة . فانظر كيف تحمل عناصر الأرض والشمس والكواكب صوراً كامنة فيها . وكيف يكون استعدادها منظوياً على صور متتالية أدواراً وأدواراً وأجيالاً وأجيالاً ودهوراً ودهوراً . كل ذلك قد اختفى وانطوى في تلك المادة المنحولة من عالم المغمورة في الأثير المهددة للظهور مرة أخرى . أتدري أين تلك المعاني كلها . كلها قد جمعت وطويت تحت قوله - كطى السجل للكتاب - أو - للكتب - على القراءتين أي كما ينطوى الطومار أو القرطاس على المعاني فتعجب . أليست الطبيعة كتاباً . أليست الصور فيها مكتوباً يكتب للناس فيقرؤنه . أليس طيها بعد نشرها اخفاء لتلك المعاني التي كانت مجسمة فصارت خفية . أليست تلك الصور البديعة المخبوءة في عوالمنا بعد فنائها أشبه بما يكتب في الكتب فيكون حروفاً صغيرة يستخرج منه أعمال وآراء كثيرة . فجلى العلم وجلّ الدين وجلّ مبدع الكون

بمثل هذا تعرف بلاغة القرآن . بمثل هذا فليفهم المسلمون الكتاب الحكيم . ليقرأ المسلمون صحائف السموات وصحائف الله في الأرض . فالله يقول إنها ككتاب يطوى في يمينه يوم القيامة . ومقتضى هذا أنه كتاب منشور الآن لأن ما يطويه غداً هو ما ينشره الآن . إن العوالم التي نساكنها اليوم جيلة . إنها كتاب يدرس . إن الله بهذه الآية يقول لنا ادرسوها واعقلوها . إن القرآن يقول هنا كتابكم الآن منشور وغداً يطوى . يقول الله أن الأرض والسموات صحائف منشورة هي كتابي فاقروها وافهموها واعرفوا نظامي تعرفوا مقامي . هكذا يقول الله هنا - لمثل هذا فليعمل العاملون - وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون ولهذا فليقرأ المسلمون . ليقرأ المسلمون كتاب ربهم الذي كتبه بيده ثم يطويه بيمينه . فليقرؤه وليفهموا ما سيأتي بعد وهو ﴿ أي الأمم أحق بالملك في الأرض اليوم وبالجنة في الآخرة ﴾ (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) لقد كتب الله عنده وأثبت في علمه القديم الذي لا سهو معه ولا غفلة ولا نسيان أن جنس الأرض سواء أكانت أرض الدنيا أم أرض الجنة يرثها عباده الصالحون لها . وإذا كتب الكتاب شيئاً وأثبتته وهو ذاكر غير ناس ولا غافل كان ما كتبه لا بد أن يتم وينفذه فعبّر الله عن هذا بأنه كتبه بعد الذكر الذي بسببه لا ينسى المكتوب أو كتب في الزبور أي جنس الكتب السماوية المنزلة من بعد اللوح المحفوظ ما تقدم . ثم انظر أيضاً كيف قال الله أن السموات والأرض بعد فنائهما يكونان كتاباً منظوياً أي كما كانا منظوين يوم كانتا رتقا وفيهما انطوى هذا العالم وها هو ذا يظهر الآن على مقتضى ما طوى في صحائف السموات والأرض واستعدادهما ولا يبرز شيء إلا على مقتضى الاستعداد ومن ذلك أنه كتب في الزبور أن الأرض الخ

﴿ تقسيم الصلاح وكيف يكون ﴾

اعلم أن الله عز وجل لا يضم شيئاً في غير موضعه لأنه وزن كل شيء وقدره تقديراً . انظر . أليست تراه أسكن الطيور أشجارها والحيات أوكارها والحوام ترابها والحشرات أوطانها والحيوانات البرية أقطارها والسمك بحارها والطيارات التي صنعها الإنسان خلقت في جوّها . وضع الله كل مخلوق في المكان الذي استعد له هكذا هنا يقول جلّ جلاله . كتبت في كتابي الأول وأتبعته بكتابي الثاني . كتبت في لوحى المحفوظ وأتبعته بكتابي المنزل وقلت لكم لا أعطى القوس إلا باريها ولا أسكن الدار إلا بانيها ولا أعطى شئاً (١) إلا إلى طبقة ولا أعشق كثيراً إلا في عزّه ولا أعطى إلا بمقدار ولا أهب إلا على استعداد . فأنا حكيم والحكمة هي التي بها قامت السموات والأرض . فهل ترون في خلق من تفاوت . وهل رأيتم في عملي عوجاً . انظروا يا عبادي . انظروا . فصلاح كل شيء بحسبه ولا أعطى الشئ إلا لما يصلح له . فالصلاح للملك في الأرض بأربعة شروط وهي (١) أن يكون القادة في الأمة علماء حكماء مفكرين فهم يكونون أشبه بالعقل في الدماغ بالجسم الانساني (٢) وأن يكون للأمة جيش منظم يقوده ضباطه على شريطة أن يخضع لأولئك العقلاء وهذا أشبه بالقوة

(١) هذا مأخوذ من المثل ﴿ وافق شئ طبقة ﴾ لفتى وفتاة توافقا طبعاً فتروجا

الدموية في جسم الانسان التي يقوم بتصرفها القلب في تجويفي الأذنين وتجويفي البطينين والحركات المنظمة بطريق الآلة الماصة الكابسة أي الجاذبة والدافعة

(٣) أن يكون الفلاحون والعمال والصناع قائمين بأعمالهم مطيعين للفر يقين

(٤) أن تنظم هذه الطوائف الثلاثة بحيث تقسم جميع أعمال الدولة عليهم والصناعات التي يحتاج اليها العمران الانساني فلا يذرون علما ولا صناعة إلا قسمها أولئك الرؤساء على الشعب . هذا هو الصلاح الذي ذكره الله هنا للملك في الأرض

﴿ اعتراض على المؤلف وجوابه ﴾

قال لي قائل لما سمع هذا المعنى . أيها الاستاذ . هل الله قال ذلك فوالله انك لتقول المعاني من تلقاء نفسك والله ما في الكتاب شيء من هذا . فقلت له لا تخالف وانظر معي . لم ذكر الله هذه الآية في هذه السيرة ثم لم أخرها الى آخرها . ألم تر انه ذكر الأنبياء وقد قسم أعمال الدولة عليهم فمنهم صاحب الدولة ومنهم صاحب العلم والحكمة ومنهم من يهتد بالاصول الضالة ومنهم من استبان غفته واضحه وقد شرحنا هذا شرحا وافيا ثم قال - إن هذه أمتكم أمة واحدة - فلتجمع جميع هذه الخصال . ثم ذكر أن المسلمين سيقصرون ويأخذ كل فريق بطرف من الدين وذمهم على ذلك ثم حذر وذكر أمور الآخرة وفناء العالم ثم أنبأه بهذه الآية فهي ملخص ما تقدم كله فان ما تقدم نظام في الدنيا وحشر وبعث في الآخرة فكأنه قيل أي الناس أحق بهذا الملك وبذلك المجد فقال مأمناه - وان من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم - فأنا كنا أسكنت السمك في البحر والطير في الجو والأنعام والوحوش في القفر أسكنت الأم المنظمة القوية في أرضي وملكتها ناصية الأم فالتكن حافظة للأوضاع النظامية الثلاثة المقدمة التي ذكرها (أفلاطون) في جمهوريته فاني أملكها ناصية الأرض وتسكون خليفة لي . وهكذا ليكن كل رب بيت فيها قائما بنظام أسرته على الوجه الذي ينبغي وكل فرد من أفراد الأمة حافظا لأخلاقه وآدابه . والقوة العقلية في الفرد والقوة الغضبية والقوة الشهوية فيه كلها على نظام المجموع فليذل المرء القوة الغضبية والشهوية للقوة العقلية فان ذلك هو الذي يجعله كاملا ويحفظ نظام الأسرة بضبطها وتنظيم معاشها . الأمة التي على هذه الشريعة هي التي تملك قياد خلق واستيلائها في الأرض فاذا اختل هذا الصلاح فأنا است بغافل فلا سلطان عليهم من يتولى أمر أرضي فانه لا يرثها إلا الصالحون لعلمائها . هذا هو الكلام على ملك الدنيا

﴿ الصلاح للجنة ﴾

أما صلاح الناس لأرض الجنة فذلك راجع الى لطافة النفس وميلها الى الامور العلوية . فكما كانت المرء قانعا ذا كرامته أوصار فاقواه العقلية والجسدية في خدمة المجموع نظيفا باطنه وظاهره محافظا على الأخلاق الجيلة مساعدا لأهله ولمن يقدر على مساعدته في الأمة كان الى الجنة أقرب . وكما كان أقرب الى التقصير في مواهبه فحبسها ولم ينفع بها على مقدار طاقته أو مؤذيا أو كارها للناس غير نافع للمجموع انحطت درجته بعد الموت فقلت قيمته فبات بعيدا عن السعادة ، هذا نموذج من صلاح الناس للجنة ومن صلاحهم للدنيا . ولما كان هذا الكلام قد جمع نظام الدارين وأصبحت هذه السورة عروس القرآن وقابه ومناره وفيها الأنبياء الذين تجلت العلوم ونظام الدولة في قصصهم وازدانت بنظام الدولة وبخلاف حتى يصل الناس الى ربهم في جنته وبها عرف المسلم كيف احتلت أوروبا أكثر بلاد الاسلام . ولما أزال ملك كثير منا وان اجتياح أهل أوروبا لأهل أمريكا الأصليين وكذلك أهل استراليا وغير ذلك . كل هذا لتقصير أهل البلاد فانحطت مداركهم فأرسل لهم أمما لأنهم لا يصلحون لإدارة بلادهم . وأمة الاسلام لاتصل الى هذا السرك فان هذا كتابها وقد بينا بعض مقاصده وسيقوم في كل قطر منادون بهذه الآراء وينشطون بعد الخمول ويعظمون

بعد الضعة ويصلحون بعد الفساد ويعرفون بعد الجهل ويجمعون بعد الافتراق . هكذا سيكون ان شاء الله فلا يتطرق الى هذه الأمم الفناء والدمار واستباحة الدار ولابد من رجوع مجدهم كما قرّرناه صرّافى هذا التفسير . أقول لما كان الأمر كذلك أعقب الله ماتقدم بقوله (إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين) أى ان مافى هذه السورة من نظام الدول وقيام السولة وحفظ الناس والتسلط على أطف الأشياء كالهواء وعلى أصلها كالحديد وعلى الجمع بين حرب الأعداء والاستغراق فى ذكر الله والشجاعة والاقدام وتسخير العمال فى المباني العظيمة واستخراج مافى البحار من الحلى وغير ذلك . يقول الله إن فى ذلك المنه كور لبلاغا أى كسفاية لقوم جامعين بين العلم والعمل فان العلم شجر والعمل ثمر . هذا معنى الآية وهو ترتيب عجيب لم يذكر الله هذه الآية إلا بعد ما أتمّ الأمر وبين نظام الدول والأعمال ، ثم بين من هم الذين يصلحون لعمارة الأرض . ثم أتبعه بما يفيد أن علوم هذه السورة السياسية والنظامية كفاية لمن جمعوا بين العلم والعمل

فتعجب أيها الذكى والله سائلك عن كتابه وعن أمته وعن أهل بلدتك فاصدع بما تؤمر فى هذا القرآن مع الحكمة وأعرض عن الجاهلين ولتعلم أن الله سينصرك كما نصر الأنبياء المذكورين فلا تنم عن ابلاغ معانى هذا القرآن . لا تغفل والله يحاسبك على علمك كما يحاسبك على قدرتك الجسمية فافى موقن أن الأمة الاسلامية متى ذاعت هذه الآراء فيها وهى مقصود كتابها قامت كلها قومة رجل واحد الى نظام أممها ثم قامت بتربية الأمم والأمم اليوم فى ضلال . فليكن المسامون بعد تدبر أمثال هذا والعمل به قادة العالم الانسانى ولذلك أعقبه سبحانه وتعالى بقوله (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) وهذا المقام يحتاج الى بيان ﴿أمرين * الأول﴾ هل كان رسول الله ﷺ رحمة للعالمين فيما مضى مع انه استلّ السيف وقتل به كثيرا من الناس ﴿الثانى﴾ هل هذا الدين سيكون رحمة فى مستقبل الزمان وكيف ذلك . لقد كنت كتبت مقالة فى هذا الموضوع عنوانها ﴿كيف كانت حال العالم لولم يفتح المسامون﴾ فى مجلة (الموسوعات) صفحة ٢٤٥ وجعلت هذا المقام ﴿أربعة مباحث وخاتمة * المبحث الأول﴾ فى أشهر الدول التى كانت حين ظهر الاسلام ﴿المبحث الثانى﴾ فى ثمرات انتشار الاسلام وفى الدين المسيحى ونحو ذلك ﴿المبحث الثالث﴾ فى نتائج الحروب الصليبية ﴿المبحث الرابع﴾ فى تقدير عدم وجود الأمة الاسلامية ﴿الخاتمة﴾ فى حكمة الله فى ذلك وفوائده وفى تلخيص ماتقدم

فأما المبحث الأول فملخصه أن الدولتين اللتين لم يشتهر غيرهما إذ ذاك هما دولة الفرس بآسيا ودولة الرومان بأوروبا . فدولة الفرس كانت آخذة فى السقوط . ودولة الرومان كانت منقسمة الى شرقية وغربية فالغربية قد أساطبها الأمم المتوحشة بأورو بافدمروها تدميرا وكوّنوا أمما صغيرة باقية الى الآن . وأما الشرقية التى كانت عاصمتها القسطنطينية فكانت مبتدئة فى الضعف وزالت بعد الهجرة بتسع قرون لأن زوال الأمم على مقدار ضخامتها واتساعها يكون بطؤه . فأما المبحث الثانى فقد لخصته فى أن الاسلام امتد الى الجهات الأربع وأن الخلفاء الراشدين وملوك بنى أمية وطردوا الامن فى البلاد التى حكموها وترجم العلماء فى زمن العباسيين كتب الأمم السابقة . وأما الأمم النصرانية فكانت كلها متوحشة إلا دولة الرومان . ثم إن الأمم المجاورة للمسلمين فى الأندلس وهم الأسبانيون والفرنسيون كان لهم نوع شعور بالحاجة الى التعليم . وذكرت فى المبحث الثالث أن قراءة العلوم أغذية للأهم وقراءة الدين أدوية للأمم التى تأخذ بطواهر الدين وقد جهلت أنه يسوقها للعلوم تموت لأنها لا أغذية لها والأمم التى تغذى بالعلم ولا ترعى الدين تمرض مرضا اجتماعيا والمسامون أخذوا بالأميرين والاوروبيون اقتصروا على الدين وأول من تنبه للعلوم فرنسا حين دخل قواد المسلمين أسبانيا ووصلوا فرنسا حتى (نهر الوار) مسيرة ثلاثة أيام من باريس ومن هذا التاريخ تنهت فرنسا بين المتوحشين آباء الاورو بين الحاليين ولذلك لم يكن المسامون يعرفون أوروبا إلا باسم الافرنج أى فرنسا حتى كان شرلكان ملكها يودّ هرون الرشيد . ولما كانت أوروبا متوحشة إذ ذاك كان القسيسون يعبثون بالأعراض والأموال

ويسيطرون على الملوك وما كانت العروس تجلى لزوجها إلا بعد أن تزف الى القسيس أولا وكان الرؤساء يديعون الأرض بمن فيها من الرجال والبهائم . ولما رأى القسيسون أن دين الاسلام قد هدد سيطرتهم ونفوذهم قاموا بحركة عظيمة لحرب المسلمين ليتخلصوا من هذا الدين فسكانت الحروب الصليبية هي التي انتهت بفشل رجال الدين وقيام ساطة الأمم والشعوب والحرية الحاضرة فأصلت الحرب الناس نارا حامية وقد احترق رؤساء المسيحية بنارها إذ فقدوا سلطتهم ورجع القوم بنورها فخملوا الكتب من بلاد الشرق واستناروا وأخذوا يحاربون الترك جهة الشرق وأهل الأندلس جهة الغرب فاقتطفوا بعض ثمار العلوم فبعثت أوروبا من مرقدتها من ذلك الحين حين هاجر اليها علماء الاستانة من الدولة الشرقية ونضجت هذه المدنية في أربعة قرون تقريبا

﴿ الشرقيون ﴾

فأما الشرقيون فان توالى الحروب الصليبية من الغرب وحروب التتر من الشرق أضعف القرائح وأمت العلماء وأضاع الكتب وخرجت أجيال تجهل ماضى . ولكن انحطاط المسلمين الآن أقل من انحطاط أوروبا في قديم الزمان فرجوع مجدها أقرب من رجوع مجدهم . وقلت في المبحث الرابع ﴿ ان الأمة العربية كانت واسطة هي ومن معها من الأمم الاسلامية في نقل العلوم بجميع أنواعها ثم تهذيبها ﴾ وهناك في المقالة نقلت ما كتبه العالم الكبير (سديو) الفرنسى إذ شهد لهم بتوسيع العلوم واختراع كثير من أنواعها وانهم لم يكتفوا بما نقلوه عن اليونان وأن أوروبا نقلت عنهم وذكرت مآثراته في الكتاب المذكور المترجم من الفرنسية الى العربية ترجمة المرحوم أستاذنا على باشا مبارك صفحة (٢٤٠) ولا أطيل بنقل تلك العبارة وانما أوجز لك ملخصا منها وهاهوذا

(١) كذب المؤلف علماء الفرنجة وهو نفسه فرنسى كما عرفت في قولهم ان العرب لافلسفة لهم وأثبت أن جميع مدارس أوروبا في القرون المتوسطة مستمدة من تأليف العرب الفلسفية كترجمة (حنين الطيب) ويحيى وغيرهما

(٢) أثبت المؤلف أن العرب زادوا كثيرا على ما نقلوه عن اليونان وكانوا يعرفون كتب (أفلاطون) و (فيثاغورس) و (أوميروس) و (أيراقليط) و (ديموقريط)

(٣) فضل المؤلف طب العرب واستعملهم للعقاقير عن طب القدماء بما اخترعوه هم

(٤) ذكر المؤلف أن المؤلف (يسيل) أنصف العرب وانهم اشتغلوا بعلم الزلوجيا . وقال أيضا المؤلف ان العلامة (دساسى) نقل فصولا من كتاب (القزوينى) المشهور

(٥) وقال أيضا ان بحث اليونان كان في الأجسام العضوية وهي الحيوان والنبات . ولكن العرب رقبوه الى البحث في القوى الطبيعية والجواهر الأولية

(٦) وأثبت أيضا أن ما ادعاه الفرنج من الكشف في القرن الخامس عشر والسادس عشر من الميلاد كان أكثره قد اخترعه العرب من قبلهم وأثبت ذلك بأدلة كثيرة في صفحة ٢٣٣ وما بعدها

(٧) ذكر المؤلف كيف دخلت العلوم أوروبا بالتدريج من طريق العرب وانها لم تدخل العلوم الرياضية بلاد الانجليز إلا بعد ما ساح سائح انجليزى من سنة ١١٠٠ الى سنة ١١٢٠ فى أسبانيا ومصر وترجم كتب كثيرة وقلت فى الخاتمة ﴿ إن المدنية لولم يكن الاسلام لبقيت منعطة فالرؤساء فى أوروبا يستعبدون الشعب وأمم أوروبا المتمدينة كانت شديدة الوطأة حتى ان ملك (رومه) أمر باحراقها ليتمتع بمشاهدة احتراقها ثم فتك بالتصارى فتكا ذريعا وكانوا ما بين مترفين منعمين وعبيد أذلاء

ومن هذا نفهم كون نبى الأمة سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين إذ الخاتم ما يطبع به على الشئ القابل للطبع ويظهر أثره فيه . وبالنظر فى التاريخ والتأمل بالعقل يرى أن هذه الأمة الاسلامية أثرت فى الأمم الغربية كما

يؤثر الخاتم في الورق ولذلك ظهرت النتائج في أوروبا كما تقدم وجاء في القرآن انه رحمة للعالمين ولم يقل للمؤمنين فقط واعلم انه بهذه العلوم المنتشرة في الشرق والغرب الذي كان سببها الوحيد الأمة الاسلامية بتعليمها وحروبها المنبهة للأفكار صارت الكرة الأرضية كبيت واحد يظهر لكل واحد في أقطار الأرض ما عليها من العلوم والمعارف حتى أصبح كل يأخذ ما يستعمله له نفسه من ضعة ورفعة ودين فتمت حجة الله على خلقه فلم يبق احتياج لرسل يأتون بعده ولم نسمع في التاريخ انه حصل مثل ذلك بعد نبي من الأنبياء فلذلك كان خاتم الأنبياء ثم اعلم أن شريعة عيسى عليه السلام جاءت بالعلم وموسى بالعمل وهذه الشريعة جاءت بالأمميين معا فكان خاتما طبع به عليهما وبقيا في جدال مع أهل الدين الاسلامي ولقد علمت ماضى في هذه السورة من علوم الأنبياء وصناعاتهم الخ

﴿ الحاصل ﴾

﴿ أولا ﴾ ان تقدم أوروبا في الأعصر الأخيرة لحصول اختلاط أهلها بالمسلمين بعد الحروب الصليبية واقتباس الأوروبيين منهم المعارف والفنون

﴿ ثانيا ﴾ انحطاط المسلمين نشأ من طول العهد ففقت القلوب وكثرت الحروب الصليبية والتتارية والحروب الداخلية فانحلت قواهم العقلية وتمسكوا ببقية من الدين ليست هي الدين كله

﴿ ثالثا ﴾ لانسبة بين الشرقيين في حال انحطاطهم والغربيين في إبان جهالتهم إذ لا يخفى رفعة المسلمين لأن عندهم بقايا من الاصول المرعية

﴿ رابعا ﴾ ينتج من ذلك انه لو لم يكن الاسلام لسكانت الأمم الآن في خجود تام لعدم ما يحرك أفكار الأوروبيين والحروب التي لأجل الملك وحده لاتكون عمومية فلانكفي لترقية الأفكار العمومية

﴿ خامسا ﴾ ان آثار المدنية الآن في أمريكا واليابان والاقويانوسية وبعض افريقية وكثير من جهات (آسيا) أكثرها عن الأوروبيين الذين استمدوا من المسلمين إما مباشرة وإما بالنقل من الناقلين فلولم تكن أمة الاسلام لسكانت هذه الأمم كلها الآن في خجود تام وجهالة عامة - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين -

هذا ملخص تلك المقالة المذكورة . ويعجبا كيف كنت أكتبها منذ عشرين سنة وأنا لم أعلم اني يوما سأكتب في تفسير القرآن . فالجد لله الذي وفقني لهذا وما كنت لأعلم منه شيئا ولم يكن ليدور بخلدى أن هذه الآية سأكتب في تفسيرها من قبل . واعلم أن الأنبياء السابقين لم تحصل بعد من أحد منهم حركات عمرانية مثل سيدنا محمد ﷺ . انظر كيف امتد البريد والبرق وأخذ الناس يتكلمون معا من بلاد بعيدة وأخذ العقل يفكر ولله الأمر من قبل ومن بعد وهو العزيز الحكيم

واعلم أن مثل المصلحين في الأرض كمثل الماء وكمثل الهواء وكمثل الحرارة . فالماء مثلا به حياة كل شيء والسكن نراه يغرق فيه جماعة في سفينة فيهم الأطفال الرضع والشيوخ الركع والنساء الضعيفات وهذا محتمل في جانب منفعته . هكذا نبينا ﷺ قتل في الحروب قوما توجب الحكمة قتلهم ومع ذلك بقي أعقابهم جميعا في الاسلام وعم الخير أم المسكونة إما مباشرة وإما بواسطة فهذا لا ينافي انه رحمة للعالمين . انتهى الأمر الأول

﴿ الأمر الثاني هل هذا الدين سيكون رحمة في مستقبل الزمان وكيف ذلك ﴾

أقول . من عجب اني كنت كتبت مقالة في مجلة تسمى ﴿ نور الاسلام ﴾ كانت تصدر بالرفازيق منذ نحو (٢٥) سنة ذكرت فيها حديث مسلم وهو . عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء ﴾

﴿ تفسير الحديث فيما كتبت في الجريدة المذكورة ورؤيا منامية ﴾

اعلم اني كنت نائما في ليلة بيندر الحيزة وأنا إذ ذاك مدرس اللغة العربية في المدرسة هناك . وبينما أنا نائم

ليلا إذا قائل يقول لي في المنام مكررا مايقوله كره بسد كره من العشاء الى طالع الفجر وكان قوله هكذا وبدأ
الاسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا في اتفهم معناه

اعلم أن غريبا صفة لمصدر محذوف أي بدأ غريبا أي لا نظيره له وسيعود كما بدأ غريبا لا نظيره في
نشأته وانتشاره ونفعه الناس . ثم يقول هل فهمت فأقول نعم . ثم أعاد الكرة وصار يعرب ويقول إن
غريبا وصف لمصدر محذوف فهو مفعول مطلق الخ . ثم يقول هل فهمت فأقول نعم ولا زال طول الليل يقول
لي هل فهمت أن الاسلام سيعود غريبا كما بدأ . أن يكون غريبا الأطوار عجيب النشأة والانتشار والاسراع
في اعلاء نظام الانسان والعدل وما أشبه ذلك . وما زال كذلك حتى طلع الفجر . فلما استيقظت صرت أعجب
من نفسي وأقول لعل هذا أضغاث أحلام لأنه كان يقوم بفهم في الاعراب كما أفهم التلاميذ المفعول المطلق
في النحو وهذا أشبه بمثال من تلك الأمثلة . ثم اني مع كثرة تردد في الأحلام لاسيما انك تعلم ما تقدم في
سورة (يوسف) من أن الأحلام يكاد لا يصدق فيها إلا النادر الذي هو كالكبريت الأحمر ومع هذا كله رأيت
في وجداني معاني تختلج وفكرا يختمر ولم أجد سبيلا أحفظه هذه الفكرة خيفة ضياعها إلا أن أنشرها
في مجلة (نور الاسلام) بصفة أن هذا المعنى من عندى فلا روي ولا أحلام . ولما نشرت رد عليها بعض
الناس وانتهى الأمر . ثم ان أحد الفضلاء كتب في جريدة الاهرام هذا المعنى وذلك أثناء طبع هذه السورة
وقال لعل قرأته من قول فلان أو فلان وعد نحو خمسة في عصرنا فحمدت الله عز وجل إذ أصبحت هذه
الفكرة معاومة ثم نشرت بين الناس ليعرفوها . فلما جاء تفسير الآية وأنا سائر في التفسير تبدي لي أن أكتبها
معلنا ذلك لأن الله ألهم بعض الناس فنشرها في الجرائد فلم أجد بدا من ذكرها هنا وتبيان مصدرها ومن
أين أقبلت الى نفسي حتى نشرتها في مجلة (نور الاسلام) منذ أمد بعيد

واعلم أن أمة الاسلام أيام تلك الرؤيا والنشر أضحى منذ نحو (٢٦) سنة لم تكن فيها أمة مستقلة إلا الترك
وكانت قد أشرفت على الموت . أما الآن فان الأفغان استقلت والترك خلقت من جسيديد والفرس كذلك
وهكذا مصر تجاهد للاستقلال ومثلها مراكش وهكذا أهل الهند يجتهدون للخلاص من ذل الاستعمار

هذا هو الذي تم في العالم الاسلامي منذ الرؤيا الى الآن . ولتعلم أيها الذكر أن هذا المقام ليس مقام الرؤى
بل هو مقام الحكمة والعلم والعقل . واعلم أن الله قد حكم أن يجعل الرفع بعد الخفض والحياة بعد الموت
وكل ضد بعده ضده والمسلمون كانوا في ارتفاع ثم ناموا ثم هم الآن قد وصلوا الى أدنى دركات الانحطاط فإذا
بعد المرض إلا الصحة . وهل بعد الموت إلا الحياة . وهل بعد الضعف إلا القوة . إن الله يجعل الضد بعد
ضده . وإذا صحت هذه القاعدة طبعا فلتطبقها على المسلمين ولنقل ان هذا الزمان هو زمان ارتقائهم . انى والله
بشرت بأكثر من هذا في المنام ولكن لاسبيل لذكره الآن فليست أعول إلا على العمل والفكر وهذه الرؤى
لما كان يداخل الانسان الشك في صحتها وانها ربما كانت حديث نفس . كنت لا أعول إلا على الوجدان
ولعل الوجدان انبعث منها أوهى من الوجدان أو هما متلازمان . أقول فأنا الآن أعمل على هذا الأمل
وهذا الأمل ألفيته ملازما لي منذ الصبا ولا فرق في اعتقادي ووجداني بنجاح الأمة الاسلامية بين زمن الشباب
وزمن الشيخوخة بل اني أجد الوجدان الآن في قلبي أشد منه في كل وقت فأنا أكتب وأنا واثق أن الأمم
الاسلامية سيظهر فيها مفكرون وعلماء محققون وقضاة أرقى ممن سبقهم بعد العصر الأول ودول وممالك أهم
وأعم وانهم يكونون شهودا على الأمم يقضون بينهم بالحق ويعدلون بالصدق ويكونون خلفاء الله في الأرض
واذن يكونون رجة للعالمين . إن المسلمين لن يكونوا رجة للعالمين رجة تامة إلا اذا قرؤا كل علم وكل صناعة
وأنقنوا فروع النظم العامة في الكون فإذن يصبحون قادة الشعوب قيادة رجة ممزوجة بالحزم ويكونون هم
أنفسهم جمعية الأمم القاضية بالعدل فالناس كلهم عيال الله وأفضلهم من قام بشأن هذه العيال

﴿ امتياز أمة الاسلام ﴾

ثم ان أمة الاسلام تمتاز بأن العلوم والصناعات اذا قرأتها وعملت بها يكون كل ذلك باعتبار انه أوامر دينية . ففى دخل المساهمين فى هذا الطور وأن كل علم وكل صناعة وكل زراعة وكل تجارة وكل معدن وكل حكومة وهكذا كل ذلك من أعمال الدين وأن سكة الحديد والتلغراف والكهرباء وعمل الآلات الحربية . كل ذلك وغيره عبادات دينية والقائم بها قائم بعبادة شرعية وأن ذلك وان لم يكن كالصلاة فى فضلها فان له فضلا آخر أشبه بفضل الجهاد . فاذا عرف المسلم ذلك ولقنه فى صغره وأن القائم فى كهر بائته والمجرى لتطاره والصانع فى صنعه والزارع فى مزرعته والتاجر فى تجارته . هؤلاء متى كانوا مجتدين صالحين يكونون فى عبادة ورضاء الله ولكن أفضلهم أجمعهم نفعا . اذا عرف ذلك المسلم فان الأمة تكون فى طور لم تتعلم به من قبل ولم تتعلم به أمة فى الأرض ذلك لأن أرباب الأديان الأخرى غالبا لا يسمون هذه الأعمال باعتبار أن الدين يأمر بها كالا بل يقولون انها أعمال دينية . أما فى الاسلام على مقتضى هذا النمط القرآنى فان العلوم كلها عبادات وهكذا الصناعات وأن العلوم الطبيعية هى العلوم التى يوصل الفسكرفيه الله ويقرب العبد من ربه . ذلك هو المثل الأعلى فى الاسلام . وانى أرى أن بشر هذا التفسير وأمثاله من كتب الفضلاء من الأمم الاسلامية سيجمع فى الاسلام أمة لم يحلم الدهر بها . ألا ترى كيف جمعت هذه السورة من قصص الأنبياء ما جمع كل فضائل الدين والعبادة . ألم تر كيف رأيت داود وسليمان إذ يحكمان إذ يحكمان فى الحث أن القضاء أتبع فيه ما هو أصح للمتقاضين وان كان الحكمان اعتبر فيهما المماثلة ولكن الرفق بهما كان فى الثانى أكثر وهو حكم سليمان عليه السلام . فالقضاء أشبه بالطب فقوم يداوون بالماء الحار والاستحمام به . وقوم يداوون بالحرارة الشمسية . وقوم بالطواء . وقوم بتعاطى الدواء . وقوم بالحمية ويكون ذلك كله لمرض واحد . ولكن الطبيب الحاذق من يراعى حالة المريض وأى هذه أوفق له بحيث لا يعود الدواء على المريض بالضرر . هكذا القضاء فيجب أن يكون القاضى مجتهدا أى عالما بالمذاهب الاسلامية والخلاف فيها ثم يحكم بأقربها لحال المتخاصمين ولزمانهم ولا يجمد على قول واحد أو مذهب واحد كما لم يجمد داود على رأى الأول وهونى فكيف بمن ليس بنبي

لعمرى ان الله ما أنزل هذا إلا لتعليمنا كيف نسير فى القضاء ولا أنزل ما بعده إلا ليعلمنا كيف نقوم بعمارة المدن ونفهم العلوم ونصبر ونشدد ونعف عن الحرام الى آخر ما ذكرناه فيما تقدم والله هو الولي الجيد وأما قوله ﷺ ﴿ فطوبى للغرباء ﴾ معناه أن هؤلاء الغرباء الذين بدأ بهم الاسلام غريبا غريبة لم يعهد لها نظير سواء أكان فى بدئه الأول أوفى نشأته الأخرى فى هذه الأيام طوبى لهم فلهم فى الدنيا الرفعة والسؤدد ولهم فى الآخرة النعيم لأنهم رحمة للعالمين . قاموا مقام نبيهم ﷺ ورجوا العالم الانسانى لأن الراجين برحمتهم الرحمن وسيرفون الى نفوسهم ثم الى العالم كله أبكار العلوم والمعارف ويصيحون صيحة أخرى أوسع من الصيحة الأولى يدوى صداها فى الخافقين . هذا آخر المقال فى تفسير قوله - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - ثم قال تعالى (قل انما يوحى الى أنما إلهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون * فان تولوا) أعرضوا عن التوحيد (فقل آذنتكم) أعلمتكم ما أمرت به (على سواء) مستوين أنا وأنتم فى العلم بما أعلمتكم به (وان أدري) أى وما أدري (أقريب أم بعيد ما نوعدون) من غلبة المسلمين عليكم والحشر ومع ذلك فهما كائنان لا محالة (إنه يعلم الجهر من القول) ومنه ما تجهر به من الطعن فى الاسلام (ويعلم ما كنتمون) ومنه احكم وضغائنكم على المسلمين فيجاز بكم عليها (وان أدري لهله فتنة لكم) أى وما أدري لعل تأخير جزائكم استدراج لكم وزيادة فى افتتانكم وامتحانكم لينظر كيف تعملون (ومتاع الى حين) أى تمتعون الى انقضاء آجالكم (قال رب احكم بالحق) وفى قراءة - قل رب - والأولى على حكاية قول الرسول ﷺ أى رب اقض بيننا وبين أهل مكة بالعدل أى بما يظهر العدل للجميع وذلك لا يكون إلا بنصرى عليهم وهذا استعجال للعذاب

فعدّوا يوم بدر (وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون) من الشرك والكفر والكذب والأباطيل والسخرية
إن الله أمره أن يدعو الله بأن يحكم بما يظهر الحق للجميع وأمره أن يتوعد الكفار بقوله - وربنا الرحمن
المستعان - الخ أي نستعين به الخ . تم تفسير سورة الأنبياء اللفظي ليلة السبت ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٢٤
و٢٣ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ وقد سنحت هذه السائحة عند الطبع وشي

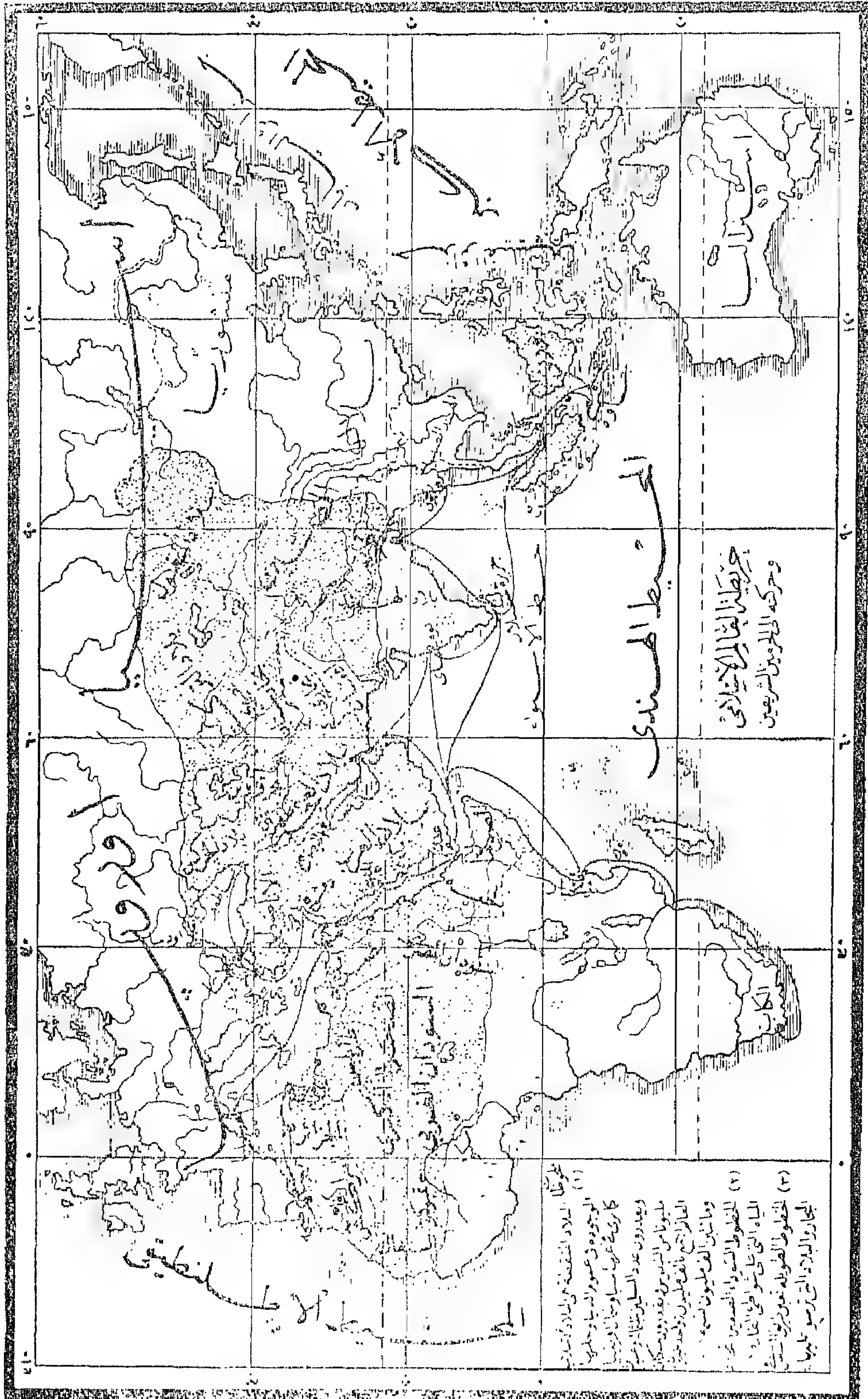
﴿ جوهره في قوله تعالى - ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي

الصالحون * إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين * وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين * قل إنما

يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فهل أتم مسلمون - ﴾

أكتب هذا هذه الليلة السبت (١٢) من شهر مايو سنة ١٩٢٧ قبيل الفجر وأمامي هذه الخريطة التي
رسمها صديقي لبيب بك البتوني في كتابه ﴿ الرحلة الحجازية ﴾ مبينا فيها بلاد الاسلام في وقتنا الحاضر تلك
البلاد المترامية الأطراف فقلت في نفسي هذه بلاد الاسلام . فيا ليت شعري أين مكان هذه الأمة من هذه
الآيات . يقول الله ان الأرض يرثها الصالحون من عباده وهذه الأرض هي التي كان فيها الأنبياء المذكورون
في القرآن في هذه السورة وفي غيرها فهم ابراهيم الذي كان في بابل وهاجر الى الشام وسافر يوما ما الى مكة
وداود بالشام أيضا ومثله سليمان وأما يوسف فقد كان بمصر وموسى وهرون كذلك بمصر والشام وهكذا
زكريا بالشام ومثله يحيى وعيسى والياس واسماعيل بالحجاز وأما يونس فكان في نينوى ولوط بالشام ونوح
بناحية الجزيرة وادريس نبي المصريين القدماء فهو لاء هم الأنبياء وهذه هي بلادهم وما هي إلا بعض هذه
الخريطة التي يملكها المسلمون . إذن المسلمون ورثوا الأرض التي كان فيها الأنبياء المذكورون في هذه
السورة وفي غيرها أي ان الله ذكر كثيرا من الأنبياء في هذه السورة ثم أعقبها بقوله - إن هذه أمتكم
أمة واحدة - ثم قال أخيرا انه لا يرث أرضي إلا عبادي الصالحون ثم نظرنا فلم نجد أحدا ورث أرض هؤلاء
الأنبياء إلا المسلمين الذين تراه في هذه الخريطة . هذا هو الذي أراه الآن أمامي وتراه أنت أيها الذكي
ولكن ننظر نظرة أخرى هل المسلمون الحاليون قاموا باصلاح هذه الأرض وهل هم يستحقون هذا الميراث
حتى يدوموا في هذه الديار التي ورثوها . يقول الله - ولله ميراث السموات والأرض - ويقول في آية
أخرى - ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين - فالمراث لله وهو يعطيه لمن يشاء من
عباده . ومعلوم انه حكيم والحكيم لا يعطى إلا لمن يستحق ويمنع من لا يستحق (انظر الخريطة في الصفحة
التالية شكل ١٤)

(خريطة العالم الاسلامي)



(شكل ١٤)

فلننظر في هذه الخريطة ونعرضها على هذه الآيات نرى الله يقول - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - وأعقبه بذكر أنه إله واحد . فإني ^{صلى الله عليه وسلم} أرسل رحمة وأرسل للتوحيد فأتمته أمة موحدة والتوحيد يكون

تمامه وكما له الاتحاد في الأعمال وفي النظام العام وقد تم هذا فعلا فقد كانت هذه البلاد التي أمامك في الخريطة في بعض العصور الأولى تحت نظام واحد فقد كانت تمتد من مراكش بل من الأندلس وتنتهي إلى بلاد الهند وذلك نحو ثمانين درجة في الطول فتأمل . حقيقة هذه هي الرحمة . أهم مختلفة اللغات والأحوال تجتمع تحت قيادة واحدة وتصلى لقبلة واحدة . هذا هو التوحيد وهذا هو النظام . ولكن انظر ماذا جرى . قام أهل الدين بعضهم على بعض فغلب العباسيون الأمويين على الملك فتمزق الشمل وأخذت الأطراف تنفصل من الأصل وهكذا واستمر ذلك إلى اليوم ثم نسي المسلمون أنهم أمة واحدة وتمزقوا شيئا وذاق بعضهم بأس بعض . فإذا جرى . جاءت الحرب الصليبية أيام صلاح الدين الأيوبي فما كان للمسلمين إذ ذاك جامعة قوية بل كان ملوك المغرب الأقصى غير مباينين بما جرى لآخوانهم في الشام ومصر مع أن اللغة واحدة والدين واحد والقبائل أكثرها عربية ثم ننظر في أمر هذه الأمم في أيامنا هذه . هاأنذا في مصر وجدت فيها ونظرت في أصراً أهم الاسلام . فإذا وجدت . ألفت أبناء مراكش وأبناء الجزائر وأبناء تونس وأبناء طرابلس وأبناء مصر وأبناء الشام وأبناء اليمن وأبناء نجد وأبناء الحجاز وأبناء البحرين وأبناء العراق وأهل السودان المصري . وجدت كل هؤلاء لهم دين واحد ولغة واحدة وبلاد متصلة ولكن وجدتهم لا يعرف بعضهم بعضاً . تقوم الحرب في مراكش أوفى مصر أوفى الجزائر فلا يهتم مسلم عربي بما حلّ بأخيه المسلم العربي من شؤم وذل مع اتحادهم (لغة ودين وأصلاً وتجاورهم دياراً) فهم متحدون في ﴿ أربع خصال ﴾ ولكنهم يجهاون مابه تواصلهم وهم متخاذلون . وإذا كان هذا في أبناء العرب وحدهم فكيف يكون الأمر فيهم مع غيرهم من أمم الفرس والترك وأهل جاوه وسومطره تلك الأمم الاسلامية البعيدة الأقطار . ثم اني نظرت في الأمم كلها فرأيت أمم الصين واليابان والاسبان والفرنسيين وهكذا متحدين أي أن الناطقين بلسان واحد وهم من أصل واحد قد جعلوا لهم مملكة واحدة فمجت كل الحب لأهم الاسلام عموماً ولأهم العرب خصوصاً

وقد جاءت الأخبار يوم الجمعة ١١ مايو سنة ١٩٢٨ بما حصل في بلاد الصين . تلك البلاد المترامية الأطراف البعيدة إذ كفاف التي انقسم أهلها إلى ﴿ فريقين ﴾ فريق أهل الشمال وفريق أهل الجنوب وقد تخاصم الحزبان واقتتل الطرفان لاصلاح البلاد . ولما أراد أهل اليابان التدخل في أمرهم وحاربوا أهل الجنوب وقالوا أننا نحتل أرضاً بين الفريقين لنبطلوا الحرب بينهم . لما قالوا ذلك ماوسع قائد الشمال إلا أن أعلن أنه أبطل الحرب لأنه إنما يحارب لحفظ البلاد وأن تدخل اليابان أوجب على أن أصطلم مع أبناء بلادى . ومعنى هذا أن ذلك القائد يريد فعلاً أن ينضم إلى خصمه لأنه لا يريد أن يدخل العدو أرضهم وهذه مكرمة عظيمة وشرف نفس وهمة عالية ومم استفاد هذا سواء أتم ما يقوله أم لم يتم فنحن لانعلم الغيب . أقول ان القوم استفادوا هذا من العلم . إن العلم هو الذي يجعل الأمم متحدة . أعد نظرك في الخريطة مرة أخرى وانظر بلاد الصين التي أرادت أن تتحد اليوم . ألسنت ترى أن بلادها تمتد نحو ثلاثين درجة أمامك في الخريطة من درجات العرض أي من نحو درجة (٢٠) في العرض الشمالي إلى درجة (٥٠) ثم انظر إلى بلاد الاسلام كرة أخرى كيف اتحدت في العصر الأول وفي بعض الثاني وهي تمتد في درجات الطول نحو سبعين درجة

يا عجباً كل الحب إن الاتحاد وعموم الرحمة الحمديّة ظهر بكما له في القرون الأولى كيف تكون أمة واحدة تشغل سبعين درجة من الأرض . إذن الاسلام جمع أمم في أرض أوسع من أرض الصين أكثر من مرتين أما الآن فإذا جرى تخاذل المسلمون ذلك والله للجهل ذلك الجهل الذي خيم على أقطار الاسلام وأذكرك بما تقدم في هذا التفسير أن أبناء العرب لما طردهم الاسبانيون من الأندلس ورجعوا إلى شمال إفريقيا نبذهم أبناء البربر هناك نبذ النواة وحقروهم أجمعين ولم يقبلوهم إلا بعد أن أخذوا أموالهم وتقدم أن (سديو) الفرنسي قال ﴿ مع انهم أيام موسى بن نصير وطارق بن زياد وكانوا أمة واحدة ﴾ أقول وهذا قوله تعالى

- إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال -
ظهر الحق أيها المسلمون . أنتم قوم لم تتعلموا والذي أضربنا اننا قوم جاهلون نائمون . ظن كثير من
أسلافنا أن المقصود من الخلافة أو الامارة انما هو أن يعيش الأمير أو الخليفة عيشة الترف والنعيم والمُترات تجي
اليه ولم يعلموا أن نفس الترف هو الداعي الى سقوط الأمم والأسرات في الدنل والهلوان

اللهم إني أبرأ اليك من الكتمان . اللهم إني بينت في هذا التفسير داء المسلمين ودواهم في أكثر سور
كتابك . اللهم انك أنت الملهم للمعلم ولقد بعثت في نفسي شوقاً قلبياً وغراماً وولوعاً بالنظر العام في أمم الاسلام
فها أنا ذا أدعوهم الى العلم والحكمة . اللهم إني أخطب بهذا كل ذكي مطلع فاهم ما أقول . اللهم إني
أنذرت وحثرت وأنا نارك هذه الأرض وذاهب اليك وقد تركت هذه الآراء لأذكيا المسلمين فأصبح كل
من اطلع على هذا القول وفهم ما أقول وأيقن به مسؤولاً عن نشره بين المسلمين عموماً بلسانه وبقلمه وبماله
وبأصحابه وبأهل وطنه

أيها المسلمون . ما فرقكم إلا الجهل وهذه البلاد التي ملكتموها شرقاً وغرباً اذا بقيتم على ما أتم عليه
من الجهل أو قال كل امرئ منكم ﴿ يارب نفسي نفسي ﴾ وترك حبيل الأمة على غاربها فاعلموا علماً ليس
بالظن أن الله يسترد منكم ميراثه الذي ورثكم إياه . ألم تعلموا انه هو الذي أدخل فرنسا واسبانيا في مراكش
وفرنسا في الجزائر وتونس وإيطاليا في طرابلس والانجليز في مصر والفرنسيين في الشام وانما أدخلهم في هذه
البلاد الاسلامية ليوقظكم أيها المسلمون الى قراءة التاريخ والعلوم . هنالك تعرفون أن لغتكم ودينكم
وأوطانكم وأصلكم واحد ولست كنتم لم تتعلموا ومن تعلم منكم لم يفكر فسكرت علماً في هذه الأمم ولم ينجح أبناء
العرب أن يروا الصين المتراصة الأطراف قد مالت للانحداد وذلك بالعلم . اللهم إن كل من قرأ هذا التفسير
وهو موقن به مسؤول عن نشر الفسكرة . فليعلن المسلمين في أقطار المعمورة أن يعم التعليم الرجال والنساء
وأن يكون شاملاً لخلاصة التاريخ والجغرافيا وسائر العلوم الرياضية والطبيعية والسياسة العامة وليعلم أهل السنة
والشيعة والزيدية والوهابية وغيرهم أن هذا التنابد والتباعد بين الأمم الاسلامية سببه الحقيقي هو الجهل . الجهل
هو الذي أحاط بالمسلمين والافسكف نسمع ما ينجح في أمم الاسلام إذ يشاع من وقت لآخر أن يقال إن أصحاب
مذهب من المذاهب الاسلامية يكفرون أصحاب المذهب الآخر ويستحلون قتلهم وأخذ مالهم وهذا حصل فعلاً
في أوقات مختلفة جهالة وغروراً بل ان بعض أبناء العرب أنفسهم يكفرون بعضاً آخر لأجل المخالفة في بعض أمور
دينية . واعلم أن اختلاف الأمم العربية في القرون المتأخرة لا يختلف عن اختلافهم أيام جاهليتهم وقد أوضحت
هذا في سورة ﴿ آل عمران ﴾ ايضاحاً تاماً فالجاهلية من العرب كانوا مختلفين وهكذا جاهلية المسلمين اليوم
فهم مختلفون إما لمذهب اتبعوه أو لرأي أحبوه أو لهوى لزموه

أيها المسلمون . أليس فيكم رجل رشيد . أليس فيكم - أولو بقية ينهون عن الفساد - في هذه
الأرض التي ملكتموها . اسمعوا يا أبناء العرب خصوصاً يا أيها المسلمون عموماً . هاهم أولاء الفرنجة
يحيطون بكم من كل جانب وقد ملكوا كثيراً من بلاد أبناء العرب ومن بلاد غيرهم أنذركم صاعقة العذاب
الهلون عذاب الخزي في الحياة الدنيا وأنذر كل ذكي عالم موقن بما أقول انهم ان لم يجمعوا شملهم ويملأوا
شعيرهم ويعلموا على رؤس الأشهاد التعليم العام الذي ذكرته في هذا التفسير كما تعلمت جميع الأمم فان الله يغضب
غضبة لا تقوم للمسلمين الحاليين قائمة بعدها ويملك أرضكم ودينكم لمن يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وليس
هذا الدين خاصاً بكم فقد أخذ ينشره الله الآن في بلاد أمريكا واليابان والصين . فاذا أنتم لم تسمعوا ما ذكرته
لكم وهو الارشاد للتعليم العام فالعذاب واقع ماله من دافع أي عذاب الخزي في الحياة الدنيا بالاختلال ثم
الاحتلال وأشد العذاب يكون واقعاً على أولى العلم والجد الذين يعقلون هذا ولا ينشرونه بين المسلمين

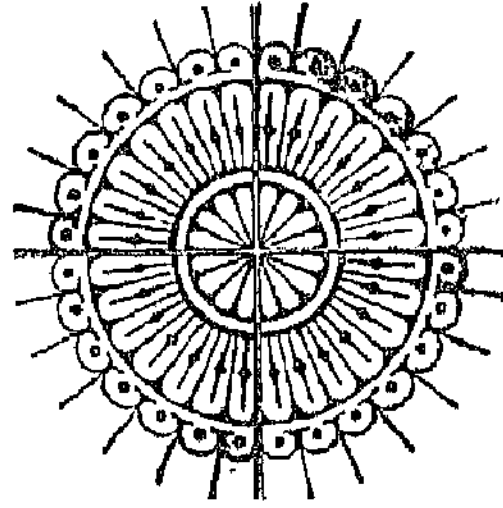
هذا وأختم هذا المقال بأنه لولا اننى قد بشرت من الله بما يفيد قبول دعوتى للمسلمين ولولا أنه هو بعد هذه البشارة وفقنى لكتابة هذا ولولا أنه هو الذى وفق أناسا لطبعه ونشره ولولا أنه هو الذى حبب كثيرا من المسلمين فى قراءته . أقول لولا ان الله هو الذى فعل ذلك كله ما قدرت على شئ من ذلك . أفلمست على حق اذا بشرت دعاة الاصلاح من قراء هذا التفسير بالنجاح والفلاح . بلى . اننى أبشرهم بالسعادة والنجاح والاصلاح والقبول والحمد لله رب العالمين

﴿ تذكرتان * الأولى فى قوله تعالى - حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج - الخ ﴾

أذكرك أيها الذكى بما تقدم فى سورة (الكهف) فهو هناك مستوفى

﴿ الثانية ﴾ فى قوله تعالى - إن فى هذا لبلاغا لقوم عابدين - وبيان أن هذه العبادة هى الواردة فى قول المصلى - إياك نعبد - وهذه الجملة جاءت بعد بيان أن الحمد يختص بالله رب العالمين وهذا الحمد لا يتم إلا بقراءة علوم هذه الدنيا ولا يكاف الله نفسا فى هذه العلوم إلا وسعها . انتهى

(تم بحمد الله وحسن توفيقه الجزء العاشر من كتاب ﴿ الجواهر ﴾ فى تفسير القرآن الكريم
ويليه الجزء الحادى عشر وأوله تفسير سورة الحج)



(الخطأ والصواب)

غلبنا التصحيح ففاننا سقط وأشياء أخرى يدركها القارئ بلاتنبية ه وهذا جدول مما عثرنا عليه من ذلك

صواب	خطأ	سطر	صحيفة	صواب	خطأ	سطر	صحيفة
بأم	يا أم	٢٨	١٢٧	في معلومات	معلومات	١٤	١٥
وتجارة	ونجارة	٢٣	١٤١	الى حصول	حصول الى	١	٢٠
كثمره	كثمره	٢٤	١٤٣	توحيداً	توحيد	٣	٢٣
نفربت	نفويت	١١	١٥٢	صصه	حصه	١	٣١
وفي المثل	وفي الأثر	١	١٧٠	٤٨	٤٢	٣٢	٣١
والكاكو	والكاكا	٣٤	١٧٠	باللغات	للغات	١٧	٣٣
ونجاري	ونجاري	٣١	١٩٥	هم	هم	١٢	٣٧
الجمية	الجمية	٢	١٩٦	حور يس	جور يس	١٣	٤١
الصلاة	الصلات	١٤	١٩٦	الجنة	الجنة	٧	٤٣
الصلاة	الصلات	١٥	١٩٦	اشراقا	شراقا	٢٩	٤٤
الصلاة	الصلات	١٥	١٩٦	وترقيه	وترقية	١٣	٥١
مشاهدة أثر	مشاهدة	٢٥	١٩٧	بعلم	العلم	٨	٦٥
غيبة مشهده	غيبته ومشهده	٢٦	١٩٧	وحضر	وحصر	١٠	٦٥
هذا العلم	هذا العالم	٤	١٩٩	الذي	التي	١٤	٦٩
لم يبينوا	لم يبنوا	١٢	٢٠١	وانتقش فيها	وانتفش فيه	٧	٧٣
القوس	الفوس	٨	٢٠٣	تقلبتهما	تقلبتهما	١٤	٧٥
كونفسيرس	كونفسيرس	٢٠	٢٠٥	تتحرك	تتحرك	٧	٨٢
الخبر	الخبر	٢١	٢٠٥	المالي	المائي	١٢	٨٢
وقبل	وقيل	١	٢٠٦	السندان	السندان	١٨	٨٢
أصلها	أصلها	١٥	٢٢٢	فس	زش	٢١	١٠٥
أرسطاطاليس	سقراط	١٩	٢٢٣	أمة	الأمة	٢٢	١٠٨
تعب المكارم	شرف المتاعب	٢٧	٢٢٣	السناس	الساس	٢٣	١١٦
الكتاب	التفسير	٧	٢٣٠	أرضين	أراضين	٢٧	١٢٤
رقبهم إلا بأقرب	في رقبهم أقرب	٧	٢٣٠				

(تمت)

﴿ فهرست الجزء العاشر من كتاب الجواهر في تفسير القرآن الكريم ﴾

صحيحة

- ٢ ﴿ سورة مريم ﴾ وهى (قسمان * القسم الأول) فى ذكر سبعة أنبياء ﴿ القسم الثانى ﴾ نتائج اجابتهم ذكر آيات القسم الأول مشكلا الى قوله - ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا -
- ٤ التفسير اللفظى لهذا القسم
- ٦ فى هذا المقام ﴿ أربع لطائف * اللطيفة الأولى ﴾ فى قوله تعالى - إذ نادى ربه نداء خفيا - وبيان أن خوى هذه الآية أن الانسان اذا قصد بالدعاء خدمة الناس أجاب الله دعاءه . و بيان جواب الروح المستحضرة لمن سألوها قائلة أن حب العلم وحب الانسانية وصفان يحببان الله والملائكة فيمن اتصف بهما ﴿ اللطيفة الثانية ﴾ فى قوله تعالى - قال آيتك ألا تكلم الناس - و بيان أن هذه الآية تتضمن علما كبيرا ظهر فى زماننا (وملخصه) أن حفظ الآراء بالصمت تحفظ للنفس قوة تؤثر فيمن حولها بالمحبة والاكرام بسبب المغناطيسية المحفوظة فى النفس
- ٧ ﴿ اللطيفة الثالثة ﴾ فى قوله تعالى - والسلام على يوم ولدت ويوم أموت - الخ و بيان أن سلام ذكرى يعلى نفسه له نظير فى الاسلام وهو سلام المسلم على نفسه وعلى نبيه وعلى عباد الله الصالحين . فهو إذن وأهل الايمان فى أمان متى أيقنوا بمعنى ... الحمد لله رب العالمين - وأن التحيات لله لأن ذلك يدل على رحمة تفوق الوصف . إذن لابد من معرفة العلوم ليعقل ذلك
- ٩ فى اللطيفة الرابعة ﴿ فى بيان أن أكبر علماء الطبيعة فى انكثارا أثبت عالم الملائكة وانهم يهتمون بنا تفسير قصص مريم وعيسى عليهما السلام تفسيراً لفظياً
- ١١ أسئلة وردت على المؤلف فيها أمور جلية وأسرار تسر المفكرين مثل ان ظهور الملائكة للناس أمر غير معقول والاجابة عليه بأن أرواح الأشرار ظهرت فى تخضير الأرواح فالملائكة من باب أولى لقوتهم العظيمة وشرح هذا المقام شرحاً وافياً مثل ان الأرواح يراها أكثر الناس وقت النوم والنادر يراها وقت اليقظة على شرط أن يأذن الله لها وهذا الظهور للنفع أو للضرر . وكلما ارتقى الروح استعدت لمناجاة الأرواح و بيان أن الروح قديحجيب باللفظ وقديحجيب بالانتقال الفكرى وظهورها بأجنحة مثلاً يكون رمزاً لطبقتهما والروح فى الحلم كثيراً ما يكون هو نفسه والانسان على الأرض يجهل علاقاته مع الأرواح . و بيان أن سهولة الرؤى فى المرض وفى الليل لضعف ارتباط الروح بالجسد وأن الروح لا يراه الوسيط إلا فى حال قريبة من الانخفاف ويقل بل يندرفى الناس من يرى الأرواح جهرة
- ١٢ والروح ترى بالهيئة البشرية والأنوار المتصاعدة من المقابر معروفة للناس فليست أنوار الأرواح وقد يمكن الروح نادراً أن يظهر بهيئة حيوانية وبيان (الحديث السابع) من كتاب المذهب الروحاني وذكر ما اتفق لشاب فى سن التاسعة عشرة فى جزائر (زيلنده) إذ اتفق مع أصحابه أن يذهبوا صباحاً للصيد فى جزيرة فى البحر فسمع هاتفا يحذرهم من الذهاب معهم فامتل وغرق أصحابه ضحى . هكذا السيدة (كايدلى) وقت الاستحمام سمعت هاتفا حذرها فنجت من الهلاك
- ١٣ القصص فى التعليم أشبه بالكهرباء والعقول فى قبول العلم ﴿ قسمان ﴾ سريع وبطىء كالأجسام فى قبول الكهرباء . القصص كالأحلام صادقة وكاذبة والكاذبة أكثر والصادقة كقصص القرآن
- ١٤ الأذكىاء والبلداء من بنى آدم يحبون القصص وهذا القصص يورث التعجب وكلما كان التعجب أكثر كان الانسان أقرب الى العلم بمقداره وبضدها تتميز الأشياء . فالقصة تقوى الخيال فى الصغر وبهذا يستعد

العقل للعالم في الكبر . و بيان ملخص ماجاء في السور السابقة على (مريم) من ذكر العلوم الطبيعية و بيان أن عجائب السموات والأرض أرقى من هذه القصص لأن علم الله لا ينتهي وأن التأنيذ اذا تعجب من أمر عيسى يقال له فلتعجب إذن من الأشجار فمنها ما يلقحه الهواء كالسنط والغار . ومنها ما يلقحه الحشرات كأشجار الفاكهة وذكر الذبابة التي تدخل الزهرة لتستدفي فتكون سببا في الالقاح ثم تخرج وهكذا ذكر نوم الزهر واستيقاظه مختلفا باختلاف أنواعه مقدرا باستيقاظ الحشرات ونومها . فهذا كله أعجب من أمر عيسى مثلا الذي ذكره الله في القرآن ليفتح للعقول هذا المجال . إذن عجائب الطبيعة تفوق الوصف وما خرق العادات إلا ايقاظا لأمثال هذا

١٧ كيف تقرأ سورة (مريم) و (الكهف) في الزهر . وكيف ذكر الله النخلة رمزا لذلك . و بيان أن امتياز النخل انفصال ذكره عن إناثه مماثل امتياز مريم عن النساء بأنها حملت بلا ذكر وبقية النبات تجد ذكرانه وإناثه في زهره في نبات أوزهرتين فيه وهكذا . وهنا (ثلاث جواهر * الجوهرة الأولى) في قوله تعالى - ذلك عيسى ابن مريم - الخ و بيان أن احتياج الأنثى للذكر عام لأجل النسل ولو بطريق عالم المثال كمرم وأن في عالم الحيوان مملكة عظيمة تقوم الأنثى فيها بالجل والتربية بلا ذكر فلاندرى مثل تمثلت ذكر كمرم أم فيها قوة الاناث وقوة الذكور ، إذن الله يقول للناس ان المألوف عنكم يجب أن لا يحكم عليكم . ألا ترون مريم ونظيرها في المملكة الحيوانية المحار والوديع وأم الخلول . و بيان وصف حيوان المحار وانه ذو (ثلاث رتب) ذو الصدفة وذو الصدفتين وكثير الصدف وجميع أنواعه تقوم الأم فيها مقام الأب والأم معاً كمسألة مريم و بيان نظام هيكل هذا الحيوان و بيان أن دمه عديم اللون وأن له عرقا يوصل الدم الى أعلى وعرقا يوصله الى السكبد وعرقا يوصله الى سائر الجسد واه أمعاء وكبد وقلب له أذنان و بطنان مثل كل حيوان

١٩ وأن الحيوان الواحد منه قد يبيض ألفي ألف بيضة وهذا البيض لا تراه العين ويربى كما يربى بيض السجاج ويمكث أولا في طيات غشاء المحار الذي لا تراه العيون ثم تلفظ الأم عند الفقس جميع صغارها في الماء وهذه الصغار التي لا تميز إلا بالمنظار المعظم تسبح في الماء بشعور دقيقة وتحتمى بأملها من نواب الدهر ومتى كبرت أزال تلك الشعرات ولصقت ببعض الصخور والأحجار . ومن المحار (الوديع) (الجوهرة الثانية) في عجائب العلم الحديث و بيان توليد الحياة بطريق كيميائية . ذلك أن المستر (مازور) يقول انه أخذ مجموعة من بيض (القوقعة) ومنزجها بالكالسيوم فأصبح الجميع بعد أيام قو قوعات طبيعية حية . ويقول إن هذه تثبت نظرية التولد الذاتي وتدحض ما يسمونه مذهب (داروين) . ويقول أيضا انه مزج الغراء المعروف (بالماء المقطر) مع حمض الفنيك وغلى الجميع على النار فلما برد صار خلايا صناعية الخ

٢١ و بيان أن هذا القول ان صح فلم يفعل شيئا أكثر مما قاله علماؤنا أن كل حيوان خلق أولا في خط الاستواء إذ كانت الأحوال ملائمة وقد فات ذلك الآن وهذا الشاب يقول انه ركب تركيبا يناسب تلك الأحوال بعض المناسبة وتبين أن الله كأنه يوجب المسلمين بقصة عيسى التي ظهر سرها على يد المسيحيين فالمسلمون كانوا أولى بذلك من الاستاذ (لوب) الذي بحث حيوانا بحريا نسميه في مصر (ترسا) إذ أخذ بيضه وصب عليه لقاحا ممزوجا بماء البحر ففقس . وهكذا فعل في حيوان يسمى (التوتيا) إذ نحر بغير تلقيح . وهكذا فعل في الضفادع . إذن أثبت أن الحيوان له أم وليس له أب كما تقدم في (المحار) هنا وكما تقدم في أول سورة (الأنفال) من وجود حشرة لا أب لها غالبا

٢١ سرّ الوجود الكهرباء والأرواح . و بيان أن الكهرباء في كل مكان ولا تظهر إلا بالتفاعل . هكذا النفس الكلية المحيطة بالأكوان لا تظهر إلا إذا حصل التفاعل في أجسام فاستعنت لظهورها والكهرباء أنتجت سالبا وموجبا والحيوان جاء ذكرا وأنثى وهكذا النبات . وكما تختلف الكهرباء قوة وضعفا عند ظهورها هكذا تختلف الأرواح . فالمدار إذن على الاستعداد بذلك التفاعل ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ في قوله تعالى . قال إني عبد الله آتاني الكتاب . الخ . بيان أن كل دين نزل من السماء في أرضنا يختلط بأوهام الناس وخرافاتهم على مدى الزمان كدين (زردشت) وديانة المجوس والآشوريين والبابليين وخرى يستأ بالهند وقبله البراهمة وقبلهم (كتاب الفيدا) الخ لذلك أنزل الله هذا الدين . وتبيان ما قاله اللورد (هيدلي) الانجليزى في تأليفه المسمى ﴿ ايقاظ الغرب للإسلام ﴾ في شأن المسيح وصلبه وأن هذا الصلب وروايته منقولة من لوحين بابليين مكتوبين بالخط الآشورى عثر عليهما الألمانىون سنة ١٩٠٣ وسنة ١٩٠٤ في بلاد الآشوريين وفيها أن (ييل) سيق أسيرا وحوكم وضرب وتآلم ومعه شريران ولما صعد على الرابية زلزلت المدينة وأخذوا ملابسه وبكت عليه امرأة ثم رجع الى الحياة في يوم صار عيدا أكبر عند البابليين . وهذه القصة هي قصة المسيح سواء بسواء . وهنا قال اللورد هيدلي ﴿ من أين أتت عظمة المسيحية وقد رأينا روايته موجودة قبل ظهوره بألف سنة ﴾ وهنا خاطب أوروبا قائلا ﴿ هذه حكاية من حكايات ملاجئ الأطفال ولا خلاص لكم بالآلام المسيح بل بعملكم الروحى بأنفسكم كما جاء به الاسلام ﴾

٢٥ بيان أنى أنا (مؤلف التفسير) قد اجتمعت به وذكر لنا تاريخ حياته . و بيان أن هذا هو الزمان الذى ظهر فيه سرّ قوله تعالى . ثم إن علينا بيانه . وقوله . سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم . وأن الاستاذ (ستلانه) الطليانى أبان أن فلاسفة أوروبا لم يصلوا لعشر معشرا ماعرفه (سقراط) و (أفلاطون) فى مقصود الفلسفة الحقيقية وهو معرفة الله والنفس ونحو ذلك وأن نبوغهم إنما هو فى الامور المادية الحيوانية وأن نسبتهم الى أولئك كنسبة البقرة الى الفيل . ولذلك قلت ﴿ يا أمة الاسلام . ديانات الأمم اليوم خرافاتها باقرارهم هم وعلمائهم . فعلينا إذن أن نقرأ كل علم ونعلم الأمم ديننا مزوجا بالعلم فان بعض أسلافنا الشرقيين حاوروا ديننا مخلوطا مشوها وأتوا لهم بنبي لم يصاب ولم يضرب وقالوا لهم قد صلب ﴾ جوهرة فى قوله تعالى . ما كان لله أن يتخذ من ولد . الى قوله . مستقيم .

٢٦ وبيان أن هذه الآية متصلة بآخر سورة (الاسراء) وأول (الكهف) وآخرها وأول سورة (مريم) إذن اتصلت السور الثلاث بهذه المعانى المتحدة . وبيان أن القول هنا هو عين الكلمة فى سورة (النساء) والكلمة إحدى كلمات الله التى فى آخر سورة (الكهف) ولانهاية لها . فما عيسى إلا كلمة واحدة من كلماته . إذن هو كغيره فى كونه كلمة وقد تجلت عظمة الله فى هذا العصر . كيف لا والجوزاء أكبر من شمسنا (٢٥) ألف ألف مرة . وبيان ما ترتب على جهل الانسان قديما وحديثا

٢٧ كلمات الله مطربات منهنشات واسكنها تدرك بالبصر وكلمات الانسان تدرك بالسمع أعنى أن هذه العوالم منظمات مطربات بنظامها للمفكرين وحدهم كما أطرب الصوت الناس أجمعين . ووضح جهل الانسان فى العصور السابقة . بحث عن ربه بنظر لا يزيد عن نظرا الخفاش فظنه المسيح ابن مريم مع ان الأرض ومن عليها من المسيح وغيره كلمة من كلماته التى لانهاية لها وهذا قوله . قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم . الخ . فالأثم قبلنا لم يتعدوا الخلق الى الخالق لأنهم رأوا كلمة من كلمات الله أطربتهم بمميزات وحكم لا بنغمات صوتية شجية فحصرها فيها أفكارهم كما فتن أهل الهند

ببؤذا وأهل بابل وآشور فتنوا بمن يسموه ابن الله وكذلك أهل (المكسيك) . وهنا عجب . تشابهت قلوب الأمم تثلثا ونبوّة وصلبا . هذه جهالة الانسان في (٥٠) ألف سنة أو (٣٠٠) ألف سنة الاسلام أخرج الانسانية من الظلمات الى النور . كسر الاسلام الأصنام كما فعل الخليل . إذن ننظر لكل حجر وشجر وحشرة ونقول ان جاهدال على جبال خالقها ولا نقف عند شئ منها ولو أن الشمس ظلمت معبودة لم يعرف الناس هذه الكواكب العظيمة التي هي أكبر من الشمس بمقدار آلاف آلاف وأيضاً ظهر للناس أن الاعتقاد بأن الله خدعة من خدع العقل كانخداع العين فتري النور الصغير في ظلام الليل كبيراً وهذا القول ينطبق على المفكرين . فأما عامة المسيحيين فلا زالوا على ما كان عليه آبائهم ولو كان عيسى أو غيره ابناً لله لوجب علينا أن لا نتعدي قوله إذن نقرأ كل علم لرقينا . وتري الجهال من المسلمين وقفت عقولهم على بعض شيوخ الصوفية الجاهلين أو على بعض الآراء . وتري الفقيه يرى الفقه كل شئ وهكذا . اقرأ هذا المقام في سورة (آل عمران) عند قوله تعالى - وغرّهم في دينهم ما كانوا يفترون - وبيان أن من وقف على مذهب واحد ولم يرفع رأسه الى أصل الدين ونظام هذا العالم فهو مغرور والمسلم له اخوان في دينه واخوان في وطنه واخوان في نوع الانسان كله وهكذا يجد المسلم انه مرتبط بالحيوان والنبات والعوالم الساكنة في السموات ويدرس الكواكب ليشتاق اليها ويعلم أن هناك رابطة بيننا وبينها . تفصيل لبعض الاجمال

٣٠ الموسيقى في الأصوات وبيان أن الفرنجة جهاؤها من العلوم الطبيعية والمتقدمين جهاؤها من العلوم الرياضية . وبيان تاريخ الموسيقى كأخذه عن الغندليب والهازار والطواء الداخل في المنافذ وطرق الصين والروم ، والآلات (قسيان) ذوات الأوتار كالعود وذوات النفخ كالأرغن ويجمعها الطبل والمزمار

٣١ آلات الصوت في الانسان سبع أولها تجويف الصدر وآخرها الأنف . مجمل السمع الانساني ١١ ديوانا ولكن المجمل الاعتيادي عشرة دواوين من (١٦) موجة في الثانية الى ١٦٣٨٤ فيها وليس للموسيقى إلا السبعة الأولى منها من ٣٢ في الثانية الى ٤٩٦ . خاق الجنين في رحم أمه جار على هذا النوال فيبيته تقسم ٢ - ٤ - ٨ - ١٦ وعلى هذه الطريقة مسألة الشطرنج في حبات القمّح التي اخترعها الحكيم الهندي التي ستأتي في سورة (طه) . بيان أن الكلمة جاءت في الكتب القديمة كما جاء في (ويليام) و(فشنوبورابا) وهكذا نيف وأربعون كتابا وهي ناطقات كالمثلث وبالروح القدس وهكذا قبل المسيح

٣٤ كشف صنم له ثلاثة رؤس بالهند . بوذا مصور بحال الذكورة والانوثة . الأول والثاني والثالث كل واحد مشتق من قبله عند قدماء المصريين . الكلمة لاهوت عندهم وهي ابن الله في زعمهم ومردوخ هو الكلمة وابن الله البكر عند الآشوريين

٣٥ قصة ابراهيم الخليل وتفسيرها

٣٦ (لطيفتان * الأولى) في قوله تعالى - يا أبت إني أخاف أن يمسك - الخ وبيان أن الجوع والشبق والمرض كل هذه خلقت لمنفعتنا في الدنيا فنفتدي ونلد ونتداوى . وهكذا ذووالعقول يأمنون للجهل ويفرحون بالعالم كالم الجائع وسروره . كل هذا عذاب من الرحمن لآمن الجبار . فاعجب كيف تكون هذه المعاني في هذه الجملة

٣٨ ما الطرق التعليمية لرقى الاسلام حتى يستحقوا أن يكونوا - خير أمة - ذلك بدراسة تشوق الى مكارم الأخلاق والى علوم الفلك والطبيعة

٣٩ يقول المؤلف إن هذه الطريقة سيقروها الناس وسيعاملون بها وسيترقون

- ٤٠ قصة موسى عليه السلام وتفسيرها وقصة اسماعيل كذلك وادريس
- ٤١ آثار النبي ادريس وانه قد نسب اليه انه أول من خاط الشياخ والح و هكذا علم الفلك نسب له وتقسيم الدائرة
فارفعت الأمة المصرية واليه الاشارة بقوله تعالى - ورفعهنا مكانا عليا - وأم الاسلام لم يعض لها
زمن طويل
- ٤٢ ذكر الصالحين المضلين بعد الصالحين وتفسير - خلفت من بعدهم خاف - الى آخر القسم الأول
- ٤٣ (القسم الثاني) من السورة من قوله تعالى - تلك الجنة - الى آخر السورة مشكلا
- ٤٤ التفسير اللفظي للقسم الثاني من السورة
- ٤٥ بيان أن بني آدم معذبون في الدنيا و بعضهم يمتد عذابه في البرزخ و بعضهم يمتد الى الأبد
- ٤٦ نصيحة للمسلم أن لا يتشكل على الأحاديث المسهلة للناس فيها أحاديث ضعيفة ومنها ماله عمل خاص
طرق التهذيب إرهاب وترغيب و بيان حديث البخاري ومسلم (اننا نرى ربنا الح) وفيه ان الناس
يجوزون على الصراط
- ٤٧ آثار هذا الحديث في الدنيا وسر من أسرارہ وتطبيقه على أحوال الناس في الدنيا مثل أن تتخطفنا
الهموم المختلفة في الدنيا مثل الكاليل يوم القيامة الح والتوسط في الأخلاق يشبه الصراط على جهنم .
ثم ان عباد الأصنام ونحوها يرونها آلهة يوم القيامة والمسلم يقول ليست آلهتنا . واذا سئح للمسلم المتصوف
خيال فلا يجوز له أن ينخدع به على هذا المنوال و بيان حياة الخارجين من النار
- ٤٨ بيان أن حال آخر أهل النار دخولا تناسب حال الانسان في الدنيا فهو دائما طالب للزيد
تفسير قوله تعالى - واذا تتلى عليهم آياتنا - تفسيراً لفظياً الى آخر السورة
- ٤٩ لطيفة في قوله تعالى - إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين - و بيان أن هذا المقام مشروح في هذا
التفسير في مواضع كثيرة وأن علم الأرواح أظهره (ومثال ذلك) أسئلة وأجوبة كثيرة بين علماء أوروبا
والأرواح تبلغ (٤٥) سؤالاً ومثلها الأجوبة وفيها حكم كثيرة مثل ان الأرواح العالوية تحب الخير ومثل
أن العلم وحده لا يرفع الروح وأن الكبرياء هدم لشرف الإنسانية وأن الأرواح الكاذبة تعاقب وأن
الأرواح الصالحة قد تضل لنقص علمها وأن الأرواح الشريرة تزرع الفساد في الأرض والأرواح العالوية
تهدي الشريرة وقاصر الفهم من الأرواح اذا كان متواضعا ينقاد لمن يفهمه و بيان الاحضار الفكري وأن
الروح قد يمنع من المناجاة عقابا له وشروط الاستحضار والأرواح تسمع طالعها مهما تباعدت والأرواح
تهاب الوسيط الفاضل . ثم ان الطلاس ونحوها لا تؤثر في الأرواح والروح العالوي يحضر مجالس كثيرة
في آن واحد لأنه كالشمس . الأرواح النقية لا تحضر إلا لقلوب نقية وتحضر روح الحى ولا تحضر روح
الجنين وروح الحى قد يضرها الاستحضار مثل المريض والشيخ
- ٥٤ تطبيق هذه الأسئلة على ديننا الاسلامي . و بيان أن بعض ما تقدم يناسب قوله تعالى - واتل عليهم نبأ
الذي آتيناه آياتنا - الح أى قصة بلعام بن باعوراء وهكذا
- ٥٥ جوهرة في قوله تعالى - فاختلف الأحزاب من بينهم - وذكر التثليث الذي كان عند قدماء المصريين
وانهم أب وابن وأم . و بيان أن كنائس النصارى كانت مقسمة في القرن الرابع (قسمين) قوم
يقولون ان المسيح إله وقوم ينكرون ذلك وكيف اختل الامن بسبب ذلك و بيان ما كتبه لهم الملك
(قسطنطين) ثم ما كتبه المؤرخون
- ٥٧ بيان نشاط ألوهية المسيح بعد موت (قسطنس) و بيان الموازنة بين تثليث الهنود وتثليث المسيحيين

- ٥٧ كيف ضلّ الانسان وغوى وما أصل التثليث عند الأمم
- ٥٩ ﴿سورة طه﴾ وفيها (ثلاثة مقاصد * المقصد الأول) مشكل الى قوله - له الأسماء الحسنى - والتفسير اللفظي له وبيان أن فواتح السور مقسمة الى قسمين ١٤ في القرآن و١٤ في أوائل السور وهي كمنازل القمر عددا واختفاء وظهورا وأن هذا العدد هو الذي قدّمه مهندس الجمعية الأمم لاصلاح الشهور في العالم واستحسنه الناس . وبيان أن نفس هذا العدد نام وما معنى التمام . وبيان أن الطاء والهاء في طه رمزان الى المقصود من السورة وهي لاعطاء الهداية في قوله - أعطى كل شئ خلقه ثم هدى - وهذا قد جعلت له المقدمة في أول السورة
- ٦٢ بيان أن النصائح تدخل ضمن القصص كما في - اذا الشمس كورت - فقد دخل فيها تحريم الوأد في جلتين اثنتين من السورة . هكذا هنا دخل الاعطاء والهداية في خلال قصص موسى فحوى ذلك كل علم وكل فن
- ٦٤ بيان أن قوله - الرحمن على العرش استوى - فتح باب لمعرفة وظائف الملوك والأمراء في الأرض فشكل من لم يكن منهم رحمة أخذ الله منه ملكه . فرحة الله بها بقي كل مخلوق . وبيان أن قوله - وما تحت الثرى - فتح باب لعلم الآثار وطبقات الأرض . وبيان أن سدّ الحرم عرفه الأوروبي وجهله المسلم وهو يتلوه في القرآن
- ٦٥ استيقظت قبل الفجر وفهمت من الوجود أن الكوكب الأصغر يكون أهله أجهل والأكبر يكون أهله أعلم وأن الأرواح تقول ان أرواحنا ستنسى هذه الأرض وهي ترتقي في العوالم العلوية
- ٦٦ بيان معنى - تنزيلا من خلق الأرض والسموات العلى - وأن أهل أرضنا المتمتدين منهم والمتوحشين متأخرون في الأخلاق . فانظر الى مملكة اشانتي الواقعة في سواحل بلاد الذهب وكيف يذبح كل أمير بعض عبيده في يوم مخصوص وكيف يشربون المسكر في يوم العيد حتى يقعوا على الأرض وتلعثم الكلاب وبيان عقابهم ودياناتهم وشيوخهم وانهم أقسام منهم من يعيشون في الغابات كبعض البوذية وكيف تدفن المرأة مع زوجها وكيف يذبحون العبيد لخدموا سيدهم الميت بعد الموت وكيف يكون للملك يوم واحد من السنة يقتل فيه كل من ظهر في المدينة فيفرون منها وهكذا وكيف تركهم أهل أوروبا لأجل انهم لا يعيشون في تلك البلاد لأنهم يموت فيها نصف رجالهم كل سنة لعدم ملائمة الجو . وبيان أن هذه صفحة من أخلاق هذا الانسان . إذن السموات هي العلى والأرض ضدها وهو المقصود
- ٦٩ ﴿المقصد الثاني﴾ من السورة والكلام على الفصل الأول والثاني من فصوله الأربعة مشكلا من قوله - وهل أذاك حديث موسى - الى قوله - لا إله إلا هو وسع كل شئ علما - والتفسير اللفظي لذلك كله
- ٧٥ ﴿اللطيفة الأولى﴾ في قوله - وهل أذاك حديث موسى - وبيان فائدة هذا الحديث في عصرنا وأن اشتعال النار في شجرة العليق فتح لك الباب على مصراعيه فاجلس كل يوم ساعة واذكر ربك حاضر القلب فسترى فتوحا عليك به يستنير قلبك كما استنارت شجرة العليق ومن لم يحب ارتقاء الأمة الاسلامية من المسلمين فهو ناقص عن هذه المعالي . وبيان حديث مسلم ﴿لأهلك سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره﴾
- ٧٧ ﴿اللطيفة الثانية﴾ في قوله تعالى - فألقاها فاذا هي حية تسعى - وأن في المادّة من التنوع والمجانب ما هو أعظم من تنوع عصا موسى بقدرة الله تعالى اذن ماجاء على يد موسى أقل مما جاء في فعل الله في عوالمه العجيبة . إذن هو فتح باب لدراسة هذه الكائنات التي أبدعها الله

٧٨ نداء للأذكىاء و بيان أن المسلمين ناموا نوما عميقا وأن من وقفوا على عصا موسى وتركوا هذا الوجود فهم غافلون كأكثر المسلمين اليوم

٧٩ ﴿اللطيفة الثالثة﴾ في قوله تعالى - والسلام على من اتبع الهدى - وهذا السلام ظاهر في سلام المصلى في صلاته على نبيه وعلى عباد الله الصالحين الخ ومعركة العوالم تزيد الانسان أمانا لازدياد علمه بالله تعالى وفي قصة موسى الأمان والسلام له في ﴿عشرة مواطن﴾ مثل إلقاء الحب عليه ورجوعه الى أمه وهكذا ٨٠ ﴿الجوهرة الأولى﴾ - لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى - و بيان أن في أضواء العناصر الأرضية خطوطا سودا حين إيقادها بالنار هدتنا الى أن نعرف بها عناصر الكواكب فهذا من هدى النار وهكذا اهتدينا الى مسألة التربيع في المسافة والجذر في أصل النار والكهرباء والجاذبية والنور وهكذا وأن الحياة في الأرض لا تتم إلا بالحرارة وهي نارية وأن النار في الشجر جعل دليلا على البعث لأن أجسامنا كالشجر والأرواح كالنار وهكذا رواية حى بن يقظان التى ألفها ابن الطفيل فقد أظهر أن الروح لا تكون في الجسم إلا حيث تكون الحرارة مناسبة في القلب ثم ترتفع الى السماء فى الأماكن المناسبة لها . فهذا كله من سر - أو أجد على النار هدى - و بيان أن النور والحرارة والكهرباء والحركات يرجع بعضها الى بعض

٨٣ آية موسى فى العصا وفى اليد وآية نبينا ﷺ إذ رفع الى سدره المتهى كلاهما كبرى وهاتان تفتحان لنا باب العلوم ولا ينتفع الناس بالآيات إلا اذا أثرت فى عقولهم . أما الغافلون عن ذلك فلا نفع لهم من الآيات . فهذه السموات وهذه الأرضون جميعها حاضرة ولكننا لا ننتفع بها إلا بالبحث . فالله أرانا الآيات العلمية فى العلوم المنقولة عن الأمم ثم سلط علينا المدافع ليقول لنا ان لم تقرأوا العلوم أهلكتكم على يد عبادى . و بيان أن الفحم تستخرج منه مئات الألوان والانسان لا يتأثر إلا بأمر غريب واما بالتبحر فى العلم والثانى هو المطلوب . و بيان أن الألمان يستخرجون من غاباتهم ربّ الورق ومادة صنع الحرير فنه الورق ومنه الحرير فهذا عجب ومن الصخر ينبت الحرير الصخرى المعروف والكلام على شجرة القشدة

٨٦ التفسير اللفظى لقوله - إنا قد أوحى اليها - الى قوله - وذلك جزاء من تزكى -

٨٨ ﴿اللطيفة الأولى﴾ فى قوله تعالى - قال ربنا الذى أعطى كل شئ خلقه - الخ و بيان أن هذه الآية أشبه بيت القصيد من قصة موسى واتصال هذه السورة بالسور المتقدمة من الحجر اليها وأن المواليذ الثلاثة رتب فى كل منها بترتيب خاص لحكمة وسورة الاسراء والصافات الخمس والمحاورات مع موسى لما بين الأمتين من علاقات العلم وقصص القرآن كالجمال الطبيعى وقصص (كائلة ودمنة) كالحلى المصنوعة بأيدي الناس والجمال بقسميه أنتج البنين والبنات فى الزواج . هكذا فى الجمال الحقيقى فى قصص القرآن من العصا والحية والجمال الصناعى بالروايات التى ألفها الناس أنتجا العلم الجم والحكمة . وكما ان الشاب والشابة فى أول الحياة يقتربان للشهوة ثم ينهى الأمر بالذرية هكذا هنا نسمع قصص القرآن ثم يتدرج فيه الى العليق الذى اتقدت فيه نار ثم ينتهى الأمر بالحقائق العلمية التى هى المقصود بالذات وهى النور وسرّ النار

٩٠ ﴿اللطيفة الثانية﴾ فى قوله تعالى - قال فما بال القرون الأولى - الخ و بيان أن فرعون أراد المغالطة بمعرفة تاريخ الأمم السابقة فقال موسى لا تسألنى هذا السؤال فعندى ﴿حجتان﴾ إحداهما ﴿العصا واليد﴾ والثانية ﴿مصنوعات الله تعالى وهى أرقى من معجزتى فهل تريد يا فرعون أن تخرجنى من علم

الطبيعة الحقيقي الى علم التاريخ . كلا . موازنة ايمان سحرة فرعون بكفر بنى اسرائيل إذ عبدوا الجبل ذلك أن بنى اسرائيل جهال فلم يدركوا قوة موسى القدسية ولما شاهدوا عجلا جسدا له خوار فضأوه على العصا والسحرة علماء فآمنوا . إذن المدار على العلم في الايمان لاعلى ظواهر المعجزات . مصداق هذا المقام من كلام (سبنسر) انه فضل نظام الطبيعة على نظام اللغات وهو العلم الأدبي واللغات تقوى الذاكرة ولكن العلوم الطبيعية أشد تقوية والطبيعية فيها تقدمنا في الحياة وتمرينا معا ودم المناقشات التافهة في القصائد اليونانية والدسائس التاريخية وحض على دراسة الطبيعة ومثل ذلك ضياع وقت المسلمين في الخلاف بين سيديويه والكسائي ونحو ذلك . ونرى كثيرا من الممتازين يفخرون بعلم أدب اللغة وهم عن العلوم الطبيعية ونحوها مهزون . كل ذلك داخل في محاوره فرعون مع موسى في مسألة القرون الأولى والكلام على عجائب الأرض . بحث مؤلف التفسير القراء أن يخطبوا بهذه المعاني في بلاد الاسلام ويدينوا أن شعر الطبيعة أجمل من شعر الشعراء بالوحى وبالعلم معا . ويقول (سبنسر) ان عدد نجوم السماء وأنواع النبات والحيوان وصور الطبيعة أفضل للذاكرة من حيث الكثرة ومن حيث اتصال بعضها ببعض ومن حيث قوة الحكم وتهذيب الأخلاق والاستقلال في الرأي والاخلاص في الطلب لحسن الجمال . كل ذلك يؤخذ من الآية المذكورة

٩٣ بهجة العلوم الطبيعية . نظم في جبال العلوم الطبيعية (فوق مائة بيت) أولها
* قرأت كتاب الله في كل سورة * الخ فيه الكلام على الكواكب وأعدادها بالعين المجردة وبالآلات واسم المجرة عند العامة والعلماء وأشكال النجوم وعجائب الأرض . وذكر المعادن السبعة والأحجار الثمينة وأنواع النبات مع اتصاله بسلسلة الحيوان وعجائب الماء في الجبال وأنه يبرد في باطنها فيكسر الحجر بعظم حجمه فتكون العيون . ونظام السحاب وأنه مع الماء والشمس كالقدر والنار الخ وعجائب المعادن . وبيان أن أجل الملابس من دودة وألذ الطعم من حشرة وهو العسل وأحسن الحلى ما كان من صدفة وهو الجواهر . وبيان أن نحو الشب والزاج والملح والكبريت يتولد في أقل من سنة والدّر والمرجان في سنة أو أكثر على رأى القدماء والتحقيق عند المحدثين أن ذلك في سنين لافى سنة كما في مقام آخر . وهنا ذكر النبات المعدنى والمعدن النبات وأن النبات مع المعادن سلسلة واحدة بيان أن القصص في الديانات كالأشجار وأزهارها العلوم وقصة موسى زهرتها - قال ربنا - الخ وفي هذا المقام قصة (صصة بن داهر) الحكيم الهندي وأن الحبات الموزعة على بيوت الشطرنج في تكاثرها بالمضاعفة كهيئة انقسام بيضة الجنين في الرحم فهي (١-٢-٤-٨-١٦) وهكذا وترى هذا حاصلًا في انقسام كل جنين . والعجب أن بيضة المرأة دقيقة جدًا وبيضة الدجاجة كبيرة وكان القياس العكس . ذلك لأن بيضة المرأة يتغذى جنينها من دمها فلم تحتاج لغذاء من الخارج وجنين الدجاجة يحتاج لغذاء يتغذى منه فلذلك جعل الغذاء معه وبيض السمكات ينزل قرب الشاطئ فيلقحه الذكر ويفقس ولا علم للأبوين بالولد والبيضة فيها الجنين وغذاؤه الى عدة أيام . وهكذا ترى دود القز ودود الفراش يتقاربان فدود القز ينسج على نفسه نسجًا ينام فيه أياما ودود الفراش نسجه قليل ولكنه ينام فيه . فهنا بيضة يغذى جنينها بدم أمه وجنين الأخرى يتغذى من نفس البيضة وجنين آخر هو الذي يغزل وينسج على نفسه وهذا الاختلاف عجيب مدهش أشد الدهش . وهنا ثمان صور تبين انقسام جنين المرأة وجنين السمكة والضفدعة

١٠٣ لمن خلقت هذه العجائب . ونقل كلام طيبارس الحكيم أن البصر خلق ليعرف الناس الشمس والقمر

- والكواكب الخ . إذن المقصود من هذه العجائب هم المفكرون لا غير
- ١٠٣ الموازنة بين جنين المرأة والسجاجة من وجه و بين جنين السمك والضفدع من جهة أخرى ثم بين جنين السجاجة والمرأة الخ والكلام في مسارعة الحيوانات المنوية المفرزة من الرجل الى اقتحام بيضة الأنثى وسبق واحد منها اليها وأن أشرف نوع الانسان هم الأقولون وفي عملية انقسام الجنين في الرحم وحساب مسألة الشطرنج بخلافه وأن الحب الذي حسب ابيوت الشطرنج يحتاج الى زرع الأرض كلها ٢٨ سنة قعها بما فيها البحار وغيرها . فأما اذا راعينا الصالحة للقمح وحدها ففحتاج الى مئات السنين وهذا يدخل في قوله تعالى - والشفع والوتر - . ﴿ حكاية ومسامرة ﴾ ذلك أن الشعبي سأله ملك الروم عن طعام أهل الجنة وعن الجنين في بطن أمه وهل يبول أو يتغوط وعن أن الله ليس له أول ، فهل لهذا نظير الخ والأجوبة الجيلة عليه ومحاوره سياسية عجيبة
- ١٠٧ الوحدة العامة في التناسل . و بيان رأى طيماوس الحكيم في هذه الدنيا وقوله ﴿ إن الله لا يحويه زمان وأن العالم من العقل والمادة وشئ مشترك بينهما ﴾
- ١٠٨ الفصل الثامن في أن مرتبة علماء الطب والتشريح والنبات في هذا المقام كمرتبة علماء النحو والصرف بالنسبة لعلماء البلاغة
- ١٠٩ الفصل التاسع في أن الأقوى الأكل وان كان قليلا أشرف من الأكثر اذا كان ضعيفا
- الفصل العاشر في أن الحشرات الذرية المهلكة للناس ملأت السهل والجبل . بيان أن جسم الانسان مثل جهنم وله أبواب كأبوابها وأن طيماوس يعتقد أن الله خلق أرواحنا كأرواح الكواكب وانها متماثلة ولكن عند افتراقها في الأجسام ستحصل لها أحوال أخرى تغير أعمالها من حسن وقبيح والكلام على مبدأ الخير والشر عند الفرس وهل لها إلهان أم هما عمل إله واحد كما في الاسلام الخ
- ١١٣ نمو الحشرات . وهنا رسم حشرة أبي دقيق التي تقدم الكلام عليها وحشرة دود القز
- ١١٤ و بيان طول خيط دود القز بالأمتار والنظم الذي أوله * وبيضة تحضن الخ *
- ١١٥ ﴿ الجوهرة الثالثة ﴾ في صناعات الحيوان وحكوماته كالجرذان تعيش في الكهوف والمها في الأدواح والنمل لها بيوت (والجندبادستر) يبنى بيوته مهندسة والسنجاب يتخذ المركب والقلاع وهكذا الدب يركب قطع الثلج (والديمورا) تركب السمك في البحر والثعلب ونحوه يصطاد والعنكبوت ينسج وبعض السمك له منشار وللسرطان درع والخنزير يشق الأرض والهررة تتوقى الروائح الكريهة الخ كالحذر في الغراب والخيلاء في النمر وصنع الزناير للورق ودود القز يغزل . وهكذا النمل مهندس له بيت منظم فيه ثمان حجرات مرسومة في صفحة (١١٩) فالملكة حجرة وللذرية حجرة وللجيوش حجرة وهكذا الى ١١ حجرة وهكذا الى تمام (٤٠) حقة للحيوان تعلمها الانسان كلها وزاد عليها
- ١٢٠ (الطيور النافعة للزراعة) منها ما كتب في سورة (يوسف) وزاد عليها كثير هنا في سورة (طه) مسامرة في حديث السحرة مع فرعون إذ قالوا - إنه من يأت ربه مجرما - الخ و بيان حال أيام الشباب واني أغشى على وأنا في الحقل فأنكرت الروح والحياة بعد الموت قياسا على غيبوتي ثم رأيت قائلا يقول لي هذه هي الروح في الجوّ ثم رأيت كلام ابن مسكويه في كتابه ثم درست علم الأرواح وأن سكان جميع الكواكب يجتمعون ويصنعون موسيقى ثم هم يرتقون الى الله
- الانتقال من عملي في الحقل الذي يعقبه نشاط فكري عجيب الى ما عرف حديثا عن شبان الممالك المتحدة في الجامعات يعملون أيام العطلة في الحقول فيرجعون أذكي وأعلم وأصح من الباقين . فقوله في الآية

— الدرجات العلى * جنات عدن — الخ يناسب المسألة الأولى . وقوله — ومن يأتته مؤمنا قد عمل الصالحات — يناسب الثانية وكيف نعمل الصالحات بأجسام سقيمة . وبيان أعلى الرياضة وأوسطها وأدناها كالفلاحة والمشى والتمرينات العضلية

١٢٥ الفاتحة والشهد والقنوت في الصبح ترجع الى حب الله والعلم وسعادة الناس وتوابعهم

١٢٦ الخيرة والشك وحوادث الدهر موقظات للحكمة والرقى في أعمال الحياة

١٢٧ مسألة التثليث . ضرب الأمثال العلاماء للناس فقالوا الله كالآب والمادة كالأم والملائكة كالابن الذي بين الآب والأم . استنبجوا من المادة ومن القوة إليها خلقتهما ولم تهادى الزمان ثلثوا

١٢٨ لطيفة في قوله تعالى — قل فن ربكما ياموسى — الخ وبيان أن سؤالي فرعون عن القرون الأولى معناه اذا كان الله رحيمًا فأين رحته في إهلاك الأمم فأجاب موسى في هذا المقام بالتسليم الى علم الله اجالا وبيان العجائب الأرضية تفصيلا وانهم سيبعثون بعد الموت فالموت انتقال لا غير فهم خرجوا من رحمة الى رحمة

١٢٩ (الفصل الرابع) في قوله تعالى — ولقد أوحينا الى موسى — وتفسيره اللفظي

١٣١ كيف تكون مدارس التعليم الدينية في مستقبل الزمان من اشارة هذه الآيات . العلوم العقلية

١٣٢ الحجر في الجبل نبع منه الماء المذكور في سورة (البقرة) لمناسبة أن موسى ضرب الحجر بعصاه فانفجر

الماء منه . أما هنا فالعصا انقابت حية وشجرة الخ فناسب ذكر العلوم الطبيعية في هذه الآية لتقلبها وهذا عجيب وتأتي هذا المقام (١) خوارق العادات لا تفيد اليقين (٢) التحلل والعلوم هي المعطية اليقين

١٣٣ المناهج العلمية المستقبلية في أمة الاسلام في لتعليم الدينى وبيان بعض كتب المؤلف في هذه العلوم

١٣٤ بيان أن المسلمين قد سحرت عقولهم فانزل السحر بعصا المعرفة كما أنزل موسى السحر بعصاه والمعرفة

تشمل الرياضيات والطبيعات الخ . وبيان أن هذا لازلة الجهل وهذا واجب

١٤٠ المقصد الثالث في من قوله تعالى — كذلك نقص عليك — الى آخر السورة قد كتب مشكلا ثم تفسيره

اللفظي به . شهر ترنش الانجليزى مترجما بالعربية في معنى أن الفقراء يذوقون السعادة أكثر من

الأغنياء وشعر (وليم وتون) في وصف السعداء بأنهم ذوو كمال وقناعة ووقار الخ وبيان أن هذا معنى

قوله تعالى — ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا —

١٤١ بيان أن حياة الأفراد مقيسة على حياة الأمم كما قاله (أفلاطون) ومن هذا القياس تفرعت الأخلاق

وأصولها الأربعة من العفة والشجاعة والحكمة والعدل

١٤٢ فصل في الكلام على سعادة الانسان في الدنيا وكيف لا يعيش معيشة ضنكا وذلك بالصبر والصلاة وأن

لا يمتد عينه الى مال غيره وأن يأمر أهله بالصلاة

١٤٥ بيان الأحكام التي تشمل عليها الشرائع ومنها القرآن وانها ستة * الاعتقادات . العبادات . الشهيات

المعاملات . الزاجرات . الآداب الخلقية * وتفصيل ذلك

١٤٦ (اللطيفة الثانية) في قوله تعالى — وقل رب زدنى علما — وبيان أن العالم كله ساجد لله طوعا أو كرها

وأن الصناع في كل أمة يتعدى أثرهم للأمم كلها أو بعضها قصدوا أولم يقصدوا ولكن الأنبياء من طبقة

أعلى فهم كالشموس ويربدون الخير للجميع ونبينا ﷺ قال رب زدنى علما كما نقول الشمس رب زدنى نورا . إذن ظهر الأمر واتضح أن هذه الجملة إذ نزلت عليه ﷺ ارتجت الأرض وحارب الشرق

الغرب والغرب الشرق وكانت الحروب الصليبية وقامت الحرب على ساق فتعارف الناس وانتشر العلم في

الدنيا كلها ولم يحصل ذلك قبل هذه العصور وانتشار العلم في العالم أفاد المسلمين الآن . فتعليم أهل الشرق

والغرب تعليم لنا وهذا من دعوته ﷺ ودعوة المسلمين معه في هذه الآية . والعالم الانساني مضى له
٣٠٠ ألف سنة على ما يقال ولم يزل هذا الرقي العلمي إلا بعد رسالة نبينا ﷺ إذن هو راحة للعالمين لا غيره

١٤٧ بيان أن النفط الاسود وجد في أمريكا ونفع في مادة الكاوتشوك وألمانيا تجدد في كاوتشوك صناعي

١٤٨ بيان ما كشف حديثا من ظهور مادة الحياة المتحركة في النبات في جزائر (هاواي) ورسمها (شكل

١٠) الذي فيه الجراثيم الحية . والكلام على السفر الى القمر وأن هذا معناه انهم الآن يبحثون في

الجو القريب من الأرض وأن مراكب هوائية ارتفعت الى الجو وسرعتها (٤٠٠) كيلومتر في الساعة

ومتى أيقنوا في هذا الصيف (سنة ١٩٢٨) بأن الجو العالي فوق الأرض وما بعده صالح للسير فيه فكروا

إذن في السفر الى القمر

١٥٠ بيان أن آية - وقل رب زدني علما - ميزان الأمم ارتقاء وانحطاطا . وبيان قول العلامة ابن خلدون

أن علامات الرقي السياسي في الأمم حب العلماء والعباد واحترام العلم والاتصاف بالكرم والعفة والعفو

وهكذا . ومتى نزعته هذه الصفات نزعته السياسة أيضا والميزان الأكبر احترام العلم والعلماء فإذا ظهر في

قوم لحقته سائر صفات الكمال في السياسة ومتى نزع من قوم لحقته بقية صفات الكمال فزال الملك

١٥١ بيان الأدوار الأربعة في الدولة العباسية من سنة ١٣٢ الى سنة ٩٥٦ هجرية واكرام الرشيد للعلماء

ومن بعده الى الواثق . وبيان محادثته مع العلماء في أمر الصحة واختلاف البلدان والبحار والجبال

وهكذا . ولما جاء المتوكل قتل ابن السكيت وأهان العلماء والأطباء فقتل هو ثم انتقل العلم الى المماليك

المنقرعة مثل المروانية بالأندلس والسامانية وراء النهر والزيارية في جرجان والجدانية بين النهرين

والبويهية في العراق وفارس والغزنوية في أفغانستان والهند والفاطمية بمصر وهؤلاء كانت لهم مع العلماء

محالس وهم يكرمونهم ويأمرونهم بالتأليف مثل ما ألف أبو علي الفارسي لعهد الدولة وأبو اسحق الصابي

كتبها علمية وفي الدولة السامانية منصور بن نوح الذي استوزر العالم الفارسي ثم ابنه نوح الذي اقترح

نظم (الشاهنامه) وفي الدولة الزيادية شمس المعالي قابوس وكان هو نفسه عالما وشاعرا وفي الدولة الغزنوية

بأفغانستان والهند السلطان محمود أمر الفردوسي بتمام الشاهنامه . والكلام على ما أمر به مأمون

ابن مأمون أن يرسل له العلماء الذين في مجلسه كابن سينا والبيروني وأبي سهل وهكذا فقبل بعضهم

وامتنع البعض . وبيان حب الدولة الجدانية للعلم وكذا المروانية بالأندلس والدولة الفاطمية بمصر .

وبيان ما أمر به أحمد بن طولون عالما قبطيا وهو أعلم أهل زمانه وقد تسلم في النصرانية واليهودية

وأتى بأمر عجيبة في علم الجغرافيا وبناء الهرم ولغة قدماء المصريين وهكذا

١٥٦ ذكر انحطاط التعاليم في بلاد الاسلام إذ أحرقوا الكتب في بغداد فالتجأ العلم الى أوروبا فعذبوهم

هناك وقتلوا أتباعه ثم انتصر لهم دليهم ونبع في بلادهم بعد أن أخش ديوان التفتيش في قتل الملايين

من الناس ثم رجوع العلم اليينا ثانيا مرتقيا

١٥٨ كيف يتعاون ملوك أوروبا الآن على العلم وأن ملكة روسيا ساعدت مؤلف دائرة المعارف الفرنسية في

بلادها وبيان أن (باستور) العالم الفرنسي قد أُنقذ بعلمه في الكيمياء فرنسا من الخراب فنفعها بحقن

البقر والغنم وهكذا وحفظها مالا بمقدار ما أعطته لألمانيا في الحرب ونفع الأمم كلها بذلك ومدحه

(هكسلي) ومجمع انكلترا الملوك وكافأته فرنسا . فانظر كيف تعاونت أوروبا على نصر عالم في وقت تعاون

الترك والفرس ومصر في مطاردة الشيخ جمال الدين الأفغاني . وبيان مراتب العلماء . لا يجوز أن

نأخذ مع علم أوروبا شرورها والا كان الضرر فقد أحدث تدخل الأوروبيين في مصر شررا كثيرا أثر في على

العلم الأوروبي . محادثنى مع ناظر مدرسة مصرى . النظام القديم والجديد . و بيان مايقوله الفرنجة عن المفسد في مصر التي يتصف بها الشبان والشابات

١٦١ مذكرة الاصلاح بالأزهر الشريف والمقصد منها الرجوع الى روح الاسلام وبهيجته بقراءة العلوم الطبيعية والرياضية وغيرها . ويراد به جعل الأزهر (قسمين) قسم كالمعتاد سابقا وقسم يدرس الطالب فيه (١٥) سنة في درجات التعليم الثلاث ويكون منهم رجال القضاء وغيرهم وهذا التقرير خطوة أولى في المقصود من هذا التفسير

١٦٣ العلم علمان علم ضائع وعلم نافع . فالضائع هو ما تراه في كتب كثيرة من علم الاوافق ومن حساب الجمل كجمل (محمد) ١٣٢ باعتبار الميم حرفين وهذا عدد حروف الفاتحة اللفظية فيظن الناس أن هذا سرّ وما هو بسرّ بل هو أمر اتفقي وهكذا الاوافق كالمثلث الموضح في صفحته (١٩٤) وكجمل (طه) مناسبة لحواء في الجبل وبضرب (٩ في ٥) يكون جبل آدم وأن أحد المدينين ضلع أصغر والآخر ضلع أكبر وأن (٥) عدد كروى . فهذا العلم بعد فهمه لا يقيّد الأمم الاسلامية وليس سرا من أسرارها . أما العلم النافع فهو الذي به نستخرج من الأرض كنوزها وبه نتفكر في الدنيا والآخرة كما قال الله - لعلكم تتفكرون في الدنيا والآخرة - مثل ما ترى في بلاد العراق عند (كر كوك) بلدة شرقي بغداد مكانا يقال له (بابا قرقر) تخرج منه نار متقدة فهذه منفعتها المحب

١٦٧ رسم (بابا قرقر) شكل ١١ ورسم بحيرة من النفط شكل ١٢ في نفس الصفحة

١٦٨ رسم آبار النفط (شكل ١٣)

١٦٨ (الطيفة الثالثة) في قوله تعالى - ولقد عهدنا الى آدم من قبل - إن هذه الآيات قص الله علينا خبر آدم فيها ليفطننا الى حال أنفسنا . فإذا قال ان آدم عصي وغوى وأخذ يذم من أسرف وهكذا قبل ذلك ذكر أكل آدم من الشجرة فافتضح أمره وترتب على ذلك العصيان فانما يريد بذلك أن يذكرنا بأن لانسرف في الأكل والامرضنا وهكذا . و بيان أن كتاب (غاندى) العالم الهندي أبان أن نوع الانسان جاهل أكثر مما خبأه له الغشاشون بأفعو السجائر من وضع المواد المخدرة في الدخان وذم الخمر والدخان والشاي والقهوة والكسكاو وذم أكل اللحم والخضراوات ومدح الفواكه وجعل الحبوب بعدها وأمر بترك الملح والعدس والسكر وأطنب في مدح المضغ وأن طيبا عظيما يقول (يكنى الانسان (٤) أوقيات اذا مضغ طعامه جيدا) وجعل الرياضة في الخلاء من مقومات الحياة وأمر بتقليل الملابس وبقلة الشهوة الزوجية لأنها مضعفة للعقل والجسم وقال ان ٩٩ في المائة يموتون بالهواء الفاسد

١٧٦ زيارتى لمتحف فؤاد الصحى ومعرفة ما فيه من صورة أعضاء الجسم مجسمة و بيان وزن جسم الانسان والجهاز العصبي والانسان قبل التاريخ ومعرفة ضرر المخدرات في النصائح المكتوبة وهى نصائح غالية تبين كل ضرر في المنزل أو في الشارع أو غيرها ونصائح للرجال والشبان والسيدات ومعرفة التمرين الجسمي ظهور آثار ذلك كله في كلام ابن خلدون مثل قوله (إن البربر المنغمسين في الادم والخطئة أقرب للجهل والغباوة وترك العبادة من المتقشفين في عيشهم المقصرين على الشعر والذرة

١٨١ فصل في ايضاح ما تقدم . تجر بى لمسألتين من المسائل الطبية لغاندى فلقد نمت بعد الاستحمام الذى وصفه للأرق . ولقد شفيت من مرض (الزحير) بالجوع مع شرب عصير الليمون مع الماء الحار

١٨٢ (الطيفة الرابعة) ملخص ما تقدم

١٨٤ (سورة الأنبياء) وهى (قسمان * القسم الأول) مكتوب مشكلا

- ١٨٦ التفسير اللفظي
- ١٨٩ فصل في نبذة من علم الفلك وعلم طبقات الأرض للاستدلال على الوحدةانية في هذه الآيات وذلك من (وجهين * الوجه الأول) جهة الاحكام وحسن التصوير والتقدير (الوجه الثاني) من جهة القرآن إذ أخبر بأمور لم تعلم إلا في القرن التاسع عشر
- ١٩٢ فصل في استبعاد هذه العلوم وأمثالها والاستهزاء بها ووعد الله للناس بأنه سيربها للناس في زماننا هذا
- ١٩٣ تفسير قوله تعالى - قل من يكاؤكم بالليل والنهار - الخ
- ١٩٤ الدوائر العلمية في علم الطبيعة قد جاء ذكرها في (سورة الحجر) وفي (المنحل) مرتين وقد ذكرت مجزأة في (الاسراء) وما بعدها الى (طه) . (وملخص ذلك) أن الله يريد أن يؤسس الديانات على أساس علمي لا على خوارق العادات ولذلك أمره أن يدعو بازدياد العلم لا بازدياد خوارق العادات . وإذا كانت السور السابقة فيها المواليد الثلاثة فهذه فيها أصل المواليد وهي السموات والأرض وفتحهما ورتقهما ﴿الفائدة الثانية﴾ - اقتراب للناس حسابهم - وبيان أن القيامة مع تكرار وعد الأنبياء بها لم تقم وذلك يورث الشك عند البعض ويورث التواني والتباطؤ عند آخرين فيعصرون الله لطول المدة بين المعصية وجزائها . وبيان أن ذلك مدفوع بأن عذاب القبر بعد الموت والكشف الحديث يؤيده وأيضاً العذاب في الدنيا واقع والقرآن طافح بعذاب الدنيا . ألم تر إلى أكل ما يضر أو شربه أو الافراط أو التفريط في حركة أو سكون أو أي عمل ما . فكل ذلك يعقبه ألم على مقداره وهكذا الجهل والكسل كل ذلك له جزاء بقدره . إذن العذاب يبتدىء في الدنيا والناس لا يشعرون كما قال تعالى - سنعتذبهم مرتين - الخ وقال - أولئك لهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا -
- ١٩٦ ﴿الحديث الحادي عشر﴾ وفيه مقال للأرواح والكلام على الأرواح النائرة والأرواح الملائمة لقبورها وهل تنجسد في الدنيا والصلاة على الميت وجذبها الروحه وميل بعض الأرواح لبعض الأماكن وكيف يكون الصالحون مفتونين بازعاج الأرواح وصاحب الفضيلة في الأرض قليل ومحادثة مع الروح الذي أحدث قلقاً في شارع (نويه) وأنه مات منذ خمسين سنة وكان في حياته لا يعمل له . وبيان أن ما تقدم أشبه بما جاء في كلام الامام الغزالي
- ١٩٨ ايضاح لما تقدم وأن هذا المقام يفسر قوله تعالى - ونضع الموازين القسط - الخ
- ١٩٩ ﴿اللطيفة الثانية﴾ في قوله تعالى - أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا - وبيان أن هذه معجزة نبوية لأن مسألة اشتقاق الأرض من الشمس لم يذكرها إلا الفرنجة في عصرنا وقد جهلتها الأمم السابقة وخطاب المؤلف لأذكياء الأمم الاسلامية قائلاً ﴿هل يليق أن يكون هذا الكتاب في أيدي أجهل الأمم في الأرض مع سمو مطالبه﴾
- ٢٠٠ بيان عقاب المسلمين في الدنيا وأن ألمانيا ٧٠ مليوناً والممالك المتحدة فوق مائة مليون نفس والأولون مملكة متحدة والآخرون كذلك . وترى أبناء العرب لا يزيدون عن ثمانين مليوناً في العراق والشام ومصر وبلاد المغرب والسودان فلم يكونوا مملكة واحدة بل ممالك . وهكذا تراهم في جزيرة العرب لا يكادون يبلغون بضع ملايين وهم دول متنافرة . أليس ذلك لجهلنا مع ان ديننا أشرف الأديان وهم علماء مع أن دينهم منسوخ
- جوهرة في قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول - الخ
- ٢٠١ ﴿الفصل الأول﴾ في دين قدماء المصريين وأن لهم ألف إله وإلهة وانهم ثلاث مراتب وأن هذه الأمة

جعت المتناقضات سمو عقلى وسخافة والإله لا يسمى عندهم تعظيما له فلذلك عبدوا المخاوف وهم يقولون بالتناسخ حتى تكمل النفس

٢٠٢ دين قدماء الفرس وبيان انهم من الآريين بالهند الذين تفرّع منهم الفرس وكثير من أهل أوروبا وأن (زردشت) العظيم عندهم جميعهم وأنه كان موحدا ولكن لما اختلطوا بالمجوس أشركوا . فهناك قالوا هما ﴿ إلهان ﴾ أحدهما ﴿ للخير والآخر للشر ﴾ وعبدوا إله الخير وذلك بأربع فضائل والكلام على جهنم عندهم وعلى الصراط . ذكر نبذتين من كتاب (الاستاوزند) * أحدهما التحيات الى إله الخير * والثانية قانون الايمان

٢٠٤ بيان أن ذكر ذلك هنا ﴿ لغرضين ﴾ الأول ﴿ الاطلاع على الديانات ﴾ الثاني ﴿ فهم قوله تعالى - يا أيها الرسل كلوا من الطيبات - الخ وبيان أن الناس غشوا في الديانات كما غش التجار في الأطعمة المباعه والكلام على (بوذا) في الهند وآلهة الصين وآلهة بابل والكلام على ترجمة حياة (كنفوشيوس) الذى كان سنة ٥٥٠ ق . م وكيف كان ينصح تلاميذه ويضرب لهم الأمثال ورئيس الآلهة عند البابليين واتفاق الجميع على التوحيد أولا والتعدد ثانيا وما نقله الحفارون الألمان من قصة الصلب عن ألواح بابل . وبيان أن السيارات عدوها آلهة هناك بعد التوحيد وبيان أن السبب في تعداد الآلهة ما فطر عليه الانسان من تنوع صوته ولغاته . فهكذا هنا عدد الآلهة وجعل ما كان موصلا لله حجابا بينه وبينه

٢٠٨ ضرب مثل لذلك وأن المسامين حجبوا بالمذاهب والكتب عن أصل الدين كما حجب الصابئون بالكواكب والهواء والماء والنار عن المعبود الحق . واذا وصف المشتري وزحل وغيرها بوصف انه رئيس الآلهة هكذا وصف الجهلة من المسامين بعض الصالحين بأنهم أحيوا الموتى وأتوا بالأسير وحجبوا بهم عن الله بيان الوفاق الخمس الذى به يعرف كيف سحرت عقول الناس بنظام هذه الاوفاق فظنوها فوق طوق البشر وماهى إلا من علم خواص الأعداد . والكلام على قوله تعالى - ونبلوكم بالشر والخير فتنة - وأن القطن فى أمريكا ينوعونه الى أحمر وأصفر وهكذا وأنه قد عطل بعض الزراعات ولم يقدر القوم على الاقلال منه إلا باهلاك دودة اللوز التى هى نقمة ظاهرا ونعمة حقيقة

٢١٣ ﴿ القسم الثانى ﴾ من قوله تعالى - ولقد آتينا موسى - الى آخر السورة مشكلا وتفسيره اللفظى

٢١٥ تفسير قصة موسى وإبراهيم عليهما السلام

٢١٧ لطيفة فى قوله تعالى - بل ربكم رب السموات والأرض - وبيان أن هذا القول كقول موسى وكلاهما يدعو للعالم جميعها . وبيان أن الأصنام اذا كانت حجابا عن العالم فاذا وجدنا العقول منعت عنها مثل ما هو حاصل الآن وجب ازالة هذا من العقول وتفسير قصة لوط ونوح وداود وسليمان واجتهاد داود وسليمان فى الحكم . مواهب سليمان

٢٢٢ الجوهر والدّر والعسل والحرير . وبيان أن قصة داود وسليمان للشكر وأيوب والغرقابس اليونانى للصبر ويلحق به اسماعيل وأدريس وذوالكفل . أما ذوالنون فإنه لما لم يصبر ذكر آخر . قصة زكريا ويحيى وعيسى وأمه مريم . نتيجة السير المتقدمة ست

٢٢٦ نتائج القصص المذكورة لأمة الاسلام أن يفعلوا جميع ما فعلته أمم هؤلاء الأنبياء كعلم الفلك لإبراهيم وعدم الانسكال على خوارق العادات كما فى قصة موسى وكالصبر لأيوب وتذكير أمة الاسلام بأنهم ان لم يفعلوا ذلك أرسل الله لهم أمما يعاصونهم ويأخذون أرضهم . فتتح باب الرجاء لأمة الاسلام

- ٢٢٨ بيان - إن هذه أمتكم أمة واحدة - . المؤتمر الاشتراكي الأعلى النبى مثله ٣٣ أمة والخطبة الاشتراكية المناسبة للآية هنا ولكتابى ﴿أين الانسان﴾ وبيان انهم قسموا الأمم ﴿ثلاثة أقسام﴾ شعوب تستقل وشعوب قرب استقلالها وآخرون يحتاجون للعالمين أمدا طويلا
- ٢٣٠ بيان قوله تعالى - وأنا ربكم فاعبدون -
- ٢٣١ (خاتمة الأهم قيام الساعة) . خطاب الله للكفار وتذكيرهم بما يكون يوم القيامة فى تفسير - انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم -
- ٢٣٢ زيادة ايضاح لقوله تعالى - كطلى السجل للكتب -
- ٢٣٣ بيان معنى - كطلى السجل للكتب - وأن بدائع الصور تختفى إذ ذاك . تقسيم الصلاح وكيف يكون فصلاح قوم لأرض الدنيا وصلاح قوم لأرض الجنة . وبيان أن قوله تعالى - إن هذه أمتكم أمة واحدة - يقصد منها حوز جميع ما تقدم فى هذه الأمة . وبيان أن عموم نفع الانسان يقرب به من الجنة والتقصير بالعكس وأن أمة الاسلام لا تفصل فى تقصيرها الى دركات أهل استراليا لأن القرآن فيه أصول الرقى وهذا تفسيره
- ٢٣٥ كيف كانت حال العالم لولم يفتح المسامون ومباحثه الأربعة
- ٢٣٦ ملخص ما ذكره العلامة (سديو) فى فضل العرب على أوروبا وأنه سبعة فصول
- ٢٣٧ وأن هذا معنى كونه ﷺ رجة للعالمين ثم اجمال ذلك كله
- ٢٣٨ بيان ماشاع فى الجرائد من معنى ﴿بدأ الاسلام غربا الخ﴾ وأن هذا أصله فكرة خطرت لى وكتبتها فى مجلة ﴿نور الاسلام﴾ بالزقازيق الخ
- ٢٣٩ امتياز أمة الاسلام وتفسير - قل انما يوحى الى - الى آخر السورة
- ٢٤٠ جوهرة فى قوله تعالى - ولقد كتبنا فى الزبور - الخ وأن جميع الأرض التى أرسل الله فيها الأنبياء المذكورين فى القرآن تحت يد المسلمين الآن
- ٢٤١ خريطة العالم الاسلامى الآن . المطالع على هذه الخريطة يجد هاضف بلاد الصين ومع ذلك جمعها المسلمون فى مملكة واحدة يوما ما وأبناء العرب الآن لما اعتراهم الجهل لم تجمعهم كلمة ولادولة وهذا عجب
- ٢٤٣ تجميع المسلمين على الجهل الذى فرقهم مع ان العلم جمع الأمم التى ليست مسلمة والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم